هو العزيز

معرفة الإمام (13)

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ

حَوْلَ الإمامةِ و الولايَةِ عُمُوماً؛

و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالبٍ و الأَئِمّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين خصوصاً

دُروسٌ إستِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذةٌ من القرءانِ الكريم و رواياتٌ مأْثورةٌ عن الخاصّةِ و العامّةِ ؛ و أَبحاثٌ حَلّيّةٌ و نَقدِيّةٌ حَوْلَ الوِلايَةِ

لمؤلّفه الحقير:

السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ عُفِيَعنه

الدرس الثمانون بعد المائة إلى الخامس والثمانين بعد المائة: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بتدوين الحديث و كتابة حديث الثقلين

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهِرِينَ

ولَعْنَةُ اللهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّينِ ولَا حَولَ ولَا قُوّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ . (1)

نزلت هذه الآية في غزوة أُحُد ، وهي تتحدّث عن الذين ولّوا هاربين وتركوا النبيّ وحده في تلك المعركة الدامية عندما شنّ عليهم العدوّ غارة شديدة . ولم يثبت مع رسول الله إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، وأشخاص قليلون كأبي دُجانة الأنصاريّ ، (2) وسهل بن حنيف ، وهم يذبّون عن نفسه القدسيّة ، ولم يتركوه فريسةً لسهام العدوّ وأسنّته وسيوفه وحجارته ، ولم يُسلموه إلى أعدائه المتعطّشين بأجمعهم إلى قتله .

وتقع هذه الآية بين عدد من الآيات في سورة آل عمران . وهي تصوّر الوضع تصويراً حسناً .

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النّاسِ (ونذيق الناس جميعهم المصائب ونُنزل بهم المشاكل والحوادث الواحد تلو الآخر) وَلِيَعْلَمَ اللهُ الّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ وَاللهُ لَا يُحِبّ الظّلِمِينَ * وَلِيُمَحّصَ اللهُ الّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَفِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنّةَ وَلَمّا يَعْلَمِ اللهُ الّذِينَ جَهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصّبِرِينَ * وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * (فَلِمَ لُذتم بالفرار ؟!) وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ * (ويؤجرهم أجراً جميلاً ويثيبهم ثواباً لا يعدّ ولا يحصى) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَبًا مّؤَجّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشّكِرِينَ * وَكَأَيّن مّن نّبِىّ قَتَلَ مَعَهُ رِبّيّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبّ الصّبِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلّآ أَن قَالُوا رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَفِرِينَ * فَاتَبهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْأَخِرَةِ وَاللهُ يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ . (3)

قال سماحة أُستاذنا الأكرم آية الله العلّامة الطباطبائيّ في ذيل الآية : وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ ، في تفسير قوله : أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ :

المراد به الرجوع عن الدين دون التولّي عن القتال ، إذ لا ارتباط للفرار من الزحف بموت النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أو قتله ، وإنّما النسبة والرابطة بين موته أو قتله وبين الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان .

ويدلّ على أنّ المراد به الرجوع عن الدين ما ذكره تعالى في قوله :

وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقّ ظَنّ الْجَهِلِيّةِ يَقُولُونَ هَل لّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنّ الْأَمْرَ كُلّهُ لِلهِ يُخْفُونَ فِى أَنفُسِهِم مّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَىْءٌ مّا قُتِلْنَا هَهُنَا قُل لّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ اللهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَاللهُ

عَلِيمٌ بِذَاتِ الصّدُورِ * إِنّ الّذِينَ تَوَلّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنّمَا اسْتَزَلّهُمُ الشّيْطَنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . (4) و (5)

وصفهم الله تعالى في هذه الآيات بأنّهم يهتمّون بإنعاش أنفسهم ويظنّون ظنّ الجاهليّة . وقد زلّوا في الدين بسبب بعض ممارساتهم الذميمة ، وتركوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وحده في مثل هذه الواقعة الخطرة .

على أنّ نظير ما وقع في أُحد من فرارهم من الزحف وتولّيهم عن القتال تحقّق في غيره كغزوة حنين وخيبر وغيرهما ، ولم يخاطبهم الله بمثل هذا الخطاب وما عبّر عن تولّيهم عن القتال بمثل هذه الكلمة ، قال تعالى :

وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمّ وَلّيْتُم مّدْبِرِينَ . (6)

فالحقّ أنّ المراد بالانقلاب على الأعقاب الرجوع إلى الكفر السابق .

فمحصّل معنى الآية على ما فيها من سياق العتاب والتوبيخ : أنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس إلاّ رسولاً من الله مثل سائر الرسل ، ليس شأنه إلّا تبليغ رسالة ربّه لا يملك من الأمر شيئاً . وإنّما الأمر لله والدّين دينه باقٍ ببقائه . فما معنى اتّكاء إيمانكم على حياته حيث يظهر منكم أن لو مات أو قتل تركتم القيام بالدين ، ورجعتم إلى أعقابكم القهقرى واتّخذتم الغواية بعد الهداية ؟!

وهذا السياق أقوى شاهد على أنّهم ظنّوا يوم أُحد بعد حمي الوطيس أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد قُتل فانسلّوا عند ذلك وتولّوا عن القتال . فيتأيّد بذلك ما ورد في الرواية والتأريخ . كما في ما رواه ابن هشام في «السيرة» . أنّ أنَس بن النضر . عمّ أنس بن مالك . انتهى إلى عمر بن الخطّاب ، وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار . وقد ألقوا بأيديهم . فقال : ما يحبسكم ؟!

قالوا : قُتل رسول الله . قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟! فموتوا على ما مات عليه رسول الله . ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قُتل .

وبالجملة : فمعنى هذا الانسلال والإلقاء بالأيدي أنّ إيمانهم إنّما كان قائماً بالنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يبقى ببقائه ويزول بموته . وهو إرادة ثواب الدنيا بالإيمان . وهذا هو الذي عاتبهم الله عليه . ويؤيّد هذا المعنى قوله بعده : وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ . فإنّ الله سبحانه كرّر هذه الجملة في الآية التالية بعد قوله : وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْأَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ، حيث قال : وَسَنَجْزِى الشّكِرِينَ فافهم ذلك . لأنّ هذا الموضوع الدقيق جدير بالإمعان .

وقوله : وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ . بمنزلة الاستثناء ممّا قبله على ما يعطيه السياق . وهوالدليل على أنّ القوم كان فيهم من لم يظهر منه هذا الانقلاب [ورجوع القهقرى] أوما يشعر به كالانسلال والتولّي ، وهم الشاكرون .

وحقيقة الشكر إظهار النعمة ، كما أنّ الكفر الذي يقابله هو إخفاؤها والستر عليها . وإظهار النعمة هو استعمالها في محلّها الذي أراده منعمها وذكر المنعم بها لساناً وهو الثناء وقلباً من غير نسيان . [وبناءً على هذا] فشكره تعالى على نعمة من نعمه أن يذكر عند استعمالها ويوضع النعمة في الموضع الذي أراده منها ولا يتعدّى ذلك .

وإن من شيء إلّا وهو نعمة من نعمه تعالى ، ولا يريد بنعمة من نعمه إلّا أن تُستعمل في سبيل عبادته . قال تعالى:

وَءَاتَيكُم مّن كُلّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنّ الْإِنسَنَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ . (7)

فشكره على نعمته أن يطاع فيها ويذكر مقام ربوبيّته عندها .

وعلى هذا فشكره المطلق من غير تقييد ، ذكرهُ تعالى من غير نسيان ، وإطاعته من غير معصيته . فمعنى قوله : وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ [8] : اذكروني ذكراً لا يخالطه نسيان ، وأطيعوا أمري إطاعة لا يشوبها عصيان ولا يُصغى إلى قول مَن يقول : إنّه أمر بما لا يُطاق ، فإنّه ناشٍ من قلّة التدبّر في هذه الحقائق والبعد من ساحة العبوديّة .

وقد عرفتَ فيما تقدّم من الكتاب أنّ إطلاق الفعل لا يدلّ إلّا على تلبّس ما ، بخلاف الوصف فإنّه يدلّ على استقرار التلبّس وصيرورة المعنى الوصفيّ مَلَكةً لا تفارق الإنسان . ففرقٌ بين قولنا : الّذِينَ أَشْرَكُوا ، والّذِينَ صَبَرُوا ، والّذِينَ ظَلَمُوا ، والّذِينَ يَعْتَدُونَ ، وبين قولنا : الْمُشْرِكِينَ ، والصّبِرِينَ ، والظّلِمِينَ ، والْمُعْتَدِينَ .

فالشاكرون هم الذين ثبت فيهم وصف الشكر واستقرّت فيهم هذه الفضيلة . وقد بان أنّ الشكر المطلق هوأن لا يذكر العبد شيئاً ، وهو نعمة ، إلّا وذكر الله معه ، ولا يمسّ شيئاً ، وهو نعمة ، إلّا ويطيع الله فيه .

فقد تبيّن أنّ الشكر لا يتمّ إلّا مع الإخلاص لله سبحانه علماً وعملاً ، فالشاكرون هم المخلصون لله ، الذين لا مطمع للشيطان فيهم .

وتظهر هذه الحقيقة ممّا حكاه الله تعالى عن إبليس . قال تعالى : قَالَ فَبِعِزّتِكَ لَأُغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . [9] وقال أيضاً : قَالَ رَبّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيّنَنّ لَهُمْ فِى الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [10] . فلم يستثنِ من إغوائه أحداً إلّا المخلَصين ، وأمضاه الله سبحانه من غير ردّ .

وقال تعالى : قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنّ لَهُمْ صِرَ طَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمّ لَأَتِيَنّهُم مّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكِرِينَ . [11]

وقوله : وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَكِرِينَ بمنزلة الاستثناء . فقد بدّل المخلصين بالشاكرين وليس إلّا ، لأنّ الشاكرين هم المخلصون الذين لا مطمع للشيطان فيهم ، ولا صنع له لديهم . إنّما صنعه وكيده إنساء مقام الربوبيّة والدعوة إلى المعصية [وأنّ آلته الحادّة وسلاحه كليلان لا يؤثّران في هؤلاء المخلَصين الغارقين في بحر ذِكر الله والتوجّه إليه ، والذين لا تصدر منهم المعصية كملكة متمكّنة في نفوسهم] .

وممّا يؤيّد ذلك من هذه الآيات النازلة في غزوة أُحد قوله تعالى فيما سيأتي من الآيات : إِنّ الّذِينَ تَوَلّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنّمَا اسْتَزَلّهُمُ الشّيْطَنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . [12] مع قوله في هذه الآية التي نحن فيها : وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ ، وقوله فيما بعدها : وَسَنَجْزِى الشّكِرِينَ . وقد عرفتَ أنّه في معنى الاستثناء ، [فهذه كلّها تدلّ على نفسها بنحو أبلغ] .

فتدبّر فيها [أي في الآية] واقضِ عجباً ممّا ربّما يقال : إنّ الآية ، أعني قوله : إِنّ الّذِينَ تَوَلّوْا مِنكُمْ ناظرة إلى ما روي أنّ الشيطان نادى يوم أُحد : «ألَا قد قُتِل محمّد» فأوجب ذلك وهن المؤمنين وتفرّقهم عن المعركة ! فاعتبر إلى أيّ مهبط أهبط كتاب الله من أوج حقائقه ومستوى معارفه العالية ؟!

فالآية تدلّ على وجود عدّة منهم يوم أُحد لم يهنوا ولم يفتروا ولم يفرّطوا في جنب الله سبحانه سمّاهم الله شاكرين . وصدّق أنّهم لا سبيل للشيطان إليهم ولا مطمع له فيهم ؛ لا في هذه الغزوة فحسب ، بل هو وصف لهم ثابت فيهم مستقرّ معهم .

ولم يطلق اسم الشاكرين في مورد من القرآن على أحد بعنوان على طريق التوصيف إلّا في هاتين الآيتين . أعني : قوله : وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ ، وقوله : وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ . ولم يذكر ما يجازيهم به في شيء من الموردَين إشعاراً بعظمته ونفاسته . [13]

وأجمعت التواريخ الثابتة التي يقرّ بها العامّة على أنّ أبا بكر لم يُجرح في غزوة أُحد قطّ ، وأنّه لجأ إلى الجبل مع عمر ، وكلاهما اعتزل القتال ، وظنّا أنّ محمّداً قد قُتل . وفرّ عثمان مختفياً ثلاثة أيّام ، ثمّ دخل المدينة . وما كان إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، وحمزة سيّد الشهداء عليهما السلام ، وأبو دُجانة ، وسهل بن حُنيف الأنصاريّ ، إذ نهضوا بالحرب وبادروا إلى تفريق الجيش وإبادته . وهم الذين ثبتوا مع النبيّ الأعظم من أوّل الحرب حتّى اللحظة الأخيرة منها ، وفدوه بأرواحهم مستبسلين قُدّامه ، ذائدين عن بيضة الإسلام ، وعن حياته المقدّسة .

ونقل الواقديّ في مغازيه ، والطبريّ ، وابن الأثير في تأريخيهما أنّ كبش الكتيبة وصاحب الراية في عسكر قريش . وكان من بني عبد الدار ، واسمه طلحة بن أبي طلحة . لمّا وقف أمام عسكر المسلمين ، وطلب مبارزاً وقال : يا معشر أصحاب محمّد ! إنّكم تزعمون أنّ الله يعجّلنا بسيوفكم إلى النار ، ويعجّلكم بسيوفنا إلى الجنّة ! فهل أحد منكم يعجّله الله بسيفي إلى الجنّة أو يعجّلني بسيفه إلى النار ؟

فمضى إليه أسد الله الغالب ليث التوحيد والشجاعة أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين ، وقال : بلى والله ؛ لا أُفارقك حتّى أعجّلك بسيفي إلى النار أو تعجّلني بسيفك إلى الجنّة فضربه عليّ فقطع رِجله ، فسقط فانكشفت عورته ؛ فكبّر رسول الله صلّى الله عليه وآله . (14) ثمّ أخذ لواء المشركين جماعة من بني عبد الدار واحداً بعد الآخر ، وقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام بأجمعهم ، وسقط لواؤهم على الأرض ، ولم يحمله أحد منهم .

وذكر الطبريّ وابن الأثير أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا قتل أصحاب اللواء من المشركين ، أبصر النبيّ صلّى الله عليه وآله جماعة من المشركين ، فقال لعليّ : احمل عليهم ، فحمل عليه السلام عليهم ففرّقهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ . ثمّ أبصر رسول الله صلّى الله عليه وآله جماعة أُخرى ، فقال لعليّ عليه السلام : احمل عليهم . فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ، وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي .

فقال جبرئيل : يا رسول الله ! إنّ هذه لَلْمواساة !

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّه منّي وأنا منه .

فقال جبرئيل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صوتاً : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفقار ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ . (15)

وشرح خواند مير هذا الحديث الشريف في كتاب «روضة الصفا» . وقال بعد عرض مفصّل في إيثار أمير المؤمنين عليه السلام ومواساته يوم أُحد ، وهو ممّا يثير العجب حقّاً :

روى الحافظ أبو محمّد بن العزيز (الجنابذيّ) في كتاب «معالم العترة النبويّة» مرفوعاً عن قيس بن سعد ، عن أبيه قال : سمعتُ عليّاً يقول : أصابتني يوم أحد ستّة عشر ضربة سقطتُ إلى الأرض في أربع منهنّ (16) فجاءني رجلٌ حسن الوجه ، طيّب الريح ، فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال : أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله وهما عنك راضيان . قال عليّ : فأتيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخبرته ، فقال : يا عليّ ! أما تعرف الرجل ؟ قلت : لا ، ولكنّي شبّهته بدحية الكلبيّ ، فقال : يا عليّ أقرّ الله عينك ؛ كان جبرئيل .

وذكر محمّد بن حبيب في «الأمالي» أنّه لمّا هُزم جُلّ الجيش الإسلاميّ ، توجّهت أفواج الكفّار نحو رسول الله صلّى الله عليه وآله كأمواج البحر . واقترب منه زُهاء خمسين فارساً من بني عبد مناف . وحمل عليّ المرتضى عليه السلام على أولاد صفوان بن عوف ، وأبي الشعثاء ، وأبي الحمراء ، وستّة آخرين من أولاد أبي سفيان . وقتلهم بسيفه البتّار وأرسلهم إلى دار البوار .

ونقل بعض أصحاب السير أنّ جبرئيل قال لرسول الله بعد ذلك : يَا مُحَمّدُ ! إنّ هَذِهِ لَلْمَوَاسَاةُ ، وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمُوَاسَاةِ هَذَا الفَتَى . فقال رسول الله : إنّهُ مِنّي وَأَنَا مِنْهُ . فقال جبرئيل : وَأَنَا مِنْكُمَا . وَسُمِعَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ صَوْتٌ مِنْ قِبَلِ السّمَاءِ وَلَا يُرَى شَخْصُ الصّارِخِ يُنَادِي مِرَاراً : لَا فَتَى إلّا عَلِيّ ، لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ .

وسئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الصارخ ، فقال : هو جبرائيل . ثمّ قال محمّد بن حبيب صاحب «الأمالي» : رواه جمع من المحدّثين . وهو من الأخبار المشهورة . ووجدت بعض نسخ كتاب «المغازي» لمحمّد بن إسحاق وهي تخلو من هذا الحديث . وسألتُ أُستاذي وشيخي عبد الوهّاب رحمة الله عليه عن هذا الخبر ، فقال : صحيح . فقلتُ : لِمَ لا تذكره كتب الصحاح ؟ قال : أَوَكُلّ مَا كَانَ صَحِيحاً يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كُتُبُ الصّحَاحِ مِنَ الخَبَرِ ؟ (17)

ويستبين هنا أنّ ما نقله صاحب «السيرة الحلبيّة» عن أبي العبّاس بن تيميّة في زعمه كذبَ هذا الحديث (18) بعيد عن الإنصاف جدّاً ، وفيه خروج عن جادّة الحقيقة . ولا غَرْوَ إذا صدر ذلك عن ابن تيميّة المعروف بعدائه الشديد لأمير المؤمنين عليه السلام ، والمعدود في زمرة النواصب لرذالته وخباثته ، والمنكر للحكايات والأخبار الصحيحة بحمله لها على محامل بعيدة . وهو الذي عقد نيّته على العناد واللجاجة والخصومة أنّى وجد حديثاً وخبراً في فضيلة سيّد الأولياء . وإنّما العجب من بعض أتباعه إذ يقبلون كلامه على عمىً مع ما يتّصفون به من الاطّلاع وسعة العلم ، وقد صدّقوه إذ أوردوه في كتبهم بلا تحقيق حفظاً للسّلَف !

ونذكر فيما يأتي كلام الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتاب «الإرشاد» حتّى تتبيّن درجة كمال أمير المؤمنين عليه السلام وجهاده في هذه الغزوة ، وكذلك نزول جبرائيل على النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم بخبر لَا فَتَى إلّا عَلِيّ . قال الشيخ المفيد :

وكانت راية رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم أُحُد بِيَدِ أمير المؤمنين عليه السلام كما كانت بيده يوم بدر ، فصار اللواء إليه يومئذٍ ، فهو صاحب الراية واللواء جميعاً . (19) وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له ببدر سواء . واختصّ بحسن البلاء فيها والصبر وثبوت القدم عندما زلّت من غيره الأقدام . وكان له من العناء برسول الله صلّى الله عليه وآله ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام ، وقتل الله بسيفه رؤوس أهل الشرك والضلال . وفرّج الله به الكرب عن نبيّه عليه السلام . وخطب بفضله في ذلك المقام جبرائيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء . وأبان نبيّ الهدى عليه السلام من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامّة الناس .

فمن ذلك مارواه يحيى بن عمارة ، عن الحسن بن موسى بن رياح مولى الأنصار ، عن أبي البختريّ القرشيّ ، قال : كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بِيَدِ قُصَيّ بن كلاب . ثمّ لم تزل الراية في يد ولد عبد المطّلب يحملها منهم من حضر الحرب حتّى بُعِث رسول الله صلّى الله عليه وآله فصارت راية قريش وغيرها إلى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله فأقرّها في بني هاشم . فأعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودّان . وهي أوّل غزاة حُمِل فيها راية في الإسلام مع النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمّ لم تزل معه في المشاهد ببدر ، وهي البَطْشَةُ الكُبْرَى . وفي يوم أُحد .

وكان اللواء يومئذٍ . وهو أصغر من الراية . في بني عبد الدار ، فأعطاه رسول الله مصعب بن عمير ، فاستُشهد . ووقع اللواء من يده ، فتشوّفته القبائل ، فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله فدفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام (20) فجمع له يومئذٍ الراية واللواء ، فهما إلى اليوم في بني هاشم .

وعقد الشيخ المفيد رضوان الله عليه فصلاً مستقلّاً في مزايا الجهاد العظيم الذي اضطلع به أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة أُحد ، وقال :

فَصْلٌ : روى المفضّل بن عبد الله ، عن سِماك ، عن عكرمة ، عن عبد الله بن عبّاس أنّه قال : لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أربع ماهنّ لأحد : هُوَ أَوّلُ عَرَبِيّ وَعَجَمِيّ صَلّى مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ صَاحِبُ لِوَائِهِ فِي كُلّ رَجْفٍ ، [21] وَهُوَ الّذِي ثَبَتَ مَعَهُ يَوْمَ المِهْرَاسِ [22] يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ وَفَرّ النّاسُ ، وَهُوَ الّذِي أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ .

وروى زيد بن وهب الجهنيّ عن أحمد بن عمّار ، عن شريك ، عن عثمان بن المغيرة ، عن زيد بن وهب قال : وجدنا من عبد الله بن مسعود يوماً طيب نفس فقلنا له : لو حدّثتنا عن يوم أُحد وكيف كان . فقال : أجل . ثمّ ساق الحديث حتّى انتهى إلى ذكر الحرب فقال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اخرجوا إليهم على اسم الله . فخرجنا وصففنا لهم صفّاً طويلاً . وأقام على الشّعب خمسين رجلاً من الأنصار ، وأمّر عليهم رجلاً منهم ، وقال : لَا تَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِكُمْ هَذَا ، وَلَوقُتِلْنَا عَنْ آخِرِنَا . فَإنّمَا نُؤْتَى مِنْ مَوْضِعِكُمْ هَذَا .

وأقام أبو سفيان صخر بن حرب بإزائهم خالد بن الوليد . وكان اللواء من قريش في بني عبد الدار . وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة ، يُدعى كبش الكتيبة .

ودفع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لواء المهاجرين إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وجاء حتّى وقف تحت لواء الأنصار . وجاء أبو سفيان إلى أصحاب اللواء فقال : يا أصحاب الألوية ! إنّكم قد تعلمون أنّما يؤتى القوم من قبل ألويتهم . وأنّما أُوتيتم يوم بدر من قِبَلِ ألويتكم ؛ فإن كنتم ترون أنّكم قد ضعفتم عنها فادفعوها إلينا نكفكموها . فغضب طلحة بن أبي طلحة وقال : ألنا تقول هذا ؟ والله لأوردنّكم بها اليوم حياض الموت .

قال ابن مسعود : وكان طلحة يسمّى كبش الكتيبة ، فتقدّم ، وتقدّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : من أنت ؟! قال : أنا طلحة بن أبي طلحة أنا كبش الكتيبة . فمن أنت ؟ ! قال : أنا عليّ بن أبي طالب بن عبد المطّلب . ثمّ تقاربا فاختلفت بينهما ضربتان . فضربه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ضربة على مقدّم رأسه ، فبدرت عينه وصاح صيحة لم يُسمع مثلها قطّ ، وسقط اللواء من يده ، فأخذه أخ له يقال له : مصعب . فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله . ثمّ أخذ اللواء أخ له يقال له : عثمان فرماه عاصم أيضاً بسهم فقتله . فأخذه عبدٌ لهم يقال له : صواب ، وكان من أشدّ الناس . فضرب عليّ عليه السلام يده فقطعها ، فأخذ اللواء بيده اليُسرى ، فضربه عليّ عليه السلام على يده اليُسرى فقطعها ، فأخذ اللواء على صدره ، وجمع يديه ، وهما مقطوعتان عليه ، فضربه عليّ عليه السلام على أُمّ رأسه ، فسقط صريعاً ، فانهزم القوم ، وأكبّ المسلمون على الغنائم . ولمّا رأى أصحاب الشّعب الناس يغنمون قالوا : يذهب هؤلاء بالغنائم ونبقى نحن ! فقالوا لعبد الله بن عمر بن حزم الذي كان رئيساً عليهم : نريد أن نغنم كما غنم الناس . فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أمرني أن لا أبرح من موضعي هذا . فقالوا له : إنّه أمرك بهذا وهو لا يدري أنّ الأمر يبلغ إلى ما نرى ، ومالوا إلى الغنائم ، وتركوه . ولم يبرح هو من موضعه ، فحمل عليه خالد بن الوليد فقتله ؛ ثمّ جاء من ظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله يريده . فنظر إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله في خفّ من أصحابه ، فقال لمن معه : دونكم هذا الذي تطلبون فشأنكم به .

فحملوا عليه حملة رجل واحد ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح ، ورمياً بالنبل ، ورضخاً بالحجارة . وجعل أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله يقاتلون عنه ، حتّى قُتل منهم سبعون رجلاً وفرّ الباقون . وثبت أمير المؤمنين عليه السلام وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف للقوم يدفعون عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وكثر عليهم المشركون .

ففتح رسول الله صلّى الله عليه وآله عينيه ، ونظر إلى أمير المؤمنين عليه السلام وكان أغمى ممّا ناله . فقال : يا عليّ ! ما فعل الناس ؟ فقال : نَقَضُوا العَهْدَ وَوَلّوُا الدّبُرَ .

فقال له : فاكفني هؤلاء الذين قد قصدوا قصدي ! فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام فكشفهم . ثمّ عاد إليه وقد حملوا عليه من ناحية أُخرى ، فكرّ عليهم ، فكشفهم .

وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف قائمان على رأسه ، بِيَدِ كلّ واحد منهما سيفاً ليذبّ عنه . وثاب إليه من أصحابه المنهزمين أربعة عشر رجلاً ، منهم : طلحة بن عبيد الله ، وعاصم بن ثابت ، وصعد الباقون الجبل . وصاح صائح بالمدينة : قُتِلَ رَسُولُ اللهِ فانخلعت لذلك القلوب ، وتحيّر المنهزمون ، فأخذوا يميناً وشمالاً . وكانت هند بنت عتبة جعلت لوحشي جعلاً على أن يقتل رسول الله ، أو أمير المؤمنين ، أو حمزة بن عبد المطّلب عليهم السلام .

فقال وحشي : أمّا محمّد ، فلا حيلة لي فيه لأنّ أصحابه يطيفون به . وأمّا عليّ ، فإنّه إذا قاتل ، كان أحذر من الذئب . وأمّا حمزة فإنّي أطمع فيه ، لأنّه إذا غضب لم يبصر بين يديه . وكان حمزة يومئذٍ قد أعلم بريشة نعامة في صدره . (23)

فكمن له وحشيّ في أصل شجرة ، فرآه حمزة ، فبرز بالسيف فضربه ضربة أخطأت رأسه . قال وحشيّ : وهززتُ حربتي حتّى إذا تمكّنت منه رميته فأصبته في أربيّته فأنفذته وتركته حتّى إذا برد ، صرت إليه . فأخذتُ حربتي وشغل عنّي وعنه المسلمون بهزيمتهم . وجاءت هند فأمرت بشقّ بطن حمزة وقطع كبده والتمثيل به . فجدعوا أنفه وأُذنيه ومثّلوا به ، ورسول الله صلّى الله عليه وآله مشغول عنه لا يعلم بما انتهى إليه الأمر .

قال الراوي للحديث وهو زيد بن وهب : قلت لابن مسعود : انهزم الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى لم يبق معه إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف ؟! فقال : انهزم الناس إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وحده . وثاب إلى رسول الله نفر . وكان أوّلهم عاصم بن ثابت ، وأبو دجانة ، وسهل بن حنيف ، ولحقهم طلحة بن عبيد الله . (24)

فقلت له : وَأَيْنَ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ؟

قال : كانا ممّن تنحّى . قلتُ : وَأَيْنَ كَانَ عُثْمَانُ ؟ قال : جاء بعد ثلاثة من الوقعة . (25) فقال له رسول الله : لَقَدْ ذَهَبْتَ فِيهَا عَرِيضَةٍ . (26) فقلت له : وأين كنتَ أنت ؟

قال : كنت ممّن تنحّى . قلتُ له : فمن حدّثك بهذا ؟! قال : عاصم ، وسهل بن حنيف .

قلتُ له : إنّ ثبوت عليّ عليه السلام في ذلك المقام لعجب ، فقال : إن تعجّبت من ذلك ، فقد تعجّب منه الملائكة . أما علمتَ أنّ جبرئيل قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ ؟

قلتُ : فمن أين عُلم ذلك من جبرئيل ؟!

قال : سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك ، فسألوا رسول الله صلّى الله عليه وآله عنه ، فقال : ذاك جبرئيل .

وجاء في حديث عِمران بن حصين أنّه قال : لمّا تفرّق الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم أُحد ، جاء عليّ عليه السلام متقلّداً سيفه حتّى قام بين يديه . فرفع رسول الله صلّى الله عليه وآله رأسه إليه ، فقال له : مَا بَالُكَ لَمْ تَفِرّ مَعَ النّاسِ ؟! فقال عليه السلام : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرْجِعُ كَافِراً بَعْدَ إسْلَامِي ؟! (27) فأشار له رسول الله إلى قوم انحدروا من الجبل ، فحمل عليهم فهزمهم . ثمّ أشار إلى قوم آخر ، فحمل عليهم فهزمهم .

ثمّ أشار إلى قوم آخر ، فحمل عليهم فهزمهم . فجاء جبرئيل عليه السلام فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ! لَقَدْ عَجِبَتِ المَلَائِكَةُ وَعَجِبْنَا مَعَهَا مِنْ حُسْنِ مُوَاسَاةِ عَلِيّ لَكَ بِنَفْسِهِ ؟!

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : وَمَا يَمْنَعُهُ مِنْ هَذَا وَهُوَ مِنّي وَأَنَا مِنْهُ ؟

فقال جبرئيل : يَا رَسُولَ اللهِ ! وَأَنَا مِنْكُمَا .

وروى الحكم بن ظهير عن السّدّي ، عن أبي مالك ، عن ابن عبّاس أنّ طلحة بن أبي طلحة خرج يومئذٍ فوقف بين الصفّين ، فنادى : يَا أَصْحَابَ مُحَمّدٍ ! إنّكُمْ تَزْعَمُونَ أَنّ اللهَ يُعَجّلُنَا بِسِيُوفِكُمْ إلَى النّارِ ، وَيُعجّلُكُمْ بِسِيُوفِنَا إلَى الجَنّةِ ، فَأَيّكُمْ يَبْرُزُ إلَيّ ؟!

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : والله لا أُفارقك اليوم حتّى أُعجّلك بسيفي إلى النار . فاختلفا ضربتين ، فضربه عليّ عليه السلام على رِجلَيه ، فقطعهما ، فسقط . فانكشف عنه ، فقال له : يَابْنَ العَمّ ! أَنشُدُكَ اللهَ وَالرّحِمَ . فانصرف عنه إلى موقفه . فقال له المسلمون : ألا أجهزتَ عليه ! فقال : ناشدني الله والرحم . ووالله لا عاش بعدها أبداً .

فمات طلحة في مكانه . وبُشّر النبيّ صلّى الله عليه وآله فسُرّ به [28] وقال : هذا كبش الكتيبة . [29]

وقد روى محمّد بن مروان ، عن عمارة ، عن عكرمة ، قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول لمّا انهزم الناس يوم أُحد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قطّ ولم أملك نفسي وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه . فرجعت أطلبه فلم أره . فقلتُ : ما كان رسول الله ليفرّ وما رأيته في القتلى . وأظنّه رفع من بيننا إلى السماء . فكسرتُ جفن سيفي وقلت في نفسي : لأُقاتلنّ به عنه حتّى أُقتل . وحملت على القوم ، فأفرجوا عنّي وإذا أنا برسول الله صلّى الله عليه وآله قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه .

فقمتُ على رأسه ، فنظر إليّ فقال : مَا مَنَعَ النّاسَ يَا عَلِيّ ؟! فقلتُ : كَفَرُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَوَلّوُا الدّبُرَ مِنَ العَدُوّ وَأَسْلَمُوكَ ! [30]

فنظر النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت إليه ، فقال لي : ردّ عنّي يا عليّ هذه الكتيبة ! فحملتُ عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتّى ولّوا الأدبار . فقال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله : أَمَا تَسْمَعُ يَا عَلِيّ مَدِيحَكَ فِي السّمَاءِ ، إنّ مَلَكاً يُقَالُ لَهُ رِضْوَانٌ يُنَادِي : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ ؟! فَبَكيتُ سروراً وحمدت الله سبحانه وتعالى على نعمته .

وقد روى الحسن بن عرفة عن عمارة بن محمّد ، عن سعد بن طريف ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ، قال : نادى ملك في من السماء يوم أُحُد : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ . [31]

وروى مثل ذلك إبراهيم بن محمّد بن ميمون ، عن عمرو بن ثابت ، عن محمّد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه قال : مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُونَ : نَادَى فِي يَوْمِ أُحُدٍ مُنَادٍ مِنَ السّمَاءِ : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ .

وروى سلام بن مسكين عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب قال : لَو رَأَيْتَ مَقَامَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ يَوْمَ أُحُدٍ لَوَجَدْتَهُ قَائِماً عَلَى مَيْمَنَةَ رَسُولِ اللهِ يَذُبّ عَنْهُ بِالسّيْفِ وَقَدْ وَلّى غَيْرُهُ الأَدْبَارَ .

وروى الحسن بن المحبوب عن جميل بن صالح ، عن أبي عُبيدة . عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد ، عن أبيه عليهم السلام ، قال : كان أصحاب لواء المشركين يوم أُحد تسعة ، قتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن آخرهم ، وانهزم القوم ، وطارت مخزوم فضحها عليّ عليه السلام يومئذٍ .

قال : وبارز عليّ عليه السلام الحكم بن الأخنس ، فضربه ، فقطع رجله من نصف الفخذ ، فهلك منها . ولمّا جال المسلمون تلك الجولة ، أقبل أُميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وهو دارع ، وهو يقول : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ فعرض له رجل من المسلمين ، فقتله أُميّة بن أبي حذيفة ، وصمد له عليّ بن أبي طالب ، فضربه بالسيف على هامته ، فنشب في بيضة مغفره ، وضربه أُميّة بسيفه ، فاتّقاها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته ، فنشب فيها . (32)

ونزع أمير المؤمنين عليه السلام سيفه من مغفره ، وخلّص أُميّة سيفه من درقته أيضاً ، ثمّ تناوشا . فقال عليّ عليه السلام : فنظرت إلى فتق تحت إبطه ، فضربته بالسيف فيه ، فقتلته ، وانصرفت عنه .

ولمّا انهزم الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم أُحُد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام ، قال له النبيّ :

مَا لَكَ لَا تَذْهَبُ مَعَ القَوْمِ ؟

قال أمير المؤمنين : أَذْهَبُ وَأَدَعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟! وَاللهِ لَا بَرِحْتُ حَتّى أُقْتَلَ أَو يُنْجِزَ اللهُ لَكَ مَا وَعَدَكَ مِنَ النّصْرَةِ .

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَبْشِرْ يَا عَلِيّ ! فَإِنّ اللهَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَلَنْ يَنَالُوا لَنَا مِثْلَهَا أَبَداً . (33)

ثمّ نظر رسول الله إلى كتيبة قد أقبلت إليه ، فقال له : لوحملتَ على هذه يا عليّ ! فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها ، فقتل منها هِشام بن أُميّة المخزوميّ ، وانهزم القوم . ثمّ أقبلت كتيبة أُخرى ، فقال له الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله : احمل على هذه ! فحمل عليهم ، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجُمَحيّ ، وانهزمت أيضاً . ثمّ أقبلت كتيبة أُخرى فقال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : احمل على هذه ! فحمل عليها ، فقتل منها بُشر بن مالك العامريّ ، وانهزمت الكتيبة ، ولم يعد بعدها أحد منهم . (34)

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ الأكرم ، وانصرف المشركون إلى مكّة ، وانصرف المسلمون مع النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة . واستقبلته فاطمه عليها السلام (35) ومعها إناء فيه ماء ، فغسل به وجهه ، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضّب الدم يده إلى كتفه ، ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة عليها السلام ، وقال لها : خُذِي هَذَا السّيْفَ فَقَدْ صَدَقَنِي اليَوْمَ . وأنشأ يقول :

أَفَاطِمُ هَاكِ السّيْفَ غَيْرَ ذَمِيمِ
فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِمُلِيمِ
لَعَمْرِي لَقَدْ أَعْذَرْتُ فِي نَصْرِ أَحْمَدٍ
وَطَاعَةِ رَبّي بِالعِبَادِ عَلِيمِ (36)
أَمِيطِي دِمَاءَ القَوْمِ عَنْهُ فَإِنّهُ
سَقَى الَ عَبْدِ الدّارِ كَأْسَ حَمِيمِ (37)

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : خُذِيهِ يَا فَاطِمَةُ ! فَقَدْ أَدّى بَعْلُكِ مَا عَلَيْهِ ، وَقَدْ قَتَلَ اللهُ بِسَيْفِهِ (38) صَنَادِيدَ قُرَيْشٍ . (39)

وعقد الشيخ المفيد رضوان الله عليه هنا فصلاً مستقلّاً في أسماء أعلام المشركين الذين قُتلوا على يد أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة أُحُد . وكان جمهورهم قتلاه فحسب . ثمّ قال :

فصل : وقد ذكر أهل السير قتلى أُحُد من المشركين . وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام .

روى عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله ، عن محمّد بن إسحاق أنّه قال : كان صاحب لواء قريش يوم أُحد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقتل ابنه أبا سعيد بن طلحة ، وأخاه خالد بن أبي طلحة . وقتل عبد الله بن حميد بن زُهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزّى ، وأبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفيّ ، والوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وأخاه : أُميّة بن أبي حُذَيْفة بن المغيرة ، وأرْطاة بن شرَحْبيل ، وهشام بن أُمَيّة ، وعمرو بن عبد الله الجمحيّ ، وبُشر بن مالك ، وصواباً مولى بني عبد الدار . هؤلاء كلّهم قتلوا على يد أمير المؤمنين عليه السلام وكان الفتح له يوم أُحُد .

ورجوع الناس من هزيمتهم إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله بمقامه عليه السلام يذبّ عنه دونهم . وتوجّه العتاب من الله تعالى إلى كافّتهم لهزيمتهم يومئذٍ سواه عليه السلام ومن ثبت معه من رجال الأنصار ، وكانوا ثمانية نفر . وقيل : أربعة أو خمسة . وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أُحُد ، وعنائه في الحرب وحُسن بلائه يقول الحجّاج بن عِلّاط السّلَميّ :

لِلّهِ أَيّ مُذَبّبٍ عَنْ حَرِيمِهِ
أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ المُعِمّ المُخْوِلَا (40)
جَادَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ
تَرَكَتْ طُلَيْحَةَ لِلْجَبِينِ مُجَدّلَا
وَشَدَدْتَ شِدّةَ بَاسِلٍ فَكَشَفْتَهُمْ
بِالسّفْحِ إِذْ يَهْوُونَ أَسْفَلَ أَسْفَلَا
وَعَلَلْتَ سَيْفَكَ بِالدّمَاءِ وَلَمْ تَكُنْ
لِتَرُدّهُ حَرّانَ حَتّى يَنْهَلَا (41)

وأضاف ابن شهرآشوب إلى هؤلاء الذين ذكرهم الشيخ المفيد في «الإرشاد» في قتلى أمير المؤمنين عليه السلام أشخاصاً آخرين وهم : خالد ، ومخلّد ، وكَلدة ، ومحالس أولاد طلحة بن أبي طلحة الأربعة ، فصاروا مع ابنه الآخر أبي سعيد خمسة ، والوليد بن أرطاة ، ومُسافِع ، وقاسِط بن شُرَيح العَبْديّ ، والمغيرة بن المغيرة . ما عدا الذين قتلهم بعد الهزيمة .

ثمّ قال ابن شهرآشوب : لا إشكال في هزيمة عمر وعثمان . وإنّما الإشكال في أبي بكر هل ثبت إلى وقت الفرج أو انهزم ! (42)

أجل ، إنّ هدفنا من توسيع رقعة هذا البحث هو إفراد الخلفاء المدّعين بالخلافة نبيّهم ، إذ تخلّوا عنه في أحرج اللحظات والدقائق بعدما أحدقت به كتائب العدوّ من كلّ جانب ، وكانوا يريدون قتله بل أسره وتعذيبه ، (43) فتركوه وحده واختاروا الفرار على الصمود معه ، ورأوا أنفسهم الملوّثة أكرم وأعظم وأعزّ وأحبّ من نفس النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله . فَوَيْلٌ لَهُمْ ثُمّ وَيْلٌ .

قلنا : إنّ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان لم يُجرحوا في هذه الغزوة ، بل لم يُخدَشوا . وهذا ديدنهم في سائر غزوات رسول الله كبدر ، والأحزاب ، وحُنَين . ولم نجد في التأريخ أنّهم جُرحوا في غزوة من الغزوات في حين جُرح أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة أُحُد تسعين جُرحاً وهو القائل : كان ستّة عشر جرحاً منها عميقةً ، وتلزمني الأرض ويُغمى عَلَيّ في كلّ منها ، ولم أملك نفسي حتّى كان جبرئيل يأتيني ويرفعني وهو يقول : قم يا عليّ ، فليس لمحمّد غيرك معين ! ولمّا وضعت الحرب أوزارها ، وعاد رسول الله وأمير المؤمنين بالمسلمين إلى المدينة ، لازم أمير المؤمنين عليه السلام الفراش . ووضعوا له فتيلة لمعاجلة جراحه ، وذلك بسبب عمقها .

وأمّا الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله فقد ضُرب في وجهه بالحجر حتّى كُسر عظمه ، وسال الدم ، ولم ينقطع . وغرزت حلقات الدرع في عظم وجهه وعصت فلم تخرج . وضُرب على شفتيه المباركتين بالسيف حتّى سقطت رباعيّاته . (44) وأُغمي عليه مرّات لشدّة ضغط الدرع الثقيل عليه ، وسقط في الحفرة التي كان قد حفرها أبو عامر الراهب الفاسق في أرض أُحُد بمعاضدة المشركين ، وأُغمي عليه ، ولم يتمكّن من الخروج ، وبلغ منه العطش مبلغاً أنّه لمّا أُتي له بالماء بعد الحرب ، وقرّبه من فمه ، لم يستطع أن يشرب .

والله أعلم كم عانى من النبال والأحجار والحِراب والسيوف ، ذلك أنّ كتائب من الخيّالة والرجّالة تتكوّن من ثلاثمائة أو مائتي رجل برئاسة خالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل ، وضِرار بن الخطّاب ، وعتبة بن أبي وقّاص ، وعبد الله بن شهاب وابن قَميئة ، وأُبيّ بن خَلَف ، كانت تحمل بمجموعها حملة رجل واحد . ولكن لمّا كان صلّى الله عليه وآله متدرّعاً بدرعَين ، وعلى رأسه مِغفر ، (45) وكان أمامه عدد من أصحابه الأوفياء كأبي دُجانة ، وسهل بن حُنيف ، وقليل من الصالحين الملتزمين الباذلين مهجهم وهم يحوطونه . وكان أمير الولاية حيدر الكرّار يحمل عليهم كالليث الباسل وهو المدرّب على العرفان والتوحيد ، ويفرّق صفوفهم ويمزّقهم ويبعثرهم ، ومن جهة أُخرى كان الله تعالى قد وعده بالنصر ، وهو الحافظ لروحه المقدّسة ، لذلك لم يستطيعوا قتله .

قال الواقديّ في «المغازي» : وكان أربعة من قريش قد تعاهدوا وتعاقدوا على قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعرفهم المشركون بذلك ، عبد الله بن شِهاب ، وعتبة بن أبي وقّاص ، وابن قَميئَة ، وأُبيّ بن خَلَف .

ورمى عُتبة يومئذٍ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بأربعة أحجار ، وَكَسَرَ رُبَاعِيتَه . أَشْظَى بَاطِنَهَا اليُمْنَى السّفْلَى . وَشُجّ فِي وَجْنَتَيْهِ (46) (حَتّى غابَ حَلَقُ المِغْفَرِ فِي وَجْنَتِهِ) وَأُصِيبَتْ رُكْبَتَاهُ فَجُحِشَتَا . (47) وكانت حفر حفرها أبو عامر الفاسق كالخنادق للمسلمين . وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم واقفاً على بعضها ولا يشعر به .

قال الواقديّ : والثبت عندنا أنّ الذي رمى وجنتَي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ابن قميئة ، وهو يقول : دُلّوني على محمّد ، فوالذي يُحلَف به ، لئن رأيته لأقتلنّه . فعلاه بالسيف ، ورماه عتبة بن أبي وقّاص مع تجليل السيف . وكان عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم درعان . فوقع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في الحفرة التي أمامه فَجُحِشت رُكبتاه . ولم يصنع سيف ابن قميئة شيئاً إلّا وَهَن الضربة بثِقَل السيف ، فقد وقع لها رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . (48) وانتهض رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وطلحة يحمله من ورائه ، وعليّ [عليه السلام] آخذ بيده حتّى استوى قائماً . (49)

وقال الواقديّ أيضاً : وكان أبو سعيد الخُدريّ يحدّث أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أُصيب وجهه يوم أُحد فدخلت الحلقتان من المغفر في وجنتيه ، فلمّا نُزِعتا جعل الدم يسرب كما يسرُب الشنّ . (50)

نقول : في ضوء ما ذكرنا من الخصوصيّات والمواصفات ، أليس من الإجحاف خذلان النبيّ الذي يزعم الإنسان أنّه يفديه بروحه وماله وعرضه وناموسه وكلّ شيء في حياته ؟ وبلغ الأمر أنّ الآية القرآنيّة المباركة الآتية تُنبئ المسلمين بهذا الفرار وتعنّفهم على ما ارتكبوه من خطيئة عظيمة :

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَبكُمْ . (51)

هذه هي قصّة المنهزمين الفارّين ، إذ تخاطب الآية المسلمين قائلة : ترقون الجبلَ فارّين والرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله يناديكم : يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ ! أَنَا رَسُولُ اللهِ ! إلَيّ ، إلَيّ ، فَلَا يَلْوِي عَلَيْهِ أَحَدٌ .

قال الواقديّ في سياق الآيات النازلة في غزوة أُحد عند تفسير قوله تعالى : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ : (52) إنّ إبليس تصوّر يوم أُحُد في صورة جُعال بن سراقة الثعلبيّ فنادى : إنّ محمّداً قد قُتل ، فتفرّق الناس من كلّ وجه . (53)

يقول عمر : كنت أرقى في الجبل كأنّي أُرْوِيّة (54) حتّى انتهيت إلى رسول الله صلىّ الله عليه وآله وهو ينزل عليه : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ . الآية .

ومعنى قوله : وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ : يتولّى . وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَبًا مّؤَجّلًا . (55)

وكذلك روى الواقديّ عن الضحّاك بن عثمان ، عن ضمرة بن سعيد ، قال : قال رافع بن خَديج : [كنت يوم أُحُد] إلى جنب أبي مسعود الأنصاريّ وهو يذكر من قُتل من قومه ويسأل عنهم ، فيُخبَر برجال منهم سعد بن ربيع وخارجة بن زُهير ، وهو يسترجع ويترحّم عليهم ، وبعضهم يسأل بعضاً عن حميمه ، فهم يخبرون بعضهم بعضاً . فبينا هم على ذلك ، ردّ الله المشركين ليذهب بالحزن عنهم ، فإذا عدوّهم فوقهم قد علوا ، وإذا كتائب المشركين . فنسوا ما كانوا يذكرون .

ونَدَبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحضّنا على القتال ، وأنّي لأنظر إلى فلان وفلان في عُرض الجبل يعدون .

فكان عمر يقول : لمّا صاح الشيطان : قُتِلَ مُحَمّدٌ ، أقبلتُ أرقى في الجبل كأنّي أُرويّة ، فانتهيتُ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو يقول : وَمَا مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ . (56) الآية . وأبو سفيان في سفح الجبل . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اللَهُمّ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا . (57) فَانْكَشَفُوا . (58)

ونقل الواقديّ أيضاً أنّ إبليس لمّا صاح : إنّ مُحَمّداً قَدْ قُتِلَ ، تفرّق الناس ، فمنهم من ورد المدينة ، فكان أوّل من دخل المدينة يخبر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قد قُتِل سعد بن عثمان أبو عُبادة . ثمّ ورد بعده رجال حتّى دخلوا على نسائهم ، حتّى جعل النساء يقلن : أَعَنْ رَسُولِ اللهِ تَفِرّونَ ؟!

قال يقول ابن أُمّ مكتوم : أعن رسول الله تفرّون ؟ ثمّ جعل يؤفّف بهم . وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خلّفه بالمدينة يصلّي بالناس . ثمّ قال : اعدلوني على الطريق . يعني طريق أُحُد . فعدلوه على الطريق . فجعل يستخبر كلّ من لقي عن طريق أُحُد حتّى لحق القوم ، فعلم بسلامة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ثمّ رجع .

وكان ممّن ولّى فلان ، (59) والحارث بن حاطب ، وثَعْلَبة بن حاطب ، وسوّاد بن غَزيّة ، وسعد بن عثمان ، وعُقبة بن عثمان ، وخارجة بن عامر بلغ مَلَل ، (60) وأوس بن قيظيّ في نفر من بني حارثة بلغوا الشّقْرة . (61) ولقيتهم أُمّ أيمن تحثي في وجوههم التراب ، وتقول لبعضهم : هَاكَ المِغْزَلَ فَاغزِلْ بِهِ ، وَهَلُمّ سَيْفَكَ ! فوجّهت إلى أُحُد مع نُسَيّات معها . (62)

وروى الواقديّ أيضاً بسنده المتّصل عن نَمْلَة بن أبي نملة . واسم أبي نملة عبد الله بن معاذ وكان أبوه مُعاذ أخ للبراء بن معرور لأُمّه . فقال : لمّا انكشف المسلمون ذلك اليوم نظرتُ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وما معه أحد إلّا نُفَير ، فأحدق به أصحابه من المهاجرين والأنصار وانطلقوا به إلى الشّعب ، وما للمسلمين لواء قائم ، ولا فئة ، ولا جمع ، وإنّ كتائب المشركين لتحوشهم مقبلة ومدبرة في الوادي ، يلتقون ويفترقون . ما يرون أحداً من الناس يردّهم .

فاتّبعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فأنظر إليه وهو يؤمّ أصحابه . ثمّ رجع المشركون نحوعسكرهم وتآمروا في المدينة وفي طلبنا . فالقوم على ما هم عليه من الاختلاف . وطلع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى أصحابه ، فكأنّهم لم يصبهم شيء حين رأوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم سالماً . (63)

وروى الواقديّ أيضاً بسنده المتّصل عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد قال : سمعتُ محمّد بن مَسْلَمة يقول :

سَمِعَتْ أُذُنَايَ وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ وَقَدِ انْكَشَفَ النّاسُ إلَى الجَبَلِ وَهُمْ لَا يَلْوُونَ عَلَيْهِ ، وَإِنّهُ لَيَقُولُ : إلَيّ يَا فُلَانُ ! إلَيّ يَا فُلَانُ ! (64) أَنَا رَسُولُ اللهِ فَمَا عَرّجَ مِنْهُمَا وَاحِدٌ عَلَيْهِ وَمَضِيَا . (65)

وروى الواقديّ أيضاً عن ابن أبي سَبْرَة ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جَهْم ، واسم أبي جهم عُبَيد ، قال : كان خالد بن الوليد يُحَدّث وهو بالشام يقول : الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانِي لِلإسلامِ ! لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطّاب حين جالوا وانهزموا يوم أُحُد ، وما معه أَحَد . وإنّي لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحد غيري . فنكبت عنه وخشيتُ إن أغريتُ به من معي أن يصمدوا له ، (66) فنظرتُ إليه موجّهاً إلى الشّعب . (67)

وروى الطبريّ في تاريخه بسنده عن قاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن نجّار ، قال : انتهى أنس بن النضر . عمّ أنس بن مالك . إلى عمر بن الخطّاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم . فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قُتِلَ مُحَمّدٌ رَسُولُ اللهِ . قال : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قُومُوا فَمُوتُوا (كِرَاماً) عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتّى قُتل . وبه سُمّي أنس بن مالك . (68)

والعجيب هنا أنّ بعض هؤلاء العديمي الغيرة الذين كانوا جالسين على الجبل وقد أطلقوا العنان لأنفسهم ، قالوا : ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أُبيّ فيأخذ لنا أَمَنَةً من أبي سفيان !

وذكر الطبريّ في تاريخه أيضاً أنّه لمّا فشا خبر قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله قال بعض الفارّين إلى الجبل وكانوا على الصخرة :

لَيْتَ لَنَا رَسُولاً إلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيّ ، فَيَأْخُذَ أَمَنَةً مِنْ أَبِي سُفْيَانَ . يَا قَوْمِ ! إنّ مُحَمّداً قَدْ قُتِلَ ! فَارْجِعُوا إلَى قَوْمِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَأْتُوكُمْ فَيَقْتُلُوكُمْ .

قال لهم أنس بن النضر : يَا قَوْمِ ! إنْ كَانَ مُحَمّدٌ قَدْ قُتِلَ فَإنّ رَبّ مُحَمّدٍ لَمْ يُقْتَلْ ، فَقَاتِلُوا عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ مُحَمّدٌ . اللّهُمّ إنّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمّا يَقُولُ هَؤلاءِ وَأَبْرَأُ إلَيْكَ مِمّا جَاءَ بِهِ هَؤُلاءِ ! ثُمّ شَدّ بِسَيْفِهِ فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ . (69)

وانطلق رسول الله صلّى الله عليه وآله يدعو الناس حتّى انتهى إلى أصحاب الصخرة (وهم الذين اعتزلوا القتال وارتفقوا الصخرة) ، فلمّا رأوه ، وضع رجل سهماً في قوسه فأراد أن يرميه ، فقال : أنا رسول الله . (70)

إنّ أنس بن النضر ذلك الرجل الغيور الشهم الوجيه صاحب الحميّة والعزّة وذو المنطق الرزين ، الذي ذكرنا كيفيّة استشهاده قد رُمي بالنبال وضُرب بالسيوف حتّى أنّ أُخته لم تستطع أن تعثر على جسده بعد استشهاده ، وما عرفته آخر الأمر إلّا من بنانه أومن ثناياه . وقيل : وجد به سبعون ضربة في جسده ، ولم يسلم موضع من بدنه ، وإنّما عرفته أُخته من بنانه أو من ثناياه . (71)

فرار عثمان وإيواؤه معاوية بن المغيرة

وأمّا عثمان فقد سمعتم الروايات المنقولة فيه عن تواريخ العامّة الموثّقة . ونذكر فيما يأتي وثيقة تأريخيّة مهمّة أُخرى عن الطبريّ الذي يعدّ من المؤرّخين الموثّقين عند العامّة :

قال أبو جعفر الطبريّ : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله [يوم أُحُد] حتّى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص . وفرّ عثمان بن عفّان ، وعقبة بن عثمان ، وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) حتّى بلغوا الجَلْعَب (وهو جبل بناحية المدينة ممّا يلي الأعوص) فأقاموا به ثلاثاً . ثمّ رجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فزعموا أنّه قال لهم : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً . (72)

ولم يفرّ عثمان فحسب ، بل لمّا قدم المدينة آوى معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص الذي كان من ألدّ أعداء رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد اشترك في هذه الغزوة . وهو الذي زعم أنّه مثّل بحمزة سيّد الشهداء عليه السلام وشقّ شفتي رسول الله وكسر رباعيّته . وكان رسول الله قد هدر دمه . ولمّا دلّت رقيّة بنت رسول الله الصحابة الذين كانوا يبحثون عنه على مكانه في البيت ، ضربها بعصا رحله حتّى اعتلّت ولزمت الفراش ، ثمّ ماتت بعد ذلك . (73)

ونحن نذكر هذه القضيّة عن مغازي الواقديّ الذي يعدّ من أقدم الوثائق التأريخيّة وأوثقها :

قال الواقديّ : وكان معاوية بن المغيرة بن أبي العاص قد انهزم يومئذٍ ، فمضى على وجهه ، فنام قريباً من المدينة . فلمّا أصبح دخل المدينة فأتى منزل عثمان بن عفّان ، فضرب بابه ، فقالت امرأته أُمّ كلثوم ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله : ليس هو هاهنا . هوعند رسول الله صلّى الله عليه وآله .

قال [معاوية] : فارسلي إليه فإنّ له عندي ثمن بعير اشتريته عام أوّل فجئته بثمنه ، وإلّا ذهبتُ . قال : فأرسلتْ [أمّ كلثوم] (74) إلى عثمان ، فجاء . فلمّا رآه قال : وَيْحَكَ ! أَهْلَكْتَنِي وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ . مَا جَاءَ بِكَ ؟ قال : يا بن عمّ ! لم يكن لي أحد أقرب إليّ منك ولا أحقّ ! فأدخله عثمان في ناحية البيت . ثمّ خرج إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله يريد آن يأخذ له أماناً .

وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قبل أن يأتيه عثمان : إنّ معاوية قد أصبح بالمدينة فاطلبوه . فطلبوه فلم يجدوه . فقال بعضهم : اطلبوه في بيت عثمان بن عفّان . فدخلوا بيت عثمان ، فسألوا أُمّ كلثوم ، فأشارت إليه فاستخرجوه من تحت حِمارة (75) لهم ، فانطلقوا به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وعثمان جالس عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فلمّا رآه عثمان قد أُتي به قال : والذي بعثك بالحقّ ، ما جئتك إلّا أن أسألك أن تؤمّنه ! فهبه لي يا رسول الله ! فوهبه له وأمّنه وأجّله ثلاثاً ، فإن وُجِدِ بعدهنّ قُتِل .

قال : فخرج عثمان [من دار الرسول الأكرم] فاشترى له بعيراً وجهّزه . ثمّ قال : ارتحل . فارتحل . وسار رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى حمراء الأسد . (76) وخرج عثمان مع المسلمين إلى حمراء الأسد [أيضاً] . وأقام معاوية [بن المغيرة في المدينة] حتّى كان اليوم الثالث ، فجلس على راحلته وخرج حتّى إذا كان بصدور العقيق ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ معاوية قد أصبح قريباً فاطلبوه . فخرج الناس في طلبه ، فإذا هو قد أخطأ الطريق ، فخرجوا في أثره حتّى أدركوه في اليوم الرابع .

وكان زيد بن حارثة ، وعمّار بن ياسر أسرعا في طلبه . فأدركاه بالجمّاء . فضربه زيد بن حارثة . وقال عمّار : إنّ لي فيه حقّاً . فرماه عمّار بسهم فقتلاه . ثمّ انصرفا إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم فأخبراه . ويقال : أُدرك بثَنِيّة الشّريد على ثمانية أميال من المدينة ، وذلك حيث أخطأ الطريق . فأدركاه ، فلم يزالا يرميانه بالنبل ، واتّخذاه غرضاً حتّى ماتئ. (77)

وقال المؤرّخون : كان خلال الأيّام الثلاثة التي أقامها في المدينة يتسقّط أخبار النبيّ والمسلمين ليوافي بها كفّار قريش .

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» : روى البلاذريّ أنّ معاوية بن المغيرة هذا هو الذي جدع أنف حمزة سيّد الشهداء ومثّل به يوم أُحد . روى ذلك عن الكلبيّ وقال : هو ابن عمّ عثمان لحّاً ، إذ إنّ عثمان ابن عفّان بن أبي العاص ، وهومعاوية ابن المغيرة بن أبي العاص . ولا عقب له إلّا بنت تسمّى عائشة ، تزوّجها مروان بن الحكم فولدت له ابنه عبد الملك . (78)

وأمّا قصّة مقتل رقيّة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله على ما نقله محمّد بن يعقوب الكلينيّ في كتاب «الكافي» فهي كما يأتي : روى بسنده عن يزيد بن خليفة الحاربيّ أنّه قال : سأل عيسى بن عبد الله أبا عبد الله عليه السلام [الإمام الصادق] وأنا حاضر فقال : تخرج النساء إلى الجنازة ؟!

وكان متّكئاً فاستوى جالساً ، ثمّ قال : إنّ الفاسق عليه لعنة الله (79) آوى ابن عمّه معاوية بن المغيرة بن أبي العاص وكان ممّن هدر رسول الله دمه . فقال لابنة رسول الله : لا تخبري أباكِ بمكانه ! كأنّه لا يوقن أنّ الوحي يأتي محمّداً .

فقالت [رقيّة] : ما كنتُ لأكتم رسول الله صلّى الله عليه وآله عدوّه . فجعله بين مشجب له ولحفه بقطيفة . فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله الوحيُ فأخبره بمكانه . فبعث إليه عليّاً عليه السلام ، وقال : اشتمل على سيفك وائت بيت ابنة عمّك ، فإن ظفرتَ بالمغيرة فاقتله . فأتى [أمير المؤمنين عليه السلام] البيت فجال فيه ، فلم يظفر به ، فرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأخبره . فقال : يا رسول الله ! لم أره . فقال [رسول الله] : إنّ الوحي قد أتاني فأخبرنى أنّه في المشجب . ودخل عثمان بعد خروج عليّ عليه السلام فأخذ بِيَدِ ابن عمّه ، فأتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . فلمّا رآه أكبّ ولم يلتفت إليه . وكان نبيّ الله صلّى الله عليه وآله حيّياً كريماً .

فقال [عثمان] : يا رسول الله هذا ابن عميّ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، والذي بعثك بالحقّ ما آمنُه . فأعادها ثلاثاً .

وأعادها أبو عبد الله عليه السلام ثلاثاً : كذب عثمان ، والذي بعثه بالحقّ نبيّاً . كان عثمان يأتي عن يمين رسول الله ، ثمّ يأتي عن يساره . فلمّا كان في الرابعة ، رفع رأسه إليه فقال : قد جعلت لك ثلاثاً ، فإن قدرتُ عليه بعد ثلاثة ، قتلتُه .

فلمّا أدبر وتولّى ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : اللَهُمّ العَنْ مُعَاوِيَةَ بْنَ المُغيرةِ وَالعَنْ مَنْ يُؤْوِيهِ ، وَالعَنْ مَنْ يَحْمِلُهُ ، وَالعَنْ مَنْ يُطْعِمُهُ ، وَالعَنْ مَنْ يَسْقِيهِ ، وَالعَنْ مَنْ يُجَهّزُهُ ، وَالعَنْ مَنْ يُعْطِيهِ سِقَاءً أَو حِذَاءً أَو رِشَاءً أَو وِعَاءً !

وهو يعدّهنّ بيمينه . وانطلق به عثمان وآواه وأطعمه وسقاه وحمله وجهّزه حتّى فعل جميع ما لعن عليه النبيّ صلّى الله عليه وآله من يفعله به . ثمّ أخرجه في اليوم الرابع يسوقه .

فلم يخرج من أبيات المدينة حتّى أعطب الله راحلته ونقب حذاءه ودميت قدماه ، فاستعان بيده وركبته ، وأثقله جهازه حتّى وجّر به ، فأتى سُمرة فاستظلّ بها . فأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله الوحي فأخبره بذلك ، فدعا عليّاً عليه السلام فقال : خذ سيفك فانطلق أنت وعمّار وثالث لهم ، فإنّ [معاوية] بن المغيرة بن أبي العاص تحت شجرة كذا . فأتاه أمير المؤمنين عليه السلام ، فقتله . (80)

فضرب عثمان بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله [بخشبة المحمل ضرباً كثيراً] وقال : أنتِ أخبرتِ أباكِ بمكانه . فبعثت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله تشكو ما لقيت . فأرسل إليها رسول الله صلّى الله عليه وآله : اقْنِي حَيَاءَكِ ، فَمَا أَقْبَحَ بِالمَرْأَةِ ذَاتِ حَسَبٍ وَدِينٍ فِي كُلّ يَوْمٍ تَشْكُو زَوْجَهَا . فأرسلت إليه مرّات ، كلّ مرّة يقول لها ذلك [ويأمرها بالصبر والتحمّل] . فلمّا كان في الرابعة ، دعا عليّاً وقال : خذ سيفك واشتمل عليه ثمّ أئت بنت ابن عمّك فخذ بيدها فإن حال بينك وبينها فأحطمه بالسيف فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله كالواله من منزله إلى دار عثمان . فأخرج عليّ عليه السلام ابنة رسول الله . فلمّا نظرت إليه ، رفعت صوتها بالبكاء . واستعبر رسول الله وبكى ، ثمّ أدخلها منزله . وكشفت عن ظهرها . فلمّا أن رأى ما بظهرها قال ثلاث مرّات : قَتَلَكِ قَتَلَهُ اللهُ . وكان ذلك يوم الأحد . وبات عثمان متلحّفاً بجاريتها . فمكثت الاثنين والثلاثاء وماتت في يوم الأربعاء . فلمّا حضر أن يخرج بها ، أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام فخرجت ونساء المؤمنين معها .

وخرج عثمان يشيّع جنازتها . فلمّا نظر إليه النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : من أطاف البارحة بأهله أو بفتاته فلا يتّبعن جنازتها . فلم يخرج عثمان ، وخرجت فاطمة عليه السلام ونساء المؤمنين والمهاجرين فصلّين على الجنازة . (81)

ونطالع في كتاب «الغدير» للعلّامة الأمينيّ ردّاً على كتاب «حياة محمّد» للمستشرق أميل درمنغم ، وقد ترجمه الأُستاذ الفلسطينيّ مُحَمّد عَادِل زُعَيْتِر ، إذ انتقد العلّامة أصل الكتاب ومترجمه بشدّة . ذلك أنّ مؤلّفه يقول فيه : وكان صهرا النبيّ الأمويّان (عثمان وأبو العاص) أكثر مداراة للنبيّ من عليّ . فقال العلّامة في سياق جوابه عن هذا الموضوع : وإنّي لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل : وكان صهرا النبيّ الأمويّان : وحسبك في مداراة عثمان حديث أنس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا شهد دفن رقيّة ابنته العزيزة وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال : أيّكم لم يقارف الليلة أهله ؟! فقال أبو طلحة [الأنصاريّ] (82) : أنا . فأمره أن ينزل في قبرها .

قال ابن بَطّال : أراد النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يحرم عثمان النزول في قبرها . وقد كان أحقّ الناس بذلك ، لأنّه كان بعلها وفقد منها علقاً لا عوض منه . لأنّه حين قال صلّى الله عليه وآله : أيّكم لم يقارف الليلة أهله ؟ سكت عثمان ولم يقل : أنا ، لأنّه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه ، ولم يشغله الهمّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ صلّى الله عليه وآله عن المقارفة . فحرم بذلك ما كان حقّاً له . وكان أولى به من أبي طلحة وغيره .

وهذا بيّن في معنى الحديث . ولعلّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد كان علم ذلك بالوحي ، فلم يقل له شيئاً لأنّه فعل فعلاً حلالاً غير أنّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتّى حرّم ما حرّم من ذلك بتعريض غير صريح . («الروض الأُنُف» ج 2 ، ص 107) . (83)

وكان عثمان نفسه يعترف أنّه فرّ في معركة أُحُد ثلاثة أيّام كما أنّ عمر كان يعدّه في الفارّين . قال الواقديّ : كان بين عبد الرحمن بن عوف وعثمان كلام . فأرسل عبد الرحمن إلى الوليد بن عُقبة فدعاه فقال : اذهب إلى أخيك فبلّغه عنّي ما أقول لك ، فإنّي لا أعلم أحداً يبلّغه غيرك . قال الوليد : أفعل .

قال : قل ، يقول لك عبد الرحمن : شهدتُ بدراً ولم تشهد ! وثبتّ يوم أُحُد وولّيتَ عنه ! وشهدتُ بيعة الرضوان ولم تشهدها ! فجاءه فأخبره . فقال عثمان : صدق أخي . تخلّفتُ عن بدر على ابنة رسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهي مريضة . فضرب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . بسهمي وأجري فكنت بمنزلة من حضر . وولّيتُ يوم أُحُد فقد عفا الله ذلك عنّي . فأمّا بيعة الرضوان ، فإنّي خرجتُ إلى أهل مكّة ، بعثني رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إنّ عثمان في طاعة الله وطاعة رسوله ، وبايع النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم إحدى يديه الأُخرى ، فكانت شمال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم خيراً من يميني . فقال عبد الرحمن حين جاءه الوليد بن عُقبة : صدق أخي .

وقال الواقديّ : ونظر عمر بن الخطّاب إلى عثمان بن عفّان فقال : هذا ممّن عفا الله عنه ، والله ما عفا الله عن شيء فردّه ، وكان تولّى يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ .

وقال أيضاً : وسأل رجل [عبد الله] بن عمر عن عثمان فقال : إنّه أذنب يوم أُحُد ذنباً عظيماً ، فعفا الله عنه ، وهو مِمّن تَوَلّى يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وأذنب فيكم ذنباً صغيراً فقتلتموه ! (84)

والآن ينبغي أن نعرف : هل عُفي عن عثمان ؟ وهل صفح الله عنه وغفر له كما استفاد ذلك عمر وابنُه من الآية القرآنيّة الكريمة ؟ أم لا . ليس كذلك ، ولا يستفاد من الآية الكريمة المباركة أبداً أنّ الله قد عفا عنه وغفر له ؟

وعلينا أن نعرف سلفاً أنّ الفرار من ساحة القتال بلا عذر شرعيّ بيّنه الله كبيرة من الكبائر بعامّة ، وهو من أشدّ أقسام المعاصي الكبيرة التي أوعد القرآن الكريم عليها جهنّم . قال تعالى : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلّا مُتَحَرّفًا لّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مّنَ اللهِ وَمَأْوَبهُ جَهَنّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ . (85)

نلاحظ في هذه الآية أنّ المسلم لا يحقّ له أن يولّي العدوّ دبره إلّا في حالتين لا غير : الأُولى : إذا أراد مثلاً أن ينتقل من الميمنة إلى الميسرة أو من القلب إلى الجناح لمصلحة قتاليّة . الثانية : إذا أراد أن يلحق بطائفة من المسلمين أو غير المسلمين ليستمدّهم القوّة والعدّة والعُدّة للقتال . وفي غير هاتين الحالتين لا يجوز الفرار من لقاء الكفّار . ومَن فعل فإنّه موعَد بغضب الله وناره . (86)

وإذا تبيّن هذا الموضوع فانّا نقول : على ماذا يحمل فرار عثمان ثلاثة أيّام في نقطة نائية عن المدينة غير البوء بغضب الله ومأواه جهنّم وبئس المصير ؟ كيف غفر الله له ؟ هل نُسخت الآية النازلة فيه وفي أترابه ؟ علماً أنّه لم يصلنا عن عثمان نفسه أنّه قد خجل واستحيا من فعله وتاب إلى الله توبةً نصوحاً .

وأمّا من استدلّ على غفرانه بقوله تعالى : وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . فليعلم أنّ هذه الآية لا تدلّ على غفران . فالعفو هنا يعني عدم المؤاخذة الدنيويّة ، وعدم إجراء الكفّارة وعدم تنفيذ حكم الإعدام فيه . وإلّا فإنّ حكم الإسلام في المتخلّف عن ساحة القتال مع الكفّار الإعدام . والله تعالى لم يطبّق هذا الحكم على عثمان ونظائره ، إذ ليس إلى ذلك من سبيل لأنّه لو طبّقه لأُعدم أكثر من نصف الجيش الذي شهد أُحُداً ، وهذا ليس في مصلحة الإسلام الفتيّ ، وإلّا لا يبقى أحد من المسلمين .

جاء حكم العفو الإلهيّ في آيتين من الآيات الواردة في سورة آل عمران ويختلف العفو في هاتين الحالتين :

الأُولى : هذه الآيات : ثُمّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَبكُمْ فَأَثَبَكُمْ غَمّا بِغَمّ لّكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَبَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * ثُمّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مّن بَعْدِ الْغَمّ أَمَنَةً نّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مّنكُمْ . (87)

ونرى في هذه الآيات أنّ طائفة من الذين فرّوا رجعوا إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وكانوا عنده ، فأثابهم الله غمّاً بغمّ ، ثمّ غشاهم الاطمئنان والنعاس . وهؤلاء قد شملهم العفو بمعنى الغفران . ويتأيّد هذا المعنى بقوله بعد العفو : وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .

أمّا الذين فرّوا ولم يرجعوا إلى النبيّ في ساحة القتال ، فهم المعنيّون بقوله تعالى : وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقّ ظَنّ الْجَهِلِيّةِ . إلى قوله : إِنّ الّذِينَ تَوَلّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنّمَا اسْتَزَلّهُمُ الشّيْطَنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . (88)

ولم يرد غفران ورحمة للذين فرّوا ولم يرجعوا وكانوا يهتمّون بحفظ أنفسهم وحصانتها . والعفو يعني الصفح وعدم المحاكمة في الدنيا . والدليل على ذلك قوله : إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ . وهو صبور على أعمالهم ، ولم يقل : «رحيم» ، أي : يرحمهم ويعطف عليهم .

إذن ، العفو الأوّل يشمل الذين ندموا على فرارهم وعادوا إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وكان هذا في وقت فارق رسول الله صلّى الله عليه وآله فيه المشركين وجاء إلى الشّعب ، وإن كان رجوع هذه الطائفة من المؤمنين تدريجيّاً وبعد علمهم بأنّ رسول الله لم يُقتل . وفيهم قال تعالى : وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ .

أمّا العفو الثاني فيشمل الذين واصلوا فرارهم وظنّوا بالنبيّ سوءاً ، وقالوا : لو كنّا على الحقّ ما قُتِلنا . وفيهم قال سبحانه : إِنّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ .

ومن الطبيعيّ أنّ الكلام يحوم حول المؤمنين من الصحابة إذ كانوا فريقين ، ولا علاقة له بالمنافقين ، لأنّ الله تبارك وتعالى يبيّن حالة المنافقين كعبد الله بن أُبيّ وزمرته في آيات أُخرى مستقلّة ستأتي . (89)

واعترف عمر نفسه أنّه فرّ يوم أُحُد . قال ابن أبي الحديد : (90) واحتجّ من روى أنّ عمر فرّ يوم أُحُد بما روي أنّه جاءته في أيّام خلافته امرأة تطلب بُرداً من برود كانت بين يديه ، وجاءت معها بنت لعمر تطلب بُرداً أيضاً ، فأعطى المرأة وردّ ابنته ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّ أبا هذه ثبت يوم أُحُد ، وأبا هذه فرّ يوم أُحُد ولم يثبت . (91)

ومن الأدلّة الرصينة على فرار عمر بن الخطّاب رواية ذكرها الواقديّ في مغازيه وهي تدور حول قصّة الحُدَيبيّة ، عن أبي سعيد الخُدريّ قال : كنت جالساً يوماً عند عمر بن الخطّاب فقال : لقد دخلني يومئذ من الشكّ ، وراجعت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يومئذٍ مراجعة ما راجعته مثلها قطّ . ولقد عتقتُ فيما دخلني يومئذٍ رقاباً ، وصمتُ دهراً وإنّي لأذكر ما صنعتُ خالياً فيكون أكبر همّي .

وينقل عمر القصّة هنا مفصّلاً ، ويستمرّ الراوي فيقول : وقال عمر ورجال معه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا رسول الله ! ألم تكن حدّثتنا أنّك ستدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرّف مع المعرّفين ؟! وهَدْينا لم يصل إلى البيت ولا نحن !

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : قُلْتُ لَكمْ فِي سَفَرِكُمْ هَذَا ؟! قال عمر : لَا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أَمَا إنّكُمْ سَتَدْخُلُونَهُ ، وآخُذُ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ ، وَأَحْلِقُ رَأْسِي وَرُؤُوسَكُمْ بِبَطْنِ مَكّةَ ، وَأُعَرّفُ مَعَ المُعَرّفِينَ

، وَأُعَرّفُ مَعَ المُعَرّفِينَ

واعترف عمر نفسه أنّه فرّ يوم أُحُد . قال ابن أبي الحديد : [90] واحتجّ من روى أنّ عمر فرّ يوم أُحُد بما روي أنّه جاءته في أيّام خلافته امرأة تطلب بُرداً من برود كانت بين يديه ، وجاءت معها بنت لعمر تطلب بُرداً أيضاً ، فأعطى المرأة وردّ ابنته ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّ أبا هذه ثبت يوم أُحُد ، وأبا هذه فرّ يوم أُحُد ولم يثبت . [91]

ومن الأدلّة الرصينة على فرار عمر بن الخطّاب رواية ذكرها الواقديّ في مغازيه وهي تدور حول قصّة الحُدَيبيّة ، عن أبي سعيد الخُدريّ قال : كنت جالساً يوماً عند عمر بن الخطّاب فقال : لقد دخلني يومئذ من الشكّ ، وراجعت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يومئذٍ مراجعة ما راجعته مثلها قطّ . ولقد عتقتُ فيما دخلني يومئذٍ رقاباً ، وصمتُ دهراً وإنّي لأذكر ما صنعتُ خالياً فيكون أكبر همّي .

وينقل عمر القصّة هنا مفصّلاً ، ويستمرّ الراوي فيقول : وقال عمر ورجال معه من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا رسول الله ! ألم تكن حدّثتنا أنّك ستدخل المسجد الحرام ، وتأخذ مفتاح الكعبة وتعرّف مع المعرّفين ؟! وهَدْينا لم يصل إلى البيت ولا نحن !

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : قُلْتُ لَكمْ فِي سَفَرِكُمْ هَذَا ؟! قال عمر : لَا . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أَمَا إنّكُمْ سَتَدْخُلُونَهُ ، وآخُذُ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ ، وَأَحْلِقُ رَأْسِي وَرُؤُوسَكُمْ بِبَطْنِ مَكّةَ ، وَأُعَرّفُ مَعَ المُعَرّفِينَ

ثم أقبل على عمر ، فقال : أَنَسِيتُمْ يَوْمَ أُحُدٍ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ؟! أَنَسِيتُمْ يَوْمَ الأَحْزَابِ [92] إِذْ جَاؤُوكُمْ مِن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ ؟! أَنَسِيتُمْ يَوْمَ كَذَا ؟!

وَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ يُذَكّرُهُمْ أُموراً . أَنَسِيتُمْ يَوْمَ كَذَا ؟

فقال المسلمون : صدق الله ورسوله يا نبيّ الله ، ما فكّرنا فيما فكّرت فيه . لأنتَ أعلم بالله وبأمره منّا .

فلمّا دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عام القضيّة (عمرة القضاء) وحلق رأسه ، قال : «هذا الذي وعدتكم» . فلمّا كان يوم الفتح أخذ المفتاح فقال : «ادعوا لي عمر بن الخطّاب ، فقال : هذا الذي قلتُ لكم» . فلمّا كان في حجّة الوداع بعَرَفة فقال : «أي عمر ، هذا الذي قلتُ لكم» . [93]

يقول المستدلّون على فرار عمر أنّه لو لم يفرّ يوم أُحُد ، لما قال له رسول الله : «أنسيتم يوم أُحُد إذ تُصعِدون ولا تلوون على أحد» ؟ [94]

وشهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على أنّ جميع المقتولين في غزوة أُحُد من أهل الجنّة ، وأنّ كتاب أعمالهم خُتم بخير ، وأنّهم أبلوا بلاءً محموداً ، وأنّ السعادة مكتوبة لهم في دار الآخرة .

بَيدَ أنّ هذا لشهداء أُحُد فحسب ، وليس لكلّ من اشترك وجاهد في أُحُد . إذ إنّ من الممكن أن تمرّ بلاءات بعد أُحُد فلا يثبت فيها المغرورون بأنفسهم ومناصبهم ، المتظاهرون بالتقوى والصلاح ، وهم ينشدّون إلى عالم الغرور في تلك النكات الدقيقة . وتتجلّى أنفسهم في الأُمّة بطابع فرعوني مع جميع ما لهم من أرصدة السبق والقِدَم ، فينكرون الحقّ ويؤثِرون أنانيّتهم على الحقّ والانقياد المحض إليه . وحينئذٍ ، كيف تكون عاقبتهم خيراً إذا هلكوا وهم على هذه الحالة من الاستكبار والزهو والعُجب وحبّ الذات ، حتّى لو كانوا بارزين في الزهد ، بارعين في علوم القرآن ، متشرّفين بصحبة رسول الله سنين طويلة ! كما أنّ شهداء بدر من أهل الجنّة أيضاً ، لا كلّ من شهد بدراً ، لأنّه قد يتعرّض للبلاء ، فلا يثبت فيه ولا يخرج منه مفلحاً .

إنّ الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن مجاهدي بدر وأصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة أثنت عليهم ثناءً مؤقّتاً كما يتطلّبه موقفهم يومئذٍ ، ولم تثن عليهم ثناء مطلقاً إلى الأبد . وفي بدر أدلّة ، وفي أُحُد أدلّة أيضاً .

كان طلحة بن عبيد الله من الذين ثبتوا ولم يفرّوا يوم أُحُد . وقد آزر النبيّ كثيراً ، لكنّه نكث بيعة أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته ، فأُريقت دماء الآلاف من الأبرياء على أثر ذلك . وكذلك دأب الزبير بن العوّام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص على اختلاف مراتبهم ودرجاتهم .

وذكر مالك حديثاً عجيباً في «الموطّأ» ، ويمكن استنتاج أشياء مفيدة كثيرة منه بالمناط العامّ :

حَدّثَنِي عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي النّضْرِ مَوْلَى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ أَنّهُ بَلَغَهُ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِشُهَدَاءِ أُحُدٍ : هَؤُلَاءِ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ : أَلَسْنَا يَا رَسُولَ اللهِ إِخْوَانَهُمْ ؟ أَسْلَمْنَا كَمَا أَسْلَمُوا ، وَجَاهَدْنَا كَمَا جَاهَدُوا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : بَلَى ، وَلَكِنْ لَا أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ بَعْدِي ؟! فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، ثُمّ بَكَى ، ثُمّ قَالَ : أَئِنّا لَكَائِنُونَ بَعْدَكَ ؟! (95)

يقول محمّد فؤاد عبد الباقي في تعليقته : هذا الحديث مرسل عند جميع الرواة ، لكنّ معناه يستند من وجوه صحاح كثيرة . وذكر السيوطيّ هذا اللفظ نفسه في شرحه . (96)

وقال في شرح قوله صلّى الله عليه واله : هَؤُلَاءِ أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ : يَعْنِي أَشْهَدُ لَهُمْ بِالإِيمَانِ الصّحِيحِ وَالسّلَامَةِ مِنَ الذّنُوبِ المُوبِقَاتِ وَمِنَ التّبدِيلِ وَالتّغْيِير وَالمُنَافَسَةِ فِي الدّنْيَا وَنَحْوَ ذَلِكَ . قَالَهُ ابْنُ عَبْدِ البِرّ . (97)

ونفهم من هذا الحديث ما يأتي :

أوّلاً : أنّ الجهاد في أُحُد لم ينفع أبا بكر شيئاً ، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يؤيّد سلامَة دينه ، وخلاصَه من الذنوب الموبقة ، ومن التغيير والتبديل في العقيدة والنيّة ، والحوادث ، والتنافس على الرئاسة وحبّ الجاه ، ولم يشهد له بالإيمان الصحيح . وبعبارة موجزة : لم يؤيّد كونه من أهل الجنّة .

ثانياً : لمّا كان النبيّ صلّى الله عليه وآله عالِماً بالغيب ، وأنّه أخبر بالوقائع والحوادث قبل وقوعها وحدوثها بسنين طويلة ، فإنّ كلامه : «لا أدري ما تُحدِثون بعدي» . بمنزلة قوله : «لأنّي أعلم ما تُظهرون بعدي من البدع وما تفتعلون من الحوادث» . فلهذا أنتم لستم كشهداء أُحُد الذين رحلوا عن هذه الدنيا طاهرين مطهّرين . فأنتم . لا جرم . ستكونون من أصحاب النار !

ثالثاً : لوكان أبو بكر باحثاً عن الحقّ والحقيقة ، لسأل رسول الله بعد إخباره الصحابة ، وبعد بكاء أبي بكر نفسه : وماذا نفعل إذَن ؟ أرشدنا إلى سبيل النجاة من تلك الحوادث والكوارث ، كي لا نُمنى بتلك الذنوب الموبقة المهلكة ، ولا نُحدث تلك البدع ، ولنظلّ سالمين ونكون من أهل الوجوه المبْيَضّة شامخين كشهداء أُحُد ! بَيدَ أنّه قطع كلام رسول الله ، وحسم الموضوع ببكائه وقوله : أئنّا لكائنون بعدك . (98)

يحسن بنا وقد بلغنا هذا الموضع أن نذكر آية الله العظمى البروجرديّ تغمّده الله برضوانه ونعيمه فنورد ما نقله عنه صديقنا العزيز الكريم ورفيقنا البرّ الشفيق الذي تربطنا به صحبة يزيد أمدها على أربعين سنة . وهو سماحة آية الله الشيخ إسماعيل المعزّيّ الملايريّ دامت بركاته .

حدّثني هذا الرجل حديثاً قبل ثلاثين سنة تقريباً ، ثمّ طلبت منه أن يكتبه . فكتبه وأرسله لي بالبريد من قم إلى طهران ، وخطّه الآن بين يديّ . وها أنا أذكر فيما يأتي كلامه نصّاً .

قال بعد البسملة والتحميد والصلوات والسلام والسؤال عن الأحوال ، والآداب المألوفة في المجاملات :

«وأمّا الموضوع فهو أنّي تشرّفت بالمثول بين يدي المرحوم آية الله العظمى السيّد البروجرديّ رضي الله عنه سنة 1378 هـ . ق لأُودّعة قبل سفري إلى حجّ بيت الله الأعظم ، وكان كتاب «الموطّأ» لمالك بن أنس في يده

، فقلّبَ عدداً من أوراقه . ثمّ دفعه إليّ وقال : احفظ هذا الحديث فإنّه سينفعك يوماً ! ثمّ أردف قائلاً : كان أبو بكر ماكراً إلى درجة أنّه تباكى وقطع الموضوع .

فحفظتُ الحديث . وبعد تشرّفي بزيارة مكّة ، قدمنا جدّة لنعود إلى إيران ، فراجعنا دائرة شؤون الحجّاج ، وكان مديرها عقيداً يُدعى «سنبل» ، ولمّا ذهبتُ إليه لتوقيع الجواز ، دار بيني وبينه حديث طُرِحَتْ فيه مسائل شتّى ، وواصلناه حتّى سألني قائلاً : هل ترون الشيخين من الذين حضروا بيعة الرضوان . (99)

قلت : ورد في بعض الأحاديث أنّهما حضراها وبايعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً .

قال : فَلِمَ ترون أنّهما من أهل جهنّم ؟!

قلتُ : لا ، لا نرى أنّهما كذلك .

قال : فهل تعتقدون أنّهما من أصحاب الجنّة ؟

قلتُ : لا . الجنّة والنار لله تعالى ، ونحن لا نعلم من يسوقه الله إلى الجنّة ومن يسوقه إلى جهنّم . يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَآءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ .

قال : أنتم لستم على يقين من ذهاب أحد إلى الجنّة ؟

قلتُ : ولِمَ ذلك ! نحن على يقين أنّ رسول الله يذهب إلى الجنّة .

قال : كيف تقول ذلك ؟

قلتُ : إذا لم يذهب إلى الجنّة وهو صفوة الخلق ونقاوته ، فَلِمَ خَلَقَ الله الجنّة !

قال : وهل أنتم على يقين من ذهاب غيره إليها ؟

قلتُ : نعم ، نحن على يقين من ذهاب الحسن والحسين عليهما السلام إليها أيضاً .

قال : ما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة .

قال : وهل أنتم على يقين من ذهاب غيرهما إليها ؟

قلتُ : نعم ، نحن على يقين من ذهاب عليّ بن أبي طالب إليها أيضاً .

قال : ما الدليل على ذلك ؟

قلتُ : ما جاء في ذيل الحديث السابق ، وهو قوله صلّى الله عليه وآله : أَبُوهُمَا خَيْرٌ مِنْهُمَا ، فإذا ذهب الحسن والحسين إلى الجنّة ، فلا جرم أنّ أباهما ، وهو خير منهما ، يذهب إليها أيضاً .

قال : وهل تعتقد أنّ شخصاً آخر يذهب إليها حتماً ؟

قلتُ : نعم ، فاطمة الزهراء عليها السلام .

قال : ما الدليل ؟

قلتُ : ما ورد في الحديث ، وهوقوله : فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي ، مَنْ آذَاها فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهَ ... إلى آخره ، فإذا ساق الله فاطمة إلى جهنّم ، فقد آذى فاطمة ونبيّه ، والله لا يؤذي نبيّه أبداً .

قال : يا خبيث ؛ أراك تشكّ في ذهاب أبي بكر وعمر فحسب إليها .

قلتُ : لا أجد أخبث منّي إلّا أنت ! عليك أن تتحدّث بدليل وبرهان وتضرب عن التعصّب صفحاً ، وإذا كان النبيّ وأبو بكر قد ارتابا في ذهاب أبي بكر إلى الجنّة ، فكيف تزعم أنّك على يقين من ذهابه إليها !

قال : أين ورد أنّهما قد ارتابا في ذلك !

فقرأتُ الحديث ، وقلتُ : لا يستبين من هذا الحديث شكّ النبيّ فحسب ، بل يُشَمّ منه أيضاً كفر القوم ودخولهم في جهنّم ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال بصراحة : لا أشهد .

على أيّة حال ، هذا الحديث وارد ، وأنت تقول : أنا على يقين . وإذا لم يشكّ أبو بكر ، فَلِمَ سأل ذلك ! وإذا لم يشكّ رسول الله ، فَلِمَ قال : لا ! ويتّضح من هذا الحديث أيضاً أنّ بيعة الرسول ، وقتال أعداء الدّين ، وأداء سائر الفرائض ، كلّ ذلك ينفع المرء إذا ظلّ مستقيماً ولم يقترف عملاً مخالفاً لله ورسوله حتّى آخر عمره ، وإلّا فيمكن أن تُحبط بعضُ المعاصي أثر العبادات الماضية .

ثمّ قال : أرني هذا الحديث !

قلتُ : هات مُوَطّأَ مالك لأُريك . وعندما رجعتُ إلى وطني ، حدّثتُ المرحوم آية العظمى السيّد البروجرديّ بالحوار المذكور فسُرّ كثيراً» .

إلى هنا تنتهي رسالته في شأن هذا الحديث ، ثمّ قال : ولمّا تشرّفت بالحجّ من قابلٍ ، التقيتُ بالعقيد سنبل وسألته عن أحواله . فقال : وجدتُ الحديث في مُوَطّأ مالك . (100)

ومن الضروريّ هنا أن نشير إلى بعض النقاط :

الأُولى : نقل دِهْخُدا في معجمه اللغويّ (معجم لغويّ فارسيّ) ، مادّة (ذو الفقار) عن ترجمة تأريخ الطبريّ أنّ أبا بكر ، وعمر جُرحا في غزوة أُحد ورجعا . (101)

لقد بان رجوع أبي بكر ، وعمر من الحرب ، بَيدَ أنّ جرحهما كذب محض . فأمّا حدث تحريف متعمّد في ترجمة «تاريخ الطبريّ» أو في النقل عن الترجمة . وعلى أيّة حال فعندي دورتين مختلفتين من «تاريخ الطبريّ» ، وليس فيهما هذا الموضوع . وكذلك هو لم يرد في تاريخ «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقيّ مع شدّة تعصّبه في تسنّنه ، ولم يذكره صاحب «السيرة الحلبيّة» ، ولا ابن هشام في سيرته . كما لم يُشَرْ إليه في كتاب «الكامل في التأريخ» لابن الأثير الجزريّ ، و«روضة الصفا» لميرخواند ، و«حبيب السير» لخواندمير ، و«تاريخ المسعوديّ» ، و«تاريخ اليعقوبيّ» بل لم يذكر في مغازي الواقديّ الذي يعدّ من أقدم الوثائق التأريخيّة ، ولم ينقله ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» . (102)

الثانية : أنّنا ذكرنا هنا الآية وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ وشأن نزولها في غزوة أُحُد فحسب ، ولم نتطرّق إلى مواصفات غزوة أُحُد ووقائعها كلّها ، وهي كثيرة . ومَن وقف على تفاصيل تأريخها ، وجد أنّ المشركين لم يحاربوا المسلمين يومئذٍ ، بل ذبحوهم وقطّعوهم إرباً إرباً بسواطيرهم . مع ذلك لم يفكّر النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله بإراقة الدماء وارتكاب المذابح ، ولم يحاول التدارك وتسكين الفورات العاطفيّة ، بل كان يدافع لا غير . وكان هذا دأبه كلّما حملوا عليه . ولم يأمر بالقتل والسلب والغارة بعد أن وضعت الحرب أوزارها . إذ إنّ مهمّته الربّانيّة لم تكن القتل والذبح ، بل كانت مهمّته هداية المشركين وارشادهم إلى الإسلام . وأنّ أخلاقه العظيمة وصفاته الكريمة هي التي دفعتهم إلى الإسلام ، وقد أسلم كثير من أُمراء جيشهم كخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل . فلاحظوا كم كانت مهمّته دقيقة ، إذ جمع بين الدفاع والقتل ، وبين إمساك يده رجاء إسلامهم وهدايتهم .

وكان أُولئك الكافرون من أرحام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، بل كان بعضهم من أرحامه القريبين . وكانوا منه بمنزلة الأبناء ، ولكن أيّ أبناء ! أبناء متغطرسون ومغرورون قطعوا قرابة خمسمائة كيلومتر من مكّة إلى المدينة لإطفاء النور النبويّ وبتلك الطريقة المعروفة لئلّا تكون الرئاسة والإمارة للنبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولكي لا ينقادوا لحكمه .

وهذا جهل ، وهوجهل عميق مشوب بالكبر والحسد والغِلّ والانتقام والطمع ، بَيدَ أنّ الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله واجه تلك الأفعال السيّئة القبيحة بدعائه المعروف : اللهُمّ اهْدِ قَوْمي فَإنّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . (103)

ونقل ابن أبي الحديد عن الواقديّ قوله : وروى سعد بن أبي وقّاص قال : ولقد حرصتُ على قتل أخي عتبة بن أبي وقّاص حرصاً ما حرصتُ على شيء قطّ ، وإن كان ما علمتُ لعاقّاً بالوالد ، سيّئ الخُلُق ، ولقد تخرّقتُ صفوف المشركين مرّتين أطلب أخي لأقتله ، ولكنّه راغ منّي رَوَغان الثعلب . فلمّا كان الثالثة ، قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَا عَبْدَ اللهِ ! ما تُرِيدُ ؟! أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ نَفْسَكَ ؟ فكففتُ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : اللهمّ لا تحولنّ الحول على أحدٍ منهم ! (104)

ونقل ابن أبي الحديد عن الواقديّ قال : [لمّا] رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله بحمزة مَثْلاً شديداً ، حزنه ذلك . فقام أبو قَتادة الأنصاريّ فجعل ينال من قريش لما رأى من عَمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم . وفي كلّ ذلك يشير إليه أن أجلس ثلاثاً ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَا أَبَا قَتَادَةَ ! إنّ قُرَيْشاً أَهْلُ أَمَانَةٍ ، مَنْ بَغَاهُمُ العَوَاثِرَ (105) كَبّهُ اللهُ لِفِيهِ ! وَعَسَى أَنْ طَالَتْ بِكَ مُدّةٌ أَنْ تَحْقِرَ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفِعَالَكَ مَعَ فِعَالِهِمْ ! لَوْلَا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لَأَخْبَرْتَهَا بِمَا لَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى .

فقال أبو قتادة : والله يا رسول الله ! ما غضبت إلّا لله ورسوله حين نالوا منه (من حمزة) ما نالوا . فقال : صدقتَ ! بِئْسَ القَوْمُ كَانُوا لِنَبِيّهِمْ . (106)

الثالثة : نقل ابن أبي الحديد عن الواقديّ أنّه قال : إنّ الذي شجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله في جبهته ابن شهاب ، والذي أشظى رباعيّته وأدمى شفتيه عُتبة بن أبي وقّاص ، والذي أدمى وَجْنَتَيْهِ حتّى غاب الحلق فيهما ابن قميئة ، وإنّه سال الدم من الشجّة التي في جبهته حتّى أخضل لحيته . وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله صلّى الله عليه [وآله] يقول : كَيْفَ يُفْلَحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيّهِمْ ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى ؟! فأنزل الله تعالى قوله : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذّبَهُمْ فَإِنّهُمْ ظَلِمُونَ . (107) و (108)

ونجد هنا أنّ الذات الأحديّة المقدّسة العزيزة العظيمة لا تُبقي لنبيّها حتّى رجاءً واحداً ، وتسلب منه الحكم بعدم الفوز والفلاح ، ويقول بجدّ : أنت عبدي وليس لك أن تتدخّل في أمري ! كيف تحكم بعدم فلاحهم ؟! إنّي أنا الله ، إنّي ذو العزّة والجلال ، ولا يرد في عظمتي حتّى رجاء الغير وحكمه ، وإن كان صادراً من خاتم الأنبياء والمرسلين .

الرابعة : نقل أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن في كتاب «إعلام الورى» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : انهزم الناس عن رسول الله يوم أُحُد فغضب غضباً شديداً ، وَكَانَ إِذَا غَضِبَ انْحَدَرَ مِنْ وَجْهِهِ مِثْلُ اللّؤْلُؤِ مِنَ العَرَقِ . فنظر فإذا عليّ عليه السلام إلى جنبه فقال : مَا لَكَ لَمْ تَلْحَقْ بِبَنِي أَبِيكَ ! فقال عليّ عليه السلام : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكُفْراً بَعْدَ الإِسْلَامِ ؟ إنّ لِي بِكَ أُسْوَةً . الحديث . (109)

ونحن نعلم مقام مولى المتّقين عليه السلام وعظمته وإيثاره وأُخوّته وتضحيته وسوابقه المتألّقة ، بَيدَ أنّ المكان هنا هومكان العزّة ، ورسول الله في مقام الوحدة المنيع لا يستطيع أن يرى شخصاً آخراً غيره حتّى لو كان عليّاً . ولهذا قال : «ما لك لم تذهب» ؟! إلّا أن يصير عليّ هنا نفس النبيّ ، وقد صار كذلك ، وقال : أنا معك ! «إنّ لي بك أُسوة» !

وينبغي أن يصدر مثل هذا الخطاب عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وينبغي أن يُلقى مثل ذلك الجواب من أمير الموحّدين ، كخطاب سيّد الشهداء عليه السلام أخاه أبا الفضل وأولاد عقيل ليلة عاشوراء .

الخامسة : ذكر ابن هشام في سيرته قائلاً : لمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله جسد حمزة وقد مُثّل به قال : لَوْلَا أَنْ تَحْزَنَ صَفِيّةُ ، وَيَكُونَ سُنّةَ مِنْ بَعْدِي ، لَتَرَكْتُهُ حَتّى يَكُونَ فِي بُطُونِ السّبَاعِ وَحَوَاصِلِ الطّيْرِ . وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ المَوَاطِنِ لَأَمْثُلَنّ بِثَلَاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ . (110)

ونقل ابن هشام عن ابن إسحاق أنّ هذه الآية نزلت : وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لّلصّبِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مّمّا يَمْكُرُونَ . (111) و (112)

ونلحظ هنا أيضاً أنّ الله جعل نبيّه في ظلّ ذلّ العبوديّة المحضة وخاطبه قائلاً : ليس لك أن تحكم ، فالحكم لله ، وهو الذي أمر أن تكون العقوبة على قدر الجريمة ، لا أكثر ، وفي الوقت نفسه ، فإنّ رفع اليد عن العقوبة أفضل ، وهو محمود دائماً عند المؤمنين بالله .

وهذه الآية قائمة على أساس قانون العدالة ، وقانون الأخلاق الكريمة في آن واحد . وهذان القانونان كلاهما محمودان ومرضيّان . وينبغي أن يتجلّيا في نبيّ الله المتخلّق بأخلاق الله من طريق أولى ، كما ينبغي أن يعمل بهما أفضل من غيره وأكثر . فلهذا يصرّح في نطاق عبوديّته المطلقة قائلاً : أصبر . وكان صلّى الله عليه وآله يصبر في كلّ موطن وموضع ، ولم يمارس أعماله من وحي الثأر والانتقام ، وكان يتعامل مع الناس كافّة بالمواساة والمساواة . صَلّى اللهُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ !

وجاء في كتب التأريخ جميعها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : «لئن أظهرني الله لأمثلنّ بثلاثين منهم» ، وانفرد صاحب «روضة الصفا» بقوله : بسبعين منهم .

ولعلّ درجة الإحسان تكون من نصيب المؤمن في مثل هذه المواطن من الصبر والتحمّل ، إذ قال تعالى بعد الآيتين المذكورتين : إِنّ اللهَ مَعَ الّذِينَ اتّقَوا وّالّذِينَ هُم مّحْسِنُونَ . (113)

وفي الخبر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله سئل عن مقام الإحسان ، فقال اعْبُدِ اللهَ كَأَنّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنّهُ يَرَاكَ !

أجل ، إنّ هدفنا من الإسهاب في الحديث عن غزوة أُحُد هنا عند شرحنا آية الهداية : وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ (114) هو أن يعلم الجميع أنّ الفاتح الوحيد والمتحمّس الحميم والمضحّي المتفاني والمولَع برسول الله أيّ ولع ، والحامي الفريد له ، والذابّ الحقيقيّ عن الإسلام والقرآن هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وأنّ أبا بكر ، وعمر ، وعثمان كانوا من الفارّين ، وأنّ الآية الكريمة : وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ ... أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرّ اللهَ شَيْئًا ، نزلت فيهم وفي أترابهم ونظائرهم .

وهؤلاء الذين تحمّسوا من أجل الإسلام بعد وفاة النبيّ ورفعوا عقيرتهم : وا إسلاماه ! هم الذين تركوا النبيّ وحده بالأمس ، وأودعوه بين الحديد والنار بأيدي المتهوّرين من مشركي قريش ، وأنقذوا أنفسهم منهزمين إلى الجبل ، وكان أحدهم كالأُرْويّة على حدّ تعبيره .

وليس اعتباطاً حين يطلب رسول الله صلّى الله عليه وآله كتفاً ودواةً ليُحْكِمَ أمر عليّ بن أبي طالب ، أن ينسبه عمر إلى الهَجْر والهذيان والتخريف . وفي الوقت نفسه يتلو رسول الله هذه الآية لفلذّة كبده فاطمة الزهراء عليها السلام ويقول لها : بُنيّتي فاطمة : اقرأي هذه الآية : وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ . إلى آخر الآية .

قال الشيخ الكبير والمفسّر العظيم أمين الإسلام أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسيّ قدّس الله نفسه صاحب تفسير «مجمع البيان» في كتابه النفيس الممتع «إعلام الورى» : وضع عليّ بن أبي طالب عليه السلام رأس

رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجره ، فأُغمي عليه ، وأكبّت فاطمة تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامَ بِوَجْهِهِ

ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

ففتح رسول الله صلّى الله عليه وآله عينيه وقال بصوت ضئيل : يَا بُنَيّةُ ! هَذَا قَوْلُ عَمّكِ أَبِي طَالِبٍ ، لَا تَقُولِيهِ ! وَلَكِنْ قُولِي : «وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِن مّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ» .

فبكت طويلاً فأومأ إليها بالدنو منه . فدنت إليه . فأسرّ إليها شيئاً تهلّل له وجهها . (115) ثمّ قضى ويد أمير المؤمنين اليمنى تحت حنكه ، ففاضت نفسه فيها فرفعها إلى وجهه فمسحه بها . ثمّ وجّهه وغمّضه ومدّ عليه إزاره واشتغل بالنظر إلى أمره .

فسئلت : ما الذي قال لك رسول الله فسرى عنك ؟! قالت : أخبرني أنّي أوّل أهل بيته لحوقاً به وأنّه لن تطول المدّة بي بعده حتّى أدركه فسرى ذلك عنّي . (116)

ومن الواضح هنا أنّ رسول الله لم يُرِدْ أن يمنع فاطمة من حقيقة ومفاد الشعر الرفيع الذي أنشده أبو طالب عليه السلام . بل أراد أن يُشعرها بأنّ يوماً عصيباً ينتظرها ، وأنّ الراجعين عن الإسلام سوف يقتلونها ويغصبون حقّها وحقّ بعلها ، وكلّهم سيعودون إلى البربريّة والجاهليّة حسب هذه الآية . وأنّها وبعلها عليّ بن أبي طالب من الشاكرين ، وأنّ ذيل الآية : وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ سيكون لهما .

كيف يمكن أن نتصوّر أنّ رسول الله يمنع بنته من شعر حاميه ومعينه وناصره الوحيد في مكّة في حين أنّه عندما ذكر شعر أبي طالب سُرّ سروراً بالغاً حتّى ضحك من شدّة السرور والفرح ؟

ذكر عليّ بن عيسى الإربليّ في باب معجزات رسول الله أنّ من معجزاته نزول المطر بدعائه صلّى الله عليه وآله ، وذلك حين شكا إليه أهل المدينة فدعا الله ، فمطروا حتّى أشفقوا من خراب دورها فسألوه في كشفه ، فقال : اللهُمّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا . فَاسْتَدَارَ حَتّى صَارَ كَالإِكْلِيلِ والشّمْسُ طَالِعَةٌ فِي المَدِينَةِ ، والمَطَرُ يَجِيءُ عَلَى مَا حَوْلَهَا يَرَى ذَلِكَ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ .

فضحك صلّى الله عليه وآله وقال : لِلّهِ دَرّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيّاً قَرّتْ عَيْنَاهُ . فقام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال : يا رسول الله ! كأنّك تريد قوله :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامَ بِوَجْهِهِ

ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

يَطُوفُ بِهِ الهُلّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ (117)

وأخرج البخاريّ في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال : ربّما ذكرتُ قول أبي طالب وأنا أنظر إلى وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله على المنبر يستسقي . فما ينزل حتّى يجيش كلّ ميزاب :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامَ (118) بِوَجْهِهِ

ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ (119)

وروى البيهقيّ في «دلائل النبوّة» عن أنس أنّ أعرابيّاً جاء فقال : يا رسول الله ! لقد أتيناك مَا لَنَا بعيرٌ يَنَطّ ، (120) وَلَا صَبِيّ يَصِيحُ . فصعد صلّى الله عليه وآله المنبر ثمّ رفع يديه فقال : اللهُمّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً ، مَرِيّاً

مَرِيعاً ، غَدَقاً طَبَقاً ، عَاجِلاً غَيْرَ رَابِثٍ ، [121] نَافِعاً غَيْرَ ضَارّ ! فما ردّ يديه في نحره حتّى ألقت السماء بأردافها ، وجاؤوا يضجّون : الغَرَقَ الغَرَقَ .

فضحك رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى بدت نواجذه ، ثمّ قال : لِلّهِ دَرّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيّاً قَرّتْ عَيْنَاهُ ، مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ ؟ فقام عليّ عليه السلام فقال : يا رسول الله ! كأنّك أردت قوله :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامَ بِوَجْهِهِ
ثِمَالُ اليَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ
فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ [122]

وقال السيوطيّ أيضاً : هذا من قصيدة لأبي طالب يمدح بها النبيّ صلّى الله عليه وآله ويصف تمالأ قريش عليه ، وأوّلها :

وَلَمّا رَأَيْتُ القَوْمَ لَا وِدّ فِيهِمُ
وَقَدْ قَطَعُوا كُلّ العُرَى وَالوَسَائِلِ

إلى أن قال :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللهِ نُبْزِي مُحَمّداً
وَلَمّا نُطَاعِنْ حَوْلَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتّى نُصَرّعَ حَوْلَهُ
وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالحَلَائِلِ

وقال :

وَمَا تَرَكَ قَوْمٌ لَا أَبَا لَكَ سَيّداً
يَحُوطُ الذّمَارَ فِي مِكَرّ وَنَائِلِ [123]

وأضاف العلّامة الأمينيّ بعد البيتين اللذين يبدآن بقوله : وأبيض ... ويلوذ به الهلّاك ... هذا البيت :

وَمِيزَانُ عَدْلٍ لايخيسُ شَعِيرَةً
وَوَزّانُ صِدْقٍ وَزْنُهُ غَيْرُ هَائِلِ [124]

يستبين من هذه المطالب أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يحبّ السيّد أبا طالب حبّاً شديداً ، وكان يهتمّ بشعره اهتماماً تامّاً ، بَيدَ أنّه كان يرى في تلك المرحلة العصيبة . وهو على فراش الموت . وقائع مقلقة إلى درجة أنّ شعر أبي طالب يُنسى معها . [125]

هل يمكن أن نتصوّر خطراً أكثر من طعن رسول الله بالهذيان والتخريف ؟ ومن ثمّ عزل وليّ الدين الأعظم عليّ المرتضى سيّد الوصيّين أحد الثقلَين عن رئاسة المسلمين وزعامتهم ؟ والتجرّؤ على ساحة الرسول الأكرم بوصفه بالهجر حين طلب كتفاً ودواة ليُحكم أمر عليّ ، ويعلن للناس وصايته بتعليمات خطّيّة مؤكّدة ، ناهيك عن خطبه وكلماته التي كان يُدلي بها ! وإثارة الضجّة برفع الصوت عالياً بكلمة : كَفَانَا كِتَابُ اللهِ ، وإكثار اللغط والجَلَبة والضوضاء ؟ وإيذاء رسول الله وإعناته ، ليفارق الدنيا مغموماً مهموماً حزيناً ، بعد ثلاث وعشرين سنة من القيام بمهمّة النبوّة ؟

قال ميرخواند . وهو سنّيّ المذهب . في «روضة الصفا» : قالت أُمّ سلمة : شدّ رسول الله على رأسه المبارك عصابة أيّام مرضه ، وصعد المنبر ، واستهلّ كلامه بالاستغفار لشهداء أُحُد ، ثمّ أمر بسدّ أبو اب الصحابة

الشارعة في المسجد إلّا باب عليّ . وقال : لابدّ من صحبته لي وصحبتي له .

قال عمر : يا رسول الله ! إئذن لي أن أدع خوخة أرى فيها خروجك من البيت إلى المسجد ! فلم يأذن له . فقال أحد الصحابة : يا رسول الله ! ما هو المراد من فتح الأبواب ؟! وما سبب سدّها ؟ قال : ما بأمري سددتها ولا بأمري فتحتها .

(إلى أن قال) : روى علماء السير أنّه لمّا اشتدّت العلّة برسول الله وكان أصحابه مجتمعين حوله في حجرته قال : إئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده . فاختلفوا ، فمن قائل : قرّبوا يكتب لكم . ومن قائل : هل هذا كلام من اشتدّ به المرض ، أم كلام جِدّ ؟ فقال عمر : غلب على رسول الله الوجع . عندنا القرآن حسبنا كتاب الله . فمنهم من أيّد عمر ، ومنهم من أصرّ على خلافه وقالوا : قرّبوا له ما أراد ، فاختصموا ، وعلت الأصوات في مجلسه المبارك ، وتجاوز الاختلاف حدّ الاعتدال .

فقال النبيّ الأقدس صلّى الله عليه وآله : قوموا ، لا ينبغي عند نبيّ نزاع ! ومع ذلك قال : أُوصيكم بثلاث : أَخرِجوا المشركين من جزيرة العرب ! وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أُجيزهم .

روى سليمان هذا عن سعيد بن جبير وقال : لا أعلم ، لَمْ يَرَ سعيد بن جبير مصلحة في ذكر الثالثة ، أو أنّه ذكرها لكنّ عناكب النسيان نسجت خيوطها في خاطري ؟

قال ابن عبّاس : الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم . (126) (إلى أن قال :)

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام : أوصى النبيّ في مرضه الذي مات فيه . ولمّا فرغ ، نزلت سورة النصر . قلتُ : يا رسول الله ! هذه وصيّة المودّعين ؟

قال : نعم يا عليّ ! ضاق صدري من هذه الدنيا . ثمّ اتّكأ ، وأغمض عينه لحظة . ولمّا أفاق قال : يا جبرئيل ! خذني وفِ بما وعدتني ! ثمّ دعاني إليه ووضع رأسه المبارك على منكبي ، وشحب لون وجهه الميمون ، وتصبّب جبينه عرقاً . ولمّا رأت فاطمة ما به ، قامت لجزعها ، وأخذت بأيدي الحسنين وصاحت : يا أبتاه ! من يرحم حال ابنتك فاطمة بعدك ؟ ومن يواسي ولديك الحسنين ؟! ومن يحفظ أفواج الناس القادمين من أطراف الآفاق ؟ يا أبتاه ! بنفسي أنتَ ! ويل أُذُني التي لن تسمع كلامك الطيّب ، وويل عيني التي لن ترى وجهك الحسن !

ولمّا سمع النبيّ الأقدس صلّى الله عليه وآله أنين فاطمة ، فتح عينيه ودعاها إليه ووضع يده المباركة على صدر ابنته العزيزة وقال : اللهمّ اربط على قلب فاطمة ! ثمّ قال لها : أبشري ، فأنتِ أوّل أهلي لحوقاً بي !

قال عليّ عليه السلام : قلتُ : يا فاطمة ! اسكتي ولا تذرّي الملح على جرح رسول الله ! فقال النبيّ : دعها تذرف دموعها على أبيها ! ثمّ أغمض عينيه المتعبتين . وقالت فاطمة للحسنين : قوما وائتيا أباكما الرحيم ! لعلّه ينصحكما بما يسكّن قلبيكما . فامتثل قرّتا عين الزهراء كلام أُمّهما ، وجاءا عند رسول الله . فقال الحسن : يا أبتاه كيف نصبر على فراقك ؟! ومن الذي نودعه أسرارنا ؟! ومن يرحمنا أنا وأخي وأبي بعدك ؟! ...

قال عليّ بن أبي طالب : فبكيتُ جزعاً ... (127) .

وقال رسول الله لعائشة : يا عائشة ! عليكِ أن تجلسي في ركن بيتك ، وتمسّكي بعروة الصبر والستر والحفظ الوثقى كما قال الحقّ تعالى : وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنّ . (128)

قال هذا الكلام وبكى بكاءً سجرت به نار المصيبة عند الجميع . قالت أُمّ سلمة : ممّ بكاؤك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟!

قال : إنّمَا بَكَيْتُ رَحْمَةً لِأُمّتِي . ثمّ بشّر فاطمة ، فسألته : أين أجدك يوم الفزع الأكبر ؟! قال : تجديني على باب الجنّة تحت لواء الحمد ، وأنا مشغول باستغفار الرحمن من ذنوب أُمّتي ... .

ووقف عزرائيل على باب حجرة رسول الله المباركة بهيئة أعرابيّ ، وقال : السّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النّبُوّةِ وَمَوْضِعَ الرّسَالَةِ ! أتأذنوا لي بالدخول رحمكم الله ؟!

وكانت فاطمة الزهراء جالسة على فراش أبيها ، فقالت : رسول الله مشغول بنفسه فلا تتيسّر زيارته الساعة .

ثمّ استأذن مَلَك الموت ثانية فسمع الجواب نفسه . وفي الثالثة رفع صوته عالياً حتّى رجف لهيبته كلّ من كان حاضراً في المنزل المقدّس .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله مغميّاً عليه في تلك الساعة ، فأفاق ، وفتح عينيه المباركتين وسأل : ما خطبكم ! فأخبروه . فقال : يا فاطمة ! هل علمتِ مع مَن تكلّمتِ ! قالت : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قال : هَذَا مَلَكُ المَوْتِ ، هَادِمُ اللّذّاتِ ، وَقاطع الأُمْنِيّاتِ ، وَمُفَرّقُ الجَمَاعَاتِ ، وَمُرَمّلُ النّسَاءِ ، وَمُيَتّمُ الأَوْلَادِ .

ولمّا سمعت فاطمة ذلك قالت : يَا مَدِينَتَاهْ ! خَرِبَتِ المَدِينَةُ .

فَأخذ رسول الله يدها وضمّها إلى صدره المبارك ، ولم يفتح عينيه برهة فظنّ الحاضرون أنّ روحه عرجت إلى ذي العرش . فهمست فاطمة في أُذُنه قائلة : يَا أَبَتَاهْ ! فلم تسمع شيئاً ، فقالت : روحي لك الفداء ! انظر إليّ وحدّثني !

ففتح صلّى الله عليه وآله عينيه وقال : يا بُنيّتي ! دعي عنكِ البكاء فإنّ حَمَلَة العرش يبكون لبكائكِ . ونَكَفَ الدمع عن وجه عزيزته بيده ، واهتمّ بتسكينها وبشّرها وقال : اللهمّ مُنّ عليها بالصبر لفراقي ! وقال لها : إذا قُبضت روحي فقولي : إنّا لِلّهِ وَإنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . يا فاطمة ! إنّ كلّ مَن أصابته مصيبة سيرى عنها عوضاً .

قالت فاطمة : يا رسول الله ! من يكون وماذايكون عنك عوضاً ؟! ثمّ أغمض عينيه مرّة أُخرى ، فقالت فاطمة : وَا كَرباه ! فقال رسول الله : لا كرب ولا غمّ على أبيكِ بعد اليوم . أي : أنّ الحزن والاضطراب اللذين يسيطران على الإنسان سببهما التعلّقات الجسمانيّة ، والآن قطعت علائق البشريّة ، وتناهى إلى الأسماع النداء المتمثّل بقوله تعالى : إِرْجِعِى إِلَى رَبّكِ رَ ضِيَةً مّرْضِيّةً . وستسرع الروح اللطيفة الوديعة إلى جوار رحمة ربّ العالمين . وقد شوهد الرّوح والريحان وجنّة النعيم ، فلن تبقى حسرة و حزن و ألم . (129)

(130)

ويواصل ميرخواند الموضوع فيقول : لمّا دُفن رسول الله ، ورجع أصحابه من قبره ، جاؤوا إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام وعزّوها . فسألتهم قرّة عين النبيّ : دفنتموه ؟ ! قالوا : نعم ! قالت : كيف طابت نفوسكم أن تحثوا عليه التراب ؟! إنّه نبيّ الرحمة ! قالوا : يا بنت رسول الله ! نحن أيضاً محزونون لهذا المصاب ، ولكن لابدّ من التسليم لحكم الباري سبحانه وتعالى .

وجاء في «مقصد أقصى» (المقصد الأقصى) : كلّما نظرت فاطمة إلى الحسن والحسين ، تحسّرت وتأوّهت لِيُتم ولديها حتّى تشبّ النار من قلبها ، ويبكي الناس دماً لمصابها ، وكان الأحباب والأصحاب جميعهم يبكون معها وينشدون هذه الأبيات في مخاطبة سيّد الكائنات وخلاصة الموجودات :

ای خواجه ! زين شكسته دلان تا چه ديدهای

كز ما رميده جای دگر آرميدهای !

نشناختيم قدر توای سايه خدای

زان روی سایه از سر ما در کشیدهای
این تنگنای فرش چو درخور تو نبود
مسکن فراز عرش مُعلّا گزیدهای
ببدرقه به کوی وصالش گذشتهای
بی واسطه به حضرت خاصش رسیدهای
تو مرغ آشیانه قدسی ! غریب نیست
گر باز از ین قفس سوی گلشن پریدهای
ما را شمامهای بفرست ای گل امید
زان شمّه کز ریاض حقایق شنیدهای (131)
در کام جان تشنه دلان جرعهای بریز
زان خمرِ بی خمار که از حقّ چشیدهای (132)

أجل ، إنّ محنة رسول الله في مرضه الذي مات فيه يعود معظمها إلى رحمته بالمسلمين ، إذ كان يرى أُمّته بلا راعٍ ، وكان يدرك ويفهم جيّداً الخطط المدروسة المدبّرة لعزل أمير المؤمنين عليه السلام ، وترك الأُمّة بلا إمام وولي .

وكان صلّى الله عليه وآله يرى كالشمس الساطعة أنّ خلود نبوّته وحراستها وتثبيت القرآن وتعزيزه منوطان بوجود عليّ بن أبي طالب . وإذا كبراء القوم ورموزهم قد شدّوا عقد مآزرهم بخطط مريبة لاقتلاع هذه الشجرة والتربّع على مسند الإمامة . والويل للأُمّة التعِسة إذا ولي أُمورها إنسان غير بصير وغير مطّلع .

وإذا حلّ الغراب والحدأة محلّ البلبل في روضة النور والوحدة والعرفان والمعرفة ، ويسجن الطائر الغرّيد المحلّق في روضة العلم والدراية والبصيرة في القفص مهيض الجناح . ويجلس الجلّادون والصيّادون المتربّصون على أريكة الأمر والنهي والحكومة باسم النصراء والحماة والناصحين والمتحمّسين والأحمّاء ، ويبدّلون النبوّة إلى حكومة ورئاسة ظاهريّة .

وكان أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبيدة بن الجرّاح ، والمغيرة بن شُعبة ، وأُسيد بن حُضَير ، وخالد بن الوليد ، وقُنفذ بن عُمير ، وسالم مولى أبي حذيفة من الأشخاص المعروفين الذين تخبّطوا كالمجانين لإطفاء نور الولاية . (133)

قال ابن أبي الحديد : وممّن دخل بيت فاطمة مع عمر وعصابته : أُسَيْد بن حُضَيْر ، وسَلَمَة بن سَلَامَة بن قُرَيش ، وقيس بن شمّاس ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومحمّد بن مَسْلَمة وهو الذي كسر سيفَ الزبير . (134)

وكان هؤلاء رجالاً معروفين مشهورين بارزين خُدع عوامّ الناس بإجرائهم المذكور فساروا خلفهم كالدهماء . وتمّ التحرّك نحو الكفر والضلال والارتداد عن محور الولاية التي تمثّل روح النبوّة وحقيقتها من قبل شرذمة قليلة ، وسلك سائر الناس مسلكهم كالهمج الرعاع .

وعقد النبيّ صلّى الله عليه وآله . وهو على فراش الاحتضار . لواء الحرب لشابّ يدعى أُسامة ، وأمره بالخروج من المدينة فوراً . وأصدر أمراً جازماً جادّاً يقتضي خروج جميع الوجوه المعروفة . الذين ذكر أسماءهم واحداً بعد آخر . تحت لواء أُسامة . وكان هدف رسول الله . وهو يرى دنوّ أجله . من ذلك التأكيد والإبرام والإصرار بعد الإصرار ، ولعن المتخلّفين عن جيش أُسامة بذلك التعجيل والتشديد ، إخلاء المدينة من شرّ

وجود أُولئك المدّعين الأظآر ، [135] وتمهيد الأرضيّة لاستقرار حكومة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليتحقّق أمر الخلافة بلا منازع ينازعه ، ولا تكن هناك عقبة في طريقة .

وهل يُرتجى هدف غير هذا من وراء تعبئة ذلك الجيش العظيم بقيادة شابّ كأُسامة ، وأمر المشيَخَة أن ينضووا تحت لوائه ويعملوا بأوامره والتعجيل في تحرّكه وخروجه ؟! [136]

قال ابن سعد في «الطبقات الكبرى» : لمّا كان يوم الأربعاء في أواخر صفر من السنة العاشرة من الهجرة بدئ برسول الله صلّى الله عليه وآله فحُمّ وصدّع : فلمّا أصبح يوم الخميس عقد لأُسامة لواءً بيده ثمّ قال : اغز باسم الله في سبيل الله فقاتِل من كفر بالله !

فخرج بلوائه معقوداً وعسكر بالجُرْف . فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلّا انتدب في تلك الغزوة فيهم أبو بكر ، وعمر بن الخطّاب ، وأبو عبيدة الجرّاح ، وسعد بن أبي وقّاص ، وسعيد بن زيد ، وقُتادة بن النعمان ، وسَلِمة بن أسلم بن حريش . فتكلّم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين . فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

أمّا بعد ؛ أيّها الناس ! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة . ولئن طعنتم في إمارتي أُسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه ! زيد بن حارثة من قبله ! وأيم الله إن كان للإمارة لخَليقاً وإنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ . وأنّهما لمخيلان لكلّ خير . واستوصوا به خيراً فإنّه من خياركم . [137]

قال هذا ثمّ نزل من المنبر ، وذلك يوم السبت ... .

وثقل رسول الله فجعل يقول : أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَة . [138]

ذكر ابن هشام في سيرته أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله استبطأ الناس في بعث أُسامة [بن زيد] وهو في وجعه . فخرج عاصباً رأسه حتّى جلس على المنبر . وقد كان الناس قالوا في إمرة أُسامة : أمّر غلاماً حَدَثاً على جِلّة المهاجرين والأنصار . فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثمّ قال : أيّها الناس ! انفذوا بعث أُسامة ! فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله . وإنّه لخليق للإمارة وإن كان أبوه لخليقاً لها . [139]

ثمّ نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وانكمش (أسرع) الناس في جهازهم . [140]

روى ابن سعد بسنده عن أبي سعيد الخُدريّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : إنّي أُوشِكُ أن أُدْعَى فَأُجيبَ ، وإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخَلُفُونّي فِيهِمَا ! [141]

قال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : ثمّ كان ممّا أكّد له رسول الله صلّى الله عليه وآله من الفضل وتخصّصه منه بجليل رتبته ما تلا حجّة الوداع من الأمور المتجدّدة لرسول الله صلّى الله عليه وآله والأحداث التي اتّفقت بقضاء الله وقدره . وذلك أنّه تحقّق من دنوّ أجله ما كان قدّم الذكر به لأُمّته . فجعل يقوم مقاماً بعد مقام في المسلمين يحذّرهم الفتنة بعده والخلاف عليه ويؤكّد وصايته بالتمسّك بسنّته والإجماع عليها والوفاق ، ويحثّهم على الاقتداء بعترته والطاعة لهم والنصرة والحراسة والاعتصام بهم في الدين ، ويزجرهم عن الاختلاف والارتداد . وكان فيما ذكره من ذلك صلّى الله عليه وآله ما جاءت به الرواية على اتّفاق واجتماع من قوله :

أَيّهَا النّاسُ ! إنّي فَرَطُكُمْ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ . أَلَا وَإنّي سَائِلُكُمْ عَنِ الثّقَلَيْنِ !

فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا ، فَإِنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ نَبّأَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَلْقَيَانِي . وَسَأَلْتُ رَبّي ذَلِكَ فَأَعْطَانِيهِ . أَلَا وَإِنّي قَدْ تَرَكْتُهُمَا فِيكُمْ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، لَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَفَرّقُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ .

أَيّهَا النّاسُ ! لَا أُلْفِيَنّكُمْ بَعْدِي تَرْجِعُونَ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ! فَتَلْقَوْنِي فِي كَتِيبَةٍ كَبَحْرِ السّيْلِ الجَرّارِ ! أَلَا وَإِنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ أَخِي وَوَصِيّي ، يُقَاتِلُ بَعْدِي عَلَى تَأْوِيلِ القُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ .

وَكَانَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ يَقُومُ مَجْلِساً بَعْدَ مَجْلِسٍ بِمِثْلِ هَذَا الكَلَامِ وَنَحْوِهِ .

ثُمّ إنّه عقد لأُسامة بن زيد بن حارثة الإمرة ، وأمره وندبه أن يخرج بجمهور الأُمّة إلى حيث أُصيب أبوه من بلاد الروم ، واجتمع رأيه عليه السلام على إخراج جماعة من مقدّمي المهاجرين والأنصار في معسكره ، حتّى لا يبقى في المدينة عند وفاته من يختلف في الرياسة ويطمع في التقدّم على الناس بالإمارة ، ويستتبّ الأمر لمن استخلفه من بعده ، ولا ينازعه في حقّه منازع . فعقد له الإمرة على ما ذكرناه ، وجدّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في إخراجهم ، وأمر أُسامة بالبروز عن المدينة بمعسكره إلى الجرف ، وحثّ الناس على الخروج إليه والمسير معه ، وحذّرهم من التلوّم والإبطاء عنه .

فبينا هو في ذلك إذ عرضت له الشكاة التي توفّي فيها . فلمّا أحسّ بالمرض (142) الذي عراه ، أخذ بِيَدِ عليّ عليه السلام واتّبعه جماعة من الناس وتوجّه إلى البقيع . فقال للذي اتّبعه : إنّي قد أُمرت بالاستغفار لأهل البقيع ، فانطلقوا معه حتّى وقف بين أظهرهم وقال : السّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ ، لِيَهْنِئْكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمّا فِيهِ النّاسُ ! أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللّيْلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ أَوّلَهَا آخِرُهَا .

ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلاً . وأقبل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : إنّ جبرائيل كان يعرض عَلَيّ القرآن في كلّ سنة مرّة ، وقد عرضه عَلَيّ العام مرّتين ولا أراه إلّا لحضور أجلي . ثمّ قال : يا عليّ ! إنّي خُيّرتُ بين خزائن الدنيا والخلود فيها أو الجنّة ، فاخترت لقاء ربّي والجنّة . فإذا أنا متّ فاغسلني واستر عورتي ، فإنّه لا يراها أحد إلّا أكمه . ثمّ عاد إلى منزله ، فمكث ثلاثة أيّام موعوكاً ، ثمّ خرج إلى المسجد معصوب الرأس معتمداً على أمير المؤمنين عليه السلام بيُمنى يديه ، وعلى الفضل بن العبّاس باليد الأُخرى حتّى صعد المنبر فجلس عليه ثمّ قال :

مَعَاشِرَ النّاسِ ! قَدْ حَانَ مِنّي خُفُوقٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدِي عِدَةٌ فَلْيَأْتِنِي أُعْطِهِ إيّاهَا ! وَمَنْ كَانَ لَهُ عَلَيّ دَيْنٌ فَلْيُخْبِرْنِي بِهِ ! مَعَاشِرَ النّاسِ ! لَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ شَيءٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْراً أَو يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ شَرّاً إلّا العَمَلُ ! أَيّهَا النّاسُ ! لَا يَدّعِي مُدّعٍ وَلَا يَتَمَنّى مُتَمَنّ ، وَالّذي بَعَثَنِي بِالحَقّ نَبِيّاً لَا يُنْجِي إلّا عَمَلٌ مَعَ رَحْمَةٍ ، وَلَوْ عَصَيْتُ لَهَوَيْتُ . اللّهُمّ هَلْ بَلّغْتُ ؟! (143)

ثمّ نزل صلّى الله عليه وآله فصلّى بالناس صلاة خفيفة . ثمّ دخل بيته ، وكان إذ ذاك في بيت أُمّ سلمة رضى الله عنها فأقام به يوماً أو يومين . فجاءت عائشة إليها تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولّى تعليله ، وسألت أزواج النبيّ في ذلك ، فأذن لها ، فانتقل إلى البيت الذي أسكنه عائشة ، واستمرّ به المرض فيه أيّاما وثقل . فجاء بلال عند صلاة الصبح ورسول الله صلّى الله عليه وآله مغمور بالمرض فنادى : الصّلَاةُ يَرْحَمُكُمُ اللهُ . فأُوذن رسول الله بندائه فقال : يصلّي بالناس بعضُهم فإنّي مشغول بنفسي ، فقالت عائشة : مُروا أبا بكر . وقالت حفصة : مروا عمر . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله حين سمع كلامهما ورأى حرص كلّ واحدة منهما على التنويه بأبيها وافتتانهما بذلك ورسول الله حيّ ! اكْفُفْنَ فَإِنّكُنّ صُوَيْحَبَاتُ يُوسُفَ !

ثمّ قام صلّى الله عليه وآله مبادراً خوفاً من تقدّم أحد الرجلين وقد كان أمرهما بالخروج مع أُسامة ولم يكن عنده أنّهما قد تخلّفا . فلمّا سمع من عائشة وحفصة ما سمع علم أنّهما متأخّران عن أمره . فبدر لكفّ الفتنة وإزالة الشبهة . فقام . وأنّه لا يستقلّ على الأرض من الضعف . فأخذ بيده عليّ بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العبّاس فاعتمد عليهما ورِجلاه تخطّان الأرض من الضعف .

فلمّا خرج إلى المسجد ، وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأومأ إليه بيده أن تأخّر عنه ! فتأخّر أبو بكر ، وقام رسول الله مقامه فكبّر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأها أبو بكر ولم يبن على ما مضى من فعاله . فلمّا سلّم ، انصرف إلى منزله واستدعى أبا بكر وعمر وجماعة من حضر بالمسجد من المسلمين ثمّ قال : أَلَمْ آمُرْكُمْ أَنْ تُنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ ؟! فقالوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ . قال : فَلِمَ تَأَخّرْتُمْ عَنْ أَمْرِي ؟! قال أبو بكر : إنّي خرجت ثمّ رجعتُ لأُجدّد بك عهداً ! وقال عمر : يا رسول الله ! إنّي لم أخرج لأنّني لم أُحبّ أن أسأل عنك الركب !

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : نَفّذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ ! نَفّذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ ! يكرّرها ثلاث مرّات . ثمّ أُغميَ عليه من التعب الذي لحقه والأَسَف الذي ملكه (144) فمكث هنيئة مُغمىً عليه . وبكى المسلمون ، وارتفع النحيب من أزواجه وولده ونساء المسلمين وجميع من حضر من المسلمين . فأفاق رسول الله صلّى الله عليه وآله فنظر إليهم ثمّ قال : إئْتُونِي بِدَوَاةٍ وَكَتِفٍ لِأَكْتُبَ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً !

ثمّ أُغمي عليه . فقام بعض من حضره يلتمس دواة وكتفاً . فقال له عمر : ارْجِعْ فَإِنّهُ يَهْجُرُ . فرجع وندم مَن حضر على ما كان منهم من التضجيع في إحضار الدواة والكتف وتلاوموا بينهم وقالوا : إنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . لقد أشفقنا من خلاف رسول الله . فلمّا أفاق صلّى الله عليه وآله قال بعضهم : ألّا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله ؟ ! فقال : أَبَعْدَ الّذِي قُلْتُمْ ؟! لَا ، وَلَكِنّي أُوصِيكُمْ بِأَهْلِ بَيْتِي خَيْراً . وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا وبقي عنده العبّاس ، والفضل بن العبّاس ، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وأهل بيته خاصّة .

فقال له العبّاس : يا رسول الله إن يكن هذا الأمر فينا مستقرّاً من بعدك فبشّرنا ، وإن كنت تعلم أنّا نغلب عليه فاقض بنا . فقال : أَنْتُمُ المُسْتَضْعَفُونَ مِنْ بَعْدِي . وأصمت . (145)

فنهض القوم وهم يبكون قد يئسوا من النبيّ صلّى الله عليه وآله . (146)

إنّ ما أوردناه هنا نقلناه عن العالم البصير الفقيه والمتكلّم الإماميّ أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان ، الشيخ المفيد المولود سنة 336 أو338 هـ ، والمتوفّى سنة 413 هـ . وهو على درجة لا توصف من العظمة والجلالة .

يقول علماء الشيعة : كان عمر يعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أراد أن يوصي لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب والأئمّة من ذرّيّته حتّى قائمهم صلوات الله عليهم أجمعين خطّيّاً ، فلهذا حال دون إحضار الدواة والكتف ، وأخلّ بنظم المجلس ونسب إلى رسول الله الهجر ، ومن أجل ذلك ظلّ في المدينة وتخلّف عن الخروج في جيش أُسامة ، ونقض سنّة رسول الله بصراحة ، ولم يعمل بقوله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، بل بذل هو وأعوانه قصارى جهودهم من أجل طمس ذلك .

وها نحن نذكر فيما يأتي بحول الله وقوّته هذه المطالب نقلاً عن أوثق كتب أهل السنّة وصحاحهم ونُثبت أنّ هذه المطالب والقضايا كلّها منقولة على لسان أهل السنّة أنفسهم ، ومع ذلك يتعصّبون تعصّباً جاهليّاً فيتّبعونه عُمياً على غير بصيرة ، وينكّلون بالشيعة ظالمين لهم حتّى ظهور إمام الحقّ الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف . إذَنْ يبتني إثباتنا معرفةَ الإمام على أساس قول إجماعيّ اتّفاقيّ لا على أساس خصوص أقوال علماء الشيعة وأحاديث أئمّتهم عليهم السلام ومنهاجهم .

وسنستعرض هذا الموضوع بأُسلوب يُقنع كلّ عالِم متتبّع من أهل السنّة ويدفعه إلى التشيّع والإمامة شاء أم أبى ، ذلك أنّ البحث الاجتهاديّ القائم على أُسسهم الثابتة في أُصول العقائد مُلزم لهم .

روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن أبي مُوَيْهِبَة غلام رسول الله قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله من جوف الليل : إنّي قد أُمرتُ أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي ! فخرج وخرجت معه حتّى جاء البقيع فاستغفر لأهله طويلاً ثمّ قال (لهم مخاطباً» : لِيَهْنِئْكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ مِمّا أَصْبَحَ النّاسُ فِيهِ ! أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللّيْلِ المُظْلِمِ يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، يَتْبَعُ آخِرُها أَوّلَهَا ، الآخرةُ شَرّ مِنَ الأُولَى . (147)

وهذا الدعاء والاستغفار هونفسه الذي ذكره الشيخ المفيد إلّا أنّ الشيخ ذكر أنّه ذهب إلى البقيع مع عليّ بن أبي طالب ، وجاء هنا أنّه ذهب مع أبي مُوَيْهِبةَ . ولا فرق بينهما في أصل الموضوع ، وهو الإخبار عن الفتن المظلمة .

نقل الحاكم في مستدركه بسنده عن جماعة ، عن عائشة أنّها قالت : إنّ رسول الله بدأه مرضه الذي مات به في بيت ميمونة ، فخرج عاصباً رأسه فدخل عَلَيّ بين رَجلينِ تخطّ رجلاه الأرض . عن يمينه العبّاس ، وعن يساره رجل .

قال عبيد الله (راوي الحديث) أخبرني ابن عبّاس أنّ الذي عن يساره عليّ . (148)

وروى الطبريّ في تاريخه بسنده عن عائشة قالت : تتامّ برسول الله وجعه وهو يدور على نسائه حتّى استُعِزّ به وهو في بيت ميمونة فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يُمَرّض في بيتي . (149) فأُذن له فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين رَجلين من أهله ، أحدهما الفضل بن العبّاس ورجل آخر ، تخطّ قدماه الأرض عاصباً رأسه حتّى دخل بيتي . قال عبيد الله : فحدّثتُ هذا الحديث عنها عبد الله بن عبّاس فقال : هل تدري من الرجل ! قلتُ : لا . قال : عليّ بن أبي طالب ، ولكنّها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير . وهي تستطيع أن تقول : بين الفضل بن العبّاس وعليّ بن أبي طالب . (150)

وتحمل هذه الروايات أيضاً مضمون ما رواه الشيخ المفيد إلّا أنّ الفارق الوحيد فيها هوأنّ عائشة لم تقدر على النطق باسم عليّ ، فقالت : رجل آخر .

الروايات الواردة في منع عمر النّبيّ صلّى الله عليه وآله

أن يكتب كتاباً في المرض الذي توفّي فيه

1 . روى البخاريّ في صحيحه بسنده عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عبّاس أنّه قال : لَمّا حُضِرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ ، قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هَلُمّ (151) أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلّوا بَعْدَهُ !

فَقَالَ عُمَرُ : إنّ النّبِيّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ ، وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ . حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ ، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ فَاخْتَصَمُوا ، مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ : قَرّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النّبِيّ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَهُ عُمَرُ .

فَلَمّا أَكْثَرُوا اللّغْوَ وَالاخْتِلَافَ عِنْدَ النّبِيّ ، قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قُومُوا .

فَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُ : إنّ الرّزِيّةَ كُلّ الرّزِيّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ مِن اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ . (152) و (153)

وهذا الحديث من الأحاديث التي لا شكّ في صحّتها وصدورها عند العامّة ، (154) لأنّ البخاريّ رواه عن إبراهيم بن موسى ، عن هشام ، عن مُعَمّر ، وكذلك عن عبد الله بن محمّد ، عن عبد الرزّاق ، عن مُعَمّر ،

عن الزّهريّ ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عبّاس . ولا شبهة عند العامّة في توثيق هؤلاء وتعديلهم .

2 . وكذلك روى البخاريّ في صحيحه عن يحيى بن سليمان ، عن ابن وَهَب ، عن يونس بن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عبّاس أنّه قال : لَمّا اشْتَدّ بِالنّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعُهُ قَالَ : إئْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلّوا بَعْدَهُ ! قَالَ عُمَرُ : إنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَلَبَهُ الوَجَعُ وَعِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا . فَاخْتَلَفُوا وَكَثُرَ اللّغَطُ .

قَالَ : قُومُوا عَنّي وَلَا يَنْبَغي عِنْدِيَ التّنَازُعُ . فَخَرَجَ ابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُ : إنّ الرّزِيّةَ كُلّ الرّزِيّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ كِتَابِهِ . (155)

وهذا الحديث أيضاً من الأحاديث الصحيحة عند العامّة ولا شبهة ولا شكّ في رواته .

3 . وكذلك روى البخاريّ عن قَبِيصَة ، عن ابن عُيَيْنَة ، عن سليمان الأحول ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عبّاس أنّه قال :

يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ ؟ ثُمّ بَكَى حَتّى خَضَبَ دَمْعُهُ الحَصْبَاءَ . فَقَالَ : اشْتَدّ بِرَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَعُهُ يَوْمَ الخَمِيسِ ، فَقَالَ : إئْتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبداً . فَتَنَازَعُوا . وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيّ تَنَازُعٌ . فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

قَالَ : دَعُونِي ! فَالّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمّا تَدْعُونِي إلَيْهِ . وَأَوْصَى عِنْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ : أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ ، وَنَسِيتُ الثّالِثَةَ . (156)

وذكر مسلم في صحيحه أيضاً ، في آخر كتاب الوصايا ثلاثة أحاديث في هذا الشأن . يحمل الأوّل بعينه مضمون هذا الحديث الثالث الذي نقلناه عن البخاريّ لكنّه يختلف عنه فيما يأتي : أوّلاً : جاء مكان قوله : فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ ، قوله : وَقَالُوا : مَا شَأنُهُ ؟ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ !

ثانياً : ذكر بدل قوله : وَنَسِيتُ الثّالِثَةَ ، قوله : وَسَكَتَ عَنِ الثّالِثَةِ ، أَوْ قَالَهَا فَأُنسِيتُهَا .

ويحمل الثالث نفسه مضمون الحديث الأوّل الذي نقلناه عن البخاريّ .

ومن الجدير ذكره أنّ هذين الحديثين أوردهما مسلم بأسناد أُخرى غير أسناد البخاريّ ، ويتماثلان في المضمون فحسب . وروى الثاني عن إسحاق بن إبراهيم ، عن وكيع ، عن مالك بن المِغْوَل ، عن طلحة بن مُصَرّف ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عبّاس أنّه قال : يَوْمُ الخَمِيسِ وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ ؟ ثُمّ جَعَلَ تَسِيلُ دُمُوعُهُ حَتّى رَأَيْتُ عَلَى خَدّيْهِ كَأَنّهَا نِظَامُ اللّؤْلُؤ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إئْتُونِي بِالكَتِفِ وَالدّوَاةِ (أَوِ اللّوْحِ وَالدّواة) (157) أُكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً ، فَقَالُوا : إنّ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَهْجُرُ . (158)

وروى أحمد بن حنبل الأحاديث الثلاثة التي نقلناها عن البخاريّ بنفس الأسناد والألفاظ في ص 325 و222 و355 من الجزء الأوّل من مسنده بالتسلسل .

أجل ، إنّ حديث طلب الدواة والكتف ، ومنع عمر ، وقذف رسول الله بالهجر والهذيان ، ورزيّة يوم الخميس التي كان يبكي منها ابن عبّاس كلّما ذكرها ، كلّ ذلك من القضايا المشهورة والمعروفة عند أصحاب السّير والسّنن والأخبار . نقلها كبار العامّة في كتبهم وأقرّوا بها . (159)

ذكر ابن سعد في طبقاته تسعة أحاديث في هذا المجال . وأورد الحديث الأوّل والثالث . اللذين نقلناهما عن البخاريّ . عن مسلم ، وعن يحيى بن حمّاد بسنده عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عبّاس ، وفيه : فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ : إنّ نَبِيّ اللهِ لَيَهْجُرُ .

وأورد حديثاً عن محمّد بن عبد الله الأنصاريّ بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وحديثاً عن حفص بن عمر الحوضيّ بسنده عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وحديثاً عن محمّد بن عمر بسنده عن جابر ، بحديثين آخرين : الأوّل : عن محمّد بن عمر ، عن هشام بن سعد ، عن زيد بن أسْلَم ، عن أبيه ، عن عمر بن الخطّاب أنّه قال :

كُنّا عِنْدَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ النّسَاءِ حِجَابٌ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اغْسِلُونِي بِسَبْعِ قِرَبٍ وَأْتُونِي بِصَحِيفَةٍ وَدَوَاةٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً ! فَقَالَ النّسْوَةُ : إئْتُوا رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِحَاجَتِهِ ! قَالَ عُمَرُ : فَقُلْتُ : اسْكُتْنَ فَإنّكُنّ صَوَاحِبُهُ . إذَا مَرِضَ عَصَرْتُنّ أَعْيُنَكُنّ . وَإذَا صَحّ أَخَذْتُنّ بِعُنُقِهِ ! (160) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هُنّ خَيْرٌ مِنْكُمْ !

وأخرجه الطبرانيّ أيضاً في أوسطه عن عمر . (161)

الثاني : عن محمّد بن عمر بسنده عن عكرمة ، عن ابن عبّاس أنّه قال : إنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ فِي مَرَضِهِ الّذِي مَاتَ فِيهِ : إئْتُونِي بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً ! فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ : مَنْ لِفُلَانَةَ وَفُلَانَةَ مَدَائِنِ الرّومِ ؟ إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْسَ بِمَيّتٍ حَتّى نَفْتَحَهَا ، وَلَوْ مَاتَ لَانْتَظَرْنَاهُ كَمَا انْتَظَرَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ مُوسَى . فَقَالَتْ زَيْنَبُ زَوْجُ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَلَا تَسْمَعُونَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْهَدُ إلَيْكُمْ ؟! فَلَغَطُوا ، فَقَالَ : قُومُوا ! فَلَمّا قَامُوا قُبِضَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَانَهُ ! (162)

والآن . بعد أن تحدّدت مصادر هذا الحديث في هذه الرزيّة من كتب الصحاح والسنن الموثوقة من الدرجة الأُولى لأهل السنّة . (163) نعرض فيما يأتي عدداً من الأبحاث حول مفاد ما تقدّم :

البحث الأوّل : يستفاد من هذه الأحاديث والروايات أنّ هذه الواقعة لم تكن مفاجئة ، حيث ينكر القوم ابتداءً تخطيط الرسول الأعظم للكتابة ، بل تدلّ القرائن المشهودة على أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يعلم بتآمرهم على حكومة عليّ عليه السلام ، لذلك أنفذ جيش أُسامة . وكان قد أدرك جيّداً الخطط المدبّرة من خلال الأخبار المبثوثة داخل بيته من قبل حزب النساء المعارضات ، وكذلك من خلال الأخبار التي تناهت إلى سمعه من خارج البيت ودارت حول تأخير جيش أُسامة وتخلّف أبي بكر ، وعمر عن اللحاق به ، فلهذا طلب الدواة والكتف في مثل هذا الظرف على أساس تلك الشواهد والمشهودات .

ولم يجتمع عمر وشرذمته في ذلك المجلس صدفة وبغتة ، بل كانوا يجتمعون مراراً في مجالس سابقة ويخطّطون لغصب ولاية المسلمين وإمارتهم . وكان اجتماعه الأخير مع زمرته وأترابه مخطّطاً له من قبل . وكيف يمكن أن نتصوّر أنّ حضور عمر مع جميع أعوانه . الذين كان عددهم من الكثرة بحيث أوجدوا جبهتين في مجلس الرسول الأكرم وصاحوا وقالوا : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ ، وبلغ الأمر أنّهم تميّزوا عن الصحابة المؤمنين المطيعين الذين كانوا في حجرة نبيّهم ، وزاد لَغَطُهم حتّى غلبوهم . كان صدفة ، وقد تحقّق بصورة تلقائيّة اعتياديّة ! كيف يتسنّى لنا تصوّر ذلك في مجلس زعيم الحاضرين ومتكلّمهم فيه عمر الذي حاكاه رفقاؤه في كلامه فاعترضوا على كلام رسول الله ؟ (164)

رأينا في الحديث الأوّل الذي نقله البخاريّ أنّ ابن عبّاس يقول : اختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قَرّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النّبِيّ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ . ومنهم من يقول ما قاله عمر . أي : أنّ رسول الله يهجر . ويتبيّن هنا أنّ عمر كان إمام المعترضين وزعيمهم ، وأوّل من نطق بهجر رسول الله .

البحث الثاني : لا شكّ ولا شبهة أنّ الجملة التي تفوّه بها عمر هي قوله : إنّ رَسُولَ اللهِ يَهْجُرُ . بَيدَ أنّ أصحاب السنن والأخبار لمّا رأوا أنّ كلمته مستهجنة جدّاً ، أرادوا أن يخفّفوا من استهجانها ، ويدافعوا عن أدب عمر فاستبدلوا بها كلمتهم : إنّ النّبِيّ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ .

والدليل على كلامنا رواية ذكرها ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» بتخريج أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ في كتاب «السقيفة» بإسناده إلى ابن عبّاس أنّه قال : لَمّا حَضَرَتْ رَسُولُ اللهِ الوَفَاةُ وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ : إئْتُونِي بِدَوَاةٍ وَصَحِيفَةٍ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَا تَضِلّونَ بَعْدَهُ (قَالَ) : فَقَالَ عُمَرُ كَلِمَةً مَعْنَاهَا أَنّ الوَجَعَ قَدْ غَلَبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمّ قَالَ : عِنْدَنَا القُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ .

فَاخْتَلَفَ مَنْ فِي البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا فَمِنْ قَائِلٍ : قَرّبُوا يَكْتُبْ لَكُمُ النّبِيّ ، وَمِنْ قَائِلٍ : مَا قَالَ عُمَرُ . فَلَمّا أَكْثَرُوا اللّغَطَ وَاللّغْوَ وَالاخْتِلَافِ غَضِبَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : قُومُوا ! إنّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيّ أَنْ يُخْتَلَفَ عِنْدَهُ هَكَذَا . فَقَامُوا ، فَمَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ .

فَكَانَ ابْنُ عَبّاسٍ يَقُولُ : إنّ الرّزِيّةَ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ كِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلّمَ ، يَعْنِي الاخْتِلَافَ وَاللّغَطَ .

يقول ابن أبي الحديد : هذا الحديث قد خرّجه الشيخان : محمّد بن إسماعيل البخاريّ ، ومسلم بن الحجّاج القُشَيْريّ في صحيحيهما . واتّفق كافّة المحدّثين على روايته . (165)

ونكتفي هنا بذكر النكتة الآتية التي تمثّل الدليل على ما نقول :

يقول هنا : قال عمر كلمة معناها أنّ الوجع قد غلب على رسول الله . وهذا صريح أنّ كلمة عمر كانت شيئاً آخراً . ولمّا لم يرغب القوم في ذكر كلمته نصّاً ، استبدلوا بها مفادها ومعناها . وتلك الكلمة هي الهَجْر . (166)

ودليلنا الآخر هو عقد مقارنة بين الروايات المذكورة ، إذ لو وضعناها جنباً إلى جنب ووازنّا بينها ، لتبيّن لنا بلا مراء أنّ كلمة عمر كانت قوله : إنّ النّبِيّ يَهْجُرُ .

إنّ البخاريّ الذي ذكر في الصحيحتين الأُولى والثانية اسم المعترض بصراحة . وهو عمر . قال : كانت كلمته : قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ ، بَيدَ أنّه لم يصرّح باسمه في صحيحته الثالثة ، وكذلك لم يفعل مسلم في صحيحته ، بل قالا بنحو عامّ : قَالُوا ، وأوردا كلمة عمر نفسها : يَهْجُر . فَقَالُوا : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ . فَقَالُوا : إنّ رَسُولَ اللهِ لَيَهْجُرُ . (167) وقال ابن سعد في طبقاته في الرواية التي نقلناها عن سعيد بن جُبَيْر : فَقَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ : إنّ نَبِيّ اللهِ لَيَهْجُرُ . وهنا لمّا لم يتعيّن قائل كلمة : يَهْجُرُ بنفسه ، وذُكر بلفظ : قَالُوا ، أو : قَالَ بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، فإنّ الإتيان بكلمة هَجَرَ ويَهْجُرُ لم تُسْتَهْجَنْ بل ذُكرت كما هي .

ولكنّنا عندما نوازن بين هذه الروايات ، يستبين لنا جيّداً أنّ قائل كلمة يَهْجُرُ في قولهم : قَالُوا ، أو : بَعْضُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ هو عمر نفسه ، بَيْدَ أنّ هؤلاء المحرّفين والمبدّلين وحماة أريكة الاستبداد والظلم استبدلوا بها في تلك الروايات كلمتهم : قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ حماية لعمر ولشأنه .

وقد لاحظنا في إحدى روايات مسلم بن الحجّاج أنّه ذكر عمر بكلامه : أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ ! ومن الواضح أنّ لفظ عمر لا يحمل الاستفهام والشكّ وقد قال ما قال جازماً ، إذ تفوّه بكلمته : هَجَرَ . وإذا بعض المدافعين عنه قالوا : لعلّه قال : هَجَرَ على سبيل الاستفهام ، ولا فرق بينهما في الكتابة . ثمّ جاء بعض آخر فأراد أن

يثبّت هذا الاستفهام ويؤيّده ، فوضع همزة الاستفهام في أوّل الكلمة وقال : أَهَجَرَ ؟ ثمّ أضاف مدافعون آخرون جملة : اسْتَفْهِمُوهُ ، لتثبيت كلمتهم : أَهَجَرَ ؟

ونجد في الروايات كثيراً من هذه التصرّفات التي تتّضح للشخص الخبير مواضع التغيير والتحريف فيها . وقد استبان جيّداً من خلال بحثنا هذا ، ومن خلال عقد المقارنة بين روايات البخاريّ ، ومسلم ، وابن سعد أنّ كلمة عمر كانت هَجَرَ ويَهْجُرُ ، ولا ريب أنّ التغييرات الواردة في ألفاظ الروايات المختلفة نابعة من تدخّل الرواة والمحدّثين وتحريفهم .

البحث الثالث : ماذا كان يقصد رسول الله صلّى الله عليه وآله من الكتابة ؟ وما هو الشيء الذي أراد أن يكتبه فلا تضلّ أُمّته بعده أبداً ؟

ويمكننا أن نستخرج الجواب ابتداءً من كلام عمر نفسه : عِنْدَكُمُ القُرْآنُ حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ وهو الوارد في صحيحة البخاريّ الأُولى . وكذلك من كلامه الآخر : عِنْدَنَا كِتَابُ اللهِ حَسْبُنَا ، وهو المأثور في صحيحته الثانية . أي : أنّنا نستطيع أن نفهم ماذا أراد الرسول الأعظم أن يكتب عندما طلب دواة وكتفاً ، وذلك من خلال كلام عمر نفسه ، بلا رجوع إلى الأخبار والشواهد التأريخيّة ، والروايات والقرائن الموجودة . ولمّا كان عمر في مقام الاعتراض على كتابة رسول الله . قال : حَسْبُنَا كتاب الله وكَفَانَا كتاب الله . وينكشف لنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يريد أن يلحق بالقرآن شيئاً آخراً ، أو يجعله حجّة للمسلمين ، بَيدَ أنّ عمر منع من إلحاقه بالقرآن أو إفراده بالحجّيّة والولاية . وليس هذا الشيء إلّا العترة الطاهرة المتمثّلة بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأبنائه المعصومين .

وذلك هو ما جاءت به الأحاديث المتواترة . بل التي فاقت حدّ التواتر . وهي التي ذكرها الشيعة والعامّة في كتبهم بمئات الأسانيد ، وفيها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطب في مواطن عديدة ، منها في مرضه الذي مات فيه ، حيث ذهب إلى المسجد ، فقال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . ونحن قد ذكرنا في بحثنا هذا خطبة رسول الله . حين مرضه . في المسجد حول حجّيّة القرآن والعترة وخلافتهما باللفظ المذكور نقلاً عن الشيخ المفيد في «الإرشاد» ، [168] وابن سعد في «الطبقات الكبرى» . [169]

(169)

ولكنّ القوم لمّا حالوا دون تطبيق تلك الخطب الشفويّة عمليّاً ، وحاولوا معارضة ذلك وطمسه ، وكان رسول الله يعرف هذا الموضوع ، لذلك أراد أن يثبّته ويعزّزه خطّيّاً وهو على فراش المرض ، وفي يوم الخميس الذي سمّاه ابن عبّاس يوم الرزية ، أثار عمر الخلاف بجلبته وضجيجه ولغطه وصياحه ولغوه فجرح مشاعر رسول الله ، حتّى أعرض صلّى الله عليه وآله بوجهه الكريم عنهم وقال لهم : قوموا !

فلهذا لمّا قالوا : نأتيك بالدواة والكتف ! قال : أَبَعْدَ الّذِي قُلْتُمْ ؟ لَا ، وَلَكِنّي أُوصِيكُمْ بِأَهْلِ بَيْتِي خَيْراً . ويتبيّن أنّ موضوع كتابته هم أهل البيت ، بَيدَ أنّه لمّا تعذّرت عليه الوصيّة الخطّيّة ، اجتزأ بالوصيّة الشفويّة .

ونقرأ في رواية البخاريّ الثالثة ورواية مسلم الأُولى اللتين ذكرناهما هنا أنّ رسول الله يوصي بثلاث . والراوي هو سعيد بن جبير عن ابن عبّاس . قال : وَسَكَتَ عَنِ الثّالِثَةِ أَوْ أُنسِيتُهَا . سكت ابن عبّاس عن الثالثة ، أو قال : وأنا سعيد بن جبير راوي هذا الحديث قد نسيتها . والواضح هو أنّ تلك الوصيّة هي الأمر بالتمسّك بالعترة ، وحجّيّة إمارة وولاية أمير المؤمنين وذرّيّته حتّى الإمام الثاني عشر عليهم السلام ، وهو ما جاء في حديث الثّقَلَين . ولا جرم أنّ ابن عبّاس لم يسكت ، وابن جبير لم يَنْسَ ، وإنّما هي ظُلمة عصر السياسة والاستبداد التي انتهت بسيف الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ أنست سعيد بن جبير ومنعته من ذكرها . (170)

وأمّا الاحتمال القائل إنّ الوصيّة الثالثة هي الوصيّة بجيش أُسامة ، فليس له محلّ من الإعراب هنا ، وهو ما ذكره محمّد فؤاد عبد الباقي في تعليقه على صحيح مسلم نقلاً عن المهلّب . وهذا ليس بِذِي بالٍ فيُسكت ابن عبّاس أو يُنسي ابن جبير .

إنّ الدليل الواضح على أنّ المراد من كتابة رسول الله صلّى الله عليه وآله الوصيّة بخلافة أمير المؤمنين عليه السلام هو ما قاله عمر نفسه : إنّي كنتُ أعلم أنّ رسول الله أراد أن يوصي في مرضه لعليّ بن أبي طالب فخالفته وصددته . (171)

ذكر ابن أبي الحديد سفر ابن عبّاس مع عمر إلى الشام ، ونقل أنّ عمر أخبره في الطريق بعتابه لأمير المؤمنين عليه السلام لعدم اصطحابه في سفره إلى الشام ، وهو يراه واجداً عليه . وبلغ كلامه موضعاً قال فيه : ذُكر جواب عمر لابن عبّاس بطريق آخر وهو قوله : إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَهُ لِلأَمْرِ فِي مَرَضِهِ فَصَدَدْتُهُ عَنْهُ خَوْفاً مِنَ الفِتْنَةِ وَانْتِشَارِ أَمْرِ الإِسْلَامِ ، فَعَلِمَ مَا فِي نَفْسِي وَأَمْسَكَ ، وَأَبَى اللهُ إِلّا إِمْضَاءَ مَا حَتَمَ . (172)

وقد ذكرنا تفصيل هذا السفر في الجزء السابع من كتابنا هذا «معرفة الإمام» . وتحدّثنا أيضاً في بعض المواضع عن منع عمر رسول الله من الكتابة . (173) ولكنّ حديثنا كان في كلّ موضع حسب مناسبته الخاصّة ، وورد هنا لمناسبة الأمر بالكتابة وحديث الثقلين . لذلك فمضافاً إلى أنّ مطالباً بديعة وواضحة قد مرّت في كلّ موضع ، فهذا الموضع أيضاً قد فصّلنا فيه إجمالاً ، بَيدَ أنّه ليس فيه تكرار أبداً ، بل إنّ المطالب فيه جديدة أيضاً .

البحث الرابع : لو تغاضينا عن الوصاية لأمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّ كلام عمر : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ ، وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ خطأ في حدّ نفسه سواء أوصى النبيّ لأمير المؤمنين بالخلافة أم لم يُوصِ ، ذلك أنّ لكلام رسول الله حُجّيّة في كلّ موضوع حسب ما نصّ عليه القرآن الكريم . قال تعالى : مَن يُطِعِ الرّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَهَ . (174) وقال : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ . (175) وقال : وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن

رّسُولٍ إِلّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ . (176) وقال : وَمَآ ءَاتَبكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَبكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . (177) وقال : إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مّطَاعٍ ثَمّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ . (178)

في ضوء هذه الآيات القرآنيّة وآيات كثيرة غيرها ، تكون طاعة الرسول واجبة كطاعة الله المتمثّلة في كتاب الله . وأنّ فرز حُجّيّة القرآن عن حُجّيّة كلام الرسول جمع بين المتناقضين . (179)

مضافاً إلى ذلك أنّ القرآن نفسه يثبت وجوب قبول قول النبيّ . وأنّ العمل بالكتاب دون طاعة الرسول نقض للعمل بالكتاب . إذن كان عمر أوّل مَن رفض السّنّة ، أي : أوّل من تجاهل وأهمل قول رسول الله . بل هو لم يعمل حتّى بقوله : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ ، فهو قد رفض الكتاب والسنّة معاً ونبذهما جانباً . أمّا الشيعة فقد عملوا بالكتاب والسنّة كليهما . فهم السنّة الحقيقيّون حقّاً . أمّا السّنّة فلا كتاب لهم ولا سنّة ، إذ رفضوا السنّة ، ومن ثمّ رفضوا الكتاب ، مع ذلك فإنّهم وضعوا لهم اسماً بلا مسمّىً ولا محتوىً ، أي : أهل السنّة والتابعين كلام رسول الله ، وسمّوا الشيعة رافضةً ، في حين هم الرافضة أنفسهم ، والشيعة هم السنّة الحقيقيّون . وهذه مكيدة من مكائدهم إذ يرون أنفسهم محقّين من خلال اسم ونسبة غير صحيحة ، ويرون الشيعة مبطلين بلا دليل مقنع .

البحث الخامس : هل توافق القرآن نسبةُ الهجر والهذيان إلى رسول الله ، أو قولُ : قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الوَجَعُ ، ورفع الصوت عالياً عند رسول الله ، ونبذ رأيه وتقديم آرائهم مهما كان المنطلق والنيّة ؟ فالقرآن الكريم يقول : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ . (180) لا تُبدوا آراءكم في العمل والإرادة ، ولا تقدّموا آراءكم وعقائدكم بل اتّبعوهما دائماً واقتفوا أحكامهما !

ويقول أيضاً : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَ تَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . (181)

ويقول بعدها : إِنّ الّذِينَ يَغُضّونَ أَصْوَ تَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللهِ أُوْلَئِكَ الّذِينَ أمْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتّقْوَى لَهُم مّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . (182)

وحينئذٍ ما هو التناسب بين رفع الصوت والجَلَبة واللّغَط لطمس إمامة عليّ المعصوم وآله الطاهرين . وبين موازين القرآن ؟ وأيّ صوت وجلبة ولَغَط ؟ إنّه الصوت والجلبة واللّغَط الذي آذى رسول الله !

البحث السادس : كان عمر يعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله هو الأُسوة الوحيدة للحقّ والحقيقة وإقصاء الباطل : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لّمَن كَانَ يَرْجُوا اللهَ وَالْيَوْمَ الْأَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا . (183)

وكان يعلم أنّ كلّ دعوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله هي دعوة إلى الحياة الحقيقيّة : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّهِ وَلِلرّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . (184)

وكان يعلم أنّ مصير مَن يخالف رسول الله صلّى الله عليه وآله ويخاصمه جهنّم . قال تعالى : وَمَن يُشَاقِقِ الرّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلّهِ مَا تَوَلّى وَنُصْلِهِ جَهَنّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا . (185)

وكان يعلم قوله تعالى : وَالنّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلّا وَحْىٌ يُوحَى * عَلّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى . (186)

وكان يعلم أنّ قول رسول الله ليس قولاً شعريّاً خياليّاً لفّقه من عنده . إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مّا تَذَكّرُونَ * تَنزِيلٌ مّن رّبّ الْعَلَمِينَ . (187)

كان عمر يعلم ذلك كلّه جيّداً ، وهذه آيات كانت تتلى ليل نهار ،لعلّ أطفال المدينة كانوا يعلمونها أيضاً . ولا يعقل مسلم نسبة الهجر أو الكلام الصادر من شدّة الوجع والمحكي عبثاً ولغواً إلى نبيّه أبداً .

كان عمر يعرف ذلك بأسره ، وأنّ ما نسبه من الهجر إلى رسول الله لم يقله صادقاً ، إذ إنّه نفسه لم يعتقد أنّ النبيّ يهجر ، بَيدَ أنّه تفوّه بذلك اللفظ البذيء لإثارة اللّغَط والفتنة والفوضى . وأراد هو وأعوانه أن يؤذي النبيّ من خلال افتعال ذلك الموقف الشائن ، ومن ثمّ يحول دون تحقيق هدف النبيّ ، وقد بلغ ما أراد .

فلهذا عندما قال صلّى الله عليه وآله : قُومُوا ، قاموا قاطبة وذهبوا ولم يقل أحد منهم إنّ هذا الكلام (قوموا) هَجْر ! وما علينا إلّا الجلوس وعدم الذهاب !

وكان ينبغي أن تكتب رسالة النبيّ الأعظم في وصاية أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين في مثل ذلك المجلس الذي كان يضمّ عُلّيّة القوم ووجهاءهم من قريش ، وبعبارة أُخرى ، أهل الحلّ والعقد منهم ، لتكون حجّة عليهم ، وإلّا كان صلّى الله عليه وآله قادراً على أن يكتب ذلك في الخفاء أو بمحضر بعض الصحابة من أُولي النّهَى والبصائر ، لكنّهم كانوا سينكرونها ، إذ لن يقولوا : هذا ليس إملاء النبيّ وختمه ، بل يقولون : كتب ذلك من وحي الهجر وغلبة المرض . إنّهم بتكتّلهم تقوّلوا على النبيّ الهجر وهو حيّ بين ظهرانيهم ، فكيف إذا غاب عنهم ؟ ألا يفعلون في غيابه كما فعلوا في حياته ؟

وما فتئ صلّى الله عليه وآله يدعو إلى وصاية عليّ عليه السلام وخلافته طول عصر نبوّته ابتداءً من اليوم الأوّل لدعوته العامّة في دار أبي طالب ، إذ أنذر عشيرته الأقربين ، حتّى اللحظات الأخيرة من حياته المقدّسة . بَيدَ أنّه أُمر بالتوقّف عند غدير خُمّ لإعلان ذلك رسميّاً ، فأوقف الركب كلّه وألقى خطبته الغرّاء الشاملة الكاملة في الحاضرين .

لكنّه لمّا أحسّ أنّ زاعمي الخلافة وأترابهم لم يهتمّوا بتلك الخطبة ، وأنّ روح النبوّة في خطر بسبب عزل عليّ عليه السلام ، عزم على تدوين ما قاله شفويّاً ورأى ذلك لزاماً عليه ، فبادر إلى الكتابة وختمها بختم النبوّة .

وكان عمر يتحدّث يوماً في أيّام خلافته مع ابن عبّاس . ودار حديثه حول عليّ بن أبي طالب ، وأقرّ في حديثه بأنّ أحداً لا يليق بالخلافة بعد رسول الله غيره ، وذكر بأنّ سبب إقصائه هو حداثة سنّه وحبّه بني عبد المطّلب ، (188) وقال بصراحة : كان أبو بكر منذ اليوم الأوّل كارهاً خلافة عليّ . (189)

من هذا المنطلق نجد أنّ عمر وأبا بكر كانا مترافقين متعاونين دائماً سواء في حياة رسول الله أو بعد مماته . وقد تآخيا معاً في المؤاخاة التي عقدها رسول الله . وكلاهما تخلّف عن جيش أُسامة قبيل رحيل رسول الله ، وتباطآ وفترا وأتيا بالمعاذير الواهية ، إلى أن قُبِض رسول الله فأسرعا إلى السقيفة عاجلاً ، وَكَانَا يَتَسَابَقَانِ على حدّ تعبير ابن أبي الحديد .

وعلى هذا الأساس قال عمر بمحضر رسول الله في مجلس الرزيّة المعهود : إذا مات النبيّ ، فنحن ننتظره حتّى يرجع فيفتح حواضر الروم ، كأصحاب موسى الذين انتظروه ورجع إليهم . وكان كلام عمر هذا من أجل أن يقول حين وفاة النبيّ أنّه لم يمت . وقد فعل ذلك ، وشهر سيفه ، وجاب أزقّة المدينة وهو يقول : ما مات رسول الله ومَن قال إنّه مات ضربت عنقه بسيفي هذا . لماذا كان ذلك ؟ كان ذلك لأنّ أبا بكر لم يكن حاضراً في المدينة وقتئذٍ ، إذ كان ذهب إلى زوجته في السّنْح على فرسخ من المدينة .

وما كان يتمّ أمر الخلافة بدون قدوم أبي بكر ، وكان قلقاً من انتشال الناس على أمير المؤمنين فور سماعهم خبر وفاة النبيّ ، إذ يبادر المهاجرون والأنصار إلى بيت رسول الله الذي كان فيه أمير المؤمنين فيبايعونه ،

وحينئذٍ تبطل خططهم ويُنْقَضُ نسجهم وتذهب جهودهم كلّها أدراج الرياح . فلهذا سلّ سيفه ونادى إنّ رسول الله لم يمت ، حتّى تزبّد شدقاه ، وأراد من ذلك أن يُبقي الناس على ما هم عليه ريثما يعود أبو بكر من السنح .

وما إن قال أبو بكر : مات النبيّ وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ إلى آخر الآية ، قال عمر هذا صحيح ، مات رسول الله . وكلاهما لم يأت دار رسول الله ، ولم يشهدا جنازته ، ولم يصلّا عليه . بل توجّها إلى سقيفة بني ساعدة ، ونصب عمر صاحبه أبا بكر خليفة للمسلمين بمكيدة وكلمات سجّلها التأريخ .

ومن الجلاء بمكان أنّ هذا الطريق هو طريق الضلال والغي ، ولو تعبّدوا بنصّ رسول الله ، واستجابوا لأمره في الكتابة لأَمِنُوا مِنَ الضّلَالِ ، ورتعوا في وادي الأمن والأمان الخصب ، وكانوا على الصراط المستقيم السويّ ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي أَبَداً . (190) لكنّهم غرقوا في الضلالة وأوّل درجتها نسبة الهجر والهذيان إلى رسول الله .

وليتهم اكتفوا بعدم امتثال أمر رسول الله ، وعدم جلب الدواة والكتف ، ولم يردّوا كلام رسول الله بقولهم : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ . وكأنّ النبيّ لم يعرف منزلة كتاب الله بينهم ! أو كانوا أعرف منه بخواصّ الكتاب وفوائده وآثاره وأرادوا أن ينبّهوه على هذه النقطة .

وليتهم اكتفوا بقوله: حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ ، ولم يتفوّهوا بكلمتهم القبيحة : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ بوجه ذلك النبيّ المبعوث رحمةً للعالمين وهو يُحْتَضَر . ماذا قالوا في وداع النبيّ الأكرم وهو في اللحظات الأخيرة من حياته ؟ لقد قاموا من المجلس تاركين له وهم يقولون : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ !

وليتهم أدركوا أنّهم بحاجة ماسّة إلى كتابة رسول الله ، وأنّ القرآن وحده لا يكفيهم ، لأنّ القرآن هو الذي جعل كلام رسول الله حجّة ، وضمّ في طيّاته قوله : وَمَآ ءَاتَبكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَبكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . (191) وليتهم عرفوا أنّ النبيّ والإمام هما روح القرآن ، وأنّ كلامهما سند القرآن وأنّ القرآن بلا إمام كالقِربة بلا ماء .

وليتهم وآلاف ليتهم كانوا يفهمون ، فلم يجرّوا أنفسهم والأُمّة وراءهم إلى الضلال حتّى يوم القيامة .

ونحن إذا نظرنا في كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله : إِئْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ . وكلامه الآخر في حديث الثقلين : إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! ووازنّا بينهما ، نجدهما ذَوَي مفاد واحد ، وهو ضمان عدم الضلالة الأبديّة على نهج واحد . فوجودهما معاً (الكتاب والعترة) لازم وضروريّ . ولا شكّ أنّ ما أراد أن يكتبه رسول الله هو : «عَلَيْكُم بِعَلِيّ بن أبي طالب ووُلْده المعصومين من بعدي إماماً وخليفةً» وأمثال هذه العبارات . وهذه الكتابة في الحقيقة تفصيل إجمال حديث الثّقَلين ، إذ أراد رسول الله أن يعيّن الثقل الآخر باسمه وسِمَته خطّيّاً . (192)

البحث السابع : سبب عدم كتابة رسول الله صلّى الله عليه وآله في وقت كان عمر ومرافقوه لم يقوموا بعد ولم يذهبوا ، إذ طلب بعض الحاضرين من النبيّ أن يأتيه بما أراد ، فقال : لا ! بعد الذي قلتم .

لعلّ شخصاً يقول هنا : ما ضرّ لو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كتب ما أراده بعد انصرافهم ، وأودعه أمير المؤمنين أو عمّه العبّاس ليكون حجّة قاطعة على الجميع ، بخاصّة في مثل هذا الموضوع الخطير الذي يكفل سعادة الأُمّة وينقذها من الضلال ؟

وجوابه أنّ الظروف كانت بنحو لو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كتب فيها ما أراد ، لرفع الحزب المعارض عقيرته قائلاً : لقد كتب رسول الله هذه الورقة من وحي الهجر وخبط الدماغ والعياذ بالله من ذلك ، وحينئذٍ تفقد جميع كلماته التي تفوّه بها في مرضه حُجّيّتها . وتدلّ القرائن والشواهد على أنّ القوم بلغوا هذه المرحلة من انتهاك الحُرمة . وأنّ مَن نسب إلى رسول الله الهجر والهذيان بمحضر الصحابة والنساء اللائي كُنّ

خلف الستار ورسول الله حيّ ، يسهل عليه الإنكار والقذف بالهجر أيضاً ، كما نسب أبو بكر الكذب إلى الصّديقة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها التي امتلأت مجاميع أهل السّنّة وكتبهم بالأحاديث النبويّة في شأنها ، ومنها أنّ رسول الله قال : «سيّدة نساء أهل الجنّة» ، وفيها وفي أبيها وبعلها وولديها الحسنين نزلت آية التطهير في القرآن الكريم . ومن المؤلم حقّاً أن يكذّبها أبو بكر ، ويطلب منها شاهداً على فدك ، ويغصب منها فدكاً بحديث موضوع هو وضعه ونسبه إلى أعرابيّ بَوّال على عَقِبَيْه : «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ، وما ورّثناه صدقة للمسلمين» .

وأنّ من وضع الحبل في عنق أمير المؤمنين عليه السلام وقاده إلى المسجد من أجل البيعة ، وجرّ صدّيقته معفّرةً بالتراب ملطّخةً بالدم ، وأسقط جنينها ، وضربها بالسوط على عضدها حتّى ظلّ بادياً كالدملج إلى أن ماتت ، فهذا الشخص ممّ يخاف إن أنكر كتابة رسول الله ؟ وممّ يخشى إن تقوّل بالهجر وعدّ كلمات رسول الله في مرضه لغواً وعبثاً ؟ إنّ الموضوع المهمّ هنا هو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله تنازل عن الكتابة احتراماً لسّنّته وصوناً لحرمته ، وحجّيّة قوله الذي هو عِدل كتاب الله ، وأغضى عن هذا الأمر حفظاً لجماعة المسلمين وشوكتهم ، وحرصاً على بقاء كتاب الله . كما كان يُرجئ الخطبة الغديريّة التي كُلّف بإلقائها لتعريف عليّ خوفاً من حدوث الانشقاق بين المسلمين إلى أن هبط جبرائيل مهدّداً بقوله تعالى : وَإِن لّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلّغْتَ رِسَالَتَهُ . (193)

لقد واجه عمر رسول الله في مواطن عديدة ، وتصرّف معه بغلظة وفظاظة . وأنّ رزيّة يوم الخميس التي كان يبكي لها ابن عبّاس حتّى ابتلّت الأرض من دموع عينيه التي كانت تسيل من وجهه ليست أوّل تصرّف فظّ اجترحه عمر مع رسول الله ، فقد سبقه تصرّفه الشائن في صلح الحديبيّة ، إذ افتعل تلك الواقعة التأريخيّة ، وكان على رأس المناوئين لرسول الله والمتّهمين إيّاه بالكذب ، (194) حتّى قال هو نفسه من أجل كفّارة ذلك : مَا زِلْتُ أَصُومُ وَأَتَصَدّقُ وَأُصَلّي وَأُعْتِقُ مَخَافَةَ كَلَامِي الّذِي تَكَلّمْتُ بِهِ . (195)

وكان تصرّفه قبيحاً فظّاً شاذّاً مع النبيّ عندما أراد أن يصلّي على جنازة عبد الله بن أُبيّ حتّى صرفه عن ذلك باعتراضه قائلاً : لِمَ تصلّي على رجل منافق ؟ وهذا ما ثبّتته كتب التأريخ كلّها . (196)

أمّا رزيّة يوم الخميس فقد كانت أشدّ ، لأنّه هو وزمرته كانوا جميعهم حاضرين في مجلس رسول الله ، وقد أخلّوا بنظم المجلس ، وهو نفسه نسب الهجر والهذيان إلى رسول الله ، ودعمه أترابه ، أي : كلّهم تقوّلوا بالهجر والهذيان حتّى عطّلوا المجلس ولم يستطع النبيّ أن يحقّق هدفه . فلو كتب النبيّ ورقة في مثل ذلك الجوّ ، ألا يمزّقونها ؟ ألم يمزّق عمر سند فدك الذي كانت فاطمة عليها السلام قد أخذته من أبي بكر ؟ وجاء إلى أبي بكر وقال له بفظاظة : كيف تُرجع السند إلى فاطمة في مثل هذه الحالة التي يحتاج فيها المسلمون إلى المال ؟!

سألتُ سماحة سيّد الأساتذة آية الله العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله نفسه الزكيّة يوماً فقلتُ له : ما ضرّ لو صرّح الله تعالى باسم عليّ في القرآن كما صرّح باسم محمّد تجنّباً لهذا الخلاف العميق ؟ فقال : لو فعل ذلك لحذفوه بسهولة . فلهذا لم يصرّح به حفظاً لكتابه العظيم .

إذن ، غياب اسم عليّ عن القرآن لا يضرّ الإسلام والإيمان والولاية والمؤمنين ، لأنّ الذين اتّبعوا السنّة واقتفوا كلام نبيّهم كانوا شيعة عليّ الذائبين فيه يوم كان نبيّهم بين ظهرانيهم . والمؤمنون حقّ الإيمان هم شيعته المغرمون به منذ يوم الخميس الذي لم يستطع أن يكتب فيه رسول الله شيئاً إلى يومنا هذا . وها هو التشيّع اليوم يرتقي في سيره التصاعديّ وتعلو رايته في أرجاء شتّى من العالم ، إذ نشهد سنويّاً إقبالاً متعاظماً عليه من أتباع مختلف المذاهب . (197)

البحث الثامن : تزعزع شأن الولاية وفُتح باب الاجتهاد في مقابل النصّ في موقف عمر بتقدّمه على كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسنّته يوم الخميس . ولقد آثر هو وصاحبه أبو بكر رأييهما على سنّة رسول الله مصلحة للمسلمين بزعمهما ، وكانت محصّلة ذلك إقصاء السنّة والكتاب معاً ، وتراكم الآراء الفاسدة في مقابل القرآن . وقد ضيّعا الحقائق في كلّ موضوع من الموضوعات بذريعة المصلحة . وفُتح باب الاجتهاد في مقابل كتاب الله وسنّة رسوله بنحو لم يُعْهَدْ مثله حتّى ذلك اليوم قطّ . ولوحظ في كلّ يوم موضوع جديد يغاير الكتاب والسنّة ، ووقع أصل الدين وحقائقه في الخطر بغلالة ولاية المصلحة التي يتطلّبها الزمان ، حتّى وصل الدور إلى عثمان الذي قدّم رأيه على كتاب الله بصراحة ، وحطّم سنّة رسول الله عمليّاً ، وضرب معاوية على وتر : «أنا ربّكم الأعلى» في الشام . وأخيراً ، أغار الأمويّون على الكتاب والسنّة خلال ثمانين سنة من حكمهم ، وجاء بعدهم العبّاسيّون ففعلوا كفعل أسلافهم طول خمسمائة سنة من حكمهم ، وجرى كلّ ذلك تحت غطاء الإمارة والولاية ومصلحة المسلمين . وهُجرت حقيقة الكتاب والولاية واستُغربت . وفُتح هذا الباب حتّى قيام قائم آل محمّد صلّى الله عليه وآله .

وقد أمضى فقهاء العامّة وقضاتهم من أمثال شُريح جرائم حكّام الجور وأُمراء الظلم جميعها تحت عنوان : تَأَوّلَ فَأَخْطَأَ . وأيّدوهم في جرائمهم . وفي باب ولاية الفقيه والحاكم . أحبطوا وخرّبوا أحكام القرآن الثابتة وسنّة رسول الله المقطوع بها ، أو نسوا أو تناسوا أنّ ولاية الفقيه في الموضوعات الشخصيّة الاجتماعيّة ، لا في تبديل وتغيير الكتاب وأحكام السنّة . وسمّوا أُمراء الجور خلفاء تجب طاعتهم حسب سنّة عمر وأبي بكر ، وأضفوا عليهم لقب أُولو الأمر . وأبادوا معارضيهم تحت لياظ سياطهم وتعذيبهم وحبسهم وإعدامهم وصلبهم وتخريب بيوتهم على رؤوسهم بتهمة مخالفة رأى الفقيه والحاكم المفترض الطاعة .

البحث التاسع : من الواضح أنّ الوضع الذي أوجده الحزب المناوئ لأمير المؤمنين عليه السلام منذ ذلك الحين ، وما كان يمارسه هذا الحزب ، إذ كان يتبادل الأخبار على شكل شبكة اتّصال بين ما يجري داخل البيت النبويّ (عائشة وحفصة وغيرهما) وبين ما يجري خارج البيت ، وقد أتى بعمر إلى الميدان وحطّم السنّة من خلال انتهاك حرمة الرسول الأعظم بنطق الهذيان والهجر ، فذلك الوضع لايمكن للحزب المنتصر معه أن يعمل حسب نهج رسول الله إذا أراد أن يبقى ماسكاً بزمام الأُمور ، إذ إنّ ذلك النهج كان قراءة كتاب الله والتدبّر فيه ، ونقل حديث رسول الله وبيانه ، وذِكره وعرض مواعظه وأحكامه وخطبه في كلّ مجلس ومحفل .

أجل ، إذا أراد هذا الحزب أن يدع الناس أحراراً في بيان الحديث والسنّة ، فلا شكّ أنّ الحديث سيدور حول مقام ومنزلة أهل بيت العترة وعلوم أمير المؤمنين عليه السلام اللامتناهية وفضائله ومناقبه ، وسيرة الصدّيقة الكبرى ومنهاجها ، وطهارة آل العباء وعصمتهم ، وأمثال هذه الموضوعات التي كان المؤمنون يسمعونها من رسول الله منذ بداية النبوّة حتّى ذلك الحين . وسيحوم الكلام حول مثالب الخلفاء المتحكّمين وسيّئاتهم ، وحزبهم في داخل بيت النبيّ (عائشة وحفصة) ، وخارجه الذي يُمثّله الفارّون من الحروب ، وكذلك يحوم حول انتهاك حرمة الرسول ، وقتل ابنته رقيّة على يد عثمان ، ومقتل الصدّيقة الكبرى بعد غارة الحزب المنتصر على بيتها لإخراج المعتصمين فيه ، من أجل البيعة والتسليم لذلك النظام الظالم . وسيحوم أيضاً حول تفسير الآيات القرآنيّة التي بيّنها النبيّ كلّها ، وهي حافلة بذكر مولى المتّقين و مقامه وشأن نزول الآيات فيه . وسيتناول الحديث حقائق وأسرار لا شأن للحزب المذكور بها طبيعيّاً .

فلهذا ، ما إن تصرّمت سنتا أبي بكر ، وجاء دور عمر ، حتّى منع طرح السنّة النبويّة تماماً ، فعادت لا تذكر في المساجد والمحافل والمدارس وخطب العيدين والجمعة على امتداد مائة وخمسين سنة بعد المنع ، كما

لم يدوّن كتاب في الحديث والسنّة قرابة مائة عام .

أي : أنّ ردّ عمر كلام رسول الله قد هيّأ هذه اللوازم الواسعة ، ثمّ تطوّع الوضّاعون من متزلّفي بلاط معاوية كأبي هريرة وأبي الدرداء اللذين كانا من الصحابة ، فوضعوا من الأحاديث في مناقب أبي بكر وعمر وعثمان ، وعائشة بخاصّة ما ملأ الكتب وطوامير المسانيد والصحاح ، وقلّلوا الأحاديث المأثورة في فضائل أمير المؤمنين وآل العبا إلى درجة أنّك نادراً ما تجد فيها حديثاً بشأنهم .

وعليه ، فإنّ الأحاديث الواردة كلّها في هذا المجال موضوعة ، ولا ينظر الشيعة إلى صحّة السند في مثل هذه الحالات ، بل يرون المتن دليلاً على كذبه ، لأنّه من الواضح أنّ الحزب الذي انتصر وقمع معارضيه بالسيف والحجر والقتل صبراً ، وارتكب الجرائم النكراء . كجريمته في واقعة الطفّ ، وواقعة محمّد وإبراهيم وَلَدَي عبد الله المحض ، وواقعة زيد بن عليّ بن الحسين وابنه يحيى ، وواقعة الحسين بن عليّ صاحب فخّ القريبة من المدينة ، وهي كواقعة الطفّ ، ثمّ تأمير العبّاسيّين أنفسهم وسعيهم في إطفاء نور منافسيهم من أولاد فاطمة عليها السلام وحياتهم وعلمهم وحتّى حياتهم المادّيّة . سوف لن يتورّع في تحريف السنّة النبويّة وافتراء الأحاديث الكاذبة على رسول الله ممّا يقبله الناس جميعهم .

ومن الأحاديث المختلقة التي وضعت بدهاءٍ تامّ ، وتبدو عليها آثار الكذب بقرائن وشواهد عديدة ، حديث أورده البخاريّ في صحيحه ، ونحن نذكره فيما يأتي بسنده ثمّ نناقشه :

حدّثني إسحاق عن بِشر بن شُعَيْب بن أبي حمزة قال : حدّثني أبي عن الزّهريّ ، قال : أخبرني عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاريّ . وكعب ابن مالك أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم . أنّ عبد الله بن عبّاس أخبره :

إنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي وَجَعِهِ الّذِي تُوُفّيَ فِيهِ ، فَقَالَ النّاسُ : يَا أَبَا حَسَنٍ ! كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟! فَقَالَ : أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئاً ! فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطّلِبِ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ وَاللهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ عَبْدُ العَصَا ! [198] وَإنّي وَاللهِ لَأَرَى رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَوْفَ يُتَوَفّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا . إنّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ ، اذْهَبْ بِنَا إلَى رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ ؟ إنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ ، وَإنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا ، عَلِمْنَاهُ فَأَوْصَى بِنَا !

فقال عليّ : إنّا والله لئن سألناها رسول الله صلّى الله عليه وآله فمنعناها لا يُعطيناها الناس بعده ، وإنّي والله لا أسألها رسول الله صلّى الله عليه وآله . [199]

تفرّد البخاريّ وحده في نقل هذا الحديث ، إذ لم يُلْحَظْ فيأيّ كتاب من كتب أهل السنّة وصحاحهم ، وكلّ مَن جاء بعده من مصنّفي كتب السيرة والتأريخ أخذه منه . والله أعلم هل وضعه البخاريّ نفسه أو أخذه من وضّاع آخر ؟ ولا ريب أنّ البخاريّ كان ضاغناً على أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ ذكر الأحاديث المرويّة في مناقبه وفضائله مبتورةً ، وقد وجدنا عنده حالات كثيرة من هذا القبيل .

وقال ابن كثير الذي نقل هذا الحديث في تأريخه : انْفَرَد بِهِ البُخَارِيّ . [200]

وذكره ميرخواند في «روضة الصفا» بنحو يقبله العقل تقريباً . ولعلّ أصل الحديث هو المذكور عنده ، ثمّ حُرّف عند البخاريّ واتّخذ ذلك الطابع الذي لا يُعقل .

يقول ميرخواند : ينقل أنّ عليّاً عليه السلام خرج يوماً من عند رسول الله في مرضه الذي مات منه ، فقال له الصحابة : كيف حال رسول الله هذا اليوم يا أبا الحسن ؟! فقال : أصبح بحمد الله على أحسن وجه . فأخذ العبّاس يد عليّ وقال له بصوت خفيض : سينتقل النبيّ إلى جوار رحمة ربّ العالمين بعد ثلاثة أيّام ، لأنّي

أرى أمارات الموت على وجهه المبارك . والآن تقتضي المصلحة أن نذهب عنده ونسأله لمن تكون الخلافة بعده ؟ فإذا كانت لنا ، فيها ، وإذا كانت لغيرنا ، سألناه أن يوصيه بنا . فامتنع عليّ عليه السلام وقال : والله لا أسأله ولا أطلب الدنيا . (201)

نلاحظ في نحل هذا الحديث أنّ عدداً من النقاط المهمّة قد زُوّرت ودُسّت في جواب عليّ عليه السلام لابن عبّاس .

الأُولى : يُشعرنا الحديث أنّ الإمام عليه السلام لم يعلم بخلافته . وبعامّة لم يُنْصَبْ أحدٌ خليفةً لرسول الله ، وكانت هناك حاجة إلى سؤال النبيّ صلّى الله عليه وآله . وهذه أهمّ نقطةً دقيقة يتوكّأ عليها الحزب المناوئ ، ويريد أن يُثبت أحقّيّته على هذا الأساس .

الثانية : يُحتمل أن يمنع رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام من الخلافة بعد سؤاله رسولَ الله ، وحينئذٍ لن تكون الخلافة من نصيبه . وهذه من أبدع مكائد التزوير ، إذ تُتيح للحزب المناوئ فرصة أكبر لأن يجول ويصول أنّى شاء ، كما تمنحه مجالاً أوسع لتوطيد دعائمه .

الثالثة : يبيّن لنا الحديث أنّ عليّاً عليه السلام رجل محبّ للدنيا والرئاسة والإمارة ، فإذا ما منعه رسول الله ، فإنّ الناس لن ينصبوه خليفة . فلندع السؤال إذن ، إذ يزول عندئذٍ احتمال الرئاسة والإمارة وإن كان في أعصار بعيدة .

هذه هي الاحتمالات الواردة في الحديث المذكور ، ومواطن الدسّ والتزوير واضحة فيه إلى درجة أنّ كلّ من له اطّلاع مجمل على سيرة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام ، وتأريخ ذينك العظيمين ، يعلم أنّه كذب وافتراء . فإنّ خلافته قد عُيّنَتْ من قبل ، وأنّ رسول الله يراه خليفته الوحيد الفريد ، وكان هو نفسه مطّلعاً على هذا الموضوع ، وأنّ أمر سقيفة بني ساعدة وترشيح أبي بكر للخلافة كان غامضاً لديه ولا يمكن قبوله كما يبدو . وتدلّ على ذلك خطب «نهج البلاغة» وسائر الخطب والأحاديث المأثورة عن الشيعة والعامّة ، والعالم كلّه يعلم بما فيه مؤرّخو اليهود والنصارى ، والمستشرقون أنّ عليّاً عليه السلام لم يكن طالب حكم ورئاسة . لقد كان رجلاً إلهيّاً بما لهذه الكلمة من معنى ، ولم تزنه الخلافة ، بل هو زانها . ونجد أنّ بعض العامّة يقرّون أنّه لم يكن من أهل السياسة ، بل كان هو وخاصّة أصحابه كالمسيح وحواريّيه شغلهم الشاغل هو الشؤون المعنويّة والروحانيّة والإلهيّة . لقد كان عليه السلام ملاكاً سماويّاً ، فما شأنه والانهماك في الشؤون الدنيويّة واللعب السياسيّة ومزاولتها ؟

إنّ الحديث المذكور وأمثاله على درجة واضحة من النحل والافتراء بحيث إنّ كلّ من كان له أدنى اطّلاع على الأخبار والتأريخ يحكم بتزويره فور رؤيته . ونحن عندما أُمرنا من قِبل رسول الله صلّى الله عليه وآله أن نعرض الأخبار على كتاب الله فنقبل منها ما وافقه ونرفض ما خالفه ، فإنّنا نرى أنّ معظم الآيات القرآنيّة قد نزلت في شأنه وفضائله . حتّى نقل أثباتُ العامّة ومشاهيرهم مصدّقين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً فِيهَا يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا إلّا وَعَلِيّ رَأْسُهَا وَأَمِيرُهَا . (202)

وعندما نجد أنّ أعيان العامّة رووا فيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال للأنصار : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ! أَلَا أَدُلّكُمْ عَلَى مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً ؟! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : هَذَا عَلِيّ فَأَحِبّوهُ بِحُبّي وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي ، فَإنّ جِبْرِيلَ أَمَرَني بِالّذِي قُلْتُ لَكُمْ مِنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ . (203)

وعندما نقرأ أنّهم رووا فيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال له : يَا عَلِيّ ! أَخْصِمُكَ بِالنّبُوّةِ وَلَا نُبُوّةَ بَعْدِي . (204) وأنت فُقتَ الناس جميعهم بسبع خصال .

وعندما نجد أنّ الآيات القرآنيّة نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام كما في التفاسير الموثوقة لأهل السنّة كتفسير الثّعْلَبي ، والقُرطبيّ ، و«الدرّ المنثور» ، علمنا أنّ الحديث المذكور منحول وموضوع .

ويمكننا من خلال الموازنة بين الأحاديث أن نقف على صدقها وكذبها ، فنرفضها أو نقبلها .

وكذلك عندما نجد أنّ القرآن الكريم أحبط عمل الذين يرفعون أصواتهم فوق صوت النبيّ صلّى الله عليه وآله ، أي : أنّ جميع حسناتهم وأعمالهم الصالحة التي قاموا بها من قبل تُحبَط وتزول فور القيام بالعمل المذكور (و هذا هو معنى حبط الأعمال) ، عندما نجد ذلك ، ونلاحظ من جهة أُخرى أنّ عمر رفع صوته فوق صوت رسول الله ونسب إليه الهجر ، وأعدّ هو وأصحابه مجلس الانتهاك والتعدّي حقّاً ، فحينئذٍ نفهم أنّ الأحاديث التي نقرأها في كتب العامّة حول فضائله ومناقبه كلّها منحولة موضوعة . لأنّ رسول الله قال : قيسوا صحّة الحديث بكتاب الله ! فإذا جعل كتابُ الله جزاءَ رفع الصوت عند رسول الله حبطاً للأعمال ، فكيف يتسنّى لنا إذن أن نسلّم بهذه المناقب المنحولة ؟!

البحث العاشر : قال أبو الفداء ابن كثير الدمشقيّ في تاريخه بعد إيراد الحديث الأوّل الذي نقلناه عن البخاريّ ، ثمّ ذكرناه عن مسلم ، وهو أيضاً رواه عنهما ، وجاء فيه : مَا شَأْنُهُ ؟ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ ! وَهَذَا الحَدِيثُ مِمّا قَدْ تَوَهّمَ بِهِ بَعْضُ الأَغْبِيَاء مِنْ أَهْلِ البِدَعِ مِنَ الشّيعَةِ وَغَيْرِهِمْ ؛ كُلّ مُدّعٍ أَنّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَكْتُبَ فِي ذَلِكَ الكِتَابِ مَا يَرْمُونَ إِلَيْهِ مِنْ مَقَالَاتِهِمْ . ثمّ قال : هذا توهّم باطل . وهذا هو التمسّك بالمتشابه وترك المحكم ، وأهل السنّة يأخذون بالمحكَم ويردّون ما تشابه إليه . وهذه هي طريقة الراسخين في العلم كما وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه .

ثمّ قال : وهذا الموضع ممّا زلّ فيه أقدام كثير من أهل الضلالات . وأمّا أهل السنّة فليس لهم مذهب إلّا اتّباع الحقّ يدورون معه كيفما دار . وهذا الذي كان يريد رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يكتبه قد جاء في الأحاديث الصحيحة التصريح بكشف المراد منه . فإنّه قد قال الإمام أحمد ابن حنبل عن مؤمّل ، عن نافع ، عن ابن عمر ، وابن أبي مليكة ، عن عائشة أنّها قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه واله في مرض موته : ادْعُوا لِي أَبَا بَكْرٍ وَابْنَهُ لِكَي لَا يَطْمَعَ فِي أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ طَامِعٌ وَلَا يَتَمَنّاهُ مُتَمَنّ . ثمّ قال : يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالمُؤْمِنُونَ مَرّتَيْنِ . انفرد به أحمد من هذا الوجه .

وروى أحمد بن حنبل أيضاً عن أبي معاوية ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر القرشيّ ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : لمّا ثقل رسول الله ، قال لعبد الرحمن بن أبي بكر : ائْتِنِي بِكَتِفٍ أَوْ لَوْحٍ حَتّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَاباً لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ . فلمّا ذهب عبد الرحمن ليقوم ، قال : أَبَى اللهُ وَالمُؤْمِنُونَ أَنْ يَخْتَلِفَ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ! انفرد به أحمد من هذا الوجه أيضاً .

وروى أيضاً عن يحيى بن يحيى ، عن سليمان بن بلال ، عن يحيى ابن سعيد ، عن القاسم بن محمّد ، عن عائشة أنّها قالت : قال رسول الله : لَقَدْ هَمَمْتُ أَن أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ القَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنّى مُتَمَنّونَ ، فَقَالَ : يَأْبَى اللهُ . أَوْ يَدْفَعُ المُؤْمِنُونَ ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى المُؤْمِنُونَ . (205)

لا يداخلنا الريب أنّ هذه الأحاديث من صنع عائشة ، إذ وضعتها لتعزيز موقع أبيها وأخيها عبد الرحمن الذي أُرصد له العذاب الأبديّ حسب الآيتين الكريمتين : وَالّذِى قَالَ لِوَ لِدَيْهِ أُفّ لّكُمَآ أَتَعِدَانِنِى أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنّ وَعْدَ اللهِ حَقّ فَيَقُولُ مَا هَذَآ إِلّآ أَسَطِيرُ الْأَوّلِينَ * أُولَئِكَ الّذِينَ حَقّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مّنَ الْجِنّ وَالْإِنسِ إِنّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ، (206) وعائشة هي التي أوقدت نار الجَمَل ، وسبّبت في قتل اثني عشر ألفاً من المسلمين ، بعد أن ركبت جملها وتولّت قيادة الجيش

من أجل إطفاء نور أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الإمام بالحقّ والحجّة على الخلق ومركز الولاية ومصدر الصدق والحقيقة .

وهي التي كانت تقول في عثمان : اقْتُلُوا نَعْثَلاً فَقَدْ كَفَرَ . ولكن لمّا بايع الناس أمير المؤمنين عليه السلام ، قالت : عليّ قاتل عثمان ، وكتبت إلى الأمصار تدعو الناس إلى حرب أمير المؤمنين متذرّعة بأنّ عثمان قُتل مظلوماً وأنّ عليّاً هو الذي قتله .

ولكن ما عسانا أن نقول لإخواننا السنّة الذين يرون أنّ عائشة هي الصدّيقة الوحيدة ، وقد أضفوا عليها لقب حبيبة رسول الله ، وعدّوها طاهرة مطهّرة أمينة صادقة ، وصحّحوا الأحاديث المنقولة عنها .

ونحن ندعو القرّاء الكرام إلى مطالعة كتاب «أحاديث أُمّ المؤمنين عائشة» للعلّامة الجليل المجاهد ابن خالنا المكرّم سماحة آية الله السيّد مرتضى العسكريّ [207] أطال الله بقاءه ، وأمدّ في عمره الشريف ونفع المسلمين بدوام حياته ومؤلّفاته ، وذلك من أجل أن تستبين لهم سيرة عائشة وأحاديثها .

ولا نروم التحدّث عن عائشة وأحاديثها المنحولة الموضوعة هنا أو في مواطن أُخرى . وإنّما يحوم حديثنا حول أبي الفداء الدمشقيّ مؤلّف كتاب «البداية والنهاية» الذي عدّ الأحاديث المنقولة عن ابن عبّاس في رزيّة يوم الخميس التي طلب فيها رسول الله الكتف والدواة متشابهة ، والأحاديث الموضوعة على لسان عائشة محكمة ، وأرجع تلك الأحاديث إلى هذه الأحاديث ، وتقوّل على الشيعة وقذفهم بالغباء والحمق ، إذ استهدوا بها دليلاً على ولاية أمير المؤمنين وخلافته .

ونكتفي في شرح وتوضيح بطلان كلام هذا الرجل المتعصّب بالقول : حسناً ، نحن لا نقول شيئاً إذ حسبتَ تلك الأحاديث (الأحاديث المنقولة عن ابن عبّاس) متشابهة ، وهذه الأحاديث (المنقولة عن عائشة) محكمة ، لكن كيف تنكر الحقيقة والمعالم واضحة دالّة عليها ؟ إذا كان مراد رسول الله من كتابته الوصيّة لأبي بكر ، فلماذا زعق عمر وأعوانه ؟ ولماذا نسب الهجر إلى رسول الله ؟ ولماذا أخلّوا بنظم المجلس وكثر اللّغط وعلت الجَلَبة ؟ ولماذا قال رسول الله : هذه النساء خير منكم ؟ وقال : قوموا ، اذهبوا ؟ ولماذا عدّ ابن عبّاس تلك القضيّة رزيّة ؟ ولماذا ذكر شدّة تلك المصيبة وصعوبتها بقوله : يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ ولماذا بكى حتّى ابتلّ الحصى بدموع عينيه ، وكانت دموعه تسيل كحبّات اللؤلؤ ؟

كان عمر النصير الوحيد لأبي بكر ، وكان معينه وأخاه وأداته التنفيذيّة ! فلابدّ أن يبتهج إذا ما أراد النبيّ أن يوصي له ، ولابدّ أن يؤيّده ، ويرى كلامه وحياً منزلاً ! فلماذا أثار تلك الضجّة مشاقّة لرسول الله ، فيقول بعض الحاضرين : ائتوا بالكتف والدواة كما قال رسول الله ، وبعض آخر يرى ما رآه عمر فلا حاجة إلى ذلك ؟

هذه كلّها قرائن وأدلّة ساطعة كالشمس ، وهي تكشف لنا أنّ المراد من كتابة رسول الله كتابة خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وتفصيل حديث الثَّقَلَين المتكرّر .

ولو كانت الأحاديث المأثورة عن عائشة صحيحة أيضاً ، فعليك أن تعدّها محكمة بهذه القرائن الكثيرة ، في الأحاديث العديدة التي ذكرها البخاريّ ، ومسلم ، وأحمد ، وغيرهم ، وسندها صحيح أيضاً ، وتعدّ أحاديث أحمد متشابهة ، وتُرجع تلك إلى هذه ، فتكون قد قمت بعمل عقلائيّ ، وأرحتَ نفسك والمسلمين وأتباع مذهبك ، ونفضتَ عنك غبار الجهل والإصرار على العناد بشهادة أَنّ عَلِيّاً أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ وَسَيّدُ الوَصِيّينَ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ! وهذا هو الصراط المستقيم .

بَيْدَ أنّك لم تفعل ذلك ! وحسبتَ الشيعة ضالّين إذ وصفتهم بالغباء والحمق ، وظننتَ أنّ الموضوع قد انتهى عند هذا الحدّ ! هَيهاتَ ! هَيهاتَ ! فإنّ الآيات الظاهرة مَعْلَم على إخفاء الحقيقة . ونحن الشيعة نحمّلكم أنتم

العلماء والمصنّفون والمؤلّفون وِزر الأُمّة المسكينة وإصرها ، فإنّكم زوّرتم الحقائق مع علمكم وتدبيركم ! إنّكم عجزتم عن أن تفعلوا شيئاً لهذه الأحاديث الصحيحة المرويّة في صحاحكم عن ابن عبّاس وهي أظهر من الشمس في دلالتها ! وعجزتم عن أن تقدحوا في صحّتها ! وعجزتم عن أن تتغاضوا عنها فتريحوا أنفسكم من شرّها ! عجزتم عن ذلك كلّه وجئتم فحسبتموها متشابهة بهذا التزوير والدسّ ، وخلتم أنفسكم من الراسخين في العلم وجلستم مجلسهم وَالرّ سِخُونَ فِى الْعِلْمِ [208] واحسرتاه ، إذ لم تعلموا أنّهم يريدون أن يضلّوكم وينزلوكم من مجلسكم .

البحث الحادي عشر : إنّ الأجوبة التي قدّمها علماء العامّة لهذا الحديث تتمثّل في أنّ مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله من هذه الكتابة لم يكن الوصيّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وتعود محصّلة تلك الأجوبة إلى عدد من الأجوبة ، هي :

الأوّل : لعلّ رسول الله حين أمرهم بإحضار الدواة والكتف لم يكن قاصداً لكتابة شيء من الأشياء ، وإنّما أراد بكلامه مجرّد اختبارهم ، هل يطيع أحد أمره أم لا ؟ كاختبار الله تعالى إبراهيم في ذبح ولده ، اذ لم يكن القصد حقيقة الذبح ، بل هو اختبار إبراهيم عليه السلام .

وتنبّه عمر الفاروق وحده هنا لهذه النقطة دون غيره من الصحابة ، فمنعهم من الإحضار ، فيجب . على هذا . عدّ تلك الممانعة في جملة كراماته وموافقاته لربّه تعالى .

ولا يصحّ هذا الجواب ، لأنّ قوله : لَا تَضِلّوا يأبى ذلك ، لأنّه جواب ثان لأمر رسول الله : ائْتُونِي ، وجوابه الأوّل : أَكْتُبْ . فمعناه أنّكم إن أتيتم بالدواة والكتف ، أكتب لكم ، وإذا كتبتُ لا تضلّوا بعده ! ولا يخفى أنّ الإخبار بمثل هذا الخبر لمجرّد الاختبار إنّما هو نوع من الكذب الواضح الذي يجب تنزيه كلام الأنبياء عليهم السلام عنه ، لا سيّما في موضع يكون ترك إحضار الدواة والكتف أولى من إحضارهما .

مضافاً إلى ذلك ، أنّ صريح الحديث يدلّ على أنّ هذه الواقعة إنّما كانت حال احتضار رسول الله ، فالوقت لم يكن وقت اختبار ، وإنّما كان وقت إعذار وإنذار ، ووصيّة بكلّ مهمّة ، ونظر في الأُمور الواجبة الذكر ، ونصح تامّ للأُمّة .

والمحتضر بعيد عن الهزل والمفاكهة ، مشغول بنفسه وبمهمّاته ، ومهمّات ذويه ، ولا سيّما إذا كان نبيّاً . وإذا كانت صحّته مدّة حياته كلّها لم تسع اختبارهم ، فكيف يسعها وقت احتضاره ؟

على أنّ قوله صلّى الله عليه وآله حين أكثروا اللغو واللّغَط والاختلاف عنده : «قوموا» ظاهر في استيائه منهم . ولو كان الممانعون مصيبين لاستحسن ممانعتهم ، وأظهر الارتياح إليها .

ومَن أَلَمّ بأطراف هذا الحديث ، وبخاصّة قول عمر : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ يقطع بأنّهم كانوا عالمين أنّه إنّما يريد أمراً يكرهونه ، ولذا تجاسروا بكلمة هَجَرَ رَسُولُ اللهِ تلك وأكثروا عنده اللغو واللغط والاختلاف كما لا يخفى ، وبكاء ابن عبّاس بعد ذلك لهذه الحادثة ، وعدّها رزيّة دليل على بطلان هذا الجواب .

ولو كان هذا الأمر للاختبار ، فإنّه دليل على ذمّ عمر لا مدحه ، لأنّه سقط فيه ! ونحن نجد في الأمر الاختباريّ كما في قصّة إبراهيم عليه السلام أنّه عمل حسب الأمر الموجّه إليه ، لكنّ الله حال بينه وبين تنفيذ العمل . أمّا عمر فإنّه لم يأتمر بل خالف منذ البداية . ولو قام وأتى بالكتف والدواة ، ومنعه رسول الله صلّى الله عليه وآله من ذلك ، لكان هذا التسويغ موجّهاً ، بَيدَ أنّ الموضوع على عكس ذلك !

الثاني : إنّ أمره صلّى الله عليه وآله هنا لم يكن أمر عزيمة وإيجاب حتّى لا يجوز ردّه ، ويصير الرادّ عاصياً ، بل كان أمر مشورة . لأنّ الناس كانوا يردّون كلام النبيّ في بعض تلك الأوامر ، ولا سيّما عمر ،

فإنّه كان يعلم من نفسه أنّه موفّق للصواب في إدراك المصالح ، وكان صاحب إلهام من الله تعالى . وقد أراد التخفيف عن النبيّ إشفاقاً عليه من التعب الذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض والوجع ، وقد رأى أنّ ترك إحضار الدواة والبياض أولى .

وربّما خشي أن يكتب النبيّ صلّى الله عليه وآله أُموراً يعجز الناس فيستحقّون العقوبة بسبب ذلك ، لأنّها تكون منصوصة لا سبيل إلى الاجتهاد فيها .

ولعلّه خاف من المنافقين أن يقدحوا في صحّة ذلك الكتاب لكونه في حال المرض فيصير سبباً للفتنة ، فقال : حَسبُنَا كِتَابُ اللهِ لقوله تعالى : مّا فَرّطْنَا فِى الْكِتَبِ مِن شَىْءٍ . (209) وقوله : الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى . (210) وكأنّ عمر أمِنَ من ضلال الأُمّة حيث أكمل الله لها الدين وأتمّ عليها النعمة ، لذا قال : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ .

وهذا الجواب لا يصحّ أيضاً ، لأنّ قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : لَا تَضِلّوا يفيد أنّ الأمر أمر عزيمة وإيجاب لا أمر مشورة . لأنّ السعي فيما يوجب الأمن من الضلال واجب مع القدرة عليه بلا ارتياب . واستياء النبيّ صلّى الله عليه وآله منهم وقوله لهم : قوموا ، حين لم يمتثلوا أمره دليل آخر على أنّ أمره إنّما كان للإيجاب لا للمشورة .

ومضافاً إلى ذلك فإنّهم قالوا : إنّ عمر كان موفّقاً للصواب في إدراك المصالح ، وكان صاحب إلهام من الله تعالى . وهذا ممّا لا يُصغى إليه في مقامنا هذا ، لأنّه يرمي إلى أنّ الصواب في هذه الواقعة إنّما كان في جانبه لا في جانب النبيّ صلّى الله عليه وآله ، وأنّ إلهام عمر يومئذٍ كان أصدق من الوحي الذي نطق عنه الصادق الأمين صلّى الله عليه وآله .

وإذا قال أحد هنا لردّ الأمر الإيجابيّ : لو كان الإتيان بالدواة والكتاب واجباً ، وكانت الكتابة واجبة على النبيّ ، ما تركها بمجرّد مخالفتهم ، كما أنّه لم يترك التبليغ بسبب مخالفة الكافرين .

وجوابه : لو تمّ هذا الكلام ، فإنّما يفيد كون كتابة ذلك الكتاب غير واجبة على النبيّ صلّى الله عليه وآله . وهذا لا يُنافي وجوب الإتيان بالدواة والكتف عليهم حين أمرهم النبيّ به ، وبيّن لهم أنّ فائدته الأمن من الضلال ودوام الهداية لهم . إذ الأصل في الأمر إنّما هو الوجوب على المأمور ، لا على الآمر ، ولا سيّما إذا كانت فائدته إلى المأمور خاصّة ، والوجوب عليهم هو محلّ الكلام ، لا الوجوب عليه . على أنّه يمكن أن يكون واجباً على النبيّ أيضاً ، ثمّ سقط الوجوب عنه بعدم امتثالهم ، وقولهم : هَجَرَ ، حيث لم يبق لذلك الكتاب أثر سوى الفتنة والفساد .

الثالث : إنّ عمر لم يفهم من كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ ذلك الكتاب سيكون سبباً لحفظ كلّ فرد من أفراد الأُمّة من الضلال ، بحيث لا يضلّ بعده منهم أحد أصلاً ، وإنّما فهم من قوله : لا تضلّوا ، أنّكم لا تجتمعون على الضلال بقضّكم وقضيضكم ، وكان يعلم أنّ اجتماعهم على الضلال ممّا لا يكون أبداً ، وبسبب ذلك لم يجد أثراً لكتابته . وظنّ أنّ مراد النبيّ ليس إلّا زيادة الاحتياط في الأمر ، لما جُبِل عليه من وفور الرحمة . فعارضه تلك المعارضة بناءً منه على أنّ الأمر ليس للإيجاب .

وهذا الجواب غير سديد أيضاً ، لأنّ قوله : لا تضلّوا يفيد أنّ الأمر للإيجاب ، واستياءه منهم دليل على أنّهم تركوا أمراً من الواجبات عليهم . وهذا المعنى هو المتبادر من الحديث إلى أفهام الناس ، وفهم القرويّ والحضريّ على أنّه لو كُتب ، لكان علّة تامّة في حفظ كلّ فرد من الضلال . وعمر لم يكن بهذا المقدار من البعد عن الفهم ، فيفهم أنّ مراده عدم اجتماع الأُمّة على الضلال .

وكان عمر يعلم يقيناً أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله لم يكن خائفاً على أُمّته أن تجتمع على الضلال ، لأنّه كان يسمع قوله صلّى الله عليه وآله : لَا تَجْتَمِعُ أُمّتِي عَلَى ضَلَالٍ . وَلَا تَجْتَمِعُ عَلَى الخَطَأ . وكان يسمع قوله : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقّ . وكان يقرأ قوله تعالى : وَعَدَ اللهُ الّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصّلِحَتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكّنَنّ لَهُمْ دِينَهُمُ الّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُم مّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا . (211) إلى كثير من نصوص الكتاب والسنّة الصريحين بأنّ الأُمّة لا تجتمع بأسرها على الضلال .

فلا يعقل مع هذا أن يسنح في خواطر عمر أو غيره أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله حين طلب الدواة والكتف كان خائفاً من اجتماع أُمّته على الضلال . والذي يليق بعمر أن يفهم من الحديث ما يتبادر منه إلى الأذهان ، لا ما تنفيه صِحاح السنّة ومحكمات القرآن .

على أنّ استياء رسول الله منهم دليل على أنّ الذي تركوه كان من الواجب عليهم . ولو كانت معارضة عمر عن اشتباه منه في فهم الحديث كما زعموا ، لأزال النبيّ شبهته ، وأبان له مراده منه ، بل لو كان في وسع النبيّ أن يقنعهم بما أمرهم به ، لما آثر إخراجهم عنه .

وبكاء ابن عبّاس وجزعه من أكبر الأدلّة على ما نقوله . والإنصاف أنّ هذه الرزيّة من أعظم الرزايا التي حلّت بالنبيّ والإسلام والشرف والإنسانيّة ، وهي ممّا يضيق عنها نطاق العذر عن عمر دفاعاً عن ساحته .

وقولهم : خاف عمر من المنافقين أن يقدحوا في صحّة ذلك الكتاب لكونه صلّى الله عليه وآله في حال المرض ، فيصير سبباً للفتنة ، اعتباط ومحال ، مع وجود قوله صلّى الله عليه وآله : لاتضلّوا ، لأنّه نصّ بأنّ ذلك الكتاب سبب للأمن عليهم من الضلال ، فكيف يمكن أن يكون سبباً للفتنة بقدح المنافقين ؟

وإذا كان عمر خائفاً من المنافقين أن يقدحوا في صحّة ذلك الكتاب ، فلماذا بذر لهم بذرة القدح ، حيث عارض ومانع وقال : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ .

وأمّا قولهم في تفسير قوله : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ أنّه تعالى قال : «ما فرّطنا في الكتاب من شيء» وقال : «اليوم أكملتُ لكم دينكم» فغير صحيح ، لأنّ الآيتين لا تفيدان الأمن من الضلال ، ولا تضمنان الهداية للناس . فكيف يجوز ترك السعي في ذلك الكتاب اعتماداً عليهما ؟

ولو كان وجود القرآن العزيز موجباً للأمن من الضلال ، لما وقع في هذه الأُمّة من الضلال والتفرّق ما لا يُرجَى زواله .

ولم يكن مراد رسول الله من الكتاب كتابة الأحكام ، حتّى يقال في جوابه : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ . ولو فرض أنّ مراده كان كتابة الأحكام ، فلعلّ النصّ عليها منه كان سبباً للأمن من الضلال ، فلا وجه لترك السعي في ذلك النصّ اكتفاءً بالقرآن .

ولو فرضنا أنّه لم يكن لذلك الكتاب أثر إلّا الأمن من الضلال بمجرّده ، لما صحّ تركه والإعراض عنه أيضاً اعتماداً على أنّ كتاب الله جامع لكلّ شيء . وهذا كلام لا يُعقَل .

إنّ الأُمّة الإسلاميّة بحاجة ماسّة إلى السنّة المقدّسة ، ولا تستغني عنها بكتاب الله تعالى وإن كان جامعاً مانعاً ، لأنّ الاستنباط منه غير مقدور لكلّ أحد .

ولو كان كتاب الله مغنياً عن بيان الرسول ، ما أمر الله نبيّه ببيانه للناس ، إذ قال : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلنّاسِ مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ . (212)

وأجاب البعض عن فعل عمر بأنّه على خلاف سيرة القوم كَفَرْطَةٍ سَبَقَتْ وَفَلْتَةٍ نَذَرَتْ . ونحن لا نعلم وجه صحّته مفصّلاً .

وهذا غير سديد أيضاً ، لأنّ القضيّة لو كانت زلّة مؤقّتة مضت في وقتها ولم تُعْقِب شيئاً ، لأمكن التغاضي عنها . بَيدَ أنّها لم تكن كذلك ، إذ أعقبت نتائج سيّئة للنبوّة والولاية وحياة البشريّة والمسلمين حتّى قيام قائم آل محمّد صلّى الله عليه وآله .

إنّ هذه الفرطة والفلتة كعمل ضئيل يسير يتمثّل في إصدار قائد الجيش أمراً يُبيد فيه جنوده برمّتهم . وهي كالضغط على زرّ قنبلة هيدروجينيّة أو ذرّيّة ، فيحيل الضاغط قارّة بأسرها رماداً على غرّة . وينبغي أن لا نقول عملاً ضئيلاً يمكن التغاضي عنه ، إذ لابدّ أن نرى مدى أثره إلى أقصى مداه في العالم . مضافاً إلى ذلك ، أنّنا لم نجد أنّ عمر قد ندم على عمله ، بل كان يزداد انتهاكاً وتعدّياً على مرّ الأيّام منذ الوقت الذي رتّب فيه ذلك المجلس المعروف . فهل يمكن التغاضي عن هذا الإصر ؟!

إنّ جرائم عمر لم تقتصر على أهل بيت النبوّة وبني عبد المطّلب وعلى رأسهم عليّ بن أبي طالب وبضعة الرسول الكريمة فاطمة الزهراء ، بل امتدّت فغيّرت مجرى التأريخ الإسلاميّ . إنّه أساء إلى خطّ النبوّة وانتهك قداسته ، وخان إبراهيم وموسى والمسيح ، وأضرّ بأصل الإنسانيّة ومسّ شرفها وخلودها . وأغار على موكب السائرين في طريق المعرفة ، وترك الدنيا ناراً مستعرة ، وشلّ الخطّة التي أتى بها رسول الله بأمر ربّه من أجل خير الناس وإعدادهم لدخول الجنّة . فلو كانت قضيّة عمر منحصرة في جنايته على أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء وحدهما ، لأمكن التغاضي عنها .

إنّه حطّم كيان الصدق والأمانة ، واشتبك مع روح النبوّة من خلال نسبة الهجر إلى القطب الأوّل في عالم الوجود ، وتشكيل مشهد المنع ، وردّ الاعتراض . إنّه طَيّن عين الشمس .

شوربختان به آرزو خواهند
مقبلان را زوال نعمت وجاه
گر نبيند به روز شب پره چشم
چشمه آفتاب را چه گناه
راست خواهى هزار چشم چنان
كور ، بهتر كه آفتاب سياه (213)

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام روح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسرّه ونفسه النفيسة . وكان عالماً بالكتاب والسنّة ، عارفاً بالله ومبدأه ومعاده . ولم يكن أحد مثله كما أجمعت على ذلك الأُمّة بأسرها . أمّا عمر فقد سلّط فأسه على جذر هكذا شجرة ، وحاول تنزيله من مقامه الشامخ ليرديه إلى الأرض ! لقد عزل أمير المؤمنين ، أو حقيقة العلم والمعلّم الثاني للأُمّة بعد رسول الله ، ولم يعزله خمساً وعشرين سنة فحسب ، بل عزله حتّى ظهور الإمام المهديّ . وقد طمس معنى القرآن وتفسيره وتأويله ، وقدّمه إلى الأُمّة جسداً بلا روح كالورق . ولو كان عمله جزئيّاً وفلتة وفرطة ، فلا معنى عندنا للعمل العامّ والمهمّ .

وهنا يتبيّن كلام رسول الله : مَا أُوذِيَ نَبِيّ مِثْلَمَا أُوذِيتُ قَطّ . إنّه الأذى الروحي الذي عاناه رسول الله صلّى الله عليه وآله من مقرّبين كهؤلاء حتّى قال وهو يحتضر : قوموا ، اذهبوا ، وأعرض بوجهه الكريم عنهم ، ورأى أنّ أفضل هديّة يقدّمها لابنته فاطمة بعده هي الموت . ولمّا أخبرها أنّها أوّل أهله لحوقاً به ، سُرّتْ وضحكت . أيّ فاطمة هي ؟ إنّها فاطمة التي قال الشاعر في حقّها :

مِشْكَاةُ نُورِ اللهِ جَلّ جَلَالُهُ
زَيْتُونَة عَمّ الوَرَى بَرَكَاتُهَا
هِيَ قُطْبُ دَائِرَةِ الوُجُودِ وَنُقْطَةٌ
لَمّا تَنَزّلَتْ أَكْثَرَت كَثَرَاتِهَا
هِيَ أَحْمَدُ الثّانِي وَأَحْمَدُ عَصْرِهَا
هِيَ عُنْصُرُ التّوْحِيدِ فِي عَرَصَاتِهَا (214)

وأوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالصبر والاستقامة حفظاً للإسلام وبقاءً للشرف الإنسانيّ ، وصبر عليه السلام واستقام حتّى حار الصبر والاستقامة منه .

وينبغي أن لا نتلمّس شجاعة عليّ في السيف يوم أُحُد ، وبدر ، والأحزاب ، وحُنَين . بل نتلمّسها هنا ، إذ السيف بيده ولم يضرب به ، ولم يسفك قطرة دم واحدة حتّى لو عصروا فاطمة بين الباب والجدار . ذلك أنّ حبيبه رسول الله قال له : إن لم تجد ناصراً ، فلا تُشهر سيفك !

غير از على ، كه لايق پيغمبرى بُدى ؟
گر خواجه رسل نبُدى ختم أنبياء
فردا كه هر كسى به شفيعى زنند دست
دست من است ودامن معصوم مرتضى (215)

يقول القاضي نور الله الشوشتريّ في «مجالس المؤمنين» في باب تشيّع سعدي الشيرازيّ : من جملة أشعار الشيخ العظيم التي تدلّ على صحّة عقيدته البيتان المذكوران اللذان رأيتهما في نسخة قديمة من ديوانه .

ويمكن أن نعد شعره في ديباجة «بوستان» دليلاً آخراً على تشيّعه أيضاً ؛ يقول :

خدايا به حقّ بنى فاطمه
كه بر قول ايمان كنم خاتمه
اگر دعوتم رد كنى يا قبول
من ودست دامان آل رسول (216)

ويرشدنا البيت الآتي أيضاً بصراحة إلى ولائه لإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وولايته :

سعديا شرمى بدار آخر چه مترسبگو
نيست بعد از مصطفى مولاى ما إلّا على (217)

روى أبو نُعَيم الإصفهانيّ بسنده عن أبي صالح الحنفيّ ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَوْصِنِي ! قَالَ : قُلْ رَبّيَ اللهُ ثُمّ اسْتَقِمْ ! قَالَ : قُلْتُ : اللهُ رَبّي وَمَا تَوْفِيقِي إِلّا بِاللهِ ، عَلَيْهِ تَوَكّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ! فَقَالَ : لِيَهنِكَ العِلْمُ أَبَا الحَسَنِ لَقَدْ شَرِبْتَ العِلْمَ شُرْباً ، وَنَهِلْتَهُ نَهْلاً .

ونحن لا نجد أحداً من الصحابة مطّلعاً على سرّ عالَم الوجود وسبيل الخير والسعادة وطريق الحصانة من الآفات والعاهات الروحيّة والمعنويّة كأمير المؤمنين عليه السلام ، وخطبه وكلماته كخطب رسول الله وكلماته ، وكأنّه هو ورسول الله قد تناميا من جذر واحد . فهما عليهما الصلاة والسلام من منظار التحليل العلميّ في خطّ واحد ومسير واحد . لذا يجب أن يكون عليّ خليفة محمّد صلّى الله عليهما وسلّم .

انظر في الكلمات الآتية المأثورة عن أمير المؤمنين ، فهي في قوّتها ورصانتها ككلمات رسول الله صلّى الله عليه وآله :

روى أبو نُعَيم بسنده عن قيس بن أبي حازم أنّه قال : قال عليّ عليه السلام : كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدّ اهْتِمَاماً مِنْكُمْ بِالعَمَلِ ! فَإِنّهُ لَنْ يَقِلّ عَمَلٌ مَعَ التّقْوَى ، وَكَيْفَ يَقِلّ عَمَلٌ يُتَقَبّلُ ؟

وروى أيضاً عن عبد خَير ، عن عليّ عليه السلام قال : لَيْسَ الخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ وَلَكِنّ الخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ ، وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ تُبَاهِيَ النّاسَ بِعِبَادَةِ رَبّكَ . فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدتَ اللهَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرْتَ اللهَ . وَلَا خَيْرَ فِي الدّنْيَا إلّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ أَذْنَبَ ذَنْباً فَهُوَ تَدَارَكَ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ ، أَوْ رَجُلٍ يُسَارِعُ فِي الخَيْرَاتِ ، وَلَا يَقِلّ عَمَلٌ فِي تَقْوَى ، وَكَيْفَ يَقِلّ مَا يُتَقَبّلُ ؟

وروى أيضاً بسنده عن عِكْرَمة بن خالد أنّه قال ، وكذلك بسنده الآخر عن أبي زَغَل أنّه قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : احْفَظُوا عَنّي خَمْساً ! فَلَوْ رَكِبْتُمُ الإبِلَ فِي طَلَبِهَا لَأَنْضَيْتُمُوهُنّ قَبلَ أَن تُدْرِكُوهُنّ : لَا يَرْجُو عَبْدٌ إلّا رَبّهُ ، وَلَا يَخَافُ إلّا ذَنْبَهُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي جَاهِلٌ أَن يَسْأَلَ عَمّا لَا يَعْلَمُ ، وَلَا يَسْتَحْيِي عَالِمٌ إذَا سُئِلَ عَمّا لَا يَعْلَمُ أَن يَقُولَ : اللهُ أَعْلَمُ . وَالصّبْرُ مِنَ الإيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرّأْسِ مِنَ الجَسَدِ . وَلَا إيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ .

وروى أيضاً بسنده عن المهاجر بن عُمَير أنّه قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : إنّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ اتّبَاعُ الهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ . فَأَمّا اتّبَاعُ الهَوَى فَيَصُدّ عَنِ الحَقّ ، وَأَمّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ .

أَلَا وَإِنّ الدّنْيَا قَدْ تَرَحّلَتْ مُدْبِرَةً . أَلَا وَإِنّ الآخِرَةَ قَدْ تَرَحّلَتْ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بَنُونَ . فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدّنْيَا ، فَإِنّ اليَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ . (218)

وكذلك روى بسنده عن عاصم بن ضُمَرَة أنّه قال : قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام : أَلَا إنّ الفَقِيهَ كُلّ الفَقِيهِ الّذِي لَا يُقَنّطُ النّاسَ مِن رَحْمَةِ اللهِ ، وَلَا يُؤَمّنُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ ، وَلَا يُرَخّصُ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ ، وَلَا يَدَعُ القُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إلَى غَيْرِهِ . وَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَا عِلْمَ فِيهَا ، وَلَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا فَهْمَ فِيهِ ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبّرَ فِيهَا . (219)

وروى أيضاً بسنده عن عمرو بن مُرّة ، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : كُونُوا يَنَابِيعَ العِلْمِ ، مَصَابِيحَ اللّيْلِ ، خَلِقَ الثّيَابِ ، جُدُدَ القُلُوبِ ، تُعْرَفُوا بِهِ فِي السّمَاءِ ، وَتُذْكَرُوا بِهِ فِي الأَرْضِ . (220)

وروى بسنده عن أبي أراكة أنّه قال : صَلّى عَلِيّ الغَدَاةَ ثُمّ لَبِثَ فِي مَجْلِسِهِ حَتّى ارْتَفَعَتِ الشّمْسُ قَيْدَ رُمْحٍ كَأَنّ عَلَيْهِ كَآبَةً . ثُمّ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَداً يُشْبِهُهُمْ . وَاللهِ إنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْثاً غُبْراً صُفْراً ، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكَبِ المَعْزَى ، قَدْ بَاتُوا يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ (بين السجود والقيام) ، (221) إذَا ذُكِرَ اللهُ مَادُوا كَمَا تَمِيدُ الشّجَرَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ ، فَانْهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتّى تَبُلّ وَاللهِ ثِيَابُهُمْ ، وَاللهِ لَكَأَنّ القَوْمَ بَاتُوا غَافِلِينَ . (222)

وروى بسنده عن نوف البِكاليّ أنّه قال : رأيتُ عليّ بن أبي طالب خرج ونظر في النجوم وقال : يَا نَوْفُ ! أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ ؟! قُلْتُ : بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ : يَا نَوْفُ ! طُوبَى لِلزّاهِدِينَ فِي الدّنْيَا ، الرّاغِبِينَ فِي الآخِرَةِ ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتّخَذُوا الأَرْضَ بِسَاطاً ، وَتُرَابَهَا فِرَاشاً ، وَمَاءَهَا طِيباً ، وَالقُرْآنَ والدّعَاءَ دِثَاراً وَشِعاراً ، قَرَضُوا الدّنْيَا عَلَى مِنْهَاجِ المَسِيحِ عَلَيْهِ السّلَامُ .

يَا نَوْفُ ! إنّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إلَى عِيسَى أَنْ مُرْ بَنِي إسْرَائِيلَ أَنْ لَا يَدْخُلُوا بَيْتاً مِنْ بُيُوتِي إلّا بِقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ ، وَأَبْصَارٍ خَاشِعَةٍ ، وَأَيْدٍ نَقِيّةٍ ، فَإِنّي لَا أَسْتَجِيبُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ .

يَا نَوْفُ ! لَا تَكُنْ شَاعِراً ، وَلَا عَرِيفاً ، وَلَا شُرْطِيّاً ، وَلَا جَابِياً ، وَلَا عَشّاراً ، فَإِنّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلَامُ قَامَ فِي سَاعَةٍ مِنَ اللّيْلِ فَقَالَ : إنّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو عَبْدٌ إلّا اسْتُجِيبَ لَهُ فِيهَا ، إلّا أَنْ يَكُونَ عَرِيفاً ، أَوْ شُرطِيّاً ، أَوْ جَابِياً ، أَوْ عَشّاراً ، أَوْ صَاحِبَ عُرْطُبَةٍ . وَهُوَ الطّنْبُورُ . أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ . وَهُوَ الطّبْلُ . . (223)

هل تعلمون لماذا لم يَنْقَدْ أبو بكر ، وعمر وزمرتهما من قريش لأمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين ؟ لأنّهم يعلمون أنّه رجل من هذا الطراز . وهذا هو خطّه ومنهجه ، وهذه هي علومه وزهده ، وهذا هو إنصافه وعدله ، وهذه هي كلماته ومواعظه .

إنّ عليهم أن يلملموا رحلهم في ظلّ حكومة عليّ ، وعليهم أن يكونوا مأمورين بالسير في هذه الطرق ، بَيدَ أنّهم لا يريدون ذلك ، يريدون أن يكونوا أُمراء ، أُمراء في تعبئة الجيوش ، والانتهاك ، والعدوان ، والغارة ، والأسر ، لا لله ولا في الله ، بل حبّاً لرئاستهم ، وإن اقترنت أعمالهم تلك بضروب الظلم والعدوان ، لذلك فهم يهجون حكومة عليّ ، ويرونها في غير سَدَد .

وأنا مشغول الآن بكتابة هذه الكلمات ، خطر في ذهني معنى لقول عمر : هَجَرَ رَسُولُ اللهِ . وهو أنّه أراد أن يقول : رئاسة عليّ وإمارته ، وحكومته هَجْر وهذيان ، كقولنا : إنّ الموضوع الفلانيّ ناتج عن رؤيا مضطربة . أنّه يقول : إنّ كلام رسول الله في أبديّة الثقلين يتعذّر قبوله إلى درجة أنّه عين الهجر والهذيان .

أمّا عليّ فقد اجتاز أنانيّة الهوى والهوس ، ولَحِقَ بالحقّ ، واندكّ في الذات الأحديّة ، ووقّف نفسه فداءً لله ورسوله ، فما علاقته بمكيدة القوم التي اختدموها لإقرار حكومتهم ؟ وما أروع الشعر الذي نظمه سماحة أُستاذنا الأكرم آية الله العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله نفسه الشريفة ! حيث قال :

دامن از انديشه باطل بكش
دست از آلودگى دل بكش
كار چنان كن كه در اين تيره خاك
دامن عصمت نكنى چاك چاك (224)
يا به دل انديشه جانان ميار
يا به زبان ، نام دل وجان ميار
پيش نياور سخن گنج را
ور نه فراموش نما رنج را
يا منگر سوى بتان تيز تيز
يا قدم دل بكش از رستخيز
روى بتان گرچه سراسر خوشاست
كشته آنيم كه عاشق كش است
عشق بلند آمد ودلبر غيور
در أدب آويز رها كن غرور
چرخ بدين سلسله پا در گل است
عقل بدين مرحله لايعقل است
جان وجسد سوخته زين مرهمند
مُلك ومَلَك سوخته اين غمند (225)

أجل ، إنّ عليّاً هو الذي اجتاز الكون والمكان ، وطاطأ رأسه مسلّماً خاضعاً لعبوديّة الحقّ .

صَلّى اللهُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الحَسَنِ وَعَلَى زَوْجَتِكَ الطّاهِرَةِ وَأَوْلَادِكَ الطّاهِرِينَ مَا بَقِيَ اللّيْلُ وَالنّهَارُ .

مهر تو را به عالم امكان نمىدهم

اين گنج پربهاست من ارزان نمىدهم
يك قطره از سرشگ كه ريزم به يادشان
آن قطره را به گوهر غلطان نمىدهم
گر انتخاب جنّت وكوثر به من دهند
كوى تو را به جنّت ورضوان نمىدهم (226)
نام تو را به نزد أجانب نمىبرم
چون اسم أعظم است ، به ديوان نمىدهم
من را غلامى تو بود تاج افتخار
اين تاج را به افسر شاهان نمىدهم
دست طلب زدامنشان من نمىكشم
دل را به غير عترت وقرآن نمىدهم
درّ ولايتى كه نهفتم ازو به دل
تابنده گوهرى است من ارزان نمىدهم
در عاريت سراى جهان ! جان عاريت
جز در ثناى حضرت جانان نمىدهم
آل علي است جان جهان وجهان جان
بمهرشان به قابض جان ، جان نمىدهم
جان مىدهم به شوق وصال تو يا على
تا بر سرم قدم ننهى جان نمىدهم (227)
امروز هر كسى به بُتى جان سپرده است
من سر به غير قبله ايمان نمىدهم (228)

وروى أبو نعيم الإصفهانيّ بسنديه عن حُذيفة بن اليمان أنّه قال : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَا تَسْتَخْلِفُ عَلِيّاً ؟ قَالَ : إنْ تُوَلّوا عَلِيّاً تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً يَسْلُكُ بِكُمُ الطّرِيقَ المُسْتَقِيمَ . (229)

وكذلك روى بسندين عن حُذيفة أنّه قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنْ تَسْتَخْلِفُوا عَلِيّاً . وَمَا أَرَاكُمْ فَاعِلِينَ . تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً يَحْمِلُكُمْ عَلَى المَحَجّةِ البَيْضَاءِ . (230)

حَفِظْتَ رَسُولَ اللهِ فِينَا وَعَهْدَهُ
إلَيْكَ وَمَنْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ مَنْ وَمَنْ
أَلَسْتَ أَخَاهُ فِي الهُدَى وَوَصِيّهُ
وَأَعْلَمَ مِنْهُمْ بِالكِتَابِ وَبِالسّنَنْ (231)
وَإنّ وَلِيّ الأَمْرِ بَعْدَ مُحَمّدٍ
عَلِيّ وَفِي كُلّ المَوَاطِنِ صَاحِبُهْ
وَصِيّ رَسُولِ اللهِ حَقّاً وَصِنْوُهُ (232)
وَأَوّلُ مَنْ صَلّى وَمَنْ لَانَ جَانِبُهْ (233)

تعليقات:

1) الآية 144 ، من السورة 3 : آل عمران .

2) ذكر المامقانيّ ترجمته في «تنقيح المقال» ج 2 ، ص 68 ، وقال : سماك بن خراشة أبو دجانة الأنصاريّ الخزرجيّ الساعديّ . شهد بدراً وأُحُداً وجميع المشاهد مع رسول الله .

3) الآيات 139 إلى 148 ، من السورة 3 : آل عمران .

4) الآيتان 154 و155 ، من السورة 3 : آل عمران .

5) ذكر السيّد شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 252 و253 ، الطبعة الثانية : أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله نزل يوم أُحد بأصحابه . وهم سبعمائة . في عُدوة الوادي (مكان بعيد في الصحراء) ، وجعل ظهره إلى الجبل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة دارع ، ومائتا فارس ، ومعهم خمس عشرة امرأة . وفي المسلمين مائتا دارع وفارسان . انتهى . أقول : عُدوة بضمّ العين : المكان المتباعد . وبكسرها وفتحها : المكان المرتفع .

6) الآية 25 ، من السورة 9 : براءة .

7) الآية 34 ، من السورة 14 : إبراهيم .

8) الآية 152 ، من السورة 2 : البقرة .

9) الآيتان 82 و83 ، من السورة 38 : ص .

10) الآيتان 39 و40 ، من السورة 15 : الحجر .

11) الآيتان 16 و17 ، من السورة 7 : الأعراف .

12) الآية 155 ، من السورة 3 : آل عمران .

13) الميزان في تفسير القرآن» ج 4 ، ص 37 إلى . 40

14) المغازي» للواقديّ ، ج 1 ، ص 225 ، طبعة الأعلميّ ، بيروت ؛ و«تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 509 ، طبعة دار المعارف ، مصر ؛ و«الكامل في التاريخ» ج 2 ، ص 152 ، طبعة دار صادر ، بيروت .

15) قال في «القاموس» : ذوالفقار (بالفتح) سيف العاص بن منبّه قتل يوم بدر كافراً ، فصار إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ثمّ صار إلى عليّ . وقال ابن الأثير في «النهاية» : إنّه كان اسم سيف النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ذا الفقار ، لأنّه كان فيه حفر صغار حسان . والمفقّر من السيوف الذي فيه حزوز مطمئنّة [عن متنه] .

وقال دهخدا في «لغت نامه» (المعجم اللغويّ) : ذو الفقار ، أي صاحب الفقرات . والفقرة واحدة من فقرات الظهر التي يتكوّن منها العمود الفقريّ . قيل : لمّا كانت فقر صغار لَدِنة في ظهر سيف (ذو الفقار) لذلك عُرِف بهذا الاسم . وهذا السيف ممّا استخلصه رسول الله لنفسه ثمّ أعطاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وإذا ظُنّ أنّ (ذو الفقار) له ظُبّتان أوحدّان فلا أساس لذلك . وجاء في ترجمة «تاريخ الطبريّ» في ذكر خبر غزوة أُحد أنّ الكفّار غلبوا وأحدقوا بالمسلمين ، ووقف النبيّ صلّى الله عليه وآله في مكان ولم يرجع . وكان يدعو الناس ولم يجبه أحد كما قال الله تعالى : حَتّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ . الآية . ولم يبرح النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مكانه وكان يحرّض الناس على الحرب . وكان عليّ عليه السلام يتقدّم الصفوف وهو يقاتل ، وضرب بالسيف الذي كان عنده رأس كافر فاتّقاها بلأمته . وانكسر سيفه لقوّة الحديد . ورجع أمير المؤمنين عليه السلام وقال : يا رسول الله ! كنت أُقاتل وانكسر سيفي . فلا سيف لي . فدفع إليه النبيّ صلّى الله عليه

وآله (ذو الفقار) وقال : خذه يا عليّ ! فأخذه الإمام وقذف نفسه في لهوات الحرب . ورآه النبيّ يقاتل بشجاعة ويضرب به يميناً وشمالاً وأماماً وخلفاً ، فقال : لَا فَتَى إلّا عَلِيّ ، لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ .

حيدر كرّار كوتا بگه كارزار

از گهر لطف اوآب دهد ذو الفقار

للشاعر الخاقانيّ :

يقول : «أين حيدر الكرّار فيأتي وقت الحرب ليُكسب ذا الفقار شأناً من جوهر لطفه (فيسقيه دماء الكفّار) ؟» .

وأورد دهخدا أبياتاً كثيرة نظمها شعراء فُرس في (ذو الفقار) . (أنظر : مادّة ذو الفقار . حرف الذال) .

16) قال عبد الحليم الجنديّ مستشار المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بمصر في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص 21 : في يوم أُحد . أخطر معارك الإسلام . كان عليّ في الحرس إلى جوار النبيّ ، حين أُصيب النبيّ في المعركة . وكان طبيعيّاً أن يصاب عليّ بستّ عشرة ضربة ، كلّ ضربة تلزمه الأرض . وكما يقول سعيد بن المسيّب سيّد التابعين : فما كان يرفعه إلّا جبريل عليه السلام . فلمّا اشتدّ الخطب ، وقتل حامل الراية . مصعب بن عمير . دفع الرسول الراية لعليّ .

17) روضة الصفا» ج 2 ، في غزوة أُحد ، الطبعة الحجريّة ؛ وذكره أيضاً مير خواند في «حبيب السير» ج 1 ، ص . 345

18) السيرة الحلبيّة» تصنيف عليّ بن برهان الدين الحلبيّ الشافعيّ ، ج 2 ، ص . 249

19) قال في «مجمع البحرين» ص 75 ، الطبعة الحجريّة ، مادّة لواء : اللواية العَلَم الكبير ، واللواء دون ذلك . والعرب تضع اللواء موضع الشهرة . ومنه قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : لِوَاءُ الحَمْدِ بِيَدِي . يريد انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤوس الخلائق .

وقال في ص 39 ، مادّة راية : والراية العَلَم الكبير واللواء دون ذلك والراية هي التي يتولّاها صاحب الحرب ويقاتل عليها ، وإليها تميل المقاتلة . واللواء علامة كبكبة الأمير تدور معه حيث دار . وفي الحديث ذكر الراية وهي القلادة التي توضع في عنق الغلام الآبق ليُعلَم أنّه أبق .

وفي «لسان العرب» ج 14 ، ص 351 : الراية العَلَم لا تهمزها العرب ، والجمع رايات ورايٌ وأصلها الهمز ... إلى أن قال : وفي حديث خيبر : سَأُعْطِي الرّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ . الراية ها هنا العلم . يقال : ريّيتُ الراية أي ركزتُها . [وقال] ابن سِيدة : أرأَيتُ الراية [أي] ركزتها . وفي الحديث : الدّينُ رَايَةُ اللهِ فِي الأَرْضِ يَجْعَلُهَا فِي عُنُقِ مَنْ أَذَلّهُ .

وقال ابن الأثير : الراية حديدة مستديرة على قدر العنق تُجعل فيه .

وفي «لسان العرب» ج 15 ص 266 : اللواء : لواء الأمير ، ممدود ، واللؤاء : العَلَم والجمع ألوية وأَلويات ... إلى أن قال : اللواء : الراية ولا يمسكها إلّا صاحبُ الجيش . وفي الحديث : لِكُلّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمُ القِيَامَةِ . أي علامة يشهر بها في الناس ، لأنّ موضوع اللواء شهرة مكان الرئيس . وقال في «صحاح اللغة» في مادّة لواء : ولواء الأمير ممدود . وقال : غَدَاةَ تَسايلت من كلّ أوبٍ كتائب عاقدين لهم لوايا . وهي لغة لبعض العرب ، تقول : احتميتُ احتمايا . وذكر في مادّة روا : والراية : العَلَم . انتهى .

وكانت الراية في غزوة أُحد في يد أمير المؤمنين ، وكان لواء المهاجرين في يد مصعب بن عمير ، ولواء الأنصار في يد سعد بن عبادة ، فلمّا قُتل مصعب ، أعطى رسول الله لواء المهاجرين إلى عليّ عليه السلام ،

فصار منذ يومئذٍ صاحب اللواء وصاحب الراية .

20) قال ابن شهرآشوب في مناقبه ، ج 1 ، ص 191 و192 طبعة قم : جعل [رسول الله صلّى الله عليه وآله] على راية المهاجرين عليّاً عليه السلام . وعلى راية الأنصار سعد بن عُبادة . وقعد في راية الأنصار وهو لابس دِرعَين .

21) قال ابن كثير الدمشقيّ ، في «البداية والنهاية» ج 4 ، ص 20 : روي عن ابن إسحاق أنّ اللواء كان أوّلاً مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فلمّا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لواء المشركين مع [بني] عبد الدار ، قال : نَحْنُ أَحَقّ بِالوَفَاءِ مِنْهُمْ . [فلهذا] أخذ اللواء من عليّ بن أبيّ طالب عليه السلام فدفعه إلى مصعب بن عمير [من بني عبد الدار] فلمّا قُتل مصعب ، أعطى [رسول الله صلّى الله عليه وآله] اللواء عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وذكر ابن هشام في سيرته ، ج 3 ، ص 592 قصّة أخذ أمير المؤمنين عليه السلام اللواء يوم أُحد .

22) المهراس ماء في أُحُد . ولذا سُمّيت وقعة أُحُد بوقعة المهراس أيضاً .

23) قال الواقديّ في «المغازي» ج 1 ، ص 259 : كان أربعة من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يعلمون في الزحوف ، أحدهم أبو دُجانة كان يعصب رأسه بعصابة حمراء ، وكان قومه يعلمون أنّه إذا اعتصب بها أحسن القتال . وكان [أمير المؤمنين] عليّ عليه السلام يُعلم بصوفة بيضاء . وكان الزّبير يُعلم بعصابة صفراء . وكان حمزة يعلم بريش نعامة .

24) قال الطبرسيّ في «إعلام الورى» ص 91 : أُصيب من المسلمين في غزوة أُحد سبعون رجلاً منهم أربعة من المهاجرين : حمزة بن عبد المطّلب ، وعبد الله بن جحش ، ومصعب بن عمير ، وشماس بن عثمان بن الشريد . والباقون من الأنصار . وأقبل يومئذٍ أُبيّ ابن خلف وهو على فَرَسٍ له وهو يقول : هذا ابن أبي كبشة ، بُؤْ بِذَنْبِكَ لَا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ . ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بين الحارث بن الصمّة وسهل بن حنيف يعتمد عليهما ، فحمل عليه ، فوقاه مصعب بن عمير بنفسه ، فطعن مصعباً فقتله ! فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عَنَزة [العنَزَة : مثل نصف الرمح أو أكبر شيئاً ، وفيها سنان مثل سنان الرمح . (م)] فطعن أُبيّاً في جربّان الدرع فهو يخور خوار الثور [حتّى هلك] .

25) ذكر خواند مير في «روضة الصفا» هزيمة عمر وأبي بكر ، وفرار عثمان ثلاثة أيّام .

26) قال ابن الأثير في «النهاية» ج 3 ، ص 210 : العريض : الواسع . وفي حديث أُحد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للمنهزمين : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً ، أيْ : وَاسِعَةً .

27) ورد هذا الموضوع في «روضة الصفا» أيضاً .

28) ذكر ابن هشام في سيرته ج 3 ، ص 593 هذه القصّة بتمامها وكمالها ، وقال : لمّا اشتدّ القتال يوم أُحد ، جلس رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تحت راية الأنصار ، وأرسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أن قدّم الراية . فتقدّم عليّ [أمير المؤمنين] عليه السلام فقال : أنا أبو القَصْم أبو القُصَم . فناداه أبو سعد طلحة بن أبي طلحة . وهو صاحب لواء المشركين . أن هل لكَ يا أبا القُصَم في البراز من حاجة ؟! قال : نعم . فبرزا بين الصفّين ، فاختلفا ضربتين ... إلى آخر القصّة المذكورة .

29) قال ابن الأثير في «النهاية» : الكتيبة : القطعة العظيمة من الجيش . وقال في ج 4 ، ص 148 : وفي حديث السقيفة : نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ وَكَتِيبَةُ الإسلَامِ . والجمع الكتائب . انتهى . والكبش في اللغة السيّد وأمير الجيش . فينبغي . إذن . أن يكون معنى كبش الكتيبة قائد الجيش فحسب .

30) ذكر صاحب «روضة الصفا» هذه القصّة مع اختلاف يسير في اللفظ .

31) قال ابن هشام في سيرته ، ج 3 ، ص 615 : روى بعض أهل العلم عن ابن أبي نجيح قال : نادى منادٍ يوم أُحد : لَا سَيْفَ إلّا ذُو الفَقَارِ ، وَلَا فَتَى إلّا عَلِيّ .

32) ذكر الواقديّ في «المغازي» ج 1 ، ص 279 قصّة قتال أُميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة بهذا النحو وقتله على يد أمير المؤمنين عليه السلام مفصّلاً .

33) ذكره مؤلّف «روضة الصفا» في كتابه أيضاً . وجاء في سيرة ابن هشام : ج 3 ، ص . 615

34) ذكره صاحب «روضة الصفا» في كتابه أيضاً ؛ وورد في سيرة ابن هشام : ج 3 ، ص . 615

35) كانت فاطمة الزهراء سلام الله عليها قد ولدت الإمام الحسن عليه السلام قبل معركة أُحد بشهر واحد ، إذ إنّ ولادة الإمام كانت في 15 رمضان سنة 3 هـ ، وغزوة أُحُد وقعت في 15 شوّال من نفس السنة . ذكر ذلك الطبريّ في تأريخه : ج 2 ، ص 537 وقال : وفيها علقت فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما ، وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلّا خمسون ليلةً .

36) أورد الحمّوئيّ هذين البيتَين في «فرائد السمطين» ج 1 ، ص 252 ؛ وفي «بشارة المصطفى» ص . 346 وجاء فيهما معاً : (رحيم) مكانَ (عليم) .

37) ذكر الطبريّ هذه الأبيات عن أمير المومنين عليه السلام أربعة في تأريخه ، ج 2 ، ص 533الطبعة الثانية ، دار المعارف ، مصر . وكذلك فعل ابن شهرآشوب في مناقبه ، ج 1 ، ص 152 ، طبعة المطبعة العلميّة ، قم ، نقلاً عنه . وأوردا البيتَين الثالث والرابع كالآتي .

وَسَيْفِي بِكَفّي كَالشّهَابِ أَهُزّهُ
أَجُذّ بِهِ مِنْ عَاشِقٍ وَصَمِيمِ
فَمَا زِلْتُ حَتّى فَضّ رَبّي جُمُوعَهُمْ
وَحَتّى شَفَيْنَا نَفْسَ كُلّ حَلِيمِ

38) المقصود من السيف هو ذو الفقار الذي أعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام في يوم أُحُد . وجاء في «ناسخ التواريخ» أنّه عُرف بهذا الاسم لفقرات ونتوءات في ظهره كالعظم . وكان العلويّون يتوارثونه بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام حتّى وصل إلى محمّد النفس الزكيّة بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام . ولمّا أحسّ بدنوّ أجله في حربه مع المنصور العبّاسيّ ، دعا رجلاً من بني النجّار كان له عليه أربعمائة دينار ودفعه إليه وقال : خذه واحفظه عندك . فإذا رآه رجل من آل أبي طالب ، يأخذه ويعطيك حقّك . ولمّا رُشّح جعفر بن سليمان العبّاسيّ لولاية المدينة واليمن ، طلب الرجل المذكور ودفع إليه أربعمائة دينار وأخذه منه .

39) الإرشاد» للشيخ المفيد ، ص 42 إلى 48 ، الطبعة الحجريّة . وذكر الواقديّ أصل القضيّة بلا أشعار ، وذلك في مغازيه : ج 1 ، ص . 249

40) المعمّ : من كرم أعمامه ، وكذلك المخول . والمراد هنا أنّ أعمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخواله كلّهم كرماء النفوس ذوو مجد واعتبار وشأن .

41) الإرشاد» للشيخ المفيد ص 49 ، الطبعة الحجريّة . ونقل ابن هشام الأبيات الثلاثة الأُولى في سيرته ، ج 3 ، ص . 655 وذكر مكان أَسْفَلَ أَسْفَلَا : أَخْوَلَ أَخْوَلَا . وقال ابن الأثير الجَزَريّ في «الكامل» ج 2 ، ص 157 و158 ، طبعة بيروت : وقاتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم أُحُد قتالاً شديداً ، فرمى بالنبل

حتّى فني نبله ، وانكسرت سِيَةَ قَوسه وانقطع وتره . ولمّا جُرح رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جعل عليّ [عليه السلام] ينقل له الماء في درقته من المهراس ويغسله ، فلم ينقطع الدم . فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي ، وأحرقت حصيراً وجعلت على الجرح من رماده ، فانقطع الدم .

42) المناقب» ج 2 ، ص 82 ، طبعة قم ؛ وفي «روضة الصفا» ذُكرت أسماء بعض المقتولين بيده عليه السلام ؛ والواقديّ في «المغازي» ج 1 ، ص 307 و308 ، مقتل طلحة بن أبي طلحة ، وأرطاة بن شرحبيل ، وأبي الحكم بن الأخنس بن شريق ، وأُميّة بن أبي حذيفة ابن المغيرة بِيَدِ سيّد الشجعان عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

43) قال الواقديّ في «المغازي» ج 1 ، ص 260 : وكان كعب بن مالك يقول : أصابني الجراح يوم أُحُد . فلمّا رأيت مَثْلَ المشركين بقتلى المسلمين أشدّ المثل وأقبحه ، قمتُ فتجاوزت عن القتلى حتّى تنجّيت ، فإنّي لفي موضعي ، إذ أقبل خالد بن الأعلم العُقيليّ جامع اللأمَة يحوز المسلمين يقول : استوسقوا كما يُستوسق جُربُ الغَنَم مدجّجاً في الحديد يصيح : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ! لَا تَقْتُلُوا مُحَمّداً اٰسِرُوهُ أَسِيراً حَتّى نُعَرّفُهُ بِمَا صَنَعَ . ويصمد له قُزمان ، فيضربه بالسيف ضربة على عاتقه رأيت منهاسَحْرَه .

44) تسمّى الأسنان الأربع الأماميّة : ثنايا . وهما اثنتان في الفكّ العلويّ واثنتان في الفكّ السفليّ . وتسمّى الأسنان الأربع المتّصلة بها : أنياب . اثنتان في الأعلى واثنتان في الأسفل ، وتسمّى الأسنان الأربع المتّصلة بها : رُباعيّات . اثنتان في أعلى الفم واثنتان في أسفله .

45) قال العلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 254 ، الطبعة الثانية : حين رأى خالد بن الوليد قلّة من بقي من الرماة [من أصحاب النبيّ]حمل عليهم فقتلهم . وشدّ بمن معه على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من خلفهم . وتبادر المنهزمون من المشركين حينئذٍ بنشاط مستأنف لقتال المسلمين حتّى هزموهم بعد أن قتلوا سبعين من أبطالهم فيهم أسد الله و[أسد] رسوله حمزة بن عبد المطّلب . وقاتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يومئذٍ قتالاً شديداً . فرمى بالنبل حتّى فني نبله ، وانكسرت سية قوسه ، وانقطع وتره ، وأُصيب بجرح في وجنته ، وآخر في جبهته ، وكُسرت رباعيّته السفلى ، وشقّت . بأبي هو وأُمّي . شفته ، وعلاه ابن قمئة بالسيف .

46) وَجْنَة ، وِجْنَة ، وُجْنَة ، وَجَنَة ، وَجِنَة ، أَجَنَة ، إجَنَة ، أُجْنَة : ما ارتفع من الخدّين .

47) جَحَشَ الجِلْدَ : قَشَرَهُ وَخَدَشَهُ .

48) قال الطبرسيّ في «إعلام الورى» ، ص 92 : وقيل له في غزوة أُحد : ألا تدعو عليهم ؟! قال : اللَهُمّ اهْدِ قَوْمِي فَإنّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . ورمى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ابن قميئة بقذّافة فأصاب كفّه حتّى ندر السيف من يده وقال : خُذها مِنّي وَأَنَا ابنُ قميئة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : أَذلّك الله وأقمأك . وضربه عتبة بن أبي وقّاص بالسيف حتّى أدمى فاه ، ورماه عبد الله بن شهاب بقلاعة فأصاب مرفقه .

49) المغازي» ج 1 ، ص 243 و . 244

50) المغازي» ج 1 ، ص . 247

51) الآية 153 ، من السورة 3 : آل عمران .

52) الآية 144 ، من السورة 3 : آل عمران .

53) حكى آية الله السيّد شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 254 ، الطبعة الثانية ، عن «الكامل» لابن الأثير (أنّ الناس لمّا جعلوا يقولون : قُتِل محمّد ، قُتِل محمّد ، فأوغل المسلمون في الهرب

على غير رشد) . وكان أوّل من عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كعب بن مالك ، فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ! أبشروا ، هذا رسول الله حيّ لم يُقْتَل . فأشار إليه [رسول الله] أن أنصت . (مخافة أن يسمع العدوّ فيهجم عليه) . وقال في ص 255 : بعد غلبة الكفّار واستشهاد حمزة والتمثيل به ، أشرف أبو سفيان على المسلمين فقال : أفي القوم محمّد ؟ ثلاثاً . فقال رسول الله : لا تُجيبوه ! فقال أبو سفيان : أُنشدك الله يا عمر أقتلنا محمّداً ؟ قال عمر : اللهمّ لا وإنّه ليسمع كلامك ! نرى هنا أنّ عمر خالف رسول الله بصراحة ، وقد أعلن للعدوّ أنّه حيّ في وقت كانت حياته صلّى الله عليه وآله في خطر .

54) قال في «صحاح اللغة» ص 2363: الأُرْوِيّة : الأُنْثَى مِنَ الوُعُولِ .

55) الآية 145 ، من السورة 3 : آل عمران .

56) الآية 144 ، من السورة 3 : آل عمران

57) وقال الطبريّ في تاريخه ، ج 2 ، ص 521 ، الطبعة الثانية : لمّا أشرف أبو سفيان على رسول الله والمسلمين وهو يهمّ بهم ، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ليس لهم أن يعلونا . اللهمّ إن تقتل هذه العصابة لا تُعبَد . ثمّ ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتّى أنزلوهم .

58) المغازي» للواقديّ ، ج 1 ، ص . 295

59) قال في التعليقة : في ح : «عمر وعثمان» . وذكر البلاذريّ ، عن الواقديّ ، عثمان ولم يذكر عمر . («أنساب الأشراف» ج 1 ، ص 326) .

60) مَلَل موضع في طريق مكّة بين الحرمين . قال ابن السكّيت : هومنزل على طريق المدينة إلى مكّة عن ثمانية وعشرين ميلاً من المدينة . («معجم البلدان» ج 8 ، ص 153) .

61) الشّقْرَة موضع بطريق فَيد بين جبال حمر على نحو ثمانية عشر ميلاً من النخيل وعلى يوم من بئر السائب ، ويومين من المدينة («وفاء الوفا» ج 2 ، ص 330) .

62) المغازي» للواقديّ ، ج 1 ، ص 277 و . 278

63) المغازي» للواقديّ ، ج 1 ، ص . 238

64) قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 23 ، طبعة دار إحياء الكتب : حضرتُ عند محمّد بن معد العلويّ الموسويّ الفقيه على رأي الشيعة الإماميّة رحمه الله في داره بدرب الدواب ببغداد في سنة ثمان وستمائة وقارئ يقرأ عنده «مغازي الواقديّ» فقرأ : حدّثنا الواقديّ . وتلا هذا الحديث . فأشار ابن معد إليّ أن أسمع ! فقلتُ : وما في هذا ؟ قال : هذه كناية عنهما . فقلتُ : ويجوز ألّا يكون عنهما ، لعلّه عن غيرهما . قال : ليس في الصحابة من يحتشم ويُستحيا من ذكره بالفرار وما شابهه من العيب ، فيضطرّ القائل إلى الكناية إلّا هما . قلتُ له : هذا وهم فقال : دعنا من جدلك ومنعك . ثمّ حلف أنّه ما عنى الواقديّ غيرهما وأنّه لوكان غيرهما ، لذكره صريحاً وبان في وجهه التنكّر من مخالفتي له .

65) المغازيّ» للواقديّ ، ج 1 ، ص . 237

وروى الطبريّفي تأريخه ، ج 2 ، ص 519 ، و520 ، الطبعة الثانية ، بسنده عن السّدّيّ قال : أتى ابن قميئة الحارثيّ أحد بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة فرمى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بحجر فكسر أنفه ورباعيّته ، وشجّه في وجهه فأثقله وتفرّق عنه أصحابه . ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها . وجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو الناس : إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله . فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فجعلوا يسيرون بين يديه . فلم يقف أحد إلّا طلحة وسهل بن حنيف .

66) عمربن الخطّاب ابن عمّة خالد بن الوليد . (السيرة الحلبيّة ج 3 ، ص 220 ؛ و«تاريخ أبو الفداء» ج 7 ، ص 115) .

67) المغازي» للواقديّ ، ج 1 ، ص . 237 ذكر الشيخ الطبرسيّ في «إعلام الورى» ص 90 ، ما نصّه : فخرج كمين المشركين عليهم خالد بن الوليد فانتهى إلى عبد الله بن جبير فقتله . ثمّ أتى الناس من أدبارهم ، ووضع في المسلمين السلاح فانهزموا . وصاح إبليس لعنه الله : قُتِلَ مُحَمّدُ . ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعوهم في أُخراهم : أَيّهَا النّاسُ ! أَنَا رَسُولُ اللهِ وَإِنّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي النّصْرَ فَإِلَيّ ، أَيْنَ الفَرَار ؟ فيسمعون الصوت ولا يلوون على شيء . وذهبت صيحة إبليس حتّى دخلت بيوت المدينة . فصاحت فاطمة عليها السلام ولم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا وضعت يدها على رأسها وخرجت فاطمة تصرخ .

68) تاريخ الأُمم والملوك» للطبريّ ، ج 2 ، ص 517 ، الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر ؛ ونقلها أبو الفداء أيضاً في تاريخه ؛ وكذلك أوردها ابن كثير الدمشقيّ في «البداية والنهاية» ج 4 ، ص . 34

69) ذكرها ابن الأثير أيضاً في «الكامل» ج 2 ، ص 156 و. 157 وجاء في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 248 ، الطبعة الثانية : أنّ أنس بن النضر سمع نفراً من الفارّين . وفيهم عمر وطلحة . يقولون لمّا سمعوا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قُتِل : ليت لنا من يأتي عبد الله بن أُبيّ بن سلّول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا . فقال لهم أنس : يا قوم ! إن كان ... إلى آخره .

70) تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 520 ، الطبعة الثانية .

71) قال الواقديّ في «المغازي» ج 1 ، ص 280 : وقالوا : أتينا عمر بن الخطّاب في رهط من المسلمين قعوداً ، ومرّ بهم أنس بن النضر بن ضمضم عمّ أنس بن مالك فقال : ما يقعدكم ؟ قالوا : قُتل رسول الله . قال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟! قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثمّ جالَد بسيفه حتّى قُتل . فقال عمر بن الخطّاب : إنّي لأرجو أن يبعثه الله أُمّة وحده يوم القيامة . ووجد به سبعون ضربة في وجهه . ما عرف حتّى عرفتْ أُخته حُسن بنانه أوحُسن ثناياه . وذكر ابن الأثير قصّته في «الكامل» ج 2 ، ص . 156

72) تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 522 ، الطبعة الثانية . وجاء في الجزء الأوّل من «السيرة الحلبيّة» ، ص 240 أيضاً : ومن المنهزمين عثمان بن عفّان ، والوليد بن عقبة ، وخارجة بن زيد ، ورفاعة بن المعلّى ، أَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيّامٍ ثُمّ رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ : ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً .

73) أورد ابن الأثير الجزريّ قصّة معاوية بن المغيرة مفصّلاً في «كامل التواريخ» ج 2 ، ص 165 ، طبعة بيروت . ونصّ على أنّه هو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به .

74) الصحيح رقيّة . ذلك أنّ عثمان تزوّج أُمّ كلثوم بعد وفاة رقيّة . وكانت وفاتها في سنة 9 هـ . ونقل المؤرّخون ، وكذلك نصّ عليه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج 6 ، ص 707 و708 ، طبعة الكمبانيّ ، أنّ رقيّة تزوّجها عتبة ، وأُمّ كلثوم تزوّجها عتيق وهما ابنا أبي لهب . قبل الإسلام . ثمّ طلّقاهما قبل زفافها بأمر أبي لهب . فتزوّج عثمان رقيّة بالمدينة وولدت له عبد الله صبيّاً لم يجاوز ستّ سنين ، وكان ديكٌ نَقَرَهُ على عينه فمات . وتزوّج بعدها أُمّ كلثوم . وماتت في السنة التاسعة من الهجرة .

75) جاء في نهاية ابن الأثير ، ج 1 ، ص 258 : الحمارة ثلاثة أعواد يشدّ بعض أطرافها إلى بعض ويخالَف بين أرجلها وتعلّق عليها الإداوة ليبرد الماء .

76) قال في «شرح المواهب اللدنّيّة» ج 2 ، ص 70 : حمراء الأسد على ثمانية أميال . وقيل عشرة . من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة .

77) المغازي» للواقديّ» ، ج 1 ، ص 333 و . 334

78) شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 46 و47 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

79) المراد عثمان . وجاء في الرواية : عمّه المغيرة . ولعلّها من إسقاط النسّاخ ، ونحن ذكرنا في النصّ أعلاه : ابن عمّه معاوية بن المغيرة .

80) روى المجلسيّ رضي الله عنه في «بحار الأنوار» ج 6 ، ص 516 عن الكازرونيّ في «المنتقى» ، عن ربيعة بن الحارث في غزوة حمراء الأسد قال : وظفر رسول الله صلّى الله عليه وآله في طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وبأبي عِزّة الجمحيّ . وكان أبو عِزّة أُسر يوم بدر فأطلقه النبيّ صلّى الله عليه وآله لأنّه شكى إليه فقراً وكثرة العيال ، فأخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله عليه العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله . فخرج معهم يوم أُحد وحرّض على المسلمين . فلمّا أُتي به رسول الله قال : يَا مُحَمّد ! امْنُنْ عَلَيّ . قال : المُؤمِنُ لَا يُلْدَغُ مِنْ جُحْرٍ مَرّتَيْنِ . وأمر به فقتله . وأمّا معاوية وهو الذي جدع أنف حمزة ومثّل به مع من مثّل به ، وكان قد أخطأ الطريق [في رجوعه إلى مكّة] ، فلمّا أصبح أتى دار عثمان بن عفّان . فلمّا رآه ، قال له عثمان : أَهْلَكْتَنِي وَأَهْلَكْتَ نَفْسَكَ . فقال : أنت أقربهم منّي رحماً وقد جئتك لتجيرني . فأدخله عثمان داره وصَيّره في ناحية منها . وعرض المجلسيّ هذا الموضوع عن الكازرونيّ مفصّلاً بالصورة التي نقلناها عن الواقديّ . وقال في آخره : وروى هذا الخبر ابن أبي الحديد أيضاً وأكثر اللفظ له . ثمّ قال : ويقال : إنّه أُدرك على ثمانية أميال من المدينة . فلم يزل زيد وعمّار يرميانه بالنبل حتّى مات . وهذا كان جدّ عبد الملك ابن مروان لأُمّه . انتهى كلام الكازرونيّ .

قال المجلسيّ : هذه القصّة كانت سبب قتل عثمان ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، كما سيأتي شرحه إن شاء الله في مثالبه ، وباب أحوال أولاد رسول الله صلّى الله عليه وآله . انتهى كلام المجلسيّ .

وأنا أقول : لم تقتصر جرائم عثمان على إيوائه معاوية . قال المسعوديّ في «التنبيه والإشراف» ص 232 و233 : وأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله [في فتح مكّة] بقتل ابن الأخطل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سَرْح ، ومِقْيَس بن حبابة . وكان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان لأُمّه وأحد كتّاب الوحي فارتدّ مشركاً ولحق بمكّة . فلمّا أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بقتله أخفاه عثمان ثمّ أتى به النبيّ صلّى الله عليه وآله سائلاً فيه . فصمت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم طويلاً ثمّ قال : نعم ! فلمّا انصرف به عثمان قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لمن حضره من أصحابه : أمَا والله لقد صمتّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الأنصار : فهلّا أومأتَ يا رسول الله ؟ فقال : إنّ النّبِيّ لا يَقْتُلُ بِالإشَارَةِ . ويمكن أن نفهم من هذا الحديث أيضاً حرمة الاغتيال في الإسلام . وعبد الله بن سعد بن أبي سرح هذا هو الذي عزّزه عثمان وكرّمه أيّام حكومته الغاصبة ثمّ ولّاه على مصر .

81) ذكر المرحوم المجلسيّ هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج 6 ، ص 709 و710 ، طبعة الكمبانيّ ، في باب أحوال أولاد النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ، نقلاً عن الكلينيّ . وكذلك أورد في الكتاب نفسه وفي هذا الموضع ، وأيضاً في ج 8 ، ص 215 ، باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم ، رواية قريبة من هذا المضمون عن «الخرائج والجرائح» للراونديّ .

82) جاء في «أسد الغابة» عند ترجمة أبي طلحة ، ج 6 ، ص 181 ، رقم 6029 : هو زيد ابن سهيل بن الأسود بن حرام الأنصاريّ الخزرجيّ . شهد بدراً وله يوم أُحد مقام مشهود وكان يقي رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفسه ، ويرمي بين يديه ويتطاول بصدره ليقي رسول الله ويقول : نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ وَنَفْسِي دُونَ

نَفْسِكَ . وكان رسول الله يقول : صوت أبي طلحة في الجيش خير من مائة رجل . آخى رسول الله بينه وبين أبي عبيدة بن الجرّاح وشهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله . وكان زوج أُمّ سليم أُمّ أنس بن مالك .

83) الغدير» ج 3 ، ص . 24

84) انظر «المغازي» للواقديّ ، ص 278 و. 279 وذكر ابن أبي الحديد هذه الروايات الثلاث في «شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 21 و22 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة . وقال ابن الأثير الجزريّ في «الكامل» ج 2 ، ص 158 ، طبعة بيروت : وانتهت الهزيمة بجماعة المسلمين ، فيهم عثمان بن عفّان وغيره إلى الأعوص . فأقاموا به ثلاثاً ثمّ أتوا النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال لهم حين رآهم : لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً .

85) الآيتان 15 و16 ، من السورة 8 : الأنفال .

86) لا تقتصر خيانات عثمان وجناياته على الفرار من الزحف ، وإيواء معاوية بن المغيرة الذي مثّل بحمزة . وقتل السيّدة رقيّة بالضرب . فمن جناياته الأُخرى إيواؤه (خفيةً) أخاه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح وجلبه إلى المدينة . قال الطبريّ وابن الأثير في تاريخهما في باب خلافة عثمان : لمّا زادت المعارضات على عثمان بن عفّان ، وأنكر عليه الناس كثيراً من أُموره ، استشار مروان بن الحكم ، ومعاوية . فأشارا عليه بإنفاذ عسكر لفتح إفريقية حتّى ينشغل الناس به ، ولا يجدوا مجالاً للكلام فيه ، فَلَا يَكُونُ هِمّةُ أَحَدِهِمْ إلّا دُبَرَة خَيْلِهِ وَالقُمّلُ يَجْرِي عَلَى ظَهْرِهِ . وكذلك ذكر الطبريّ ، وابن الأثير ، وصاحب «الاستيعاب» في ترجمة عبد الله بن سعد بن أبي سرح أنّ عثمان سرّح جيشاً إلى إفريقية وعليهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح . ولمّا فتح عبد الله إفريقية ، دفع إليه عثمان خراجها كلّه لم يُشرك معه أحداً . وعبد الله هذا هو الذي ارتدّ وكفر بعد إسلامه فهد رسول الله صلّى الله عليه وآله دمه . ولمّا سار رسول الله إلى فتح مكّة ، أوصى صحابته بقتله حيث وجدوه حتّى لو كان متعلّقاً بأستار الكعبة . لكنّ عثمان أخفاه في مكّة . ولمّا تمّ فتح مكّة ، أتى به عثمان إلى رسول الله مستشفعاً . فلم يقل رسول الله شيئاً ، وانتظر حتّى يقوم أحد أصحابه فيقتله . فقال عمر : هلّا أومأت يا رسول الله بقتله ؟! فقال : نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لَنا خَائِنَةُ الأَعْيُنِ .

87) من الآية 152 إلى قسم من الآية 154 ، من السورة 3 : آل عمران .

88) قسم من الآية 154 والآية 155 ، من السورة 3 : آل عمران .

89) استهدينا في هذا الموضوع بكتاب «الميزان في تفسير القرآن» ج 4 ، ص 43 إلى . 54 وقد عرضناه ملخّصاً .

90) نقل ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج 11 ، ص 100 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، رواية عن فضيل بن عياض في عمر ، قال فيها : أعطى رجلاً عطاءه أربعة آلاف درهم ثمّ زاده ألفاً . فقيل له : ألا تزيد ابنك عبد الله كما تزيد هذا ؟ قال : إنّ هذا ثبت أبوه يوم أُحُد ، وإنّ عبد الله فرّ أبوه ولم يثبت .

91) ومن الأدلّة على فرار عمر وعثمان التشيّع الذي نسبه البعض إلى الواقديّ لأنّه لم يجعلهما في مكانتهما المعهودة كما جاء في كثير من مواضع كتابه ، ومن ذلك أنّه سمّى في كتابه عثمان وعمر ، أو عمر ، أو عثمان ، وعدّهما من الفارّين في غزوة أُحُد . قال الدكتور مارسدن جونس في ص 18 من مقدّمته على كتاب «المغازي» للواقديّ : مثلاً في المخطوطة التي اتّخذناها أصلاً لهذه النشرة ، نرى قائمة بمن فرّ عن النبيّ يوم أُحُد ، تبدأ بهذه الكلمات : وكان ممّن ولّى فلان ، والحارث بن حاطب ، وثعلبة بن حاطب ، وسواد بن غزية ، وسعد ابن عثمان ، وعقبة بن عثمان ، وخارجة بن عامر ، بلغ ملل ، وأوس بن قيظي في نفر من بني

حارثة ، بينما نرى النصّ عند ابن أبي الحديد عمر وعثمان بدلاً من فلان . ويروى البلاذريّ عن الواقديّ عثمان ، ولا يذكر عمر . ويظهر بوضوح أنّ النصّ في المخطوطة الأُمّ كان يذكر عثمان وعمر ، أو عمر وحده ، أو عثمان وحده ممّن ولّوا الأدبار يوم أُحد . ولكنّ الناسخ لم يقبل هذا في حقّ عمر أو عثمان ، فأُبدل اسميهما أو اسم أحدهما بقوله : فلان . ولا شكّ أنّ نصّ الواقديّ الأصليّ وقع في أيدي طائفة من الشيعة وقرؤوا فيه هذه الأخبار التي أوردها في حقّ عمر وعثمان مثلاً ، فاعتقدوا أنّه شيعيّ قطعاً . انتهى موضع الحاجة من كلام الدكتور مارسدن جونس .

وقال الواقديّ في مغازيه ، ج 1 ، ص 271 : حدّثنا يعقوب بن محمّد ، عن موسى بن ضمرة بن سعيد ، عن أبيه ، قال : أُتِيَ عمرُ بن الخطّاب بمُروط (المِرط كساء من خزّ أو كتّان) ، فكان فيها مرط واسع جيّد . فقال بعضهم : إنّ هذا المِرط لثمن كذا وكذا (المرط يُشبه الدّثار في يومنا هذا) فلو أرسلتَ به إلى زوجة عبد الله بن عمر صفيّة بنت أبي عُبَيد . وذلك حِدثان ما دخلت على ابن عمر . فقال : أبعث به إلى من هو أحقّ منها ، أُمّ عُمارة نُسَيبة ابنة كعب . سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم أُحُد يقول : ما التفتّ يميناً ولا شمالاً إلّا وأنا أراها تقاتل دوني . وهذه القصّة تماثل القصّة السابقة أيضاً .

92) قال المستشار عبد الحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص 21: وفي يوم الخندق أزفت الآزفة حيث تيمّم المشركون مكاناً ضيّقاً فاقتحموه بخيلهم . فخرج لهم عليّ بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتّى أُخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها . وكان عمرو بن عبد ودّ . فارس العرب . يريد أن يعرف مكانه يوم الخندق . فنادى من فوق الخيل : هل من مبارز ؟ فبرز له عليّ . قال له عمرو: ما أُحبّ أن أقتلك لما بيني وبين أبيك . وأصرّ عليّ ونزل عمرو عن فرسه ، وتجاولا . فما انجلى النقع حتّى قتله عليّ . وفرّ أصحاب الثغرة بخيولهم منهزمين .

93) المغازي» للواقديّ ، ج 2 ، ص 607 إلى . 609

وذكر الشيخ المفيد في «الإرشاد» ص 82 ، الطبعة الحجريّة ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا حاصر الطائف بعد فتح مكّة ، ودام ذلك الحصار أكثر من عشرة أيّام ، أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام ليكسر كلّ صنم وجده . فكسر الأصنام وعاد إلى رسول الله . فلمّا رآه كبّر للفتح وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً . فأتاه عمر بن الخطّاب ، فقال : أَتُنَاجِيهِ دُونَنَا وَتَخْلُو بِهِ ؟! فقال : يَا عُمَرُ ! مَا أَنَا انْتَجَيْتُهُ ، بَلِ اللهُ انْتَجَاهُ . فأعرض عمر وهويقول : هَذَا كَمَا قُلْتَ لَنَا يَوْمَ الحُدَيْبِيّةِ : لَتَدْخُلُنّ المَسْجِدَ الحَرَامِ إن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ، فَلَمْ نَدْخُلْهُ وَصُدِدْنَا عَنْهُ . فَنَادَاهُ النّبِيّ : لَمْ أَقُلْ لَكُمْ إنّكُمْ تَدْخُلُونَهُ فِي ذَلِكَ العَامِ . ووردت في ص 527 من كتاب «غاية المرام» ثمانية أحاديث عن طريق العامّة ، وثمانية عشر حديثاً عن طريق الخاصّة في مناجاة رسول الله صلّى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام .

94) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج 15 ، ص 25 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ؛ ذكر ابن أبي الحديد غزوة أُحُد مفصّلاً في الجزء المذكور ، ص 3 إلى . 60

95) الموطّأ» لمالك ، تحقيق وتعليق محمّد فؤاد عبد الباقي ، ج 2 ، ص 461 ، و462 ، كتاب الجهاد ، باب الشهداء في سبيل الله ؛ وكتاب «تنوير الحوالك» للسيوطيّ ، في شرح موطّأ مالك ، الكتاب والباب أنفسهما ، ص 18 ، أصل الحديث في صدر الصفحة ، وشرحه وتفسيره في ذيلها .

وذكر محمّد بن عمر الواقديّ المتوفّى سنة 207 في كتاب «المغازي» ج 1 ، ص 310 ، مثل هذا الحديث مع زيادة ؛ قال : وكان طلحة بن عبيد الله ، وابن عبّاس ، وجابر بن عبد الله يقولون : صلّى رسول الله صلّى

الله عليه وآله وسلّم على قتلى أُحُد وقال : أَنَا عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدٌ . فقال أبو بكر : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَيْسُوا إِخْوَانَنَا ، أَسْلَمُوا كَمَا أَسْلَمْنَا ، وَجَاهَدُوا كَمَا جَاهَدْنَا ؟ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَأْكُلُوا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَلَا أَدْرِي مَا تُحِدْثُونَ بَعْدِي ؟! فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : إِنّا لَكَائِنُونَ بَعْدَكَ ؟!

وذكر الواقديّ أيضاً في كتابه المشار إليه ، ص 309 ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال في حمزة وسائر شهداء أُحُد : أَنَا الشّهِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِوأورد المولى علي المتّقي في «كنز العمّال» ج 11 ، ص 179 ، طبعة بيروت ، حديثاً مماثلاً لهذا الحديث ورقمه 31122 ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : السّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ ! لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجّاكُمُ اللهُ مِنْهُ مِمّا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ ! هَؤُلَاءِ خَيْرٌ مِنْكُمْ ، إِنّ هَؤُلَاءِ خَرَجُوا مِنَ الدّنْيَا وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً وَخَرَجُوا وَأَنَا الشّهِيدُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنّكُمْ مَنْ أَكَلْتُمْ مِنْ أُجُورِكُمْ وَلَا أَدْرِي مَا تُحْدِثُونَ مِنْ بَعْدِي . (ابن المبارك ، عن الحسن مرسلاً) .

96) المؤطّأ» لمالك ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي ، ج 2 ، ص . 461

97) تنوير الحوالك» ج 2 ، ص . 18

98) روى الشيخ المفيد في أماليه ، ص 37 و38 ، طبعة جماعة المدرّسين ، بسنده المتّصل عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة قالت : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إِنّي عَلَى الحَوْضِ أَنْظُرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيّ مِنْكُمْ وَلَيُقْطَعَنّ بِرِجَالٍ دُونِي ، فَأَقُولُ : يَا رَبّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إِنّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ! إِنّهُمْ مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِم القَهْقَرَى .

قال في التعليقة : قال المجلسيّ : اعلم أنّ أكثر العامّة على أنّ الصحابة كلّهم عدول ، وقيل : هم كغيرهم مطلقاً . قيل : هم كغيرهم إلى حين ظهور الفتن بين عليّ عليه السلام ومعاوية . وأمّا بعدها فلا يقبل الداخلون فيها مطلقاً .

وقالت المعتزلة : هم عدول إلّا مَنْ عُلِمَ أنّه قاتل عليّاً عليه السلام فإنّه مردود .

وذهبت الإماميّة إلى أنّهم كسائر الناس من أنّ فيهم العادل ، وفيهم المنافق والفاسق والضالّ ، بل كان أكثرهم كذلك ! ولا أظنّك ترتاب بعد ملاحظة تلك الأخبار المأثورة من الجانِبَيْنِ المتواترة بالمعنى في صحّة هذا القول . انتهى كلام المجلسيّ رضي الله عنه .

وذكر الشيخ محمّد جواد مغنية في «الشيعة والتشيّع» ص 13 ، أنّه جاء في الحديث النبويّ أنّ مُحَمّداً يَرَى يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرَ أُمّتِهِ تَدْخُلُ النّارَ . وَحِينَ يَسْأَلُ عَنِ السّبَبِ يُقَالُ لَهُ : إِنّهُمْ ارْتَدّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى («كتاب الجمع بين الصحيحين» الحديث 267) .

وورد في «صحيح البخاريّ» ج 4 ، ص . 144 وفي ج 8 ، ص 151 ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لأصحابه . سَتَتّبِعُونَ سُنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ ! قَالُوا : أَتَرَاهُمُ اليَهُودَ وَالنّصَارَى ؟! قَالَ : فَمَنْ إِذَنْ ؟

وجاء في «صحيح البخاري» ج 7 ، ص 209 : و«صحيح مسلم» في باب الحوض ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : يُؤْتَى بِأَصْحَابِي يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى ذَاتِ الشّمَالِ . فَأَقُولُ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَيُقَال : إِلَى النّارِ وَاللهِ ، فَأَقُولُ : يَا رَبّ هَؤُلَاءِ أَصْحَابِي ! فَيُقَالُ : إِنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ! فَأَقُولُ : سَحْقاً لِمَنْ بَدّلَ بَعْدِي وَلَا أَرَاهُ يَخْلَصُ مِنْهُمْ إِلّا مِثْلُ هَمَلِ النّعَمِ .

وفي «سنن الترمذي» كتاب الإيمان ؛ و«سند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص 120 ؛ و«سنن ابن ماجه» كتاب الفتن ، ج 2 ، الحديث 3993 ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : سَتَفْتَرِقُ أُمّتِي إِلَى ثَلَاثٍ

وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ ، كُلّهَا فِي النّارِ إلّا فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ .

99) يلاحظ في كتب العامّة كثيراً أنّ الشيخين كانا حاضرين في بيعة الرضوان ، وقد وعدا برضا الله تعالى ، إذ قال : رضي الله عن المؤمنين ، فهما . إذن . من أهل الجنّة . ولقد تحدّثنا عن هذا الموضوع مفصّلاً وقلنا :

أوّلاً : إنّ الرضا هنا مؤقّت حسب ما يستدعيه الحال ، وما تستلزمه الجنّة هو عدم العدول ، والرضا الدائم ، وهذا ما لا ينسجم مع الانحراف وارتكاب الإثم والتلوّث بعد البيعة .

ثانياً : أُثر حديث نبويّ شريف في الجزء العاشر من كتابنا هذا ، الدرس 142 ، إلى 148 ، عن «المستدرك» للحاكم وفيه أنّ الرسول الأكرم قال لعمر : اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ؛ إنّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وهذا ما يمنع من كونهم من أهل الجنّة .

ونقول هنا : أجمعت الشيعة والسنّة على أنّ رأس المنافقين والجاحدين عبد الله بن أُبيّ من أهل جهنّم ، في حين أنّه شهد بيعة الرضوان وبايع رسول الله . فلو كانت البيعة في الحديبيّة تحت الشجرة وحدها كافية لضمان الجنّة ، لكان المذكور من أهل الجنّة أيضاً .

وقال آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 153 ، الطبعة الثانية ، في المتن والتعليقة : خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة مستهلّ ذي القعدة سنة ستّة للهجرة يريد العمرة ... فاستنفر الناس إلى العمرة معه ، فلبّاه من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الأعراب ألف وأربعمائة رجل . وكان ممّن خرج معه المغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن أُبيّ بن سلّول وبايعاه تحت الشجرة .

وقال في ص 156 : ثمّ أخذ منهم البيعة فبايعوه بأجمعهم على الموت في نصرته ، وكانوا ألفاً وأربعمائة رجل فيهم كهف المنافقين ابن سلّول ، لم يتخلّف منهم عن هذه البيعة إلّا رجل يدعى الجدّ بن قيس الأنصاريّ .

100) قال العالم المصريّ الخبير المتضلّع الشيخ محمود أبو ريّة في كتابه القيّم : «أضواء على السنّة المحمّديّة» ص 295 و296 ، الطبعة الثانية ، في المتن والتعليقة : قال الشافعيّ : أصحّ الكتب بعد كتاب الله موطّأ مالك . وقال الدهلويّ في «حجّة الله البالغة» : إنّ الطبعة الأُولى من كتب الحديث منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب : «الموطّأ» و«صحيح البخاريّ» و«صحيح مسلم» ، والثانية : كتب لم تبلغ مبلغ «الموطأ» والصحيحين ولكنّها تتلوها ، «سنن أبي داود» و«الترمذيّ» و«النسائيّ» ، والثالثة : مسانيد ومصنّفات صنّفت قبل البخاريّ ومسلم ، وفي زمانهما وبعدهما . جمعت بين الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والمعروف ، والغريب ، والشاذّ ، والمنكر ، والخطأ ، والصواب ، والثابت ، والمقلوب . وعلى الطبقة الثانية اعتماد المحدّثين . ونقل السيوطيّ في «تنوير الحوالك» عن القاضي أبي بكر بن العربيّ أنّ «الموطّأ» هوالأصل الأوّل ، و«البخاريّ» هوالأصل الثاني . وأنّ مالكاً روى مائة ألف حديث اختار منها في «الموطّأ» عشرة آلاف ، ثمّ لم يزل يعرضها على الكتاب والسنّة (أي : السنّة العمليّة) حتّى رجعت إلى خمسمائة حديث ، أي : الحديث المسند* ، ورواية ابن الهباب : ثمّ لم يزل يعرضه على الكتاب والسنّة ويختبرها بالآثار والأخبار حتّى رجعت إلى 500 حديث . ووردت هناك روايات أُخرى منها : «ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصحّ من كتاب مالك» ، و«لا أعلم كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك» ، «ما على الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك» ، و«ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ» . وأطلق جماعة على «الموطّأ» اسم الصحيح .

* . الحديث المسند هوالحديث الذي رفعه الصحابيّ بسنده إلى الرسول الأكرم . وهو ظاهر الاتّصال . والمُرسل ما سقط من سنده الصحابيّ بأن يرويه التابعيّ عن رسول الله مباشرة . والموقوف ما أُضيف إلى

الصحابيّ قولاً أو فعلاً أو نحوه متّصلاً كان أو منقطعاً . والمرفوع هو ما أخبر فيه الصحابيّ عن رسول الله . (الشيخ محمود أبو ريّة رحمه الله) .

101) حرف الذال ، ص 86 ، العمود الثالث .

102) ذكر ابن أبي الحديد غزوة أُحُد مفصّلاً في «شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 3 إلى 60 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

103) روضة الصفا» ميرخواند ، ج 2 ، الطبعة الحجريّة . وقال القمّيّ في «سفينة البحار» ج 1 ، ص 412 : قال القاضي عياض في «الشفاء» : وروي أنّه لمّا كسرت رباعيّته وشجّ وجهه يوم أُحُد ، شقّ ذلك على أصحابه شديداً وقالوا : لو دعوتَ عليهم ! فقال : إنّي لم أُبعث لعّاناً ولكنّي بُعِثتُ داعياً ورحمة . اللهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون .

ثمّ قال القاضي بعد رواية أُخرى قريبة من ذلك : انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان وحسن الخُلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم ، إذ لم يقتصر صلّى الله عليه وآله على السكوت عنهم حتّى عفى عنهم ثمّ أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفّع لهم ، فقال : اللهمّ اغفر أو اهدِ ، ثمّ أظهر بسبب الشفقة والرحمة بقوله : لقومي ، ثمّ اعتذر عنهم بجهلهم ، فقال : فإنّهم لا يعلمون .

أقول : ما أجمل ما أنشده الشاعر الفارسيّ في وصفه صلّى الله عليه وآله :

ای قمر طلعت ومكّى مطلع
مَدَنى مهد ويمانى برقع
شقّه برقع توبرق افروز
لمعه نور رُخت برقع سوز
ليلة القدر ز مويت ثارى
وحى منزل ز لبت گفتارى
با توآنان كه در جنگ زدند
دُرّ دندان تورا سنگ زدند
گوهرين جام لبت را خستند
ساغر دولت خود بشكستند
دُر دندانت به خون پنهان شد
رشته لؤلوتومرجان شد
گوئيا صيرفى مُلك ومَلَك
زد از آن سنگ زرت را به محك
لا جرم حُقّهات از ضربت سنگ
اهد قومى به برون داد آهنگ

يقول : «يا قمر الطلعة ويا مكّيّ المطلع ، يا مدنيّ المهد ويا يمانيّ البرقع .

إنّ قطعة برقعك تضيء البرق ، وإنّ تألّق نور وجهك يُحرق البرقع .

إنّ ليلة القدر شعرة واحدة منك ، وإنّ الوحي المنزل كلام من شفتك .

إنّ الذين طرقوا عليك باب القتال ، وحَصَبوا درّ أسنانك .

وجرحوا شفتك التي هي كالجوهرة ، إنّما كسروا كأس حظّهم .

لقد اختفى درّ أسنانك بالدم ، وصارت أسنانك مرجاناً .

كأنّ صيرفيّ المُلك والمَلَك (الله تعالى) أراد أن يضع حجر ذهبك على المحك (أراد اختبارك) .

لا جَرَم أنّ ما نطق به فمك وما ردّدته نغمة صوتك بعد ضربك بالحجر هودعاؤك : اللهمّ اهدِ قومي إنّهم لا يعلمون» .

104) شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 5 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

105) العاثور حفرة تُحفر للأسد . ويعني البئر أيضاً . جمعه عواثر وعواثير .

106) شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص 17 و18 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

107) الآية 128 ، من السورة 3 : آل عمران .

108) شرح نهج البلاغة» ج 15 ، ص . 4 وذكره أيضاً ابن هشام في سيرته ج 3 ، ص 597 ، وميرخواند في «روضة الصفا» ج 2 من الطبعة الحجريّة ، والطبريّ في تاريخه ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ج 2 ، ص . 515 وقالالواقديّ في مغازيه ، ج 1 ، ص 320 بعد ذكر هذه الآية المباركة عند تفسير قوله : فَإِنّهُمْ ظَلِمُونَ : يعني الذين انهزموا يوم أُحُد .

109) إعلام الورى بأعلام الهدى» ص . 91

110) سيرة ابن هشام» ج 3 ، ص 610 و. 611 وذكر الطبريّ في تاريخه ، ج 2 ، ص 529 ، طبعة دار المعارف ، مصر : كانت صفيّة أُخت حمزة لأبيه وأُمّه . وقال رسول الله لابنها الزبير بن العوّام : ألقها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير وأبلغها . فقالت : لِمَ أرجع ! وذلك في الله قليل . فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبنّ ولأصبرنّ إن شاء الله .

111) الآيتان 126 و127 ، من السورة 16 : النحل .

112) سيرة ابن هشام» ج 3 ، ص . 611

113) الآية 128 ، من السورة 16 : النحل .

114) الآية 144 ، من السورة 3 : آل عمران .

115) روى البخاريّ في صحيحه ، ج 6 ، ص 10 ، طبعة بولاق ، باب مرض النبيّ من كتاب النبيّ بسنده عن عائشة قالت : دعا النبيّ صلّى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام في شكواه الذي قبض فيه ، فسارّها بشيء فبكت . ثمّ دعاها فسارّها بشيء فضحكت . فسألنا عن ذلك ، فقالت : سارّني النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه يُقبض في وجعه الذي توفّي فيه فبكيت . ثمّ سارّني فأخبرني أنّي أوّل أهله يتبعه فضحكتُ .

116) إعلام الورى بأعلام الهدى» ص . 143 وذكرها الشيخ المفيد أيضاً في «الإرشاد» ص 173 ، طبعة إسلاميّة الحديثة سنة 1364 هـ . ش . وروى ابن سعد في طبقاته ، ج 2 ، ص 193 ، بسنده عن ابن عبّاس أنّه لمّا نزلت إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله فاطمة فقال : إنّي نُعِيَتْ إِلَيّ نفسي . قالت : فبكيتُ . فقال : لا تبكِ فإنّكِ أوّل أهلي بي لحوقاً فضحكتُ . وقال رسول الله «إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ» وجاء أهل اليمن وهم أرقّ أفئدة والإيمان يُمَان ، والحكمة يمانيّة . (فاستعدّ للارتحال إلى ربّك بالحمد والتسبيح والثناء ، فهو التوّاب الغفّار) .

117) كشف الغمّة» ص 9 ، الطبعة الحجريّة .

118) قال في «جامع الشواهد» : الغمام منصوب بنزع الخافض . يعني : من الغَمام . انتهى . فيكون قوله : «بوجهه» نائب فاعل للفعل المجهول : يُسْتَسْقَى .

119) شرح شواهد المغني» لجلال الدين السيوطيّ ، ج 1 ، ص . 398 علماً أنّ ابن هشام صاحب كتاب «مغني اللبيب» ذكر هذا البيت في مُغنيه ، الباب الأوّل ، حرف (رُبّ) وقال : قوله : «وأبيض» مجرور برُبّ المحذوفة ، أي ، وربّ أبيض ، وربّ هنا للتقليل . وعلى هذا النهج ذكر «جامع الشواهد» هذا البيت مع البيتين الآخرين . أمّا السيوطيّ فقد قال في «شرح شواهد المغني» : «أبيض» منصوب بالعطف على قوله : «سيّداً» لا مجروراً بواو رُبّ (والواو واو العطف لا واو رُبّ) . وممّن نبّه على ذلك الدماميني ثمّ ابن حجر في «شرح البخاريّ» انتهى . أقول : يتمّ هذا الكلام إذا كان «سيّداً» في البيت السابق للبيت الذي فيه قوله : «وأبيض» وأمّا على فرض بعديّته ، فلا يتمّ كما يستبين ذلك من كلام السيوطيّ .

120) في «الأمالي» للمفيد : يئطّ . وأَطّ الإبل : حنّت .

121) وفيه أيضاً : غير رائث ،وراث : أبطأ .

122) شرح شواهد المغني» للسيوطيّ ، ج 1 ، ص . 398

123) شرح شواهد المغني» للسيوطيّ ، ج 1 ، ص 395 إلى . 398

124) الغدير» ج 7 ، ص 346 ، عن «شرح صحيح البخاريّ» للقسطلاني ، ج 2 ، ص 227 ؛ و«المواهب اللدنّيّة» ج 1 ، ص 48 ؛ و«الخصائص الكبرى» ج 1 ، ص 86 و124 ؛ و«شرح بهجة المحافل» ج 1 ، ص 119 ؛ و«السيرة الحلبيّة» ج 1 ، ص 125 ؛ و«السيرة النبويّة» لزيني دحلان في حاشية «الحلبيّة» ج 1 ، ص 87 ؛ و«طلبة الطالب» ص . 42

125) كان الدليل الواضح على أنّ قصد الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله من عدم قراءة شعر أبي طالب ، وتلاوته هذه الآية ، لفت أنظار المسلمين إلى ارتداد وكفر طلّاب السلطة من الصحابة . فقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنيّة في مقام وشأن وعظمة النبيّ والمؤمنين الحقيقيّين ، كالآية 29 من السورة 48 : الفتح : مُحَمّدٌ رّسُولُ اللهِ وَالّذِينَ مَعَهُ أَشِدّآءُ عَلَى الْكُفّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَبهُمْ رُكّعًا سُجّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مّنَ اللهِ وَرِضْوَ نًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مّنْ أَثَرِ السّجُودِ ... إلى آخر الآية . والآية 2 من السورة 47 : محمّد صلّى الله عليه وآله : وَالّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصّلِحَتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزّلَ عَلَى مُحَمّدٍ وَهُوَ الْحَقّ مِن رّبّهِمْ كَفّرَ عَنْهُمْ سَيَّاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهمْ . وحينئذٍ ما هو الداعي لرسول الله أن يغضّ الطرف عن تلاوة هذه الآيات ، ويقرأ آية تدلّ على ارتداد الصحابة وكفرهم بعد وفاته ؟

126) هذه المطالب كلّها التي ذكرها ميرخواند في «روضة الصفا» أوردها خواند مير في «حبيب السير» ، ج 1 ، ص . 419 وقال أيضاً : يرى علماء الشيعة أنّ سبب رفض الصحابة كتابة الكتاب هو أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أراد أن يكتب وصيّة في ولاية أمير المؤمنين عليّ كرّم الله وجهه . والبيتان الآتيان الواردان في كتاب «كشف الغمّة» يُشعران بهذا المعنى :

أَوْصَى النّبِيّ فَقَالَ قَائِلُهُمْ
قَدْ ضَلّ يَهْجُرُ سَيّدُ البَشَر
وَأَرَى أَبَا بَكْرٍ أَصَابَ وَلَمْ
يَهْجُرُ وَقَدْ أَوْصَى إِلَى عُمَر

127) روى سليم بن قيس في كتابه ص 213 ، (الطبعة الثالثة ، النجف) عن ابن عبّاس أنّه قال : سمعت حديثاً من عليّ عليه السلام لم أفهم معناه ، سمعته يقول : إنّ رسول الله أسَرّ إلَيّ في مرضه وعَلّمني مفتاح ألف باب من العلم يفتح كلّ باب ألف باب . وإنّي لجالس بذي قار في فسطاط عَلِيّ وقد بعث الحسن وعمّاراً يستنفران الناس إذ أقبل عَلِيّ عليه السلام فقال : يا ابن عبّاس ! يقدم عليك الحسن ومعه أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين . فقلت في نفسي : إن كان كما قال فهو من تلك الألف باب . فلمّا أظلّنا الحسن بذلك الجند استقبلتُ الحسن ، فقلت لكاتب الجيش الذي معه أسماؤهم : كم رجل معكم ؟ فقال : أحد عشر ألف رجل غير رجل أو رجلين .

128) الآية 33 ، من السورة 33 : الأحزاب . وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنّ وَلَا تَبَرّجْنَ تَبَرّجَ الْجَهِلِيّةِ الْأُولَى . هذه الآية تخاطب نساء النبيّ صلّى الله عليه وآله . وأشار رسول الله قائلاً لعائشة وهو ينصحها : ما أنتِ وحرب الجمل وركوبك الجمل تقودين الجيش في ساحة القتال ؟! قرّي في بيتك أيّتها المرأة ولا تخرجي من قعره طاعة لهواكِ ، وطلباً للرئاسة ، وحقداً دفيناً على عليّ عليه السلام !

129) ذكر آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ بعض المطالب في كتابه القيّم «النصّ والاجتهاد» ص 93 إلى 95 ، الطبعة الثانية ، في المتن والتعليقة ، ومحصّلها :

أوّلاً : إنّما فاطمة الزهراء سلام الله عليها بمثابة من القدس تعدل بها مريم ابنة عمران بحكم النصوص الصريحة في السنن المتضافرة الصحيحة ، فمنها ما أخرجه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» وغيره من أعلام أثباتهم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله عادها وهي مريضة . فقال : كيف تجدينك يا بُنيّة ؟ قالت : إنّي لوجعة وإنّه ليزيدني أنّي ما لي طعام آكله . قال : يا بُنيّة ! أما ترضين أنّكِ سيّدة نساء العالمين ؟! قالت : يا أبه ! فأين مريم ابنة عمران ؟! قال : تلك سيّدة نساء عالمها وأنتِ سيّدة نساء عالمكِ ! أما والله لقد زوّجتكِ سيّداً في الدنيا والآخرة ... إلى آخر الحديث .

130) ثانياً : أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل من مريم ابنة عمران . وتفضيلها على مريم عليها السلام أمر مفروغ منه عند أئمّة العترة الطاهرة وأوليائهم من الإماميّة وغيرهم . صرّح بأفضليّتها على سائر النساء حتّى السيّدة مريم كثير من محقّقي أهل السنّة والجماعة كالتقيّ السبكيّ ، والجلال السيوطيّ ، والبدر ، والزركشيّ ، والتقيّ المقريزيّ ، وابن أبي داود ، والمناويّ فيما نقله عنهم العلّامة النبهانيّ في فضائل الزهراء ، ص 59 من كتابه «الشرف المؤبّد» .

ثالثاً : أنّ فاطمة ، ومريم ، وخديجة ، وآسية أفضل نساء الجنّة . أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عبّاس في ص 293 من الجزء الأوّل من مسنده . ورواه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب» ، وقاسم بن محمّد كما في ترجمة الزهراء من «الاستيعاب» أيضاً .

رابعاً : أنّ فاطمة والثلاث خير نساء العالمين . أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من «الاستيعاب» بالإسناد إلى أنس . ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمة الزهراء ، وخديجة من «الاستيعاب» .

خامساً : أنّ فاطمة سيّدة نساء المؤمنين أو سيّدة نساء هذه الأُمّة . أخرجه البخاريّ في ص 64 من الجزء الرابع من صحيحه ، ومسلم في باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه ، والترمذيّ في الصحيح ، وصاحب «الجمع بين الصحيحين» ، وصاحب «الجمع بين الصحاح الستّة» ، والإمام أحمد من حديث الزهراء ص 282 من الجزء السادس من مسنده ، وابن عبد البرّ في ترجمتها من استيعابه ، ومحمّد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته ، وفي باب ما قاله النبيّ في مرضه من المجلّد الثاني من «الطبقات

الكبرى» أيضاً . واللفظ الذي نذكره الآن هو للبخاريّ في آخر ورقة من كتاب الاستئذان ، من الجزء الرابع من صحيحه ، قال :

حدّثنا موسى عن أبي عوانة ، عن فراس ، عن عامر ، عن مسروق ، قال : حدّثتني عائشة أُمّ المؤمنين ، قالت : إنّا كنّا أزواج النبيّ عنده جميعاً لم تغادر منّا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي ، لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فلمّا رآها رحّب ، وقال : مرحباً بابنتي ، ثمّ أجلسها عن يمينه أو عن شماله ، ثمّ سارت فبكت بكاءً شديداً . فلمّا رأى حزنها ، سارّها الثانية ، إذا هي تضحك ، فقلتُ لها أنا من بين نسائه : خصّكِ رسول الله بالسرّ من بيننا ، ثمّ أنتِ تبكين ؟! فلمّا قام رسول الله صلّى الله عليه وآله سألتُها : عمّ سارّكِ ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله سرّه . فلمّا توفّي قلتُ لها : عزمت عليك بما لي عليكِ من الحقّ لما أخبرتني . قالت : أمّا الآن فنعم ، فأخبرتني .

قالت : أمّا سارّني في الأمر الأوّل فإنّه أخبرني أنّ جبريل كان يعارضه بالقرآن كلّ سنة مرّة ، وأنّه قد عارضني به العام مرّتين ، ولا أرى الأجل إلّا اقترب ، فاتّقي الله واصبري ، فإنّي نِعْمَ السلف أنا لكِ ! فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ . فلمّا رأى جزعي ، سارّني الثانية ، قال : يا فاطمة ! ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين ، أو نساء هذه الأُمّة ؟! فضحكتُ .

علماً أنّ السيّد شرف الدين ذكر هذين الحديثين أيضاً في كتابه الآخر : «الكلمة الغرّاء» ص 242 و . 243

131) روضة الصفا» الجزء الثاني من الطبعة الحجريّة ، باب وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ؛ و كذلك ذكر خواند مير أحوال النبيّ أيّام مرض موته في «حبيب السير» ج 1 ، ص 419 إلى . 422

يقول : «أيّها السيّد العظيم ! ماذا رأيتَ منّا نحن البائسين فتركتنا وذهبتَ إلى مكان آخر ؟

ما عرفنا قدرك يا ظلّ الله ولهذا منعتَ عنّا ظلّك .

لم يَلِقْ بك هذا العالم الضيّق فاخترتَ الإقامة في العرش الأعلى .

مضيتَ إلى وصاله بلا وداع ، وبلغت ساحة قدسه الخاصّة بلا واسطة .

ولا غرو فأنت طائر عشّه القدسيّ ، إذ حلّقتَ ثانية من هذا القفص إلى الرياض .

أفض علينا شيئاً من العبير الفوّاح يا زهرة الرجاء ممّا تعطّرتَ به مِن رياض الحقائق» .

132) يقول : «واسكب في أفواه الظامئين جرعة من ذلك الخمر الذي ذقته من الحقّ وليس فيه صداع» .

133) روى الشيخ المفيد في أماليه ، طبعة جماعة المدرّسين ، ص 49 و50 ، بسنده المتّصل عن مروان بن عثمان أنّه قال : لمّا بايع الناس أبا بكر دخل عليّ عليه السلام ، والزبير ، والمقداد بيت فاطمة عليها السلام ، وأبَوْا أن يخرجوا فقال عمر بن الخطّاب : اضرموا عليهم البيت ناراً . فخرج الزبير ومعه سيفه . فقال أبو بكر : عليكم بالكلب . فقصدوا نحوه ، فزلّت قدمه وسقط إلى الأرض ووقع السيف من يده . فقال أبو بكر : اضربوا به الحجر ، فضرب بسيفه الحجر حتّى انكسر . وخرج عليّ بن أبي طالب عليه السلام نحو العالية (كلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة فهو العالية . وكلّ ما كان دون ذلك فهو السافلة) فلقيه ثابت بن قيس بن شمّاس ، فقال : ما شأنك يا أبا الحسن ؟! فقال : أرادوا أن يحرقوا عَلَيّ بيتي وأبو بكر على المنبر يُبايَع ولا يدفع عن ذلك ولا ينكره . فقال له ثابت : لا تفارق كفّي يدك حتّى أُقتل دونك ! فانطلقا جميعاً حتّى عادا إلى المدينة ، وإذا فاطمة عليها السلام واقفة على بابها ، وقد خلت دارها من أحد من

القوم وهي تقول : لا عهد لي بقوم أسوأ محضراً منكم ، تركتم رسول الله صلّى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمرونا وصنعتم بنا ما صنعتم ولم تروا لنا حقّاً .

134) شرح نهج البلاغة» الجزء الثاني من الطبعة ذات الأجزاء الأربعة ، ص . 19

135) جمع ظئر ، وهي العاطفة على ولد غيرها ، وقيل : أظئر أعطف من أُمّ ؟

136) ذكر السيّد هاشم البحرانيّ في ص 602 إلى 606 ، البابان 75 و76 من كتابه «غاية المرام» اثني عشر حديثاً عن طريق العامّة ، وحديثاً عن طريق الخاصّة حول جيش أُسامة . وفيها أنّ رسول الله جعل فيه أبا بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأبا عبيدة الجرّاح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وغيرهم . ولعن من تخلّف عنه . ورُوي قول رسول الله : إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما ، في أبي بكر .

137) روى ابن سعد في الجزء الثاني من طبقاته ، ص 248 إلى 250 ، تحت عنوان : ما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه لأُسامة بن زيد رحمه الله خمسة أحاديث في تأكيد الرسول الأكرم وإصراره على تجهيز جيش أُسامة ومنها هذا الحديث . وذكر حديثاً آخر بسنده عن عروة بن الزبير أنّه قال : قد بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله أُسامة وأمره أن يوطئ الخيل نحو البلقاء حيث قُتل أبوه وجعفر . فجعل أُسامة وأصحابه يتجهّزون وقد عسكر بالجرف . فاشتكى رسول الله وهوعلى ذلك . ثمّ وجد في نفسه راحة فخرج عاصباً رأسه فقال : أَيّهَا النّاسُ ! أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ . ثَلَاثَ مَرّاتٍ . ثُمّدَخَلَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَاسْتُعِزّ بِهِ فَتُوُفّيَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

138) الطبقات الكبرى» ج 2 ، ص 190 ، طبعة بيروت 1376 هـ . ق .

139) السيرة النبويّة» ج 4 ، ص 299 و300 ، طبعة بيروت ، دار إحياء التراث العربيّ ؛ و«تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 431 ، طبعة دار الاستقامة .

140) الطبقات الكبرى» لابن سعد ، ج 2 ، ص 194 ، طبعة بيروت .

141) إنّ من الأدلّة الساطعة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وعظمته هوأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يؤمّر عليه أحداً في جيش . وإذا ما أشخص جيشاً فهو الأمير عليه . وعندما أمّر أبا بكر ثمّ عمر على الجيش الذي أنفذه لفتح خيبر ، ولاذا بالفرار ، لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام موجوداً فيه . بَيْدَ أنّه حينما قال : لأُعطين الراية غداً رجلاً يحبّه اللهُ ورسولُه ويحبّ الله ورسولَه كرّار غير فرّار . وأعطاها عليّاً عليه السلام وأمّره ، جعل أبا بكر وعمر تحت قيادته . ولمّا أمر وجوه المهاجرين والأنصار وأعلامهم أن ينضووا تحت لواء أُسامة بن زيد ، لم يأمر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك . وكان هذا من أجل أن يبيّن للأُمّة أنّ أُسامة ابن السبع عشرة . أو الثماني عشرة أو التسع عشرة ، أو العشرين ، ولم ينصّ أحد على أكثر من ذلك . أهلٌ للإمارة ، وغيره ليس أهلاً لها . ولله درّ ابن أبي الحديد المعتزليّ إذ يقول في قصيدته الرائيّة ، وهي إحدى علويّاته السبع ، ذاكراً أفضليّة أمير المؤمنين عليه السلام :

وَلَا كَانَ فِي بَعْثِ ابن زِيدٍ مُؤَمّرا
عَلَيْهِ لِيُضْحِي لِابْنِ زَيْدٍ مُؤَمّرا
ل وَلَا كَانَ يَوْمَ الغَارِ يَهْفُوا جَنَانُهُ
حِذَاراً وَلَا يَوْمَ العَرِيشِ تَسَتّرَا
وَلَا كَانَ مَعْزُولاً غَدَاةَ بَرَاءَةٍ
وَلَا فِي صَلَاةٍ أُمّ فِيهَا مُؤَخّرَا

فَتَىً لَمْ يُعَرّقْ فِيهِ تَيْمُ ابْنُ مُرّةٍ
وَلَا عَبَدَ اللّاتَ الخَبِيثَةَ أَعْصُرَا
إِمَامُ هُدىً بِالقُرْصِ آثَرَ فَاقْتَضَى
لَهُ القُرْصُ رَدّ القُرْصِ أَبْيَضَ أَزْهَرَا
يُزَاحِمُهُ جِبرِيلُ تَحْتَ عَبَاءَةٍ
لَهَا قِيلَ : كُلّ الصّيْدِ فِي جَانِبِ الفَرَا

(من القصيدة الثانية لابن أبي الحديد ، مع شرح السيّد محمّد صاحب «المدارك» وقد طبع طباعة حجريّة في مجموعة مع المعلّقات السبع وقصيدة البردة) .

نجد أنّ أبا الحديد يعدّ هنا مناقب الإمام في مقابل مثالب أبي بكر ويقول : لم يكن الإمام في جيش أُسامة بن زيد الذي كان رسول الله قد جعله أميراً ، فيكون أُسامة أميره . ولم يرتجف قلب الإمام في مبيته على فراش النبيّ إلى الصباح عندما هاجر والتحق به أبو بكر في الغار وكان قلب أبي بكر يرتجف . وعندما نشبت معركة بدر قتل أمير المؤمنين وحده خمسة وثلاثين رجلاً وقتل الملائكة وباقي المسلمين خمسة وثلاثين . أمّا أبو بكر فقد استتر في العريش الذي كان قد صُنع للنبيّ في حين لم يستتر أمير المؤمنين فيه . ولمّا أنفذ النبيّ صلّى الله عليه وآله أبا بكر ليبلّغ سورة براءة في مكّة ثمّ عزله وكلّف أمير المؤمنين بذلك ، لم يعزله كما لم يُؤَخّر في صلاة جماعة قطّ . وعليّ هو ذلك الفتى الذي لم يُضرب فيه بتيم بن مُرّة بعِرق ، لأنّه ليس من قبيلة أبي بكر ، ففيه عِرق أجداد رسول الله . كما لم يسجد أمام اللات الخبيثة ولم يعبدها أُزماناً طويلة وأعصاراً متوالية كما كان يفعل أبو بكر . وعليّ هو إمام الهدى الذي أعطى السائل قرصه عند إفطاره فرُدّ له قرص الشمس الأبيض الساطع . وهو الذي أخذه رسول الله يوم المباهلة مع نصارى نجران ، إذ جعله وفاطمة والحسنين عليهم السلام تحت الكساء اليمانيّ فأدخل جبرائيل نفسه تحت الكساء وافتخر بصحبته . فهو جامع الفضائل والمناقب كما جاء في المثل المشهور : كلّ الصيد في جوف الفرا . أي : إذا أردت صيداً صحراويّاً لذيذاً ففتّش عنه في داخل بطن الحمار الوحشيّ ، فهو ألذّ وصيده أشقّ .

142) قال العلّامة آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في «الفصول المهمّة» ص 86 ، الطبعة الثانية : كان اليوم الذي عبّأ فيه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله جيش أُسامة وجعل فيه وجوه المهاجرين والأنصار كأبي بكر ، وعمر ، وأبي عبيدة ، وسعد ، وأمثالهم هو أربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة . فلمّا كان من الغد ، دعا أُسامة ، فقال له : سر إلى موضع قتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد ولّيتك هذا الجيش . فلمّا كان يوم الثامن والعشرين من صفر ، بدأ به صلّى الله عليه وآله مرض الموت ، فحُمّ وصدّع . فلمّا أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم مثّاقلين ، خرج إليهم ، فحضّهم على السير وعقد صلّى الله عليه وآله اللواء لأُسامة بيده الشريفة .

وقال في ص 87 : تباطأ جيش أُسامة وامتنع عن المسير حتّى يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأوّل فخرج صلّى الله عليه وآله قبل وفاته بيومين وهومعصّب الرأس محموماً مألوماً . وخطب وغضب من طعنهم غضباً شديداً .

وقال في ص 88 : رجع أُسامة إلى المدينة يوم 12 ربيع الأوّل ومعه عمر وأبو عُبيدة وكان النبيّ يجود بنفسه . فرجع الجيش باللواء إلى المدينة .

أقول : هذا هو المشهور عند العامّة . والمأثور عند الخاصّة أنّه توفّي صلّى الله عليه وآله لليلتين بقيتا من صفر .

143) روى ابن أبي الحديد هذا الحديث أيضاً في «شرح نهج البلاغة» ج 2 ، ص 561 ، شرح الخطبة 195 من «نهج البلاغة» طبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة الكبرى . وخطب الإمام تلك الخطبة لدعوة الناس إلى الجهاد وبيان منزلته الخصيصة من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وكيفيّة وفاة رسول الله وهبوط الملائكة وعروجهم . وتبدأ الخطبة بقوله : وَلَقَدْ عَلِمَ المُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنّي لَمْ أَرِدّ عَلَى اللهِ وَعَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطّ .

وروى السيّد البحرانيّ الحديث الأوّل في «غاية المرام» ص 217 و218 عن الخاصّة ، عن الشيخ الصدوق بسنده المتّصل عن حذيفة بن أُسَيْد قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : معاشر الناس ! إنّي فَرَطُكم وأنتم واردون عَلَيّ الحوض ، حوضاً ما بين بُصَرى وصَنعاء ، فيه عدد النجوم قدحان من فضّةٍ ، وإنّي سائلكم حتّى تردون عَلَيّ الحوضَ عن الثّقلين ، فانظروا كيف تخلفونّي فيهما ؟ الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بيدكم ، فاستمسكوا به ولن تضلّوا ولا تبدّلوا في عترتي أهل بيتي فإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يَفترقا حتّى يَردا عَلَيّ الحوضَ . معاشر أصحابي ! كأنّي على الحوض أنتظر من يرد عَلَيّ منكم ، وسوف تؤخّر أناسٌ دوني فأقول : يا ربّ ! منّي ومن أُمّتي . فيقال : يا محمّد ! هل شعرتَ بما عملوا ؟ إنّهم ما رجعوا بعدك يرجعون على أعقابهم . ثمّ قال : أُوصيكم في عترتي خيراً وأهل بيتي فقام إليه سلمان فقال : يا رسول الله ! منِ الأئمّة بعدك ؟ أما هم من عترتك ؟ فقال : هم الأئمّة من بعدي من عترتي عدد نقباء بني إسرائيل تسعة من صُلب الحسين ، أعطاهم الله علمي وفهمي ، فلا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم ، وأتّبعوهم فإنّهم مع الحقّ والحقّ معهم عليهم السلام .

144) قال آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في الفصول المهمّة» ص 90 ، الطبعة الثانية : كان أُسامة ابن سبع عشرة سنة حين أمّره رسول الله على الأظهر . وقيل : كان ابن ثمان عشرة سنة . وقيل : ابن تسع عشرة سنة . وقيل : ابن عشرين سنة . ولا قائل بأنّ عمره كان أكثر من ذلك . وإنّما أمّر عليهم أُسامة ليّاً لأعنّة البعض ، وردّاً لجماح أهل الجماح منهم واحتياطاً على الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمّر أحدهم كما لا يخفى ، لكنّهم فطنوا إلى كلّ ما دبّر صلّى الله عليه وآله فطعنوا في تأمير أُسامة ، وتثاقلوا عن السير معه ، فلم يبرحوا من الجرف حتّى لحق النبيّ صلّى الله عليه وآله بربّه . فهمّوا حينئذٍ بإلغاء البعث وحلّ اللواء تارة ، وبعزل أُسامة أُخرى . ثمّ تخلّف كثير منهم عن الجيش كما سمعتَ . فهذه خمسة أُمور في هذه السريّة لم يتعبّدوا فيها بالنصوص الجليّة إيثاراً لرأيهم في الأُمور السياسيّة وترجيحاً لاجتهادهم فيها على التعبّد بنصوصه صلّى الله عليه وآله .

145) روى الشيخ المفيد في أماليه ، طبعة جماعة المدرّسين ، ص 212 بسنده عن زيد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه عليهم السلام ، قال : وضع رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه الذي توفّي فيه رأسه في حجر أُمّ الفضل وأُغمي عليه ، فقطرت قطرة من دموعها على خدّه ، ففتح عينيه وقال لها : مَا لَكِ يَا أُمّ الفَضْلِ ؟ قالت : نُعِيَتْ إلَيْنَا نَفْسُكَ ، وَأَخْبَرتَنَا أَنّكَ مَيّت . فإن يكن الأمر لنا فبشّرنا ، وإن يكن في غيرنا فأوص بنا . فقال لها النبيّ صلّى الله عليه وآله : أنتم المقهورون المستضعفون من بعدي .

146) الإرشاد» للشيخ المفيد ص 97 إلى 101 ، الطبعة الحجريّة ، وفي الطبعة الحديثة : ص 165 إلى 171 ، الفصل . 52

147) الطبقات الكبرى» ج 2 ، ص 204 ، في ذكر خروج رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى البقيع واستغفاره لأهله والشهداء ؛ و«تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 432 ، طبعة مطبعة الاستقامة ؛ و«المستدرك» للحاكم ، ج 3 ، ص . 52

وروى ابن شُبّة أبو زيد عمر بن شُبّة النميريّ البصريّ المولود سنة 173 هـ والمتوفّى سنة 262 هـ في «تاريخ المدينة» ج 1 ، ص 87 ، منشورات دار الفكر ، قم سنة 1410 هـ ، بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة قال : أَهَبّنِي رَسُولُ اللهِ ، وكان ذلك في جوف الليل ، فقال : إنّي قد أُمرت أن استغفر لأهل البقيع فانطلقتُ معه . ولمّا أشرف على البقيع قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، لو تعلمون ما نجّاكم الله منه ليهن ما أصبحتم فيه ممّا أصبح الناس فيه . أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها . الآخرة شرّ من الأُولى . ثمّ استغفر لهم ، ثمّ قال : يا أبا مويهبة ! إنّي قد أُعطيت خزائن الدنيا والخُلد ثمّ الجنّة ، فخُيّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنّة . فقلتُ : بأبي أنت وأُمّي ! فخذ خزائن الدنيا والخُلد ثمّ الجنّة ! فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، قد اخترت لقاء ربّي والجنّة .

148) المستدرك على الصحيحين في الحديث» ج 3 ، ص . 56

149) قال ابن سعد في طبقاته ، ج 2 ، ص 232 : في رواية ابن شهاب ، قال : قالت فاطمة الزهراء سلام الله عليها لنساء رسول الله : إنّه يشقّ على رسول الله الاختلاف (التردّد في حجرات زوجاته) فأذِنّ له ، فخرج من بيت مَيمونة إلى بيت عائشة .

150) تاريخ الطبريّ» ج 2 ، ص 433 ، طبعة مطبعة الاستقامة ؛ وروى ابن سعد مثلها فيطبقاته ، ج 2 ، ص 231 و232 ؛ وذكرها ابن هشام في سيرته ، ج 1 ، ص 298 ، الطبعة الرابعة ، بيروت .

151) هَلُمّ : تعال . وهو لازم ، وقد يتعدّى كقوله تعالى : هَلُمّ شُهَدَاءَكُمْ وهلمّ اسم فعل يستوي فيه المفرد والجمع والمذكّر والمؤنّث . ويُصْرَف ويُتّخذ فعلاً ويُلْحَقُ به ضمير . ويقال في تثنيته : هَلُمّا ، وفي تأنيثه : هلمّي ، وفي الجمع : هلمّوا .

152) اللّغط : الصوت والجَلَبة ، أو أصوات مبهمة لا تُفهم .

153) ذكر البخاريّ هذا الحديث في كتاب الطبّ والمرضى ، في باب قول المريض : قوموا عنّي . ج 7 ، ص 120 في طبعة بولاق سنة 1312 هـ ، وفي : ج 4 ، ص 5 ، طبعة المطبعة العثمانيّة المصريّة ، سنة 1351 هـ ، وفي : ج 4 ، ص 6 ، طبعة مطبعة دار إحياء الكتب العربيّة مع حاشية سندي ؛ ونقله البخاريّ أيضاً في كتاب النبيّ ، باب مرضه ، طبعة بولاق ، ج 6 ، ص 9 و10 ، وذكر قوله : «قال بعضهم» مكان قوله : «قال عمر» .

154) ورواها الشيخ المفيد أيضاً في أماليه ، طبعة جماعة المدرّسين ص 36 و37 بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عبّاس بهذا المتن عينه . وجاءت كلمة «أبداً» بعد كلمة «بعده» . ووردت «قوموا» مكان «قرّبوا» ، وتلحظ فيه زيادة في كلام عمر : «لا تأتوه بشيء» أيضاً . وقال في التعليقة : قال العلّامة المجلسيّ رضوان الله عليه : خبر طلب رسول الله صلّى الله عليه وآله الدواة والكتف ومنع عمر عن ذلك مع اختلاف ألفاظه متواتر بالمعنى ، وأورده البخاريّ ومسلم وغيرهما من محدّثي العامّة في صحاحهم ، وقد أورده البخاريّ في مواضع من صحيحه منها في الصفحة الثانية من مفتتحه .

155) صحيح البخاريّ» ج 1 ، ص 30 ، كتاب العلم ، باب كتابةالعلم ، طبعة بولاق مصر ، وفي طبعة المطبعة العثمانيّة المصريّة : ج 1 ، ص 22 و23 ، وفي : طبعة دار إحياء الكتب العربيّة مع حاشية سندي :

ج 1 ، ص 32 و . 33

156) صحيح البخاريّ» ج 4 ، ص 69 و70 ، كتاب الجهاد والسير ، باب جوائز الوفد ، طبعة بولاق ، و : ج 2 ، ص 117 ، طبعة المطبعة العثمانيّة بمصر ، و : ج 2 ، ص 178 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

وتتمّة الحديث : يقول يعقوب بن محمّد : سألت المغيرة بن عبد الرحمن عن جزيرة العرب أين تكون ؟ فقال : مكّة والمدينة واليمامة واليمن . وقال يعقوب : العرج أوّل تهامة .

157) قال في ««المصباح» : اللوح كلّ صحيفة من خشب وكتف ، إذا كُتب عليه سمّي لوحاً ؛ والدواة هي التي يُكْتَب فيها .

158) انظر : «صحيح مسلم» ج 2 ، ص 15 و16 ، طبعة عيسى البابيّ الحلبيّ بمصر ، وفي طبعة دار إحياء التراث العربيّ ، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي : ج 3 ، ص 1257 و1258 ، الأحاديث المرقّمة 20 و21 و. 22 ومعنى قوله : سكت عن الثالثة ، أنّ ابن عبّاس امتنع عن ذكرها . ومعنى قوله : أُنسيتها ، أنّ سعيد بن جبير نساها .

159) ذكر ابن الأثير الجزريّ في كتاب «الكامل في التاريخ» ج 2 ، ص 320 ، طبعة بيروت 1385 هـ ، الرواية الثالثة التي نقلناها عن البخاريّ . وأورد أبو الفداء الدمشقيّ في «البداية والنهاية» ج 5 ، ص 227 ، الحديث الذي نقلناه عن مسلم في صحيحه ، وجاء فيه : ما شأنه ؟ يهجر استفهموه ، ونقله أبو الفداء عن مسلم والبخاريّ كليهما ، وا لحديث الأوّل الذي نقلناه عن البخاريّ ومسلم . نقله هو أيضاً عنهما .

160) ويمكن أن يكون المعنى كالآتي : إذا مرض ، تبكين عليه ، وإذا صحّ ، تأخذن بعنقه . (كناية عن إعناته وإيقاعه في المشقّة) .

161) كما روى الملّا علي المتّقي الهنديّ في «كنز العمّال» ج 3 ، ص 138 ، الطبعة الأُولى .

162) الطبقات الكبرى» ج 2 ، ص 242 ، طبعة بيروت ، سنة 1376 هـ : ذكر الكتاب الذي أراد رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يكتبه لأُمّته في مرضه الذي مات فيه .

163) أورد المرحوم آية الله السيّد محسن جبل عامليّ رحمه الله في كتاب «أعيان الشيعة» ج 2 ، ص 226 إلى 232 ، الطبعة الثانية ، من المطالب التي ذكرها الشيخ المفيد في «الإرشاد» والتي نقلناها هنا وكذلك روايات العامّة عن البخاريّ ، ومسلم . وذكر السيّد ابن طاووس كثيراً من هذه الروايات في طرائفه ، طبعة مطبعة الخيّام بقم ، ص 431 إلى 435 تحت عنوان : منع عمر النبيّ صلّى الله عليه وآله عند وفاته أن يكتب كتاباً لا يضلّ بعده أبداً ، عن محمّد بن عليّ المازندرانيّ في كتاب «أسباب نزول القرآن» ، وعن الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» ، وعن مسند أحمد بن حنبل ، وصحيح مسلم ، وصحيح البخاريّ . وعرض بحثاً كلاميّاً دقيقاً . خاطب عمر وحاكمه وعاتبه في مواطن كثيرة منتحلاً اسم عبد المحمود . فأدان عمر إدانة قاطعة وحمّله آثام الأُمّة كلّها ، وألقى على عاتقه جميع أسباب الخلافات ، ونشوب الحروب والمذابح والنهب والسلب ، وضلال الأُمّة بعد رسول الله . وعدّه السبب الوحيد للانحراف .

164) يُستشفّ من أخبار العامّة وأحاديثهم أنّ لعمر صحابة وأتباع وعصابة كما كان لرسول الله صحابة وأتباع . روى العلّامة شرف الدين في «النصّ والاجتهاد» ص 177 ، الطبعة الثانية ، عن «سنن أبي داود» المثبّتة في هامش شرح الزرقانيّ على موطّأ مالك ، وكذلك في ص 103 من الجزء الثاني لشرح الزرقانيّ الموجود في هامش الصفحة ، في باب حجّ التمتّع وكراهة عمر التمتّع بالنساء وسط العمرة إلى الحجّ ، قال :

وَهذا ما كَرِهَهُ عُمَر وبعضُ أتباعِهِ فقال قائلهم : أنَنطلقُ وذكورنا تقطر ؟ من جهة أُخرى ، لمّا سأل أبو موسى الأشعريّ عمر عن هذه المسألة . وفقاً لرواية الإمام أحمد في ص 50 من الجزء الأوّل لمسنده من حديث عمر . قال له عمر مجيباً : قد علمتُ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد فعله هو وأصحابه ولكن كرهت أن يضلّوا بها معرّسين في الأراك ثمّ يروحون بالحجّ تقطر رؤوسهم ! ونجد هنا بكلّ وضوح أنّ عمر وأصحابه في جانب ، ورسول الله وصحابته في جانب آخر . فافهم وتأمّل واغتنم .

165) شرح نهج البلاغة» ج 2 ، ص 20 ، طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى .

166) هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْراً فِي نَوْمِهِ أَوْ مَرَضِهِ : خَلَطَ وَهَذَى .

167) حتّى البخاريّ الذي نقلنا عنه الرواية الأُولى عن كتاب الطبّ ، في باب قول المريض : قوموا عنّي وذكر فيها هذا اللفظ : فقال عمر ، نجد قد أورد هذه الرواية عينها بنفس اللفظ والسند في كتاب النبيّ ، باب مرضه ، طبعة بولاق ، ج 6 ، ص 9 و10 ، وقال : قال بعضهم . وذكر عبارة : ومنهم من يقول غير ذلك مكان عبارة : ومن قائل ما قال عمر .

168) الإرشاد» ص 97 ، الطبعة الحجريّة .

169) الطبقات» ج 2 ، ص 194 ، طبعة بيروت ؛ وهذا الجزء نفسه ، الدرس 181 إلى . 185 ومن الأدلّة الفاضحة الواضحة اعتراف الشهرستانيّ وكلامه أنّ القائل كان عمر . قال العلّامة الحلّيّ في كتاب «منهاج الكرامة» ص 48 و49 ، طبعة عبد الرحيم : وقد ذكر الشهرستانيّ وهو أشدّ المتعصّبين على الإماميّة : أنّ منشأ الفساد بعد إبليس الاختلافات الواقعة في مرض النبيّ صلّى الله عليه وآله : فأوّل تنازع في مرضه فيما رواه البخاريّ بإسناده إلى ابن عبّاس قال : لمّا اشتدّ بالنبيّ صلّى الله عليه وآله مرضه الذيتوفّي فيه ، قال : إئتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي ! فقال عمر : إنّ صاحبكم ليهجر حسبنا كتاب الله ! وكثر اللّغط . فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : قوموا عنّي لا ينبغي عندي التنازع !

170) هل يعقل أنّ الصحابة الحاضرين في المجلس ينسون وصيّة رسول الله وهم الذين نُقل عنهم جودة حفظهم وقدرة أذهانهم ، إذ كانت تُقرأ عليهم القصائد الطويلة مرّة واحدة فيحفظونها ، وتُتلى عليهم الخطب البديعة المفصّلة فيحفظونها بلا أدنى تغيير ؟ فهل يخال المرء أنّ مثل هؤلاء الرجال ينسون الوصيّة النبويّة الثالثة ؟! لا ، ليس الأمر كذلك ، ولكنّ السياسة الحاكمة الجائرة أرغمتهم على النسيان وعدم الذكر ، وذلك ما أصبح أُلعوبة بِيَدِ اللاعبين وموضعاً لسخرية أُولئك الصحابة الجهلاء حقّاً . ولا يخامرنا أدنى شكّ في أنّ تلك الوصيّة هي الوصيّة باستخلاف أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ذكرها الراوي .

171) صحيح مسلم» ج 3 ، ص 1258 ، طبعة دار إحياء التراث ، التعليقة رقم . 4

172) شرح نهج البلاغة» ج 3 ، ص 14 ، سطر 27 و28 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة الكبرى . وذكر العلّامة البحرانيّ في «غاية المرام» ص 595 إلى 620 ، سبعة عشر حديثاً عن طريق العامّة ، منها ثمانية عن ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ، وسبعة عن صاحب كتاب «سير الصحابة» ، كما ذكر حديثين عن طريق الخاصّة : أحدهما : مفصّل جدّاً عن كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ ، والآخر عن مؤلّف كتاب «الصراط المستقيم» . وكلّها تدور حول تجرّؤ عمر بن الخطّاب على رسول الله ، إذ كان يعلم أنّ النبيّ أراد أن يكتب نصّاً على ولاية عليّ عليه السلام في مرضه الذي مات فيه .

173) كما في الدرس 14 ، الجزء الأوّل من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس 91 إلى 93 من الجزء السابع منه . والدرس 110 إلى 115 من الجزء الثامن منه .

174) الآية 80 ، من السورة 4 : النساء .

175) الآية 59 ، من السورة 4 : النساء .

176) الآية 64 ، من السورة 4 : النساء .

177) الآية 7 ، من السورة 59 : الحشر .

178) الآيات 19 إلى 22 ، من السورة 81 : التكوير .

179) ألّف أحمد أمين المصريّ كتاباً في أُخريات حياته تراجع فيه عن كثير من التهم التي كان قد لصقها بالشيعة في كتابَيْه : «فجر الإسلام» ، و«ضحى الإسلام» ، وكتابه المذكور في الحقيقة كتاب توبة وإن لم يصرّح فيه بالتوبة والاعتذار . قال في ص 12 منه : وَأَمّا السّنّة فهي أهمّ مصدر بعد القرآن ، وقد تجرّأ قوم فأنكروها واكتفوا بالعمل بالقرآن وحده . وهذا خطأ . ففي السّنّة تفسير كثير من النبيّ صلّى الله عليه وآله في القرآن . ثمّ يشرح أحمد أمين هذا الموضوع بشكل مفصّل نسبيّاً .

180) الآية 1 ، من السورة 49 : الحجرات .

181) الآية 2 ، من السورة 49: الحجرات .

182) الآية 3 ، من السورة 49 : الحجرات .

ومن العجيب حقّاً أنّ هذه الآيات نزلت في أبي بكر وعمر لمّا تصايحا وتنازعا عند رسول الله . قال السيّد شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 196 و197 ، الطبعة الثانية : وكان سبب نزولها أن قدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله ركب من بني تميم يسألونه أن يؤمّر عليهم رجلاً منهم ، فقال أبو بكر . فيما أخرجه البخاريّ في تفسير الحجرات من الجزء الثالث من صحيحه ص 127 . : يا رسول الله ! أمّر عليهم القعقاع بن معبد ! متقدّماً بقوله هذا ومبادراً برأيه . فقال عمر على الفور من قول صاحبه : بل أمّر الأقرع بن حابس أخا بني مجاشع يا رسول الله ! فقال أبو بكر : ما أردتَ إلّا خلافي يا عمر . وتماريا جدالاً وخصومةً ، وارتفعت أصواتهما في ذلك . فأنزل الله تعالى هذه الآيات الحكيمة بسبب تسرّعهما في الرأي ، وتقدّمهما فيه بين يدي رسول الله ورفع أصواتهما فوق صوته صلّى الله عليه وآله .

ثمّ فسّر السيّد شرف الدين الآية : لَا تَرْفَعُوا أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النّبِيّ كالآتي : نهي عن القول المشعر بأنّ لهم مدخلاً في الأُمور أو وزناً عند الله ورسوله ، لأنّ من رفع صوته فوق صوت غيره ، فقد جعل لنفسه اعتباراً خاصّاً ، وصلاحيّة خاصّة ، وهذا ممّا لا يجوز ولا يحسن من أحد عند رسول الله صلّى الله عليه وآله .

183) الآية 21 ، من السورة 33 : الأحزاب .

184) الآية 24 ، من السورة 8 : الأنفال .

185) الآية 115 ، من السورة 4 : النساء .

وقال آية الله العلّامة السيّد شرف الدين العامليّ في خطبة كتاب «النصّ والاجتهاد» هامش ص 50 ، الطبعة الأُولى 1375 ، بعد الاستشهاد بهذه الآية : أخرج ابن مردويه في تفسير الآية أنّ المراد بمشاقة الرسول هنا إنّما هي المشاقة في شأن عليّ [بن أبي طالب] . وأنّ الهدى في قوله : بعدما تبيّن له الهدى إنّما هو شأنه عليه السلام . وأخرج العيّاشيّ في تفسيره نحوه . والصحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة في أنّ سبيل المؤمنين إنّما هو سبيلهم عليهم السلام .

186) الآيات 1 إلى 5 ، من السورة 53 : النجم .

187) الآيات 40 إلى 43 ، من السورة 69 : الحاقّة .

188) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج 2 ، ص 57 ضمن الخطبة 26 ، طبعة دار الإحياء ، إذ قال عمر لابن عبّاس : خشيناه على حداثة سنّه وحبّه بني عبد المطّلب .

189) شرح نهج البلاغة» ج 2 ، ص 58 ضمن الخطبة 26 ، طبعة دار الإحياء ، إذ قال عمر لابن عبّاس : يابن عبّاس ! إنّ أوّل من ريّثكم عن هذا الأمر أبو بكر ! إنّ قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة .

190) على الرغم من أنّ عمر كان يعلم ويدرك أنّ عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لكنّه بادر إلى غصب الخلافة منه . روى المرحوم السيّد ابن طاووس في طرائفه ، طبعة مطبعة الخيّام بقم ، ص 133 عن الفقيه الشافعيّ ابن المغازليّ في مناقبه بإسناده إلى نافع غلام ابن عمر قال : قلتُ لابن عمر . ونحن نعلم أنّ رأي ابن عمر كرأي عمر في مثل هذه المسائل . مَن خيرُ الناسِ بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ قال ابن عمر : ما أنت وذاك لا أُمّ لك ؟ ثمّ قال : أستغفر الله ، خيرهم بعده من كان يحلّ له ما يحلّ له ، ويحرم عليه ما يحرم عليه . قلتُ : من هو ؟! قال : عليّ بن أبي طالب عليه السلام . سدّ أبواب المسجد وترك باب عليّ وقال له : لك في هذا المسجد ما لي وعليك فيه ما عَلَيّ ، وأنت وارثي ووصيّي تقضي دَيني وتنجز عداتي وتقتل على سنّتي ، كذب من زعم أنّه يبغضك ويحبّني . وهذه الرواية موجودة في «مناقب ابن المغازليّ» ص 261 ، و«بحار الأنوار» ج 39 ، ص 33 ، الطبعة الحديثة .

191) الآية 7 ، من السورة 59 : الحشر .

192) قال ابن حجر في «الصواعق المحرقة» أواخر الفصل الثاني من الباب التاسع ، ص 75 : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجرته المباركة في مرضه والحجرة غاصّة بأصحابه : أَيّهَا النّاسُ ! يُوشكأن أُقبضَ قبضاً سريعاً فَيُنْطَلق بي ، وقد قدّمتُ إليكم القولَ معذرة إليكم ، ألا إنّي مُخلّفٌ فيكم كتابَ ربّي عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي . ثمّ أخذ بِيَدِ عليّ فرفعها فقال : هذا عليّ مع القرآن ، والقرآن مع عليّ لا يفترقان حتّى يَرِدَا عَلَيّ الحوضَ . الحديث . ونقله السيّد شرف الدين رحمه الله أيضاً في مراجعاته ص 15 و16 ، الطبعة الأُولى ، عن «الصواعق» .

193) الآية 67 ، من السورة 5 : المائدة .

194) ذكر أصحاب السير والتواريخ في كتبهم قصّة نفاق عمر وارتداده في صلح الحديبيّة مفصّلاً ، منهم البخاريّ في صحيحه ، في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، ج 2 ، ص 122 ، ومسلم في صحيحه ، باب صلح الحديبيّة ، ج . 2

195) السيرة الحلبيّة ، باب صلح الحديبيّة ، ج 2 ، ص . 706

و قال آية الله السيّد شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص 160 ، الطبعة الثانية : أخرج الإمام أحمد من حديث المسوّر بن مخرمة ، ومروان بن الحكم في مسنده ، ونصّ الحلبيّ في غزوة الحديبيّة من سيرته وغير واحد من أهل الأخبار : أنّ عمر جعل يردّ على رسول الله الكلام ، فقال له أبو عبيدة الجرّاح : ألا تسمع يابن الخطّاب رسولالله صلّى الله عليه وآله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! قال الحلبيّ وغيره : وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله يومئذٍ : يا عمر إنّي رضيتُ وتأبى !

196) ذكرنا قصّة عبد الله بن أُبيّ مفصّلاً في الجزء العاشر من كتابنا هذا ، الدرس 142 إلى . 148

197) كالعالم الجليل والعلّامة المجاهد الكبير قاضي القضاة في حلب السوريّة الشيخ محمّد مرعي أمين الأنطاكيّ الذي اعتنق مذهب التشيّع ، وألّف كتابه المعروف : «لماذا اخترتُ مذهب الشيعة مذهب أهل البيت

؟» وله الأبيات الآتية :

لماذا اخترتُ مذهب آل طه
وحاربتُ الأقارب في ولاها
وعفتُ ديار آبائي وأهلي
وعيشاً كان ممتلئاً رفاها ؟
لأنّي قد رأيتُ الحقّ نصّاً
وربّ البيت لم يألف سواها
فمذهبي التشيّع وهو فخرٌ
لمن رام الحقيقة وامتطاها
وهل ينجو بيوم الحشر فردٌ
مشى في غير مذهب آل طه ؟

لقد طالعتُ الكتاب المذكور فرأيته نفيساً ثميناً حقّاً . وكذلك الدكتور السيّد محمّد التيجانيّ السماويّ وهو من أهل قفصة التونسيّة ، وله كتاب عنونه : «ثمّ اهتديتُ» ، ذكر فيه سفره إلى الحجاز والعراق والتقائه بعلماء الشيعة في النجف الأشرف . ونقل أنّه تأثّر كثيراً بكلام المرحوم آية الله السيّد محمّد باقر الصدر أعلى الله مقامه الذي استُشهد على يد حزب البعث في العراق . ثمّ اختار مذهب التشيّع بعد تحقيق عميق في صحاح العامّة وسننهم دام ثلاث سنين . وقد وصلني الكتاب في هذه السنة وطالعتُه كلّه فوجدته عذباً رائعاً يشدّه الدليل والبرهان . أطال الله بقاء مؤلّفه ونصر الله به الحقّ في تأييد المذهب المبين .

198) أي : أنّك ستتعرّض إلى الأذى وسيخيفونك بعد ثلاثة أيّام . وجاء في «أقرب الموارد» : الناس عبيد العصا : يهابون مَن آذاهم .

199) صحيح البخاريّ» ج 6 ، ص 12 ، كتاب النبيّ ، باب مرضه ، طبعة بولاق ؛ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ، ج 2 ، ص 51 ؛ وكذلك نقله المقريزيّ في كتاب «النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم» طبعة النجف ، سنة 1386 ، ص 32 ، عن البخاريّ ، عن حديث الزهريّ .

200) البداية والنهاية» لأبي الفداء ابن كثير الدمشقيّ ، ج 5 ، ص 227 ؛ وابن سعد في طبقاته ، ج 2 ، ص 245 ، طبعة بيروت ؛ و«السيرة النبويّة» لابن هشام ، ج 4 ، ص 304 ، الطبعة الرابعة ، بيروت .

201) روضة الصفا» الطبعة الحجريّة ، الجزء الثاني ، تاريخ رسول الله ، ذِكر مرض موت رسول الله صلّى الله عليه وآله .

202) الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهانيّ المتوفّى سنة 430 في كتاب «حلية الأولياء» ج 1 ، ص 64 ؛ و«مناقب الخوارزميّ» ص 179 ، الطبعة الحجريّة ، بسنده المتّصل عن ابن عبّاس ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله .

203) حلية الأولياء» ج 1 ، ص 63 بسنده المتّصل عن رسول الله أنّه قال : ادعوا لي سيّد العرب ! يعني عليّ بن أبي طالب ، قالت عائشة : ألستَ سيّد العرب ؟! فقال : أنا سيّد ولد آدم وعليّ سيّد العرب . ولمّا قَدِم عليّ ، قال للأنصار : يا معشر الأنصار ... .

204) حلية الأولياء» ج 1ص 65 و66 ، بسنده المتّصل عن معاذ بن جبل ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَا عَلِيّ ! أخصمك بالنبوّة ولا نبوّة بعدي ، وتخصم الناس بسبع ولا يحاجّك فيها أحد من قريش :

أنت أوّلهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسويّة ، وأعدلهم في الرعيّة ، وأبصرهم بالقضيّة ، وأعلمهم عند الله مزيّة .

205) البداية والنهاية» ج 5 ، ص 227 و . 228

206) الآيتان 17 و18 ، من السورة 46 : الأحقاف . نقل العلّامة الطباطبائيّ في تفسير «الميزان» ج 18 ، ص 225 رواية عن تفسير «الدر المنثور» في أنّ هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر . وقال : قصّة خطبة مروان في مسجد المدينة ودعوته الناس إلى قبول استخلاف معاوية يزيد ، وإنكار عبد الرحمن ذلك عليه ، وجواب مروان له بقوله : ألستَ الذي قال لوالديه : أُفّ لكما ؟ وجواب عبد الرحمن بقوله : ألست ابن اللعين الذي لعن أباك رسولُ الله ؟ كلّ ذلك معروف . يريد العلّامة أن يستفيد من هذه الآية شيئاً ، إذ لمّا جاء فيها . حقّ عليهم القول ، فيمكن أن يفهم منها أنّ إسلام عبد الرحمن كان صوريّاً لا أثر له فهو من المخلّدين في النار ومن الخاسرين إلّا أن ننكر هذه الروايات فيه كما أنكرتها أُخته عائشة .

207) العلّامة الحاج السيّد مرتضى العسكريّ سبط المرحوم المحدّث العظيم آية الله ميرزا محمّد الطهرانيّ الشريف العسكريّ ، وهذا المرحوم قدّس الله نفسه خال والدي المرحوم السيّد محمّد صادق .

208) الآية 7 ، من السورة 3 : آل عمران .

209) الآية 38 ، من السورة 6 : الأنعام .

210) الآية 3 ، من السورة 5 : المائدة .

211) الآية 55 ، من السورة 24 : النور .

212) الآية 44 ، من السورة 16 : النحل .

والأجوبة الواردة في البحث الحادي عشر ، التي قدّمها علماء العامّة للدفاع عن عمر في ردّ كتابة رسول الله ، وأجوبتها كلّها مأخوذة من الكتاب النفيس الثمين «المراجعات» ص 246 إلى 251 ، المراجعتان 87 و88 ، الطبعة الأُولى . وكان المرحوم آية الله السيّد شرف الدين العامليّ قد سافر إلى مصر سنة 1329 هـ . وناظر فيها أحد علمائها الأعلام . الذي كان شيخ الإسلام في ربوعها . ثمّ تبودلت مناظراتهما عبر المراسلة . وقد طُبع هذا السّفر الكريم لحدّ الآن (سنة 1410 هـ) عشرين مرّة . ورحّب جميع المسلمين بموضوعاته ، وتشيّع الكثيرون من إخواننا السّنّة ببركة مطالعته . وهو من الكتب الخالدة . وينبغي للجميع مطالعته .

213) گلستان سعدي» ص 15 ، طبعة عبد العظيم گرگاني .

يقول : «يتمنّى الأشقياء من صميم قلوبهم أن تزول نعمة السعداء وجاههم .

وإذا لم يبصر الخفّاش طريقه في النهار ، فما هو ذنب عين الشمس ؟

إذا رُمتَ الصواب والحقيقة فإنّ ألف عين عمياء كعيون الخفّاش خير من أن تكون الشمس كاسفة» .

214) نقلاً عن كتاب «خصائص الفاطميّة» للميرزا محمّد باقر واعظ الطهرانيّ . ذكرها عن الشيخ الحرّ العامليّ .

215) يقول : «لو لم يكن سيّد الرسل خاتم الأنبياء ، فمن يليق بالنبوّة غير عليّ ؟

وإذا استشفع المرء بأحد غداً فإنّي أمسك بتلابيب المعصوم المرتضى» .

216) يقول : «إلهي ! بحقّ بني فاطمة وفّقني أن أختم حياتي بالإيمان .

وإذا رددتني أو قبلتني فإنّي أمسك بحبل آل الرسول» .

217) يقول : «أما تستحي يا سعدي ؟ ممّ تخاف ؟ قل : ليسلنا مولى بعد المصطفى إلّا عليّ» .

يرى البعض أنّ سعدي كان سنّيّاً ، مستدلّين بظاهر عباراته وأشعاره ، بخاصّة قصيدته التي نظمها في رثاء المستعصم وسمّاه فيها : أمير المؤمنين . ومنها هذا البيت .

آسمان را حق بود گر خون ببارد بر زمين

بر زوال ملك مستعصم أمير المؤمنين

(يقول : «حقيق لو مطرت السماء دماً لزوال ملك أمير المؤمنين المستعصم») . وذهب كثير من العلماء إلى أنّه كان شيعيّاً ، حاملين أشعاره وكلماته في الخلفاء على التقيّة ، ونخصّ منهم القاضي نور الله الشوشتريّ الذي ذكر البيتين الأوّلين اللذين نقلناهما في النصّ ، وقال إنّه رآهما في نسخة قديمة من نسخ ديوانه . وعندي أنّ سعدي ، والعطّار ، ومحيي الدين بن عربي وأمثالهم كانوا في البداية سُنّة ، ثمّ أدركوا الحقيقة في الفترة الأخيرة من أعمارهم بسبب كثرة مطالعاتهم أو بسبب تأ لّق نور العرفان في قلوبهم ، فتشيّعوا .

218) انظر في جميع ما تقدّم ممّا نقله أبو نعيم : «حلية الأولياء» ج 1 ، ص 65 إلى . 76

219) حلية الأولياء» ج 1 ، ص . 77 وذكره الكُلينيّ أيضاً بسندين في «أُصول الكافي» ج 1 ، ص 26 ، كتاب العلم ، باب صفة العلماء ، طبعة حيدري .

220) حلية الأولياء» ج 1 ، ص . 77

221) أي : كانوا يتلون القرآن في ركعات صلاة الليل وقوفاً ، ثمّ يركعون ويسجدون بعد الفراغ من التلاوة . وهذه هي كيفيّة صلاة الليل وتلاوة القرآن . ونحن تحدّثنا مفصّلاً عن هذا الموضوع في كتاب «نور ملكوت القرآن» ج 3 ، البحث السادس .

222) حلية الأولياء» ج 1 ، ص . 76

223) حلية الأولياء» ج 1 ، ص . 79

224) يقول : «طهّر نفسك من الباطل وارْعَوِ عن تدنيس قلبك .

اعملْ في هذه الدنيا المظلمة عملاً تحافظ فيه على عصمتك وطهارتك (وتصون فيه سمعتك وماء وجهك)» .

225) يقول : «إمّا لا تُشْعِر قلبك بفكرة الله ، أو لا تذكر اسم الحبيب على لسانك .

لا تتحدّث بالكنز وإذا أردتَ أن تتحدّث به فانسَ العناء .

إمّا لا تنظر بوَلَعٍ إلى ذوي الوجوه الحسان ، أو اصدف عن الاعتقاد بيوم القيامة .

إنّ الوجوه الحسان وإن كانت مُبهجة كلّها بَيدَ أنّنا ضحايا حبيب يقتل العاشقين .

إنّ عالم العشق رفيع جدّاً وإنّ محبوبنا ومعشوقنا غيور فراعِ الأدب ودعِ الغرور .

الكون كلّه مقيّد بسلسلة العشق وأقدام الجميع غاطسة في الوحل ، والعقل في هذه المرحلة لا يعقل .

إنّ الأرواح والأجساد احترقت من هذا المرهم ، والمُلك والمَلَك احترقا بنارالعشق وغمّه» .

وقد نشرت صحيفة «قُدس» المحلّيّة الصادرة في مدينة مشهد المقدّسة هذه الأبيات للعلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه في العدد 549 ، السنة الثانية ، يوم الأربعاء 15 ربيع الآخر 1410 هـ المصادف 24/8/1368 هـ . ش ، (الموافق 15/11/1989 م) .

ومن المؤسف أنّ الصحيفة المذكورة جعلت الذكرى السنويّة لوفاة العلّامة في اليوم المشار إليه حسب التأريخ الشمسيّ . وحسبت الذكرى وفقاً للسنة الشمسيّة على خلاف الموازين الشرعيّة كلّها . وكان يوم وفاة العلّامة في

الثامن عشر من محرّم الحرام ، وليس الخامس عشر من ربيع الثاني ، فتأمّل وافهم وانظر إلى أين يجرّ الضلالُ الإنسانَ .

خشت اوّل چون نهد معمار كج

تا ثريّا مىرود ديوار كج

يقول : «إذا وضع المعمار اللبنة الأُولى معوجّة ، فإنّ الجدار يظلّ معوجّاً ولو ارتقى إلى الثريّا» .

226) يقول : «لا أُقايض حبّك بعالَم الإمكان (لا أرتضي بعالم الإمكان ، عن حبّك بدلاً) فهو كنز ثمين لا أُعطيه زهيداً .

إنّ الدمعة التي أسكبها عند ذكرهم لا أُعادلها بالجوهرة المستديرة .

لو خُيّرتُ بين الجنّة والكوثر وبين دربك لما اخترتُ الجنّة والرضوان دونه» .

227) يقول : «لا أذكر اسمك عند الأجانب (خوفاً من هتك حرمته) فهو الاسم الأعظم ، ولا أُعطيه العفاريت .

إنّ عبوديّتي لك تاجُ فخرٍ لي ولا أبتغي تاج الملوك عنه بدلاً .

لا أقبض يدي عن التعلّق بأذيالهم (عن أهل البيت) وقلبي لا ينشدّ إلّا إلى القرآن والعترة .

إنّ درّ الولاية الذي أخذته منه وأخفيته في قلبي جوهر ساطع لا أُعطيه زهيداً .

إنّ روحي المودعة بين جَنْبَيّ في هذه الدنيا العارية لا أفديها إلّا في الثناء على الحبيب المعشوق .

إنّ آل عليّ روح العالَم وعالَم الروح ولا أُسلّم روحي لقابض الأرواح بدون حبّهم .

أبذل مهجتي شوقاً إلى لقائك يا عليّ ، ولا أجود بروحي ما لم تضع قدمك على رأسي» .

228) يقول : «لقد عكف الناسُ اليومَ كلّ على صنمه ، أمّا أنا فلا أتوجّه إلّا شطر قِبلة الإيمان» .

عن كتاب «مصيبة الأولياء» طبعة إقبال ، من نظم أحمد الحسينيّ الفيروزآباديّ . وقد نظمها صاحبها في الإمام الحسين عليه السلام ، فلذا جاء البيت الآتي بعد البيت الرابع :

اى خاك كربلاى تو مهر نماز من

آن مهر را به مهر سليمانننمىدهم

يقول : «يا مَن تربة كربلائك تربة صلاتي ، فلا أُقايض تلك التربة بخاتم سليمان» .

وجاء فى البيت ما قبل الأخير قوله :

* جان مىدهم به شوق وصال تو يا حسين *

يقول : «أبذل مهجتي شوقاً إلى لقائك يا حسين» .

بَيدَ أنّا لمّا أوردنا هذه الأبيات في أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد نقلناها بالنحو المذكور على سبيل الاقتباس والاستخدام .

230.229) «حلية الأولياء» ج 1 ، ص . 64

231) المراجعات» ص 287 ، الطبعة الأُولى . والبيتان لحسّان بن ثابت .

232) المقصود هنا وحدة مقامه مع النبيّ ، أي : نحن صنوان من جذرٍ واحد ، لقوله عليه السلام : وَأَنا مِن رسول الله كالصّنو من الصّنْو والذّراع من العضد . وصنوان كما قال صاحب «أقرب الموارد» : إذا خرج نخلتان أو أكثر من أصل واحد ، فكلّ واحدة منهنّ صِنْوٌ .

233) المراجعات» ص . 286 والبيتان لعبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب .

الدرس السادس والثمانون بعد المائة إلى التسعين بعد المائة: تواتر حديث الثّقلَين

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهِرِينَ

ولَعْنَةُ اللهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّينِ ولَا حَولَ ولَا قُوّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلّا رِجَالاً نّوحِى إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيّنَتِ وَالزّبُرِ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذّكْرَ لِتُبَيّنَ لِلنّاسِ مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلّهُمْ يَتَفَكّرُونَ . (1)

شاهدنا هنا هو ذيل الآية الثانية : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذّكْرَ . أي : أنّنا أرسلنا القرآن إلى الناس تدريجيّاً ، ونزوله الدفعيّ إليك من أجل أن تبيّنه للناس وتشرحه وتفسّره ، فأنت نافذة وآية لعبور الوحي إلى الناس ؛ ونزل القرآن في الحقيقة إليهم وعليهم عبر مرآة نفسك وآيتها ونافذتها الوحيدة ! وهكذا فبيانه وتوضيحه وشرحه وتفسيره عليك أنت لا على غيرك !

قال سماحة أُستاذنا الأكرم آية الله العلّامة الطباطبائيّ قدّس سرّه في تفسير هذه الفقرة :

لا شكّ أنّ تنزيل الكتاب على الناس ، وإنزال الذكر على النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله واحد ، بمعنى أنّ تنزيله على الناس هو إنزاله إليه ليأخذوا به ويوردوه مورد العمل كما قال تعالى : يَأَيّهَا النّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَنٌ مّن رّبّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مّبِينًا . (2) وقال : لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . (3)

فيكون محصّل المعنى أنّ القصد بنزول هذا الذكر إلى عامّة البشر وأنّك والناس في ذلك سواء . وإنّما اخترناك لتوجيه الخطاب وإلقاء القول لا لنحمّلك قدرة غيبيّة وإرادة تكوينيّة إلهيّة فنجعلك مسيطراً عليهم وعلى كلّ شيء ! بل لأمرين :

أحدهما : أن تبيّن للناس ما نُزّل إليهم ، لأنّ المعارف الإلهيّة لا ينالها الناس بلا واسطة ! فلابدّ من بعث واحدٍ منهم للتبيين والتعليم . وهذا هو غرض الرسالة ينزل إليه الوحي فيحمله ثمّ يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبيينه .

والثاني : رجاءَ أن يتفكّروا فيك فيتبصّروا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله . فإنّ الأوضاع المحيطة بك والحوادث والأحوال الواردة عليك في مدى حياتك من اليُتم ، وخمود الذكر ، والحرمان من التعلّم والكتابة ، وفقدان مُرَبّ صالح ، والفقر والاحتباس بين قوم جهلة أخسّاء صفر الأيدي من مزايا المدنيّة وفضائل الإنسانيّة ، كانت جميعاً أسباباً قاطعة أن لا تذوق من عين الكمال قطرة ، ولا تقبض من عُرى السعادة على مسكة ، لكنّ الله سبحانه وتعالى أنزل إليك ذكراً تتحدّى به الجنّ والإنس مهيمناً على سائر الكتب السماويّة تبياناً لكلّ شيء وهدى ورحمة وبرهاناً ونوراً مبيناً .

(إلى أن قال) : ومن لطيف التعبير في الآية قوله : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ، و : مَا نُزّلَ إِلَيْهِمْ بتفريق الفعلين بالإفعال الدالّ على اعتبار الجملة والدفعة ، والتفعيل الدالّ على اعتبار التدريج .

ولعلّ الوجه في ذلك أنّ العناية في قوله : وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذّكْرَ بتعلّق الإنزال بالنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله فقط من غير نظر إلى خصوصيّة نفس الإنزال ، ولذلك أخذ الذكر جملة واحدة ، فعبّر عن نزوله من عنده تعالى بالإنزال .

وأمّا الناس ، فإنّ الذي لهم من ذلك هو الأخذ والتعلّم والعمل ، وقد كان تدريجيّاً ، ولذلك عُني به ، وعبّر عن نزوله إليهم بالتنزيل .

وفي الآية دلالة على حُجّيّة قول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله في بيان الآيات القرآنيّة .

وأمّا ما ذكره بعضهم أنّ ذلك في غير النصّ والظاهر من المتشابهات ، أو فيما يرجع إلى أسرار كلام الله وما فيه من التأويل فممّا لا ينبغي أن يُصغى إليه .

هذا في نفس بيانه صلّى الله عليه وآله ، ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره . وأمّا سائر الأُمّة من الصحابة أو التابعين أو العلماء ، فلا حجّيّة لبيانهم ، لعدم شمول الآية وعدم وجود نصّ معتمد عليه يعطي حجّيّة بيانهم على الإطلاق .

وأمّا قوله تعالى : فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، فقد تقدّم أنّه إرشاد إلى حكم العقلاء بوجوب رجوع الجاهل إلى العالم من غير اختصاص الحكم بطائفة دون طائفة .

هذا كلّه في نفس بيانهم المتلقّى بالمشافهة . وأمّا الخبر الحاكي له ، فما كان منه بياناً متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعيّة ، وما يلحق به فهو حجّة لكونه بيانهم . وأمّا ما كان مخالفاً للكتاب أو غير مخالف لكنّه ليس بمتواتر ولا محفوفاً بالقرينة ، فلا حجّيّة فيه لعدم كونه بياناً في الأوّل ، وعدم إحراز البيانيّة في الثاني . وللتفصيل محلّ آخر . (4)

القرآن كلام الله وتجلّيه في هذا اللباس للخلائق قاطبة من جنّ وإنس ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : فَتَجَلّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ . (5)

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً : لَقَدْ تَجَلّى اللهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . (6)

ومن الواضح أنّ معنى التجلّي هو الظهور ، والظهور غير البينونة كما أنّ التجلّي غير التجافي . ويُلحَظُ في التجلّي أنّ المتجلّي ، والمتجلّى فيه ، وحقيقة التجلّي شيء واحد . وكذلك يُلْمَسُ في الظهور أنّ الظاهر ، والمَظهَر ، وحقيقة الظهور شيء واحد .

إنّ عالم الوجود بما فيه القرآن الكريم تجلّي الله حسب المنظور القرآنيّ . وهذا الموضوع من الثوابت في مدرسة أهل البيت ، ويُعَدّ من أبجديّتها وألفبائها . ولا تعني الخلقة بينونة المخلوق عن الخالق وتولّده منه ، فلله سبحانه وتعالى معيّة وجوديّة وذاتيّة ترافق الموجودات والمخلوقات بأسرها ، وحينئذٍ لا يُتَصَوّرُ الانفصال والبينونة . أمّا الجاهلون بمعارف القرآن وأهل البيت ، فإنّهم لم يدركوا هذا المعنى ، وكفّروا القائلين بوحدة الوجود ، بينما هم منغمسون في الشرك من رأسهم حتّى أخمصهم .

إنّهم ظنّوا أنّ معنى وحدة الوجود يتمثّل في لباس الاتّحاد أو الحلول وأمثال ذلك ممّا يستلزم تكثّر ذات الحقّ المقدّسة . وهذا ليس معنى الوحدة . بل معناها الوحدة في الذات والاسم والصفة ، ومعيّته الحقيقيّة لا الاعتباريّة . وهذه نقطة دقيقة سامية يبتني عليها أصل التوحيد القرآنيّ .

ولمّا كان القرآن تجلّياً لله ، فإنّ الله معه في العوالم الخمسة النازلة المسمّاة الحَضَرات الخَمْس كلّها إلى أن يصل عالم الحسّ والشهادة هذا .

وكذلك معنى القرآن وحقيقته الحافظة له ، والمهيمنة عليه ، فهي معه اعتباراً من روح القُدُس الذي هو أعظم الملائكة ، إلى هذا العالم ، عالم المادّة الذي هو أظلم العوالم . طَرَفٌ منه : وَإِنّكَ لَتُلَقّى الْقُرْءَانَ مِن لّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، (7) وطرف في هذا العالم المليء بالصخب والضجيج ، والناس المبتلين بالآفات والعاهات والغرائز والحواسّ : قُلْ نَزّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رّبّكَ بِالْحَقّ لِيُثَبّتَ الّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . (8)

إنّ النبيّ والإمام الحاملَين للقرآن الحافظَين له هما مع القرآن الكريم في المراحل الملكوتيّة والمُلكيّة برمّتها ، وهذا الموضوع شرط ولايتهما الكلّيّة ، إذ هما مع كلّ موجود في كلّ عالم ، ولا يفترقان عنه أبداً .

روى عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره ، والمجلسيّ في «بحار الأنوار» عن كتاب «الغيبة» للنعمانيّ ، بثلاثة أسناد عن أمير المؤمنين ، والباقر ، والصادق عليهم السلام أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله قال في خطبته المشهورة التي ألقاها في حجّة الوداع في مسجد الخيف : إنّي وَإِنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَى الحَوْضِ ، حَوْضاً عَرْضُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى [9] إلى صَنْعَاءَ ، فيه قِدْحَانٌ [10] عَدَدَ نُجُومِ السّمَاءِ ، وَإِنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ القُرْآنُ ، وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، هُمَا حَبْلُ اللهِ مَمْدُودٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلّوا ، سَبَبٌ مِنْهُ بِيَدِ اللهِ وَسَبَبٌ بِأَيْدِيكُمْ . [11]

وفي حديث آخر : طَرَفٌ مِنْهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ مِنْهُ بِأَيْدِيكُمْ ، إنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ قَدْ نَبّأَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، كَإِصْبَعَيّ هَاتَيْنِ . وَجَمَعَ بَيْنَ سَبّابَتَيْهِ . وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ . وَجَمَعَ بَيْنَ سَبّابَتِهِ وَالوُسْطَى . فَتَفْضُلَ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ . [12]

ونقل المجلسيّ عن كتاب «العلل» لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم أنّ العلّة في قوله صلّى الله عليه وآله «لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض» أنّ القرآن معهم في قلوبهم في الدنيا ، فإذا صاروا إلى عند الله عزّ وجلّ كان معهم . ويوم القيامة يردون الحوض وهو معهم . [13]

والطريف في هذا الخبر قوله : هُمَا حَبْلُ اللهِ مَمْدُودٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهِ عَزّ وَجَلّ . أي : كما أنّ القرآن من الله لخلقه ، وكلام الله الصادر عن عالم التجرّد لكم أيّها البشر في عالم الطبيعة . فهو حبل ممدود من هناك إلى هنا . فكذلك عترة رسول الله ، إذ هم من الله ، وهم كلمته التكوينيّة الإلهيّة من عالم التجرّد لكم أيّها الناس المغمورون في عالم الحسّ والشهادة ، وهم الحبل المعنويّ والحقيقيّ وواسطة الفيض من الله إلى خلقه ، وهداية خلق الله إلى الله بأمر الله الملكوتيّ .

وهذا هو المراد من الولاية الكلّيّة والسيطرة التكوينيّة والوجوديّة لتلك الذوات المقدّسة على عوالم الوجود بأسرها ، وهو معنى الولاية نفسه . وكون القرآن معهم ، وهم معه في كلّ عالم من هذه العوالم يفيد أنّنا لو أردنا . فرضاً . أن نلقى القرآن في نقطةً من النقاط بدونهم ، فهذا يعني أنّنا لا قرآن عندنا ، ولو أردنا أن نلقاهم في موطن من المواطن خالين من القرآن فهذا يعني أنّنا لا أئمّة عندنا .

وفي ضوء هذا المنطق ، نجد أنّ قول القائل : عِنْدَكُمُ القُرْآنُ ، حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ خلاف ضرورة العقل والقواعد القويمة للشرع المبين . والمعادلة التي نستنتجها هي :

كتاب الله . عترة رسول الله كتاب الله . كتاب الله .

إذ إنّ كتاب الله جعل كلام رسول الله وسنّته حجّة ، وكلام رسول الله هو الذي نطق بكتاب الله . ولا شبهة ولا تردّد عند أحد المسلمين في وجوب اتّباع كتاب الله والعمل به . بينما جعل كتابُ الله أمَر رسول الله ونهيه وكلامه وسنّته وخطّه ومنهاجه ووصيّته حجّةً ، وعليه قدّم رسول الله عترته الذين هم أهل بيته بوصفهم القائمين بالأمر ، والأئمّة ، والأُمراء ، والقادة ، والسادة ، والرؤساء ، والحكّام ، وحرّاس كتاب الله ، وحافظيه ، ومُبيّنيه ، ومفسّريه ، وحامليه ، وصائنيه ، والعلماء به ، ومعلّميه . وكما كان واجباً على الناس في عصره أن يرجعوا إليه ، ويأخذوا منه كتاب الله علماً وعملاً ، وينظروا إليه على أنّه الإمام والأُسوة والمقتدى وواجب الطاعة ، فكذلك عرّف رسول الله عترته بعده بهذه المنزلة والمكانة ، وجعل الإمامة فيهم واحداً بعد آخر حتّى مهديّهم وقائمهم عليهم السلام .

النتيجة : العمل بكتاب الله واجب ، والعمل بسنّة رسول الله على أساس كتاب الله واجب . وحينئذٍ يكون العمل بمنهاج العترة وخطّها ، واتّباعها على أساس سنّة رسول الله واجباً أيضاً .

مقدّم چون پدر ، تالی چون مادر

نتیجه هست فرزند ای برادر (14)

لو فرضنا هنا أنّنا لا نملك دليلاً روائيّاً وتأريخيّاً وتفسيريّاً من كتب العامّة في وجوب طاعة أهل البيت وإمامتهم وخلافتهم . في حين نجد أنّ كتبهم مشحونة بذلك وقد بلغت في الكثرة مبلغاً أنّنا قد لا نجد مثلها في كتب الشيعة . وأثبتنا حقّانيّتهم ووصايتهم وخلافتهم بلا فصل ، ولزوم اتّباعهم اعتماداً على كلامهم وكتبهم ك «الأُصول الأربعمائة» ، و«نهج البلاغة» ، و«الصحيفة السجّاديّة» ، و«مصحف فاطمة» ، وكتاب عليّ ، والأحاديث المتقنة الموثوقة من طرق الشيعة كسُلَيْم بن قيس الهلاليّ ، لكفانا ذلك ، وكانت الحجّة قد تمّت على عامّة المسلمين ، ولا يلزم الدّوْر ، فيُقال : إنّ إثبات إمامتهم يبتني على صحّة هذه المطالب ، وصحّة هذه المطالب تبتني على إثبات إمامتهم . وهذا هو الدّوْر .

ذلك أنّنا نثبت مطالبهم ولزوم اتّباعهم من كلام رسول الله ، إذ جعلهم حجّة في أحاديثه المتواترة كحديث الغدير ، وحديث الثّقَلَين ، وحديث السفينة ، وحديث باب حطّة بني إسرائيل وأمثالها التي وصلت إلينا بالتواتر . وينبغي أن يعتقد أهل العلم والاطّلاع من المسلمين جميعهم بتواترها وثبوتها .

وعلى هذا فإنّ إثبات كلام أمير المؤمنين في «نهج البلاغة» أو سائر كلمات الأئمّة وأقوالهم ، أو حديث الثقلين محرزٌ ، إذ يصدّقه الطرفان . فكيف يستلزم الدّوْر ؟

روى الشيخ الصدوق في كتاب «عيون أخبار الرضا» بثلاثة أسناد عن الرضا ، عن آبائه عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ! (15)

(16)

وقال ابن شهرآشوب في مناقبه : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لَمْ يَمُتْ نَبِيّ قَطّ إِلّا خَلّفَ تَرِكَتَهُ ، وَقَدْ خَلّفْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (17)

وروى العيّاشيّ في تفسيره عن مسعدة بن صدقة أنّه قال : قال الصادق عليه السلام :

إِنّ اللهَ جَعَلَ وَلَايَتَنَا أَهْلَ البَيْتِ قُطْبَ القُرآنِ ، وَقُطْبَ جَمِيعِ الكُتُبِ عَلَيْهَا يَسْتَدِيرُ مُحْكَمُ القُرآنِ ، وَبِهَا يُوهَبُ الكُتُبُ ، وَيَسْتَبِينُ الإِيمَانُ ، وَقَدْ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يُقْتَدَى بِالقُرآنِ وَآلِ مُحَمّدٍ وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا : إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : الثّقَلَ الأَكْبَرَ وَالثّقَلَ الأَصْغَرَ ، فَأَمّا الأَكْبَرُ فَكِتَابُ رَبّي ، وَأَمّا الأَصْغَرُ فَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَاحْفَظُونِي فِيهِمَا فَلَنْ تَضِلّوا مَا تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا . (18)

وقال المجلسيّ في موضع آخر ، قد مضى في احتجاج الحسن بن عليّ عليهما السلام وأصحابه على معاوية أنّه عليه السلام قال : نَحْنُ نَقُولُ أَهْلَ البَيْتِ : إِنّ الأَئِمّةَ مِنّا ، وَإِنّ الخِلَافَةَ لَا تَصْلَحُ إِلّا فِينَا ، وَإِنّ اللهَ جَعَلَنَا أَهْلَهَا فِي كِتَابِهِ وَسُنّةِ نَبِيّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وإِنّ العِلْمَ فِينَا وَنَحْنُ أَهْلُهُ ، وَهُوَ عِنْدَنَا مَجْمُوعٌ كُلّهُ بِحَذَافِيرِهِ ، وَإِنّهُ لَا يَحْدُثُ شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ حَتّى أَرْشُ الخَدْشِ إِلّا وَهُوَ عِنْدَنَا مَكْتُوبٌ بِإِمْلَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَطّ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ بِيَدِهِ . (19)

وروى عن مناقب ابن شهرآشوب ، عن أبي نُعَيم في حليته ، وعن الخطيب في «الأربعين» بإسناده عن السّدّيّ ، عن عبد خَيْر ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : لَمّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَقْسَمْتُ . أَوْ حَلَفْتُ . أَن لَا أَضَعَ رِدَايَ عَلَى ظَهْرِي حَتّى أَجْمَعَ مَا بَيْنَ اللّوْحَيْنِ . فَمَا وَضَعْتُ رِدَايَ حَتّى جَمَعْتُ القُرْآنَ .

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام : إنّهُ آلَى أَنْ لَا يَضَعَ رِدَاءَهُ عَلَى عَاتِقِهِ إلّا لِلصّلَاةِ حَتّى يُؤَلّفَ القُرْآنَ وَيَجْمَعَهُ . فَانْقَطَعَ عَنْهُمْ مُدّةً إلَى أَنْ جَمَعَهُ ثُمّ خَرَجَ إلَيْهِم بِهِ فِي إزَارٍ يَحْمِلَهُ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي المَسْجِدِ ، فَأَنْكَرُوا مَصِيرَهُ بَعْدَ انْقِطَاعٍ مَعَ التّيهِ . (20) فَقَالُوا : لِأَمْرٍ مَا جَاءَ أَبُو الحَسَنِ ؟!

فَلَمّا تَوَسّطَهُمْ وَضَعَ الكِتَابَ بَيْنَهُمْ ثُمّ قَالَ : إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا ، كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! وَهَذَا كِتَابُ اللهِ وَأَنَا العِتْرَةُ .

فَقَامَ إلَيْهِ الثّانِي فَقَالَ : إنْ يَكُنْ عِنْدَكَ قُرآنٌ فَعِنْدَنَا مِثْلُهُ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمَا ! فَحَمَلَ عَلَيْهِ السّلَامُ الكِتَابَ وَعَادَ بِهِ بَعْدَ أَنْ أَلْزَمَهُمُ الحُجّةَ . (21)

وفي خبر طويل عن الصادق عليه السلام أنّه حَمَلَهُ وولّى راجعاً نحو حجرته وهو يقول : فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ . (22) ولهذا قرأ ابن مسعود : إنّ عَلِيّا جَمَعَهُ وَقَرَأَ بِهِ وَإِذَا قَرَأَ فَاتّبِعُوا قِرَاءَتَهُ . (23)

وروى الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنده عن أبي ثابت غلام أبي ذرّ ، عن أُمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَرَضِهِ الّذِي قُبِضَ فِيهِ ، يَقُولُ وَقَدِ امْتَلأَتِ الحُجْرَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ : أَيّهَا النّاسُ ! يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقَ بِي ، وَقَدْ قَدّمْتُ إلَيْكُمْ القَوْلَ مَعْذِرَةً إلَيْكُمْ ، أَلَا إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ رَبّي عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ فَرَفَعَهَا فَقَالَ : هَذَا عَلِيّ مَعَ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيّ ، خَلِيفَتَانِ بَصِيرَتَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَأَسْأَلُهُمَا مَاذَا خُلّفْتُ فِيهِمَا ؟ (24)

وذكر ابن حجر هذا الحديث في «الصواعق المحرقة» بالألفاظ نفسها ، إلّا أنّ ما جاء في آخره هو قوله : فَاسْأَلُوهُمَا ما خُلّفْتُ فِيهِمَا . (25) وكذلك ذكره آية الله السيّد شرف الدين العامليّ في أوّل كتاب «المراجعات» . (26)

وهذا الحديث أيضاً رائع جدّاً ، لأنّ قول أُمّ سلمة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله : عَلَيّ مَعَ القُرآنِ وَالقِرآنُ مَعَ عَلِيّ ورد في كثير من الكتب بهذا اللفظ وبلا شيء يُضَمّ إليه . بَيدَ أنّ ذِكره بهذه المواصفات وبيان الثقلين ، ثمّ الاستشهاد بمعيّة الإمام للقرآن بهذا اللفظ ، ناهيك عن رفعه يد الإمام وتقديمه إلى الناس بعينه وبشخصه ، وقوله إنّ كلامه آخر حجّة يُلقيها ، كلّ أُولئك من المزايا والأدلّة على تأكيد معيّة عليّ والقرآن ، وعدم افتراقهما حتّى ورودهما على رسول الله الحوض معاً .

ولعلّ ذلك المجلس كان منطلَق الشيخ الطوسيّ ، إذ روى في أماليه بسند آخر عن أبي ثابت غلام أبي ذرّ ، عن أُمّ سلمة أنّها سمعت رسول الله يقول : إنّ عَلِيّاً مَعَ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ مَعَ عَلَيّ ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (27)

وجاء في تفسير عليّ بن إبراهيم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : أَلَا إنّ العِلْمَ الّذِي هَبَطَ بِهِ آدَمُ مِنَ السّمَاءِ إلى الأرضِ وَجَمِيعِ مَا فُضّلَتْ بِهِ النّبِيّونَ إلَى خَاتَمِ النّبِيّينَ عِنْدِي وَعِنْدَ عِتْرَةِ خَاتَمِ النّبِيّينَ ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ بَلْ أَيْنَ تَذْهَبُونَ ؟ (28)

وذكر العيّاشيّ عن مرزام أنّه قال : سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام [الإمام الصادق] يقول : إنّا أَهْلُ بَيْتٍ لَمْ يَزَلِ اللهُ يَبْعَثُ فِينَا مَنْ يَعْلَمُ كِتَابَهُ مِنْ أَوّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . وإنّ عِنْدَنَا مِنْ حَلَالِ اللهِ وَحَرَامِهِ مَا يَسَعُنَا مِنْ كِتْمَانِهِ ، مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَدّثَ بِهِ أَحَداً . (29)

وكذلك ذكر العيّاشيّ عن يوسف بن السخت البصريّ أنّه قال : رأيتُ التوقيع بخطّ محمّد بن محمّد بن عليّ (30) فكان فيه :

الّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ وَلَكُمْ أَنْ تَقُولُوا : إنّا قُدْوَةٌ وَأئِمّةٌ وَخُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، وَأُمَنَاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَحُجَجُهُ فِي بِلَادِهِ ، نَعْرِفُ الحَلَالَ وَالحَرَامَ ، وَنَعْرِفُ تَأْوِيلَ الكِتَابِ وَفَصْلَ الخِطَابِ . (31)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» :

أَيّهَا النّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمَ النّبِيّينَ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنّا وَلَيْسَ بِمَيّتٍ ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيّ مِنّا وَلَيْسَ بِبَالٍ ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ، فإنّ أَكْثَرَ الحَقّ فِيمَا تُنْكِرُونَ ، وَأَعْذِرُوا مَنْ لَا حُجّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَأَنَا هُوَ . أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثّقَلِ الأَكْبَرِ (كتاب الله) وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثّقَلَ الأَصْغَرَ ؟ (32) وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإيمَانِ ؟ وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الحَلَالِ وَالحَرَامِ ؟ وَأَلْبَسْتُكُمُ العَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي ؟ وَفَرَشْتُكُمُ المَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي ؟ وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي ؟! فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرّأيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ البَصَرُ ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الفِكْرُ . (33)

وقال عليه السلام في «نهج البلاغة» أيضاً : وَإِنّي لعَلَى بَيّنَةٍ مِنْ رَبّي ، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيّي ، وَإِنّي لَعَلَى الطّرِيقِ الوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطاً . (34)

انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيّكُمْ ! فَالزَمُوا سَمْتَهُمْ ، وَاتّبِعُوا أَثَرَهُمْ ، فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدىً ، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدَىً ، فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبَدُوا ، وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا ! فَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلّوا ، وَلَا تَتَأَخّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ! (35)

وكذلك قال عليه السلام فيه : عِتْرَتُهُ خَيْرُ العِتَرِ ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشّجَرِ ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ ، لَهَا فُرُوعٌ طِوالٌ وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ . فَهُوَ إِمَامُ مَنِ اتّقَى ، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى .

سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ . سِيرَتُهُ القَصْدُ ، وَسُنّتُهُ الرّشْدُ ، وَكَلَامُهُ الفَصْلُ ، وَحُكْمُهُ العَدْلُ . (36)

وقال فيه : بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظّلْمَاءِ ، وَتَسَنّمْتُمُ العَلْيَاءَ ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السّرَارِ . وَقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الوَاعِيَةَ . (37)

يريد الإمام من قوله : بِنَا اهْتَدَيْتُمْ رسول الله وهو نفسه ، إذ كان رفيق دربه في مراحل التعليم والإرشاد والهداية والهجرة والجهاد وتحمّل المشاكل والمصاعب .

وقال في خطبة بعد بيان فضائل الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله : أَيّهَا النّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحِ وَاعِظٍ مُتّعِظٍ ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوّقَتْ مِنَ الكَدَرِ . (38) والمراد علومه عليه السلام التي تمثّل ينبوع المعارف الزلال الصافي .

وقال في خطبة أيضاً بعد بيان زهد رسول الله وإعراضه عن زينات الدنيا : نَحْنُ شَجَرَةُ النّبُوّةِ ، وَمَحَطّ الرّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ المَلَائِكَةِ ، وَمَعَادِنُ العِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الحِكَمِ . نَاصِرُنَا وَمُحِبّنَا يَنْتَظِرُ الرّحْمَةَ ، وَعَدُوّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السّطْوَةَ . (39)

ونقل صاحب «الصواعق المحرقة» فيه عن ابن عبّاس أنّه قال : نَحْنُ أَهْلَ البَيْتِ شَجَرَةُ النّبُوّةِ وَمُخْتَلَفُ المَلَائِكَةِ وَأَهْلُ بَيْتِ الرّسَالَةِ وَأَهْلُ بَيْتِ الرّحْمَةِ ، وَمَعْدِنُ العِلْمِ . (40)

وخطب الإمام عليه السلام خطبة تحدّث فيها عن بعثة الأنبياء ، ووصف أهل البيت ، ثمّ تطرّق إلى فريق آخر فقال : أَيْنَ الّذِينَ زَعَمُوا أَنّهُمُ الرّاسِخُونَ فِى العِلْمِ دُونَنَا ، كِذْباً وَبَغْياً عَلَيْنَا ؟ أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ .

بِنَا يُسْتَعْطَى الهُدَى ، وَيُسْتَجْلَى العَمَى . إنّ الأَئِمّةَ مِنْ قُرَيشٍ ، غُرِسُوا فِي هَذَا البَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ ، لَا تَصْلَحُ عَلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا تَصْلَحُ الوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ .

(مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخّرُوا آجِلًا ، وتَرَكُوا صَافِياً ، وَشَرِبُوا آجِناً . (41)

نلاحظ في هذه العبارات التي يتحدّث فيها الإمام صلوات الله عليه عن الأنبياء ، ثمّ عن ولاية وخلافة بني هاشم خاصّة لا قريش كلّها ، يتبعه ذمّ الآخرين من غير بني هاشم ممّن ظلموا وغصبوا الخلافة . أنّ الإمام يقصد الخلفاء الثلاثة الماضين الذين أدانوا الأنصار في السقيفة باستدلالهم إنّ الأئمّة من قريش ، بَيدَ أنّهم خانوا ، إذ لم يذكروا فرع بني هاشم خاصّة ، فلهذا عندما بلغ الإمام استدلالهم ، قال : احْتَجّوا بِالشّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثّمَرَةَ .

وقال عليه السلام في سعادة ونجاة المتمسّكين بولاية أهل البيت : فإنّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقّ رَبّهِ وَحَقّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ ، وَقَامَتِ النّيّةُ مَقَامَ إصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ . وَإنّ لِكُلّ شَىْءٍ مُدّةً وَأَجَلاً . (42)

وذكر ابن حجر في «الصواعق المحرقة» هذه الكلمات عن الإمام ، وهي قوله : نَحْنُ النُجَبَاءُ ، (43) وَأَفْرَاطُنَا (44) أَفْرَاطُ الأَنْبِيَاءِ ، وَحِزْبُنَا حِزْبُ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، وَالفِئَةُ البَاغِيَةُ حِزْبُ الشّيْطَانِ ، وَمَنْ سَوّى بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَدُوّنَا فَلَيْسَ مِنّا . (45)

وقال ابن حجر أيضاً في «الصواعق المحرقة» في تفسير الآية الخامسة من الآيات التي ذكرها في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر في فضائل أهل بيت النبيّ ، وهي قوله تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا (46) : ذكر الثعلبيّ في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ دأب الإمام أبي محمّد عليّ بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين إذا تلا قوله تعالى : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا اتّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّدِقِينَ . (47) يدعو الله عزّ وجلّ دعاءً طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجات الصادقين والدرجات العليّة ، ويتضمّن وصف المحن وما انتحلته المبتدعة المفارقة لأئمّة الدين ، والشجرة النبويّة . ثمّ يقول : وَذَهَبَ آخَرُونَ إلَى التّقصِير فِي أَمْرِنَا ، وَاحْتَجّوا بِمُتَشَابِهِ القُرْآنِ ، فَتَأَوّلُوا بِآرَائِهِمْ ، وَاتّهَمُوا مَأثُورَ الخَبَرِ فِينَا .

إلى أن قال : فَإلَى مَنْ يَفْزَعُ خَلَفُ هَذِهِ الأُمّةِ ، وَقَدْ دَرَسَتْ أَعْلَامُ هَذِهِ المِلّةِ ، وَدَانَتِ الأُمّةُ بِالفُرْقَةِ وَالاخْتِلَافِ ، يُكَفّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ : «وَلَا تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيّنَتُ» . (48)

فَمَنِ المَوْثُوقُ بِهِ عَلَى إبْلَاغِ الحُجّةِ ، وَتَأْوِيلِ الحُكْمِ إلّا أَعْدَالُ الكِتَابِ وَأَبْنَاءُ أَئِمّةِ الهُدَى ، وَمَصَابِيحُ الدّجَى ، الّذِينَ احْتَجّ اللهُ بِهِمْ عَلَى عِبَادِهِ ، وَلَمْ يَدَعِ الخَلْقَ سُدَىً مِنْ غَيْرِ حُجّةٍ . هَلْ تَعْرِفُونَهُمْ أَوْ تَجِدُونَهُمْ إلّا مِنْ فُرُوعِ الشّجَرَةِ المُبَارَكَةِ ، وَبَقَايَا الصّفْوَةِ الّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرّجْسَ ، وَطَهّرَهُمْ تَطْهِيراً ، وَبَرّأَهُمْ مِنَ الآفَاتِ ، وَافْتَرَضَ مَوَدّتَهُمْ فِي الكِتَابِ . (49)

وقال ابن حجر أيضاً في «الصواعق المحرقة» : نصّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عليه أيّام خلافته ، لمّا بدره رجل من بني أسد فطعنه بخنجر وهو ساجد . ولم يستشهد الإمام على أثر تلك الطعنة ، وعاش بعدها عشر سنوات . فقام خطيباً فقال :

يَا أَهْلَ العِرَاقِ اتّقُوا اللهَ فِينَا ! فَإنّا أُمَرَاؤُكُمْ وَضِيفانُكُمْ وَنَحْنُ أَهْلَ البَيْتِ الّذِينَ قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلّ فِيهِمْ : «إِنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرًا» . قَالُوا : وَلَأَنْتُمْ هُمْ ؟! قَالَ : نَعَمْ ! (50)

وأخرج الترمذيّ في سننه عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُما أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا . (51)

وأخرج الترمذيّ والنسائيّ عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (52)

وأخرج أحمد بن حنبل من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ . أَوْ مَا بَيْنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (53)

وأورد الحاكم في مستدركه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (54)

وقال الحاكم بعد إيراده هذه الحديث : هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرّجاه . وأورده الذهبيّ أيضاً في «تلخيص المستدرك» معترفاً بصحّة سنده على شرط الشيخين .

وروى الملّا علي المتّقي عن الباورديّ ، عن أبي سعيد الخُدْريّ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ : كِتَابَ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (55)

وروى أحمد بن حنبل ، وأبو شَيْبة ، وأبو يَعْلَى ، وابن سعد ، عن أبي سعيد الخُدريّ أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي . كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي . وَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (56)

وأخرج الحاكم في «المستدرك» بطريقين صحيحين عن زيد بن أرقم أنّه قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع ، ونزل غدير خمّ ، أمر بدوحات فقُممن ، فقال : كَأَنّي دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ تَعَالَى وَعِتْرَتِي ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ، فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثُمّ قَالَ : إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى كُلّ مُؤْمِنٍ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيّهُ . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . إلى آخر الحديث بطوله . (57)

وأخرجه الذهبيّ في «تلخيص المستدرك» معترفاً بصحّة سنده .

وروى الطبرانيّ ، والسيوطيّ ، والنبهانيّ عن عبد الله بن حنطب أنّه قال : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ بِالجُحْفَةِ فَقَالَ : أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ ! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : فَإنّي سَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ : القُرْآنِ وَعِتْرَتِي . (58)

قال آية الله السيّد شرف الدين العامليّ بعد ذكر كثير من هذه الأخبار : والصحاح الحاكمة بوجوب التمسّك بالثقلين متواترة ، وطرقها عن بضع وعشرين صحابيّاً متضافرة . وقد صدع بها رسول الله صلّى الله عليه وآله

في مواقف له شتّى . تارةً يوم غدير خمّ ، وتارةً يوم عَرَفَة في حجّة الوداع ، وتارةً بعد انصرافه من الطائف ، ومرّة على منبره في المدينة ، وأُخرى في حجرته المباركة في مرضه ، والحجرة غاصّة بأصحابه .

وقد اعترف بذلك جماعة من أعلام الجمهور . حتّى قال ابن حجر . إذ أورد حديث الثقلين . ثُمّ اعْلَمْ لحديث التمسّك بهما طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيّاً . ومرّ له طرق مبسوطة في حادي عشر الشّبَه . (59)

وفي بعض تلك الطرق أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة ، وفي أُخرى أنّه قاله بالمدينة في مرضه ، وقد امتلأت الحجرة بأصحابه . وفي أُخرى أنّه قال ذلك بغدير خُمّ ، وفي أُخرى أنّه قال ذلك لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف . ولا تنافي ، إذ لا مانع من أنّه كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة . (60)

وحَسْبُ أئمّة العترة الطاهرة أن يكونوا عند الله ورسوله بمنزلة الكتاب لَا يَأْتِيهِ الْبَطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ . (61) وكفى بذلك حجّة تأخذ بالأعناق إلى التعبّد بمذهبهم . فإنّ المسلم لا يرتضي بكتاب الله بدلاً ، فكيف ينبغي عن أعداله حِوَلاً ؟

على أنّ المفهوم من قوله : إِنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي . إنّما هو ضلال من لم يستمسك بهما معاً كما لا يخفى .

ويؤيّد ذلك قوله صلّى الله عليه وآله في حديث الثقلين عند الطبرانيّ : فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (62)

قال ابن حجر : وفي قوله صلّى الله عليه وآله : فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ دليل على أنّ من تأهّلَ منهم للمراتب العليّة والوظائف الدينيّة كان مقدّماً على غيره . (63)

أجل ، إنّ حديث الثقلين . كما مرّت الإشارة إليه . من أقوى أسناد الشيعة على إمامة مولى الموحّدين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بلا فصل . وقد أورد علماء الشيعة رضوان الله عليهم منذ صدر الإسلام حتّى اليوم هذا الحديث المتواتر الصحيح السّند المقطوع الصدور في كتبهم الكلاميّة ، واستدلّوا على مفاده ومحتواه ، واهتمّوا به اهتماماً بالغاً إلى عصرنا هذا حيث دوّن المرحوم سماحة آية الله العظمى البروجرديّ رضوان الله عليه كتابه النفيس الممتع : «جامع أحاديث الشيعة» الذي تحدّث في مقدّمته حديثاً وافياً شافياً حول سنده ودلالته .

وإذا كانت هذه المقدّمة قد كتبت بقلم سماحة آية الله الشيخ إسماعيل الملايريّ دامت بركاته وبفضل تتبّعه ، وهو من أعزّ أصدقائنا ورفقائنا أيّام دراسة العلوم الدينيّة في حوزة قم المقدّسة ، بَيدَ أنّها دُوّنت جميعها بإرشادات الأُستاذ آية الله البروجرديّ الخاصّة وتوجيهاته المسدّدة ، وقد أشرف عليها بنفسه . (64) ونلاحظ في هذه المقدّمة أنّه ينسب الحديث المذكور إلى أربعة وثلاثين صحابيّاً وصحابيّة . لكنّي تتبّعت رواته فوجدتهم أكثر من أربعة وثلاثين ، مع أنّ ابن حجر ذكر في صواعقه عشرين ونيّفاً ، وأنّ العلّامة الخبير المتضلّع المتتبّع نحرير البحث ونقّاد الكلام سماحة آية الله مير حامد حسين الكهنويّ الهنديّ النيسابوريّ لم يزد على خمسة وعشرين راوياً كما في كتابه النفيس الثمين «عَبَقَات الأنْوار» .

وقد وقّف العالم المذكور رضوان الله عليه الجزءَ الأوّل من الجزء الثاني عشر من عبقاته على البحث في سند الحديث المشار إليه ، وتحدّث فيه حديثاً تامّاً وافياً عن مائة وسبعة وثمانين رجلاً من مشاهير علماء أهل

السنّة الذين رووا هذا الحديث أو أثبتوه أو صحّحوه ، وشغل حديثُه قُرابة ألف صفحة من ذلك الجزء .

وأورد السيّد المؤلّف ترجمة هؤلاء العلماء مفصّلاً ، وذكر متن الحديث بألفاظه المختلفة وتعابيره المتباينة مع الكتب التي أُدرج فيها ، وأسماء الرواة . وأثبت الحديث بنحو رائع جذّاب ، وإشارات وتتبّعات جميلة لطيفة متقنة متينة . وبغضّ النظر عن سائر أجزاء هذه الموسوعة المباركة ، يمكننا أن نعدّ هذا الجزء وحده (جزء الثقلين) كنزاً من العلم والبصيرة والخبرة . [65] ونقل الكتاب أسماء علماء السنّة الذين ذكروا الحديث ، حسب التسلسل الزمنيّ اعتباراً من القرن الثاني حتّى القرن الثالث عشر الهجريّ .

وإذا كان كثير من العلماء الأعلام قد صنّفوا كتباً مستقلّة في هذا الحديث بعد تلك الآية العظمى (المرحوم مير حامد حسين أعلى الله مقامه) ، غير أنّهم جميعاً اقتبسوا من مشكاة أنوار هذا المجاهد العظيم والآية الإلهيّة العلميّة الكبرى ، فحقيق أن نقول : كُلّ الصّيْدِ فِي جَوفِ الفَرَا ، لأنّ كثيراً من مصادر تحقيقه وتأليفه مخطوطات فذّة فريدة .

وألّف المرحوم ابن خالي آية الله الميرزا نجم الدين شريف العسكريّ قدّس الله نفسه كتاباً جميلاً لطيفاً تحت عنوان : «مُحَمّدٌ وَعَليّ وَحَدِيثُ الثّقَلَيْنِ وَحَدِيثُ السّفِينَةِ» وهو رائع حقّاً ، بَيدَ أنّه كما أشار بل نصّ على أنّه استهدى ب «العبقات» في معظم المواطن .

إنّ الجزء المذكور من كتاب «عبقات الأنوار» يدور حول حوار المؤلّف مع صاحب «التُحْفَة الاثنا عَشَرِيّة» بخصوص حديث الثقلين . وقد أماط اللثام رحمه الله عن مغالطاته وتخديعاته [66] وتحريفاته العشرة عند نقل الحديث (المقصود مغالطات صاحب التحفة و ...) .

ومن المناسب . إذ بلغ كلامنا حول الحديث الشريف المذكور هذا الموضع . أن نتوسّع في كلامنا نوعاً ما ليدور حول قوّة سنده وعظمة وإتقان مفاده ومعناه ، وذلك لمزيد اطّلاع المؤمنين واستبصار المستبصرين . فمن جملة مشاهير العلماء والرواة الذين رووا هذا الحديث أو أثبتوه أو صحّحوه :

1 . ابن راهْوَيه إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ شيخ البخاريّ ، رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام . ويسمّيه العامّة أمير المؤمنين في فنّ الحديث .

2 . مسلم بن الحجّاج القُشَيْريّ في صحيحه ، رواه عن زيد بن أرقم .

3 . أبو عبد الله محمّد بن ماجه القزوينيّ ، صاحب السنن ، عن زيد ابن أرقم .

4 . أبو داود السجستانيّ ، صاحب السنن ، عن زيد بن أرقم .

5 . التِرمَذيّ أبو عيسى محمّد بن عيسى ؛ صاحب «الصحيح» ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وأبي ذرّ ، وأبي سعيد الخُدريّ ، وزيد بن أرقم ، وحُذَيفَة بن أُسَيْد .

6 . عبد الله بن أحمد بن حنبل ، صاحب «زيادات المسند» ، عن زيد بن أرقم .

7 . النّسَائيّ أبو عبد الرحمن ، صاحب «السنن» ، عن زيد بن أرقم .

8 . الطبريّ أبو جعفر ، صاحب التاريخ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم .

9 . ابن عَبْدِ رَبّهِ القُرْطُبِيّ الأُندلُسيّ ، صاحب «العِقْد الفَريد» وبيان مصدر حديثه .

10 . ابن عُقْدَة الحافظ أحمد بن محمّد بن سعيد الكوفيّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وجابر ، وأبي ذرّ ، وأُمّ سلمة ، وأبي رافع ، وأُمّ هاني ، وخُزَيْمَةَ بن ثابت ، وضُمَيْرَة الأسْلَميّ .

11 . الطبرانيّ ، صاحب «المعجم الكبير والأوسط والصغير» ، عن أبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن حَنْطَب .

12 . الدارقطنيّ الحافظ أبو الحسن عليّ بن عمر ، عن أُمّ سلمة .

13 . الذّهَبيّ أبو طاهر محمّد بن عبد الرحمن ، عن أبي سعيد .

14 . الحاكم النيسابوريّ أبو عبد الله ، صاحب «المستدرك على الصحيحين» ، عن زيد بن أرقم .

15 . الثّعْلَبي أبو إسحاق أحمد ، صاحب تفسير «الكشف والبيان» ، عن أبي سعيد .

16 . أبو نُعَيْم الإصفهانيّ ، صاحب «حِلْيَة الأولياء» في «مَنقَبة المُطَهّرين» ، عن جُبَيْر بن مُطْعم ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، والبَراء بن عَازِب ، وفي «حلية الأولياء» مفصّلاً عن حُذَيفة بن أُسَيْد .

17 . البَيْهَقيّ الحافظ أبو بكر ، صاحب «السنن» ، عن زيد بن أرقم .

18 . القُرطُبيّ الأندُلُسيّ أبو عبد الله بن عبد البرّ ، صاحب «الاستيعاب» ، و«التمهيد» ، و«جامع بيان العلم» ، عن زيد بن أرقم .

19 . الخطيب البغداديّ ، صاحب «تاريخ بغداد» ، عن جابر .

20 . ابن المغازليّ ، صاحب «المناقب» بأسناد عديدة ، عن زيد بن أرقم وأبي سعيد .

21 . السّمعانيّ أبو المُظفّر ، صاحب «فضائل الصّحَابة» ، عن أبي سعيد .

22 . رَزين بن معاوية العَبْدَريّ ، صاحب «الجمع بين الصحاح الستّة» ، عن زيد بن أرقم .

23 . القاضي عياض اليَحْصُبيّ ، صاحب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ، بلا سند .

24 . الخوارزميّ : أخطب خوارزم ، صاحب «المناقب» ، عن زيد بن أرقم .

25 . ابن عساكر الحافظ أبو القاسم ، صاحب «تاريخ دمشق» ، عن حُذَيفة بن أُسَيد الغفاريّ ، وزيد بن أرقم .

26 . أبو الفتوح العِجْلِيّ الإصفهانيّ ، صاحب «فضائل الخلفاء» ، عن عامر بن ليلى بن ضمرة .

27 . ابن الأثير الجَزَريّ مجد الدين ، صاحب «جامع الأُصول» و«النهاية» ، عن جابر وزيد بن أرقم .

28 . ابن الأثير الجَزَريّ عزّ الدين ، صاحب «أُسد الغابة» ، وهو أخو مجد الدين ، عن زيد بن أرقم ، وعبد الله بن حَنْطَب .

29 . محمّد بن طلحة الشافعيّ ، صاحب «مطالب السّئول» ، عن زيد ابن أرقم .

30 . سِبط بن الجوزيّ ، صاحب «تذكرة خواصّ الأُمّة» ، عن زيد بن أرقم .

31 . محمّد بن يوسف الكنجيّ ، صاحب «كفاية الطّالب» ، عن زيد ابن أرقم .

32 . محبّ الدين الطّبريّ ، صاحب «ذخائر العُقْبَى» ، عن أبي سعيد ، وزيد بن أرقم .

33 . الحمّوئيّ صدر الدين إبراهيم بن مؤيّد ، صاحب «فرائد السّمْطَيْن» ، عن أبي سعيد الخُدْريّ ، وحُذَيفة بن أُسَيْد الغفاريّ ، وزيد بن أرقم .

34 . الخازن البغداديّ علاء الدين عليّ ، صاحب التفسير ، عن زيد ابن أرقم .

35 . الذهبيّ شمس الدين محمّد ، صاحب «ميزان الاعتدال» تصحيح حديث زيد بن أرقم .

36 . الزّرَنْديّ المَدَنيّ جمال الدين محمّد ، صاحب «نظم دُرَر السّمْطَين» ، عن جابر ، وزيد بن أرقم .

37 . ابن كثير الدمشقيّ إسماعيل بن عمر ، صاحب «التفسير» ، بأسناد كثيرة في آية التطهير وآية المودّة ، عن زيد بن أرقم ، وجابر ، وأبي سعيد ، وأبي ذرّ ، وحذيفة بن أُسَيد .

38 . السيّد عليّ الهمدانيّ بن شهاب الدين ، صاحب «مودّة القُربى» ، عن أبي سعيد ، وجُبَيْر بن مُطْعِم .

39 . التفتازانيّ سعد الدين ، صاحب «شرح المقاصد» ، أثبت الحديث .

40 . الهيتميّ نور الدين عليّ ، صاحب «مجمع الزّوائد» ، بلا سند .

41 . الفيروزآباديّ مجد الدين ، صاحب «القاموس» في مادّة ثقل في قاموسه .

42 . الخواجة محمّد بارسا ، صاحب «فصل الخطاب» ، عن جابر ، وحُذَيفة بن أُسَيْد ، وزيد بن أرقم .

43 . السخاويّ شمس الدين ، صاحب «الضّوء اللامع» في «استجلاب ارتقاء الغُرَف» ، عن جمع كثير من الصحابة .

44 . الملّا حسين الواعظ الكاشفيّ ، صاحب «التفسير» ، بلا سند .

45 . السيوطيّ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن ، في كتب عديدة : «إحياء الميّت بفضائل أهل البيت» ، و«نهاية الإفضال في شرف الآل» ، و«أساسٌ في مناقب بني العبّاس» ، و«إنافَةٌ في رُتبة الخلافة» ، و«بُدُور سافِرة عن أُمور الآخرة» ، و«الجامع الصغير» ، و«الدّرّ المنثور» ، و«الدّرّ النّثير» ، عن زيد بن أرقم ، وأبي هُرَيرة ، وأبي سعيد ، وأبي ذرّ ، وعبد الله بن حَنطَب ، وحنطب والد عبد الله ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ .

46 . ابن حَجَر الهَيْتَمي شهاب الدين ، صاحب «الصواعق المحرقة» بسند صحيح ، عدد من الأحاديث عن زيد بن أرقم .

47 . السمهوديّ نور الدين عليّ شريف ، صاحب «جواهر العقدين» ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وأُمّ هاني ، وأُمّ سلمة ، وأبي ذرّ ، وحُذَيفة بن أُسَيْد ، وأبي الطُّفَيْل ، وزيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت .

48 . روزبهان فضل الله الخنجيّ الشيرازيّ ، في شرح الرسالة الاعتقاديّة .

49 . القسطلانيّ المدنيّ شهاب الدين أحمد ، صاحب «المواهب اللدنيّة» ، عن زيد بن أرقم .

50 . شاه وليّ الله الدّهْلويّ ، صاحب «إزالة الخَفَاء» ، عن زيد بن أرقم .

51 . الزبيديّ السيّد محمّد مرتضى ، صاحب «تاج العروس» شارح القاموس ، بلا سند .

52 . العُجَيْليّ أحمد بن عبد القادر ، صاحب «ذَخيرة المآل» في مواضع متعدّدة ، عن زيد بن أرقم .

وننقل فيما يأتي بحول الله وقوّته جميع الأحاديث المأثورة عن خمسة وعشرين صحابيّاً من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله بطرق العامّة وأسانيدهم المختلفة من غير أن نكرّر المتن ، مكتفين منه بالمقدار اللازم من حديث الثقلين . علماً أنّي أحصيتُ زُهاء مائة متن متباين العبارة .

الأوّل : حديث الثَّقَلَيْنِ برواية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام :

1 . قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي مَقْبُوضٌ ، وَإنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُمَا . (67)

2 . قَالَ : إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (68)

3 . إنّي مَقْبُوضٌ ، وإنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وَإنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُمَا ، وَإنّهُ لَنْ تَقُومَ السّاعَةُ حَتّى يُبْتَغَى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا يُبْتَغَى الضّالّةُ فَلَا تُوجَدُ . (69)

4 . تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ سَبَبُهُ بِيَدِهِ وَسَبَبُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَأَهْلَ بَيْتِي . (70)

5 . قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ . (71)

6 . قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ سَبَبٌ بِيَدِهِ وَسَبَبٌ بِأَيْدِيكُمْ وَأَهْلِ بَيْتِي . (72)

7 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (73)

8 . أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، لَنْ تَضِلّوا مَا تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا ، الأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللهِ ، وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي ، وَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ عَهِدَ إِلَيّ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ كَهَاتَيْنِ . وَأَشَارَ بالسّبّابَتَيْنِ . وَلَا أَنّ أَحَدَهُمَا أَقْدَمُ مِنَ الآخَرِ ، فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، وَلَا تَقَدّمُوا مِنْهُمْ ، وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهُمْ ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (74)

9 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَإنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا إنِ اتّبَعْتُمْ وَاسْتَمْسَكْتُمْ بِهِمَا . (75)

10 . إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : يَعْنِي كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا . (76)

11 . أَيّهَا النّاسُ : إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : الثّقَلَ الأَكْبَرَ وَالثّقَلَ الأَصْغَرَ ، فَأَمّا الأَكْبَرُ هُوَ حَبْلٌ فَبِيَدِ اللهِ طَرَفُهُ ، وَالطّرَفُ الآخَرُ بِأَيدِيكُمْ وَهُوَ كِتَابُ اللهِ ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا ، وَلَنْ تَذِلّوا أَبَداً ، وَأَمّا الأَصْغَرُ فَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

إنّ اللهَ اللّطِيفَ الخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهُمَا فَأَعْطَانِي . وَاللهُ سَائِلُكُمْ كَيْفَ خَلَفْتُمُونّي فِي كِتَابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتِي ؟! (77)

12 . ثُمّ قَامَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ مَا أَنْتُم قَائِلُونَ ؟! قَالُوا : قَدْ بَلّغْتَ ! قَالَ : اللّهُمّ اشْهَدْ . ثَلَاثَ مَرّاتٍ . ثُمّ قَالَ : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُم مَسْؤُولُونَ !

ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى . يَرِدا عَلَيّ الحَوْضَ . نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ .

ثُمّ قَالَ : إنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ . أَلَسْتُم تَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى ذَلِكَ ثَلَاثاً .

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! فَرَفَعَهَا وَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيّ مَوْلَاهُ . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَن عَادَاهُ .

فَقَالَ عَلِيّ : صَدَقْتُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ ! (78)

روى أبو نُعَيم في «حلية الأولياء» وغيره عن أبي الطّفَيل أنّ علياً عليه السلام قام فحمد الله وأثنى عليه . ثمّ قال : أُنشد الله من شهد يوم غدير خمّ إلّا قام ! ولا يقوم رجل يقول : نُبّئتُ أو بلغني إلّا رجل سمعت أُذُناه ووعاه قلبُه . فقام سبعة عشر رجلاً منهم : خُزَعْةُ بن ثابت ، وسَهْلُ بنُ سَعْدٍ ، وعَدِيّ بنُ حاتَم ، وعُقبَةُ بنُ عامرٍ ، وأبو أيّوب الأنصاريّ ، وأبو سعيد الخُدريّ ، وأبو شُرَيح الخُزاعيّ ، وأبو قُدامة الأنصاريّ ، وأبو يَعْلَى الأنصاريّ ، وأبو الهَيثَم بن التّيّهان ، ورجال من قريش . فقال عليّ عليه السلام : هاتوا ما سمعتم !

فقالوا : نشهد أنّا أقبلنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع نزلنا بغدير خُمّ ، ثمّ نادى بالصلاة فصلّينا معه . (79)

13 . إنّي تَارِكٌ فيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، لَنْ تَضِلّوا مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا ، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ؟ قَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ . (80)

14 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ! فَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ أَخْبَرَنِي وَعَهِدَ إلَيّ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

وفيه : فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ شِبْهَ المُغْضِبِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكُلّ أَهْلِ بَيْتِكَ ؟! فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَوْصِيَائِي مِنْهُمْ ، أَوّلُهُمْ أَخِي وَوَزِيرِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، هُوَ أَوّلُهُمْ ، ثُمّ ابْنِي الحَسَنُ (ثُمّ ابْنِي الحُسَيْنُ) ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ ، شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجَجُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَخُزّانُ عِلْمِهِ وَمَعَادِنُ حِكْمَتِهِ . مَنْ أَطَاعَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ فَقَدْ عَصَى اللهَ . (81)

15 . أَيّهَا النّاسُ ! أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ ؟! قَالُوا بَلَى ! قَالَ : فَإِنّي كَائِنٌ لَكُمْ عَلَى الحَوْضِ فَرَطاً وَسَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ : عَنِ القُرْآنِ وَعَنْ عِتْرَتِي . (82)

16 . أَيّهَا النّاسُ ! إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلَيّ عَلَيهِ السّلاَمُ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . (83)

الثاني : حديث الثقلين برواية السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام :

17 . قالَتْ : سَمِعْتُ أَبِي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَرَضِهِ الّذِي قُبِضَ فِيهِ يَقُولُ وَقَدْ امْتَلَأَتِ الحُجْرَةُ مِنْ أَصْحَابِهِ : أَيّهَا النّاسُ ! يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً وَقَدْ قَدّمْتُ إِلَيْكُمُ القَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ ، أَلَا إِنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ رَبّي عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي !

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : هَذَا عَلِيّ مَعَ القُرْآنِ وَالقُرآنُ مَعَ عَلَيّ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ فَأَسْأَلُكُمْ مَا تَخْلُفُونّي فِيهِمَا . (84)

الثالث : حديث الثقلين برواية أُمّ هاني أُخت أمير المؤمنين عليه السلام :

18 . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَيّهَا النّاسُ ! إِنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَلَا إِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (85)

19 . أَمّا بَعْدُ أَيّهَا النّاسُ ! فَإِنّي مُوشِكٌ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً : كِتَابَ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي أَلَا إِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (86)

20 . ذكر صاحب «العبقات» هذا المضمون عينه ، بَيدَ أنّه أورد كلمة يوشك مكان مُوشكٌ ، وأضاف هذه العبارة : أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي بعد قوله : وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (87)

ولا فرق حقّاً بين هذه العبارة والعبارة الواردة في «ينابيع المودّة» ، إذ جاء فيها قوله : أُوشِكُ مكان يوشِكُ المكسورة الشين .

الرابع : حديث الثقلين برواية أُمّ المؤمنين أُمّ سلمةَ :

21 . قالت أُمّ سلمة : أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بِيَدِ عليّ عليه السلام بغدير خُمّ فرفعها حتّى رأينا بياض إبطه فقال : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إِنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (88)

22 . متن الحديث الوارد عن فاطمة الزهراء عليها السلام في المرض الذي مات فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله والحجرة غاصّة بالناس . ونحن ذكرناه في الرقم 17 بثلاثة فروق مختصرة هي :

1 . أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَرَفَعَهَا .

2 . قَبْضاً سَرِيعاً فَيَنْطَلَقُ بِي .

3 . فَأَسْأَلُهُمَا مَا خُلِّفْتُ فِيهِمَا . (89)

الخامس : حديث الثقلين برواية أبي ذرّ الغفاريّ :

23 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (90)

24 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (91)

25 . مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَرَكَهَا هَلَكَ . وَيَقُولُ : مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ بَابِ حِطّةٍ فِي بَنِي إسرائيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ . وَيَقُولُ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (92)

26 . يَا أَيّهَا النّاسُ إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (93)

27 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . أَلَا وَإنّ أَهْلَ بَيْتِي فِيكُمْ مَثَلُ بَابِ بَنِي إسْرَائِيلَ ، وَمَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ . (94)

28 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (95)

السادس : حديث الثقلين برواية ابن عبّاس :

29 . يَا مَعْشَرَ المُؤْمِنِينَ ! إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ أَوْحَى إلَيّ أَنّي مَقْبُوضٌ ، أَقُولُ لَكُمْ قَوْلاً إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ نَجَوْتُمْ وَإن تَرَكْتُمُوهُ هَلَكْتُمْ . إنّ أَهْلَ بَيْتِي وَعِتْرَتِي هُمْ خَاصّتِي وَحَامّتِي ، وَإنّكُمْ مَسؤُولُونَ عَنِ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (96)

السابع : حديث الثقلين برواية جابر بن عبد الله الأنصاريّ :

30 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (97)

31 . أَيّهَا النّاسُ ! قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إخواناً كَمَا أَمَرَكُمْ اللهُ . ثُمّ أُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، ثُمّ أُوصِيكُمْ بِهَذَا الحَيّ مِنَ الأَنصَارِ . (98)

32 . أَيّهَا النّاسُ ! إنّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟! قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ بَلّغْتَ وَأَدّيْتَ ! قَالَ : إنّي لَكُمْ فَرَطٌ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ! وَإنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثُمّ قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى ! فَقَالَ آخِذاً بِيَدِ عَلِيّ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . ثُمّ قَالَ : اللّهُمّ وَالِ مَن وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . (99)

33 . أَمّا بَعْدُ ، أَيّهَا النّاسُ ! فإنّي لَأَرَانِي يُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟! قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ بَلّغْتَ الرّسَالَةَ وَنَصَحْتَ وَأَدّيْتَ ! قَالَ : إنّنِي لَكُمْ فَرَطٌ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، وَإنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ (وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . صح ظ) . (100)

إذا تأمّلنا متن هذا الحديث ، فسيتّضح لنا أنّه نفس الحديث الذي نقلناه عن «ينابيع المودّة» في التسلسل 32 ، ولكنّ يد التحريف في الأحاديث الواردة في مناقب أهل البيت قد امتدّت إليه فورد أبتراً ناقصاً . ولعلّه وصل

السخاويّ ناقصاً أو أنّ النسّاخ بتروا ذيله بعده .

وهذا المتن الوارد في الحديث الأخير هو أفضل وأعلى مضمون وصل في أحاديث هذا الباب من حيث المحتوى ، إذ جاء فيه : وَإنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ فجمع بين لفظ الثقلين ، ولفظ التخليف ذي المفاد والمفهوم الذي يوحي بعنوان الخليفة تذكاراً له .

واللفظ الأكثر تصريحاً وإشراقاً من هذا هو قوله الذي سيأتينا بَعْدُ ، ونصّه :

إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ خَلِيفَتَيْنِ . (101)

إنّ الحديث الذي أوردناه عن جابر في التسلسل (30) مذكور بنفس اللفظ والمتن وبلا كلمة (بعدي) في «كنز العمّال» ، (102) و«جامع الأُصول» ، (103) و«مصابيح السّنّة» ، (104) و«استجلاب ارتقاء الغرف» ، (105) و«نَظْم دُرَر السّمْطَيْن» ، (106) وورد في المصادر المشار إليها بهذا اللفظ :

34 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وجاء في كتاب «الشفا» مضافاً إليه قوله صلى الله عليه وآله : فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا . (107)

35 . تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا إن اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (108)

الثامن : حديث الثقلين برواية حُذَيفة بن اليَمَان :

36 . مَعَاشِرَ أَصْحَابِي ! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، وَإنّي أُدْعَى فَأُجِيب ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهَا (109) لَنْ تَضِلّوا ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ؛ فَتَعَلّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (110)

قال حذيفة بن اليمان : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله الظهر ، ثمّ أقبل بوجهه الكريم إلينا ، فقال : معاشر أصحابي ... .

والعجيب في هذا الحديث أنّه يقول فيه : إن تمسّكتم بأهل البيت ، لن تضلّوا ، في مقابل بقيّة الأحاديث التي توصي بالتمسّك بهما . وسرّ ذلك أنّ من تمسّك بالعترة فقد تمسّك بكتاب الله لا محالة .

التاسع : حديث الثّقَلَيْنِ برواية حُذَيفَة بن أُسَيْدٍ الغفاريّ : (111)

37 . يَأَ أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُ لَنْ يُعَمّرَ نَبِيّ إلّا نِصْفَ عُمْرِ الّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ . وَإنّي يُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي مَسْؤُولٌ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وَجَاهَدْتَ وَنَصَحْتَ !

قَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ ، وَأَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنّ جَنّتَهُ حَقّ ، وَنَارَهُ حَقّ ، وَأَنّ المَوْتَ حَقّ وَأَنّ البَعْثَ حَقّ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ ؟!

يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّ اللهَ مَوْلايَ وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ . يَعْنِي عَلِيّاً . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي فَرَطُكُمْ وَإنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، أَعْرَضُ مَا بَيْنَ بُصْرَى إلَى صَنْعَاء ، فِيهِ عَدَدَ النّجُومِ قِدْحَانٌ مِنْ فِضّةٍ ، وَإنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيّ عَنِ الثّقَلَيْنِ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ، الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ عَزّ وَجَلّ . سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضِلّوا وَلَا تُبَدّلُوا . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإنّهُ قَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُمَا لَنْ يَنْقَضِيَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (112)

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الحديث الشريف أخرجه جماعةً من أكابر علماء العامّة في كتبهم بهذه الألفاظ المشار إليها ، منهم ابن عساكر الذي قيل فيه إنّه أخذ أحاديثه عن ألف وثلاثمائة شيخ ، وثمانين ونيّف شيخة . وأخرج هذا الحديث عنه ابن كثير في تاريخه ، في محلّ ذِكر الحديث . (113)

ومنهم : شمس الدين السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغُرَف» . (114) ومنهم : نور الدين السمهوديّ في كتاب «جواهر العقدين» . (115) ومنهم : الشيخ سليمان القُندوزيّ في كتاب «ينابيع المودّة» . (116) ومنهم : شيخ الإسلام الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» . (117)

ومن الجدير ذكره أيضاً أنّ أبا موسى المدايني صاحب «سِيَر الصحابة» روى حديث الثقلين في كتابه بسنده المتّصل عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أُسيد الفزاريّ ، ولا نلاحظ في هذا الحديث الإضافات الموجودة في حديث «كنز العمّال» الذي نقلناه في التسلسل . 37 بَيدَ أنّها موجودة تماماً في «غاية المرام» ص 214 ، الحديث 19 ، عن طريق العامّة . ولا نوردها هنا رغبة منّا في عدم الإطالة ، ونكتفي منها بذكر ما يأتي :

38 . أَلَا وَإِنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَنْزِلُونَ عَلَيّ عَنِ الثّقَلَيْنِ ! فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا حِينَ تَلْقَوْنّي ؟! قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قال : الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ . سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَلَا تَضِلّوا وَلَا تُبَدّلُوا . وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

قَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَلْقَيَانّي ، وَسَأَلْتُ رَبّي لَهُمَا ذَلِكَ فَأَعْطَانِي . لَا تُسَابِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (118)

39 . أيّهَا النّاسُ ! إنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ . أَلَا وَمَنْ كُنتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ . وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَرَفَعَهَا حَتّى عَرَفَهُ القَوْمُ أَجْمَعُونَ ثُمّ قَالَ : اللّهُمّ وَالِ مَن وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

ثُمّ قَالَ : وَإِنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ عَنِ الثّقَلَيْنِ ! فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ ؟!

قَالَ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ . سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُم . وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي . وَقَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنْ لَا يَفْتَرِقَا حَتّى يَلْقِيَانّي ، وَسَأَلْتُ رَبّي لَهُمْ ذَلِكَ فَأَعْطَانِي ، فَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (119)

إذا ألقينا نظرة خاطفة على مضمون هذه الأحاديث الواردة عن حُذَيفة بن أُسَيْد ، يتبيّن لنا أنّ حديثه كان واحداً لا أكثر ، ويعرض فيه موضوع غدير خُمّ ، بخاصّة أنّ راوي حديثه شخص واحد، وهو أبو الطُفيل عامر بن واثلة . وهذا الحديث هو الذي ذكره المدايني في كتاب «سِيَر الصّحابة» ، ونقله عنه العلّامة البحرانيّ مفصّلاً في كتاب «غاية المرام» ، ولكنّ يد التحريف والتبديل أوجزته بتلك الصّيَغ المتقدّمة . ويماثل أصله جدّاً الحديث المفصّل الوارد عن زيد بن أرقم .

الوارد عن زيد بن أرقم .

العاشر : حديث الثقلين برواية أبي رافع غلام رسول الله صلّى الله عليه وآله :

من الجدير بالذكر أنّ العلّامة الكبير السيّد حامد حسين الهنديّ أعلى الله تعالى مقامه الشريف ذكر حديث الثقلين برواية أبي رافع في ثلاثة مواضع من كتابه الكريم : «عبقات الأنوار» ، وهي متماثلة تماماً من حيث المضمون واللفظ ، وأخرجها ابن عقدة جميعها في كتابه : «الموالاة» .

ويبيّن المؤلّف تخريج ابن عقدة في موضعين عن طريق محمّد بن عُبَيْد الله (عبد الله) بن أبي رافع ، عن جدّه أبي رافع غلام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، (120) وفي موضع عن طريق سعد بن طَريف ، عن الأصبغ بن نُباتة ، عن أبي ذرّ ، وأبي رافع . (121) وفيما يأتي متن الحديث :

40 . قَالَ : لَمّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلّمَ وَرَضِيَ عَنْهُ عِنْدَ غَدِيرِ خُمّ مَصْدَرِهِ مِنْ حِجّةِ الوَدَاعِ قَامَ خَطِيباً بالنّاسِ بِالهَاجِرَةِ فَقَالَ :

أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ ، فَأَمّا الثّقَلُ الأَكْبَرُ فَبِيَدِ اللهِ طَرَفُهُ وَالطّرَفُ الآخَرُ بِأَيديكُمْ وَهُوَ كِتَابُ اللهِ ، فَإنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلّوا وَلَنْ تَذِلّوا (تَزِلّوا) أَبَداً . وَأَمّا الثّقَلُ الأَصْغَرُ فَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

إنّ اللهَ هُوَ الخَبِيرُ أَخْبَرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَسَأَلْتُهُ ذَلِكَ لَهُمَا . وَالحَوْضُ عَرْضُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ ، فِيهِ مِنَ الآنِيَةِ عَدَدَ الكَوَاكِبِ . وَاللهُ سَائِلُكُمْ كَيْفَ خَلَفْتُمُونِي فِي كِتَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِي . الحديث .

وأخرجه الشيخ عبيد الله الآمر تسرّي الهنديّ عن ابن عقدة بهذا اللفظ أيضاً . (122)

وأمّا الشيخ سليمان القُندوزيّ فقد ذكره في «ينابيع المودّة» بهذا اللفظ وبتخريج ابن عقدة عن طريق سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نُباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن أبي رافع . وأمّا بتخريج ابن عقدة عن طريق محمّد بن عبد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، وعن أبي هريرة ، فقد جاء باللفظ الآتي :

41 . إنّي خَلّفْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (123) وإذا لاحظنا متن هذا الحديث الذي ذكرناه ، عن طريق محمّد بن عبد الله بن أبي رافع ، يستبين لنا حجم التحريف الذي ناله في هذا الطريق الذي وصل فيه بِيَدِ شيخ الإسلام القُندوزيّ ، ويظهر إلى أيّ مدى نُقل فيه هذا الحديث ناقصاً .

الحادي عشر : حديث الثقلين برواية زيد بن ثابت :

42 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بِيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (124)

43 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (125)

44 . إنّي لَكُمْ فَرَطٌ ، وَإنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوضَ ، عَرْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إلى بُصْرَى ، فِيهِ عَدَدَ الكَوَاكِبِ مِنْ قِدْحَانِ الذّهَبِ وَالفِضّةِ .

فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِي الثّقَلَيْنِ ؟! قِيلَ : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ لَنْ تَزِلّوا وَلَا تَضِلّوا ؛ وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . وَسَأَلْتُ لَهُمَا ذَلِكَ رَبّي ، وَلَا تَقَدّموهُما فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمَا فَإنّهُمَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (126)

45 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ ما إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ بَعْدِي لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (127)

روى الحمّوئيّ هذا الحديث في «فرائد السّمطين» عن زيد بن ثابت ، بطريق أبي جعفر بن بابويه المتّصل ، ولفظه :

46 . قَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا وَهُمَا الخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (128)

يُعدّ هذا الحديث أعلى وألطف حديث ورد في هذا الباب من حيث المتن والمضمون ، لأنّه جاء بلفظ : تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ أوّلاً ، ولفظ أَلَا وَهُمَا الخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي ثانياً ، فنصّ على خليفته الفذّ الفريد بأبين العبارات وأوضح الدلالات ، ونلحظ أنّ صراحة هذا الحديث أكثر من صراحة الحديثين السابقين : إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ .

الثاني عشر : حديث الثقلين برواية أبي سعيد الخُدريّ :

إنّ طرق الأحاديث الواردة عن أبي سعيد الخُدريّ ومضامينها كثيرة . ونقل إبراهيم بن محمّد الحمّوئيّ ثلاثة أحاديث عنه في «فرائد السّمطين» :

الأوّل : بسنده المتّصل عن عطيّة العوفيّ ، عنه :

47 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ، طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ . وَعِتْرَتِي . أَلَا وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَقُلْتُ : مَنْ عِتْرَتُهُ ؟ قَالَ : أَهْلُ بَيْتِهِ . (129) وهذا السؤال الأخير سأله عطيّة راوي الحديث أبا سعيد .

الثاني : بسنده المتّصل أيضاً عن أبي سعيد أنّه قال :

48 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (130)

رواه عبد الله بن حنبل بسنده المتّصل عن أبي إسرائيل ، عن عطِيّة ، عن أبي سعيد في «مسند أحمد بن حنبل» . (131)

ورواه الطبرانيّ في «المعجم الصغير» بسنده عن كثير النوّاء ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد . (132) وقال : لم يروه عن كثير النوّاء غير المسعوديّ .

ورواه أبو نُعيم الإصفهانيّ في كتاب «مَنْقَبَة المُطَهّرين» عن زيد بن أرقم وأبي سعيد الخُدريّ . وفي آخره قوله : فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (133)

الثالث : عن الشيخة الصالحة زينب بنت القاضي عماد الدين أبي صالح نصر بن عبد الرزّاق بسنده المتّصل عن محمّد بن طلحة ، عن الأعمش ، عن أبي سعيد :

49 : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ [حَبْلٌ] مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّ اللّطِيفَ الخبيرَ أَخْبَرَ[نِي] أَنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا (134) حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا مَا تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (135)

رواه ابن المغازليّ بسنده المتّصل عن محمّد بن طلحة ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد . (136) وذكره أيضاً أحمد بن حنبل ، (137) وابن سعد الكاتب الواقديّ ، (138) و«غاية المرام» عن السمعانيّ في كتاب «فضائل

الصحابة» ، [139] وأورده نور الدين السمهوديّ في «جواهر العقدين» ، [140] وشمس الدين السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» ، [141] والسيوطيّ في «إحياء الميّت بفضائل أهل البيت» ، [142] وأبو نُعيم في «منقبة المطهّرين» ، [143] والطبريّ في تاريخه ، [144] والقندوزيّ في «ينابيع المودّة» . [145]

وذكر الملّا عليّ المتّقي الهنديّ في «كنز العمّال» أربعة أحاديث عن أبي سعيد الخُدريّ : الأوّل :

50 . إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ؛ كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ خَبّرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟

رواه عن «مُسنَد ابن أبي شيبة» ، وابن سعد ، وأحمد بن حَنبل ، وأبي يعلى عن أبي سعيد . [146]

وقال العلّامة آية الله ميرحامد حسين : قال أحمد بن فضل بن محمّد باكثير في كتاب «وسيلة المآل» : أخرجه أحمد في «المسند» ، والطبرانيّ في «الأوسط» ، وأبو يعلى ، وغيرهم ، ولا بأس بسنده . [147] ورواه العلّامة البحرانيّ في «غاية المرام» باللفظ نفسه عن السمعانيّ في «فضائل الصحابة» . [148]

ورواه السيوطيّ في كتاب «إحياء الميّت» باللفظ الآتي :

51 . إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ خَبّرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ [149]

الثاني :

52 . كَأَنّي قَدْ دُعِيتَ فَأُجَبْتُ ، إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! ثمّ قال الملّا عليّ : رواه أبو يعلى ، والطبرانيّ عن أبي سعيد . [150]

ورواه أيضاً الميرزا محمّد البدخشانيّ في كتاب «مفتاح النجا» بتخريج أبي يعلى ، والطبرانيّ في «معجمه الكبير» عن أبي سعيد الخُدريّ . [151]

الثالث :

53 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي : أَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . قال الملّا عليّ المتّقي هنا : أخرجه أبو يعلى ، والطبرانيّ عن أبي سعيد . [152]

وذكره السيوطي في «الدرّ المنثور» [153] والطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، [154] والعلّامة الميرزا محمّد البدخشانيّ في «مفتاح النجا» . [155] وابن كثير الدمشقيّ في تاريخه ، [156] والترمذيّ في صحيحه . [157]

الرابع :

54 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ : كِتَابَ اللهِ . سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيدِيكُمْ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . قال الملّا عليّ : أخرجه الباورديّ عن أبي سعيد . [158]

حديث أبي جعفر محمّد بن جرير الطبريّ . كما قال العلّامة مير حامد حسين . عن حديث «كنز العمّال» بالنحو الآتي :

55 . كَأَنْ (كَأَنّي ظ) قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ (و ظ) إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (159)

وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل حديثاً في مسند أبيه عن أبي سعيد الخُدريّ باللفظ الآتي :

56 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، أَلَا إنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ (160) .

وكذلك روى عبد الله حديثاً آخر عن أبيه بسنده المتّصل عن أبي سعيد الخُدريّ قال :

57 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ . مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي . : الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (161)

وقال أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ في تفسيره المعروف ب «الكشف والبيان عن تفسير القرآن» عند تفسير الآية : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا : حدّثنا الحسن بن محمّد بن حبيب المفسّر ، قال : وجدت في كتاب جدّي الذي بخطّه أنّه قال : حدّثنا أحمد بن الأحجم القاضي المرفديّ (المرنديّ ظ) قال : حدّثنا الفضل بن موسى الشيبانيّ قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطيّة العوفيّ ، عن أبي سعيد الخُدريّ :

58 . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : يَا أَيّهَا النّاسُ إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ إنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (162)

وروى شيخ الإسلام القندوزيّ الحنفيّ هذا الحديث في «ينابيع المودّة» عن تفسير الثعلبيّ ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد ، لكنّه يختلف عنه بثلاثة أشياء : أوّلاً : عدم وجود يا في قوله : أيّها الناس . ثانياً : ذكر كلمة ثقلين مكان كلمة خليفتين . ثالثاً : ليس فيه لفظ بعدي بعد لفظ لن تضلّوا . (163)

ونقل القندوزيّ أيضاً حديثاً آخر عن تفسير الثعلبيّ بسنده المتّصل عن عطيّة ، عن أبي سعيد بالمضمون الآتي :

59 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (164)

وروى القندوزيّ أيضاً حديثاً آخر عن «مسند أحمد بن حنبل» بسنده المتّصل بأبي سعيد ، قال :

60 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، أَمّا الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا إنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (165)

قال ابن نمير : قال بعض أصحابنا : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : انْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (166)

وروى القندوزيّ عن عبد الله بن أحمد بن حنبل في «زيادات مسند أحمد» بسنده المتّصل عن أبي سعيد الخُدريّ أنّه قال :

61 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (167)

وجمع العلّامة شمس الدين السخاويّ حديث الثقلين عن جماعة من الصحابة والتابعين بألفاظ مختلفة وأسانيد متفاوتة ، منها : في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام أُولئك القوم أن يقوموا ويشهدوا ! ولا يشهد إلّا من سمعته أُذنه ووعاه قلبه ! فقام سبعة عشر وشهدوا ، منهم أبو سعيد الخُدريّ . وجاء في سياق خطبة غدير خمّ قوله صلّى الله عليه وآله :

62 . ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ . (168)

وقال العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ في ترجمة الطبرانيّ : وذكر الطبرانيّ أيضاً حديث أبي سعيد في «المعجم الصغير» بسند آخر ، كما قال : حدّثنا ... عن أبي سعيد الخُدريّ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال :

63 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي . وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . ولم يروه عن هارون ابن سعد إلّا يونس . (169) وأخرجه الطبرانيّ أيضاً في «المعجم الأوسط» برواية أبي سعيد الخُدريّ .

وقال نور الدين السمهوديّ في «جواهر العقدين» بعد نقل حديث الثقلين عن لفظ الترمذيّ : روى أحمد معناه في مسنده عن أبي سعيد الخُدريّ ، ولفظه :

64 . إنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ (ظ) أَخْبَرَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا بِمَا تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟ (170)

وأخرجه أيضاً الطبرانيّ في «الأوسط» وأبو يعلى وغيرهما بسند لا بأس به !

الثالث عشر : حديث الثقلين برواية زيد بن أرقم :

إنّ مضامين الأحاديث الواردة عن طريق زيد بن أرقم وأسنادها أكثر من الواردة عن الطرق الأخرى جميعاً . وكذلك علماء العامّة الذين رووا حديثه فإنّهم أكثر من غيرهم . ونتطرّق فيما يأتي إلى بعض الأحاديث الواردة عنه ، التي أوردها علماء العامّة في كتبهم :

قال السمهوديّ في «جواهر العِقدَين في فضل الشّرفين : شرف العلم الجَليّ وَالنّسَبِ العَلِيّ» : (171) روى الطبرانيّ في «الأوسط» ، وأبو يَعْلى ، وغيرهما بسند جيّد ، والحافظ أبو محمّد عبد العزيز في «معالم العترة النّبويّة» ، وفي «صحيح مسلم» وغيره عن زيد بن أرقم ، قال : قام رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ ، وذكّر . ثمّ قال :

65 . أَلَا يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبّي فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَوّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ . فَحَثّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغّبَ فِيهِ . ثُمّ قَالَ : . وَأَهْلُ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي . (172)

الثاني : حديث ذكره مسلم في صحيحه . وهو المتن الأوّل نفسه مضافاً إليه ما أخرجه جرير عن أبي حيّان ، عن زيد بن أرقم ، وزاد فيه :

66 . كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنّورُ ، مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلّ . [173]

الثالث : حديث ذكره مسلم بسند آخر عن ابن مسروق ، عن يزيد ابن حيّان ، عن زيد بن أرقم (أنّ ابن مسروق) قال دخلنا (أنا ويزيد بن حيّان) على زيد ، فقال له يزيد : لقد رأيتَ خيراً : لقد صاحبتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وصلّيت خلفه ! ويسوق الحديث هنا بنحو حديث أبي حيّان غير أنّه يروي كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله بالشكل الآتي :

67 . أَلَا وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ ، مَنِ اتّبَعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ . [174] وفيه : فقلنا : مَن أهل بيته ، نساؤه ؟!

قال : أيم الله إنّ المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ، ثمّ يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها . وأهل بيته صلّى الله عليه وآله أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده . [175]

ذكر ابن المغازليّ في مناقبه حديثاً بسنده المتّصل ، ولفظه : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . [176] وأورده الحاكم في مستدركه ، [177] والحافظ الترمذيّ في جامعه . [178] وأيضاً الحاكم في «المستدرك» ، [179] والطبرانيّ في معجمه الكبير . [180]

وذكر حديثاً ثالثاً بسنده المتّصل ، وهو كالحديث الأوّل عن «صحيح مسلم» من حيث اللفظ . ونحن نقلناه في التسلسل (65) المتقدّم . [181]

ورواه الحافظ الدارميّ في سننه ، [182] كتاب فضائل القران ، وأحمد بن حنبل في مسنده [183] بذكر نصّ الحديث ، وبالاعتراف بقطعه وثبوته في موضع آخر ، [184] والحافظ البيهقيّ . [185] كلّهم رووه عن أبي حيّان التيميّ بنفس السند واللفظ ؛ وأورد ابن المغازليّ حديثاً آخراً سنأتي عليه في التسلسل (80) .

وذكر الملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» أربعة أحاديث عن زيد بن أرقم :

الأوّل : نفس المضمون الذي ذكرناه في التسلسل (43) من الأحاديث الواردة عن زيد بن ثابت ، وهو رواها أيضاً عن «مسند أحمد بن حنبل» ، وعن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، وسعيد بن منصور في «السنن» عن زيد بن ثابت ، وعن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن زيد بن أرقم . [186]

الثاني : عن «مستدرك الحاكم» عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله قال :

68 . أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلّوا إنِ اتّبَعْتُمُوهُمَا : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي عِتْرَتِي . [187] تَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ! مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . [188]

الثالث : حديث نقله عن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، وعن الحاكم في «المستدرك» ، عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم :

69 . كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! فَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . إنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ ، مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . اللَهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَن عَادَاهُ . [189]

الرابع : حديث رواه عن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، عن أبي الطفيل ، [190] عن زيد بن أرقم . ثمّ عرض خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في غدير خُمّ ، وإشهاده المؤمنين ، إلى أن بلغ قوله صلّى الله عليه

وآله :

أَلَا هَلْ تَسْمَعُونَ ؟! فَإنّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَأَنْتُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، وَإنّ عَرْضَهُ أَبْعَدُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَبُصْرَى ، فِيهِ أَقْدَاحٌ عَدَدَ النّجُومِ مِنْ فِضّةٍ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِي الثّقَلَيْنِ ؟!

قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : كِتَابُ اللهِ . طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَلَا تَضِلّوا . وَالآخَرُ عِتْرَتِي . وَإنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ نَبّأَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهُمَا رَبّي ، فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا . وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (191)

مَنْ كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَعَلِيّ وَلِيّهُ . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . (192)

قال الحاكم النيسابوريّ في «المستدرك» بعد بيان حديث زيد بن أرقم كما ذكرناه في التسلسل (69) عن «كنز العمّال» ، بعد قول رسول الله وَأَنا وليّ كلّ مؤمن : فأخذ يد عليّ وقال : مَنْ كُنتُ مَوْلَاهُ (فَهَذَا وَلِيّهُ) اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ . (193)

وذكر الحاكم أيضاً في آخر الحديث الذي نقلناه عن «كنز العمّال» في التسلسل (68) ما نصّه : ثُمّ قَالَ : أَتَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ؟! . ثَلَاثَ مَرّاتٍ . قَالُوا : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . (194)

وأخرج الذهبيّ هذين الحديثين أيضاً في «تلخيص المستدرك» ، وطُبعا في ذيل الصفحة المطبوعة .

روى الخوارزميّ : موفّق بن أحمد ، أخطب خوارزم بسنده المتّصل عن زيد بن أرقم قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع ، نزل غدير خُمّ وأمر بدوحات فقُممن ، ثمّ قام فقال :

70 . كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثُمّ قَالَ : إنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ (195) وَمُؤْمِنَةٍ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ وَلِيّهُ فَهَذَا وَلِيّهُ . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

قال أبو الطفيل راوي الحديث عن زيد بن أرقم : قلتُ له : أنتَ سمعتَ هذا منه (من رسول الله صلّى الله عليه وآله) ؟! قال : نعم ، وما كان هناك (أي تحت الدوحات) أحد إلّا وقد رآه بعينه وسمعه بأُذنه . (196)

ذكر العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ ثلاثة أحاديث نقلاً عن أبي نُعيم الإصفهانيّ في كتاب «منقبة المطهّرين» ، الأوّل : عن أبي سعيد وزيد بن أرقم ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

71 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَثْقَلُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (197)

الثاني : عن زيد بن أرقم ، قال : رجعنا مع رسول الله إلى الجحفة بعد الحجّ ، وصلى الظهر في غدير خُمّ ، ثمّ قام خطيباً فقال :

72 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! هَلْ تَسْمَعُونَ ؟! إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ ، إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى ، إنّي مَسْؤُولٌ وَإنّكُمْ مَسْؤُولُونَ ، إنّي مَسْؤُولٌ هَلْ بَلّغْتُكُمْ ؟ وَأَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ هَلْ بُلّغْتُمْ ؟ فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟!

قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ بَلّغْتَ وَجَهَدْتَ . قَالَ : اللّهُمّ اشْهَدْ وَأَنَا مِنَ الشّاهِدِينَ . أَلَا هَلْ تَسْمَعُونَ ؟ إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ ، مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! قَالَ : قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الثّقَلَانِ ؟!

قَالَ : الثَّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسّكُوا بِهِ لَنْ تَهْلِكُوا وَتَضِلّوا ، وَالآخَرُ عِتْرَتِي ، فَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (198)

الثالث : عن زيد بن أرقم أيضاً أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وقف في مكان بين مكّة والمدينة فيه ماء يقال له : خُمّ ، فقام فينا خطيباً ، وحمد الله وأثنى عليه وقال :

73 . أَمّا بَعْدُ ؛ أَلَا يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبّي عَزّ وَجَلّ فَأُجِيبَ . وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ . أَوّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدى وَالنّورِ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ !

فَحَثّ عَلَى كِتَابِ اللهِ وَرَغّبَ فِيهِ وَقَالَ (ثُمّ قَالَ : وظ) أَهْلُ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ! أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي !

قال له الحصين (وهو ممّن حضر وسأل) : يا زيد ! مَنْ أهل بيته ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : بلى ، إنّ نساءه من أهل بيته ، ولكنّ أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال : ومَن هُم ؟ قال : آل عليّ ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل العبّاس ! (199)

إنّ التفسير المذكور لأهل البيت كلام زيد نفسه . وهو تفسير باطل لأسباب عديدة ، وقدح بعض علماء العامّة في هذا التفسير أيضاً . وسنتحدّث عن هذا الموضوع إن شاء الله تعالى . (200)

من الجدير ذكره أنّ الحديث الأخير الذي نقلناه عن صاحب «العبقات» ، وهو نقله عن أبي نُعَيم ، وأوردناه في التسلسل (73) ، ذكره كثير من علماء العامّة ، منهم : الزّرنْديّ في «نظم دُرَر السّمطين» ، (201) والبيهقيّ في «السنن» ، (202) وابن حَجَر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ، (203) والعلّامة الشيخ رضي الدين الصنعانيّ في كتاب «مشارق الأنوار النبويّة من صحاح الأخبار المصطفويّة» ، والفارق فيها أنّ لفظ : أُذَكّرُكُمُ اللهِ فِي أَهْلِ بَيْتِي ذكر ثلاث مرّات .

يُضاف إلى هذا الحديث ، والحديث الذي أوردناه في التسلسل (59) عن أبي سعيد الخُدريّ . وقد صرفنا النظر عنه هنا رغبة في عدم تكرار مضمونه برواية زيد بن أرقم . حديثٌ آخر نقله الزرنديّ في «نظم درر السمطين» عن زيد بن أرقم ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم حجّة الوداع بالمضمون الآتي :

74 . إنّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَأَنْتُمْ تَبَعي ، وَإِنّكُمْ تُوشِكُونَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ فَأَسْأَلُكُمْ عَنْ ثَقَلَي كَيْفَ خَلّفْتُمُونِي فِيهِمَا ؟! فقام رجل من المهاجرين وقال : ما الثقلان ؟ قَالَ : الأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَسَبَبٌ طَرَفُهُ بِأَيدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ ، وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي .

فَمَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتِي وَأَجَابَ دَعْوَتِي فَلْيَسْتَوْصِ لَهُمْ خَيْراً . أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَلَا تَقْتُلُوهُمْ ، وَلَا تَقْهَرُوهُمْ ، وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمْ ، وَإِنّي سَأَلْتُ اللّطِيفَ الخَبِيرَ ، فَأَعْطَانِي أَنْ يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ كَهَاتَيْنِ . وَأَشَارَ بِالمُسَبّحَتَيْنِ . نَاصِرُهُمَا لِي نَاصِرٌ ، وَخَاذِلُهُمَا لِي خَاذِلٌ ، وَوَلِيّهُمَا لِي وَلِيّ ، وَعَدُوّهُمَا لِي عَدُوّ . (204)

قال البدخشانيّ في كتاب «مفتاح النّجا» : ذكر الطبرانيّ في معجمه الكبير عن زيد بن أرقم أنّه قال :

75 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي لَكُمْ فَرَطٌ ، وَإِنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ . عَرْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى بُصْرَى ، فِيهِ عَدَدَ الكَوَاكِبِ مِنْ قِدْحَانِ الذّهَبِ وَالفِضّةِ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِي الثّقَلَيْنِ ؟!

قِيلَ : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ لَنْ تَزِلّوا وَلَا تَضِلّوا ، وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . وَسَأَلْتُ لَهُمَا ذَلِكَ رَبّي ، فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ

فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (205)

ونقل الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» حديثاً بسنده المتّصل عن يزيد ابن حيّان . قال : دخلنا على زيد بن أرقم ، فقال لنا : خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال :

76 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، مَنْ تَبِعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ ، ثُمّ أَهْلُ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، قالها ثلاثاً . (206)

ونقل ابن المغازليّ في كتاب «فضائل القرآن» حديثاً آخراً عن زيد ابن أرقم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

77 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَقَرَابَتِي . الحديث . (207)

وأُخرج حديث في الثقلين عن الطبرانيّ في معجمه الكبير برواية حذيفة بن أُسَيد الغفاريّ أو زيد بن أرقم ، ونحن نذكره فيما يأتي برواية العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ أعلى الله مقامه الشريف لأهمّيّته وشدّة اهتمام علماء العامّة به ، قال :

قال العلّامة السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» : [أمّا حديث حُذَيفة بن أُسَيْد الغفاريّ ، فقد رواه الطبرانيّ في معجمه الكبير عن طريق سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ، عن أبي سعيد ، عن زيد بن أرقم رضي الله عنهما ، قال :]

78 . لَمّا صَدَرَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ حِجّةِ الوَدَاعِ ، نَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ شَجَراتٍ بِالبَطْحَاءِ مُتَقَارِبَاتٍ أَنْ يَنْزِلُوا تَحْتَهُنّ ، ثُمّ بَعَثَ إِلَيْهِنّ ، فَقُمّ مَا تَحْتَهُنّ مِنَ الشّوْكِ ، وَعَمَدَ إِلَيْهِنّ فَصَلّى تَحْتَهُنّ .

ثُمّ قَامَ فَقَالَ : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إِنّي قَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُ لَنْ يُعَمّرَ نَبِيّ إِلّا نِصْفَ عُمْرِ الّذِي يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ . وَإِنّي لَأَظُنّ أَنْ يُوشِكَ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإِنّي مَسْؤُولٌ وَإِنّكُمْ مَسْؤُولُونَ ، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟!

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وَجَهَدْتَ وَنَصَحْتَ ، فَجَزَاكَ اللهُ خَيْراً .

فَقَالَ : أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ ، وَأَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنّ جَنّتَهُ حَقّ ، وَنَارَهُ حَقّ ، وَأَنّ المَوْتَ حَقّ ، وَأَنّ البَعْثَ حَقّ بَعْدَ المَوْتِ ، وَأَنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي القُبُورِ ؟!

قَالُوا : بَلَى ! نَشْهَدُ بِذَلِكَ ، قَالَ : اللّهُمّ اشْهَدْ !

ثُمّ قَالَ : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إِنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِينَ ، وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ . يَعْنِي عَلِيّاً . اللّهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إِنّي فَرَطُكُمْ وَإِنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، حَوْضٌ عَرْضُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى إلى صَنْعَاءَ ، فِيهِ عَدَدَ النّجُومِ قِدْحَانٌ مِنْ فِضّةٍ ، وَإِنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيّ عَنِ الثّقَلَيْنِ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ عَزّ وَجَلّ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ لَا تَضِلّوا وَلَا تُبَدّلُوا ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ فَإِنّهُ قَدْ نَبّأَنِيَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُمَا لَنْ يَنْقَضِيَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (208)

ثمّ قال السمهوديّ ، راوي هذا الحديث عن الطبرانيّ : من هذا الطريق رواية الضياء في «المختارة» ، وأبو نُعَيْم في «الحِلية» وغيرهما . رووه من حديث زيد بن الحسن الأنماطيّ ، عن معروف بن خرّبوذ ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة .

ويتّضح من إفادة العلّامة السمهوديّ في «جواهر العِقدين» ، ومحمّد ابن يوسف الشاميّ في كتاب «سُبُل الهُدى والرشاد» المعروف ب «السيرة الشاميّة» ، وابن حَجَر المكّيّ في «الصواعق المحرقة» ، والفخر الجَهْرُميّ في «البراهين القاطعة» ، ونور الدين الحلبيّ في كتاب «إنسان العيون» المعروف ب «السيرة الحلبيّة» ، وأحمد

بن فضل بن محمّد با كثير في «وسيلة المآل» ، ومحمود بن محمّد القادريّ في «الصراط السويّ» ، والميرزا محمّد البَدَخشانيّ في «مفتاح النّجا» ، و«نُزُل الأبرار» ، ومحمّد صدر العالم في «معارج العُلى» ، وأحمد بن عبد القادر العُجَيليّ في «ذخيرة المآل» ، ومولوي وليّ الله الكهنويّ في «مرآة المؤمنين» أنّ الطبرانيّ أخرج هذا الحديث كما ستطّلع عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى . (209)

وقال الميرزا محمّد البدخشانيّ في «مفتاح النّجا» أيضاً : أخرج الحاكم عن زيد بن أرقم ، وأخرج الطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن زيد بن أرقم ، وزيد بن ثابت أنّه :

79 . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ مِنْ بَعْدِي : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (210)

وأورد ابن البطريق حديث الغدير المفصّل والخطبة المذكورة بألفاظ أُخرى تماثل ألفاظ حديث الطبرانيّ مفاداً ومعنى . وذلك في كتاب «العمدة» بسنده المتّصل عن وليد بن صالح ، عن زيد بن أرقم . ونقل عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بخصوص التوصية بالثقلين قوله :

80 . أَلَا وَإنّي فَرَطُكُمْ وَإنّكُمْ تَبِعِي تُوشِكُونَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَأَسْأَلُكُمْ حِينَ تَلْقَوْنّي عَنْ ثَقَلَيّ كَيْفَ خَلَفْتُمُونّي فِيهِمَا ؟ ! فَأَعْضَلَ عَلَيْنَا مَا نَدْرِي مَا الثّقَلَانِ ؟ حَتّى قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا نَبِيّ اللهِ مَا الثّقَلَانِ ؟!

قَالَ : الأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ وَلَا تَزِلّوا وَلَا تَضِلّوا ؛ وَالأَصْغَرُ مِنْهُمَا عِتْرَتِي . الخطبة . (211)

وذكر الشيخ أحمد بن عبد القادر العُجيليّ الشافعيّ في كتابه «ذخيرة المآل في شرح عقد جواهر اللآل» ما يشبه مضمون ابن البطريق عن زيد بن أرقم أيضاً .

وأورده جلال الدين السيوطيّ في «الجامع الصغير» عن «مسند أحمد ابن حنبل» ، و«صحيح مسلم» ، و«مسند عبد بن حميد» باللفظ الآتي :

81 . أَمّا بَعْدُ ؛ أَلَا أَيّهَا النّاسُ ! فَإنّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبّي فَأُجِيبَ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَوّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الهُدَى وَالنّورُ ، مَنِ اسْتَمْسَكَ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلّ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ، وَأَهْلُ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ! أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي . ثمّ قال السيوطيّ : حديثٌ صحيح . (212)

ونقل ابن حَجَر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» حديثاً آخراً أيضاً عن زيد بن أرقم ، وقال : روايةٌ صحيحةٌ .

82 . كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ ، إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا آكَدُ مِنَ الآخر : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، وَعِتْرَتِي ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخلُفُونّي فِيهِمَا ؟! فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (213)

وفي حديث آخر : وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، سَأَلْتُ رَبّي ذَلِكَ لَهُمَا فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (214)

ثمّ قال : ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيّاً . وفي هذه الأحاديث لا سيّما قوله صلّى الله عليه وآله : انْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؛ وَأُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْراً ؛ وَأُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي الحثّ الأكيد على مودّتهم ، ومزيد الإحسان إليهم ، واحترامهم ، وإكرامهم ، وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة . كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ؟

ويستفاد من كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله : لَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ أنّ من تأهّل منهم للمراتب العليّة والوظائف الدينيّة كان مقدّماً على غيره . (215)

الرابع عشر : حديث الثقلين برواية عبد الله بن حنطب :

قال السيوطيّ في كتاب «إحياء الميّت» : أخرج الطبرانيّ عن المطّلب ابن عبد الله بن حنطب ، عن أبيه عبد الله أنّه قال : خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله بالجحفة فقال :

83 . أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : فَإنّي سَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ : عَنِ القُرْآنِ وَعِتْرَتِي . (216)

وأخرج العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ عن السيوطيّ في كتاب «الإنافة في رتبة الخلافة» عن الطبرانيّ ، عن عبد الله بن حنطب نفسه أنّه قال :

خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال :

84 . أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُول اللهِ ! قَالَ : فَإنّي سَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ : عَنِ القُرْآنِ وَعَنْ عِتْرَتِي ، أَلّا تَقَدّمُوا فَتَضِلّوا ، وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهَا (عَنْهُمَا . ظ) فَتَهْلِكُوا ! (217)

الخامس عشر : حديث الثقلين برواية جُبَيْر بن مُطْعِم :

روى شيخ الإسلام القندوزيّ الحسينيّ الحنفيّ في كتاب «ينابيع المودّة» عن كتاب «مودّة القربى» للسيّد عليّ الهمدانيّ ، عن جبير بن مطعم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

85 . إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ رَبّنَا ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (218) وذكره السيّد عليّ الهمدانيّ في كتاب «مودّة القُربى» عن جبير بن مطعم مرفوعاً باللفظ الآتي :

86 . أَلَسْتُ بِمَوْلَاكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ! قَالَ : إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ رَبّنَا ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخلُفُونّي فِيهِمَا . (219)

وذكره العلّامة آية الله مير حامد حسين أعلى الله درجته عن كتاب «منقبة المطهّرين» لأبي نعيم الإصفهانيّ ، عن جبير بن مطعم بهذا اللفظ : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

87 . أَلَسْتُ مَوْلَاكُمْ ؟! أَلَسْتُ مَوْلَاكُمْ ؟! قَالُوا : بَلَى !

قَالَ : فَإنّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الحَوْضِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَإنّ اللهَ سَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَيْنِ : عَنِ القُرْآنِ وَعَنْ عِتْرَتِي . (220)

السادس عشر : حديث الثقلين برواية البراء بن عازب :

أخرج أبو نُعَيم الإصفهانيّ في كتاب «منقبة المطهّرين» على ما نقل عنه بسنده عن البراء بن عازب ، قال : لمّا نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله [في] الغدير ، قام في الظهرة فأمر بقم الشجرات ، وأمر بلالاً في الناس واجتمع المسلمون ؛ (وبعد اجتماعهم قال) :

88 . يَا أَيّهَا النّاسُ ! أَلَا وَيُوشِكُ أَنْ أُدْعَى وَأُجِيبَ ، وَإنّ اللهَ سَائِلِي وَسَائِلُكُمْ . فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟ قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وَنَصَحْتَ !

قَالَ : وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ! قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ ؟!

قَالَ : كِتَابُ اللهِ سَبَبٌ عِنْدَهُ (بِيَدِهِ . ظ) فِي السّمَاءِ وَسَبَبٌ بِأَيْدِيكُمْ فِي الأَرْضِ ؛ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَقَدْ سَأَلْتُهُمَا رَبّي فَوَعَدَنِي أَنْ يُورِدَهُمَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَعَرْضُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى وَصَنْعَاءَ ، وَأَبَارِيقُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السّمَاءِ

. فَلَا تَسْبِقُوا أَهْلَ بَيْتِي فَتَفَرّقُوا ، وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهُمْ فَتَضِلّوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَهُمْ أَعْلَمُ ، فَإِنّهُمْ (وَإِنّهُمْ . ظ) لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَىً ، وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ ؛ أَحْلَمُ النّاسِ كِبَاراً ، وَأَعْلَمُهُمْ صِغَاراً . (221)

ورواه أبو نُعَيم أيضاً في «حِلية الأولياء» ، وأخرجه بسياقه الطويل عن حُذيفة بن أُسَيْد الغِفاريّ كما عرفتَ سابقاً من استفادة العلّامة السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» .

روى أحمد بن حنبل في مسنده ، عن عفّان ، عن حمّاد بن سَلِمَة ، عن زيد بن عليّ بن ثابت ، عن البراء بن عازب أنّه قال : كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في سفره ، فنزلنا بغدير خُمّ ، ونودي فينا الصلاة جامعة ، فصلّى رسول الله الظهر ، وأخذ بِيَدِ عَليّ فقال :

89 . أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟! قَالُوا بَلَى !

قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِكُلّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ؟! قَالُوا : بَلَى ! آخِذاً بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . اللَهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

فَلَقِيَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ فَقَالَ : هَنِيئاً لَكَ يَابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . (222)

وأخرج الثعلبيّ أيضاً هذا الحديث بلفظه عن البراء بن عازب . (223)

ونقل القندوزيّ عدداً من الأحاديث بعد الحديث المذكور ، ثمّ قال : نقله في «مشكاة المصابيح» عن أحمد بن حنبل بهذا اللفظ ، وخطاب عمر ابن الخطّاب . (224)

السابع عشر : حديث الثقلين برواية خزيمة بن ثابت :

نقل أبو نُعَيم الإصفهانيّ في «حلية الأولياء» حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام . وفيه أنّ سبعة عشر رجلاً شهدوا على واقعة الغدير وحديث الثقلين ، منهم خزيمة بن ثابت الذي نقل حديث الثقلين باللفظ الآتي : ثُمّ قَالَ : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ! فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ . (225) وهذا هو نفس اللفظ الذي ذكرناه عن أمير المؤمنين عليه السلام في التسلسل (12) .

وروى السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغُرَف» حديثاً عن طريق ابن عقدة ، عن أبي الطفيل . وفيه مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الكيفيّة ، إلّا ما يعود إلى الثقلين فقد جاء باللفظ الآتي : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ . (226)

وهذا هو نفس اللفظ الذي نقلناه عن أبي سعيد الخُدريّ في التسلسل (62) .

وأورد الشيخ عبيد الله الهنديّ في كتاب «أرْجَح المطالب» حديث السخاويّ مع اختلاف يسير في اللفظ . (227)

الثامن عشر : حديث الثقلين برواية أنس بن مالك :

روى أبو نُعَيْم الإصفهانيّ بسنده عن أنس بن مالك على ما نقل عنه في كتاب «منقبة المطهّرين» أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

90 . «الّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنّ الْقُلُوبُ» . (228) أَتَدْرِي مَنْ هُمْ يَا أُمّ سُلَيْمٍ (يابنَ أُمّ سُلَيم . ظ) ؟

قُلْتُ : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : نَحْنُ أَهْلَ البَيْتِ وَشِيعَتُنَا ذِكْرُ الثَّقَلَيْنِ ، وَإِنّهُمَا القَرِينَانِ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . [229]

إنّ ما يتبادر إلى ذهني في تفسير تلك الآية المباركة حسب هذا الحديث هو معنى دقيق وعميق لم تعرضه الأحاديث الأُخرى . ويتجسّد هذا المعنى في أنّ ذكر الثقلين مثنّى مضاف بحذف النون وبواسطة الإضافة ، وكان في الأصل (ذكران) .

وحينئذٍ يُفَسّر الإمام قوله تعالى : «الّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ» بأهل البيت وشيعتهم الذين يتّبعونهم سبيلاً وأُسلوباً ، ويقتفون منهجهم القويم في العقيدة والأخلاق والمعارف ، وذلك حين يقول : أهل البيت والشيعة ذِكر الثقلين . أي : ذِكر الله وحقيقة الولاية ؛ وهذه هي حقيقة الله تعالى وأصالته ، إذ يتجلّى بذكره بين الخلائق مقترناً بحقيقة الولاية . وهما متلازمان لا يقبلان الانفصال والافتراق مادامت الدنيا قائمة . فالتوحيد في الولاية ، والولاية أثر التوحيد ومرآته ومعلَمه . والتوحيد عين الولاية والولاية عين التوحيد . والذات متجلّية في الولاية ، والولاية تتجلّى فيها الذات .

الله تعالى غير منفصل عن عليّ ، وعليّ غير منفصل عن الله . فهو ظاهر في هذا الاسم وهذا مظهره وظهوره . ولمّا كان المظهر عين الظاهر ، والمتجلّى فيه عين المتجلّي ، فستتحقّق هذه العينيّة التي هي أعلى من المعيّة من خلال هويّة الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة .

التاسع عشر : حديث الثقلين برواية أبي هريرة :

روى السمهوديّ في كتاب «جواهر العِقدين» عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

91 . إنّي خَلّفْتُ فِيكُمُ اثْنَتَيْنِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُمَا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ وَنَسَبِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . أخرجه البزّاز في مسنده . [230]

وروى العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ أعلى الله مقامه هذا الحديث نفسه عن أبي هريرة ونصّ على تخريج البزّاز له في مسنده ، وذلك عند ترجمة محمود بن محمّد بن عليّ الشيخانيّ القادريّ المدنيّ نقلاً عن «الصراط السويّ في مناقب آل النبيّ» . [231]

وقال في أوّل كلامه : أقتني نسخة عتيقة من «الصراط السّويّ في مناقب آل النبيّ» بخطّ عربيّ . [232]

وذكر الشيخ عبيد الله الهنديّ هذا الحديث عينه في «أرجح المطالب» عن أبي هريرة بلفظ نِسبَتي مكان نَسَبِي . [233]

وروى السيوطيّ في «إحياء الميّت» ، [234] والسّخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» [235] حديث أبي هريرة بلفظ اثنَتَيْن أيضاً ، كما نُقل عن السمهوديّ والشيخانيّ القادريّ .

أمّا الشيخ سليمان القندوزيّ فقد رواه في «ينابيع المودّة» بلفظ الثّقَلَيْنِ بتخريج ابن عقدة في كتاب «الموالاة» عن أبي هريرة . [236] ويتّضح من الموازنة بين ألفاظ هذه الأحاديث أنّ التحريف قد نال تلك الأحاديث ، والصحيح هو تخريج ابن عقدة نفسه . ولعلّ ذلك الحديث حديث آخر غيره . [237]

العشرون : حديث الثقلين برواية عامر بن ليلى بن ضُمرة :

نقل السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» ، [238] والسمهوديّ في «جواهر العِقدين» ، [239] والحافظ أبو الفتوح العِجليّ في «الموجَز من فضائل الخلفاء» ، [240] عن ابن عقدة في كتاب «الموالاة» أنّه أخرج عن طريق عبد الله ابن سنان ، عن أبي الطفيل ، عن عامر بن ليلى بن ضُمرة وحذيفة بن أُسيد قالا :

خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم الغدير فقال كذا وكذا . ورويا في التوصية بالثقلين عين اللفظ الذي أوردناه عن زيد بن أرقم في التسلسل (78) : أَلَا وَإِنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيّ عَنِ الثَّقَلَيْنِ . إلى آخر الحديث .

وروى القندوزيّ هذا الحديث أيضاً في «ينابيع المودّة» بتخريج ابن عقدة في كتاب «الموالاة» عن عامر بن أبي ليلى بن ضمرة وحذيفة بن أُسَيد ، واكتفى بذيله الذي فيه توصية رسول الله صلّى الله عليه وآله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، والثقلين حسب اللفظ الأخير نفسه . (241)

الحادي والعشرون : حديث الثقلين برواية ضُمَيْرَة الأسْلَميّ :

ذكر السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» (242) والسمهوديّ في «جواهر العِقدين» (243) نقلاً عن ابن عقدة في كتاب «الموالاة» أنّه أخرج عن ضُمَيْرَة الأسلَميّ قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع أمر بدوحات في وادي خُمّ فقُممن ورُفع ما تحتهنّ من الشوك والقَشّ ، ثمّ قام وسط النهار في حرّ الظهيرة وخطب قائلاً :

92 . أَمّا بَعْدُ ، أَيّهَا النّاسُ ! فَإنّي مَقْبُوضٌ أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟! قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وَنَصَحْتَ وَأَدّيْتَ !

قَالَ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟!

وذكر القندوزيّ هذا الحديث في «ينابيع المودّة» عن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن ضميرة الأسلميّ لكنّه قطع منه ، وأورد ذيله من قوله : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ إلى آخر ما يتلوه . (244) وهذا القطع هنا مُخلّ بالمقصود .

الثاني والعشرون : حديث الثقلين برواية عبد الرحمن بن عوف :

روى السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» بتخريج ابن أبي شيبة وأبي يعلى في مسنديهما ، وبتخريج البزّاز في مسنده أنّ عبد الرحمن بن عوف قال : لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله مكّة ، توجّه إلى الطائف ، فحاصرها سبعة عشر أو تسعة عشر يوماً ، ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

93 . أُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْراً ، وَإنّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ ؛ وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُقِيمُنّ الصّلَاةَ وَتُؤْتُنّ الزّكَاةَ ، أَوْ لَأَبْعَثَنّ إلَيْكُمْ رَجُلاً مِنّي . أَو كَنَفْسِي . يَضْرِبُ أَعْنَاقَكُمْ !

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ : هَذَا . (245)

الثالث والعشرون : حديث الثقلين برواية عبد بن حميد : (246)

قال القندوزيّ في «ينابيع المودّة» : أخرج أحمد بن حنبل عن عبد بن حميد بسند جيّد ، ولفظه :

94 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (247)

وقال أيضاً : وأخرج الطبرانيّ في «المعجم الكبير» برجال ثقات ، ولفظه :

95 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (248)

الرابع والعشرون : حديث الثقلين برواية زيد بن أسلَم :

روى الشيخ عبيد الله آمر تسرّي الهنديّ حديث الثقلين في كتاب «أرجح المطالب» بتخريج أحمد بن حنبل في «المسند» ، والطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن زيد بن أسلم ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

96 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (249)

وروى السخاويّ هذا اللفظ نفسه في «استجلاب ارتقاء الغرف» برواية أحمد بن حنبل في مسنده ، عن زيد بن أسلم . (250)

من الجدير ذكره أنّ هذا اللفظ واضح جدّاً في دلالته على خلافة أهل البيت ولا نصّ أعلى منه وأبلغ . لأنّه يقول : تركتُ لكم خليفتين هما كنفسي من الجهات جميعها . وهما خليفتاي من بعدي . ولا يقتصر صدور هذا اللفظ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله على رواية زيد بن أسلم . بل ذُكر مُماثِلُه في التسلسل (58) عن أبي سعيد ، وكذلك في التسلسل (43) عنه . وروي عن زيد بن ثابت أيضاً . وذكره أعلام العامّة في كتبهم بهذا اللفظ .

وعرفنا أنّ السيوطيّ أخرجه في «إحياء الميّت» ، (251) و«الدرّ المنثور» . (252) وأخرجه القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ، (253) والملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» ، (254) والعلّامة البدخشانيّ في «مفتاح النّجا» ، (255) وأحمدبن حنبل في «المسند» ، (256) والسمهوديّ في «جواهر العِقدين» ، (257) والثعلبيّ في تفسير «الكشف والبيان» ، (258) بأسنادهم المتّصلة .

إنّ هذا الحديث المبارك الذي رواه ما يربو على عشرة من علماء الشافعيّة والحنفيّة وغيرهما يُعدّ من أقوى الأدلّة على حقّانيّة أهل البيت الطاهرين وإمامتهم وإمارتهم بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله حقّاً .

الخامس والعشرون : حديث الثقلين برواية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام :

ذكر القندوزيّ في «ينابيع المودّة» أنّ أحمد بن حنبل ، وابن حبان أخرجا عن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

97 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (259)

وهذا الحديث من حيث المضمون كالحديث الذي أوردناه عن زيد ابن أسلم في التسلسل (96) ، ولا يختلف عنه إلّا في ذكر عبارة عزّ وجلّ بعد لفظ الجلالة .

والحديث الآخر هو الذي نقله القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 21 عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بعد بيعة الناس له بولاية الأمر . وسنذكره في عداد موارد الاحتجاج بحديث الثقلين إن شاء الله .

وروى القندوزيّ في «ينابيع المودّة» عن كتاب «المناقب» لأحمد بن حنبل ، عن عبد الله بن الحسن المُثنّى بن الحسن المجتبى بن عليّ المرتضى عليهم السلام ، عن أبيه ، عن جدّه : الحسن السبط عليه السلام أنّه قال : خطب جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوماً . فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه :

مَعَاشِرَ النّاسِ ! إنّي أُدْعَى فَأُجِيبُ ، وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَتَعَلّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ ، وَلَا تَخْلُو الأَرْضُ مِنْهُمْ وَلَوْ خَلَتْ لَانْسَاخَتْ بِأَهْلِهَا .

ثُمّ قَالَ : اللّهُمّ إنّكَ لَا تُخْلِي الأَرْضَ مِنْ حُجّةٍ عَلَى خَلْقِكَ لِئَلّا تَبْطُلَ حُجّتُكَ ؛ وَلَا تُضِلّ أَوْلِيَاءَكَ بَعْدَ إذْ هَدَيْتَهُمْ .

أُولَئِكَ الأَقَلّونَ عَدَداً ، وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً عِندَ اللهِ عَزّ وَجَلّ . وَلَقَدْ دَعَوْتُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ العِلْمَ وَالحِكْمَةَ فِي عَقِبِي وَعَقِبَ عَقِبِي ، وَفِي زَرْعِي وَزَرْعِ زَرْعِي إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ، فَاسْتُجِيبَ لِي . (260)

هذه سبعة وتسعون حديثاً نقلناها عن خمسة وعشرين صحابيّاً من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقد انتقيناها بأنفسنا من بطون الكتب هادفين أن نعرضها ، أوّلاً : أحاديثَ مسندة ، لا مُرسَلة ولا مرفوعة ولا مقطوعة . ثانياً : أحاديث مأثورة عن نفس الصحابة الذين سمعوها من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لا أحاديث التابعين أو أحاديث أُخرى وردت في الكتب وذُكرت بلا سندٍ متّصل بالصحابيّ . ثالثاً : أحاديث خالية من التكرار لفظاً . ولو أردنا أن نأتي بالأحاديث كلّها ، وإن كانت بلفظ واحد عن رواة شتّى ، لأنافت على مائتي حديث .

وذكر السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» أسماء ثمانية عشر رجلاً وامرأتين من الصحابة الذين رووا هذا الحديث . ومجموعهم عشرون صحابيّاً وصحابيّةً .

أمّا الرجال ، فهم : جابر بن عبد الله ، حُذَيفَة بن أُسَيد ، خُزَيمة بن ثابت ، سهل بن سعد الساعديّ ، ضُميرة الأسلميّ ، عامر بن ليلى ، عبد الرحمن بن عوف ، عبد الله بن عبّاس ، عبد الله بن عمر ، عَدِيّ بن حاتم ، عقبة بن عامر ، أبو ذرّ ، أبو رافع ، عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أبو شُرَيح الخُزاعيّ ، أبو قُدامة الأنصاريّ ، أبو هريرة ، أبو الهيثم بن التّيّهان ، ورجال من قريش .

وأمّا المرأتان الصحابيّتان ، فهما : أُمّ سَلِمة ، وأُمّ هاني بنت أبي طالب . (261)

وذكر ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» بضعاً وعشرين منهم . (262) وأورد الفقيه الفقيد سماحة آية الله البروجرديّ تغمّده الله برضوانه في مقدّمة كتاب «جامع الأحاديث» أربعة وثلاثين منهم . (263) وقال سماحة العلّامة الطباطبائيّ : إنّ بعض علماء الحديث أنهى رواته من الصحابة إلى خمسة وثلاثين راوياً . (264)

وأمّا أنا فقد أحصيتُ رواة حديث الثقلين من الصحابة أنفسهم فوجدتهم ستّة وثلاثين صحابيّاً : خمسة وعشرين منهم ذكرت أسماؤهم وأحاديثهم مفصّلاً ، ومنهم الصّدّيقة الكبرى سلام الله عليها . وثمانية غيرهم ممّن ذُكروا في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته ، إذ طلب ممّن شهد يوم الغدير أن يقوم ويشهد فقام سبعة عشر منهم وشهدوا ، وهم ممّن سمعته آذانهم ووعته قلوبهم .

وهذا الحديث خبر مشهور ورد في كتب الشيعة والعامّة بنحو تامّ . ورواه أبو نُعَيم الإصفهانيّ في «حِلية الأولياء» وغيره عن أبي الطفيل . ونلحظ بين السبعة عشر الذين شهدوا ثمانية لم ترد أسماؤهم في عداد الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وهم : 1 . سهل بن سعد الساعديّ . 2 . عديّ بن حاتم الطائيّ . 3 . عقبة بن عامر . 4 . أبو أيّوب الأنصاريّ . 5 . أبو شُرَيح الخُزاعيّ . 6 . أبو قُدامة الأنصاريّ . 7 . أبو يَعْلَى الأنصاريّ . 8 . أبو الهيثم بن التّيّهان . ونحن ذكرناهم هنا نقلاً عن «ينابيع المودّة» . (265) وإذا ضممنا هؤلاء الثمانية إلى الخمسة والعشرين المشار إليهم سلفاً ، يكون المجموع ثلاثة وثلاثين .

ويعرض القندوزيّ حديث الثقلين في «ينابيع المودّة» مرويّاً عن أبي ذرّ في مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى ، إذ قال لطلحة وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص : هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَإِنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا إنِ اتّبَعْتُمْ وَاسْتَمْسَكْتُمْ بِهِمَا ؟! قَالُوا : نَعَم ! (266)

وحينئذٍ يتّضح لنا جيّداً أنّ هؤلاء الصحابة الثلاثة من رواة الحديث المذكور . ولمّا كنّا قد أوردنا اسم عبد الرحمن بن عوف بين الصحابة الخمسة والعشرين ، فسيكون اسم طلحة ، وسعد بن أبي وقّاص في عِداد رواته أيضاً . وإذا ضممناهما إلى الثلاثة والثلاثين المشار إليهم سابقاً ، فسيصبح المجموع خمسة وثلاثين .

قال القندوزيّ في «ينابيع المودّة» : وروى حديث الثقلين أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، والحسن بن عليّ عليه السلام ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وابن عبّاس ، وزيد بن أرقم ، وأبو سعيد الخدريّ ، وأبو ذرّ ، وزيد بن ثابت ، وحُذيفة بن اليمان ، وحُذيفة بن أُسَيد ، وجُبير بن مطعم ، وسلمان الفارسيّ رضي الله عنهم . (267)

ذكرت إلى الآن أسماء الصحابة الذين رووا حديث الثقلين ما عدا الصحابيّ الكبير سلمان الفارسيّ الذي أثنى عليه النبيّ صلّى الله عليه وآله بقوله : مِنّا أَهْلَ البَيْتِ . وإذا ضممناه إلى الخمسة والثلاثين ، يصبح المجموع ستّة وثلاثين . (268)

وبلغ مجموع الأحاديث التي ذكرها المحقّق المتضلّع الخبير السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» (82) حديثاً عن طريق الخاصّة ، و(36) حديثاً عن طريق العامّة . (269) وألحق العلّامة الخبير والمحدّث الكبير المرحوم الميرزا نجم الدين الشريف العسكريّ رضي الله عنه كتاب «غاية المرام» بمستدرك . وهو نفسه يقول في كتاب «محمّد وعليّ وحديث الثقلين وحديث السفينة» : «أخرج السيّد هاشم البحرانيّ في غاية المرام» تسعة وثلاثين حديثاً من كتب علماء السنّة في الباب (أي في باب حديث الثقلين) . وأخرجنا ما يقرب الأربعين حديثاً من حديث الثقلين من كتب علماء السنّة وجعلناها مستدركاً لما ذكره السيّد رحمه الله ...» . (270)

أجل ، لا يخفى على طلّاب الحقّ والحقيقة أنّ هذه الأحاديث كلّها تثبت بكثرتها ومضامينها العديدة أمراً واحداً فحسب ، وهو أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله أرشد أُمّته إلى مَن تتمسّك به في أمر دينها ، ودلّها على مَن تأخذ منه أحكام دنياها وآخرتها ، وهداها إلى مرجعها في الشدائد والخطوب والحوادث الواقعة بعده ! وهذا أمر ملحوظ بأوضح الألفاظ في الأحاديث جميعها ! وهو في غنى عن الشرح والبيان والتفسير والتأويل .

ألقوا نظرة مجملة على الأحاديث المنتخبة من المجموعة السبعة والتسعين لتروا كيف بلّغ النبيّ صلّى الله عليه وآله هذا المرام بأجلى نداء ، وأعلى نغمة :

1 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ رَبّي وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتي ! أَلَا وَهُمَا الخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (271)

2 . إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ ! إنْ أَخَذْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (272)

3 . إنّي خَلّفْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ! إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (273)

4 . إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ! إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (274)

5 . إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ رَبّي عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (275)

6 . إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (276)

7 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (277)

8 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَحَدَهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي . (278)

9 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ؛ الثَّقَلَ الأَكْبَرَ ، وَالثَّقَلَ الأَصْغَرَ ، الثَّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ ، وَالثَّقَلُ الأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (279)

10 . إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا . (280)

11 . إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (281)

12 . إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إن أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (282)

13 . تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي أَبَداً : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (283)

(283)

14 . تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (284)

هذه الأحاديث التي تدعو إلى أهل البيت وأمير المؤمنين عليه السلام لا تتلخّص في حديث الثقلين . فقد ذكّر النبيّ صلّى الله عليه وآله في مواطن كثيرة وبألفاظ عديدة باتّحاد نفس أمير المؤمنين وآله الذين هم آل رسول الله ، وأصرّ على ذلك إصراراً وثيقاً ، وأبرمه إبراماً أكيداً . وهذه الحقيقة كانت مشهودة ملحوظة .

روى الحافظ جمال الدين الزرنديّ عن عبد الله بن زيد بن ثابت ، عن أبيه أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ . أَي يُتَأَخّرُ فِي أَجَلِهِ . وَأَنْ يُمتّعَ بِمَا خَوّلَهُ اللهُ فَلْيُخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خِلَافَةً حَسَنَةً ، فَمَنْ لَمْ يَخْلُفْنِي فِيهِمْ بَتَرَ عُمْرُهُ ، وَوَرَدَ عَلَيّ يَوْمَ القِيَامَةِ مُسْوَدّاً . (285)

ورواه الطبرانيّ في مجمعه الأوسط عن ابن عمر أنّه قال : آخِرُ مَا تَكَلّمَ بِهِ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أُخلُفُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي خَيْراً . (286) (أي : اجعلوني واجعلوا حقّي في أهل بيتي خيراً ، وارعوني وارعوا حقّي فيهم) .

وذكر الملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» بتخريج الديلميّ عن أنس ، وأبي سعيد الخُدريّ أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله قال : يَا عَلِيّ ! أَنْتَ تُبَيّنُ لِأُمّتِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ بَعْدِي . (287)

وفي «كنز العمّال» أيضاً بنصّ ابن عبّاس أنّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله قال : أَنَا المُنْذِرُ ، وَعَلِيّ الهَادِي ، وَبِكَ يَا عَلِيّ يَهْتَدِي المُهْتَدُونَ . (288)

وروى الصفوريّ الشافعيّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال لأمير المؤمنين عليه السلام :

أَنْتَ الصّدّيقُ الأَكْبَرُ ، وَأَنْتَ الفَارُوقُ الّذِي تُفَرّقُ بَيْنَ الحَقِ وَالبَاطِلُ . (289)

وكذلك روى في «كنز العمّال» عن كعب بن عُجَرَة أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : تَكُونُ بَيْنَ النّاسِ فُرْقَةٌ وَاخْتِلَافٌ فَيَكُونُ هَذَا وَأَصْحَابُهُ عَلَى الحَقّ . . يَعْنِي صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيّاً . (290)

وروى في «كنز العمّال» أيضاً أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : مَنْ أَحَبّ أَنْ يَحْيَا حَيَاتِي ، وَيَمُوتَ مِيتَتِي ، وَيَدْخُلَ الجَنّةَ الّتِي وَعَدَنِي رَبّي قُضْبَاناً مِنْ قُضْبَانِهَا غَرَسَهُ بِيَدِهِ وَهِيَ جَنّةُ الخُلْدِ ، فَلْيَتَوَلّ عَلِيّاً وَذُرّيّتَهُ مِنْ بَعْدِي ، فَإنّهُمْ لَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ بَابِ هُدَىً وَلَنْ يُدْخِلُوكُمْ فِي بَابِ ضَلَالَةٍ . (291)

وفي ضوء هذه الروايات المتضافرة ، والأحاديث المتكاثرة ، وإجماع أهل اليقين والأوفياء لرسول الله والحفّاظ لميعاد الربّ الودود وميثاقه ، علت صيحات الشيعة منذ عصر الرسول الأكرم حتّى يومنا هذا وهي تارةً مظفّرة . وأُخرى مظلومة ، وحيناً غالبة ، وآخر مهجورة . والشيعة هم الذين تمسّكوا بالثقلين ، والتزموا بكلام نبيّهم طائعين راغبين ، إذ يعلمون أنّ من تقدّم على أهل بيت نبيّه ، فقد هلك ، ومن تأخّر عنهم ولم يلحق بهم ، فقد هوى . وليس لأحد أن يعلّمهم لأنّهم أعلم من كلّ أحد .

اللَهُمّ وَفّقْنَا لِلْعَمَلِ بِكِتَابِكَ الكَرِيمِ ، وَلِاتّبَاعِ عَلِيّ وَذُرّيّتِهِ خَاتَمِ الوَصِيّينَ وَأَوْصِيَاءِ النّبِيّ المُقَرّبِينَ . الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ .

وَكَانَ هَوَانَا فِي عَلَيّ وَإنّهُ
لَأَهْلٌ لَهَا مِنْ حَيْثُ تَدْرِي وَلَا تَدْرِي
فَذَاكَ بِعَونِ اللهِ يَدْعُو إلَى الهُدَى
وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالبَغْيِ وَالنّكْرِ
وَصِيّ النّبِيّ المُصْطَفَى وَابْنُ عَمّهِ

وَقَاتِلُ فَرْسَانِ الضّلَالَةِ وَالكُفْرِ [292]
أَلَا إنّ خَيْرَ النّاسِ بَعْدَ نَبِيّهِمْ
وَصِيّ المُصْطَفَى عِنْدَ ذِي الذّكْرِ
وَأَوّلُ مَنْ صَلّى وَصِنْوُ نَبِيّهِ
وَأَوّلُ مَنْ أَرْدَى الغُوَاةَ لَدَى بَدْرِ [293]
هَذَا وَصِيّ رَسُولِ اللهِ قَائِدُكُمْ
وَصِهْرُهُ وَكِتَابُ اللهِ قَدْ نُشِرا [294]
ومن أبيات حُجر بن عَدِيّ الكنديّ التي قالها يوم الجمل :
يَا رَبّنَا سَلّم لَنَا عَلِيّا
سَلّمْ لَنَا المُبَارَكَ المُضِيّا
المُؤمِنَ المُوَحّدَ التّقِيّا
لَا خَطِلَ الرّأي وَلَا غَوِيّا
بَلْ هَادِياً مُوَفّقاً مَهْدِيّا
وَاحْفَظْهُ رَبّي وَاحْفَظِ النّبِيّا
فِيهِ فَقَدْ كَانَ لَهُ وَلِيّا
ثُمّ ارْتَضَاهُ بَعْدَهُ وَصِيّا [295]

اللهُمّ صلّ وَسلّم وزِد وَبارك على مولانا وإمامنا عليّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين . وأمير المؤمنين ، وإمام الموحّدين وقائد الغرّ المحجّلين ، ويعسوب المسلمين ، وعلى ذرّيّته الأنجبين الأكرمين ، والعن أعداءَهم وظالميهم ومعانديهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم وغاصبي حقوقهم من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين .

تعليقات:

1) الآيتان 43 و44من السورة 16 : النحل .
2) الآية 174 ، من السورة 4 : النساء .
3) الآية 10 ، من السورة 21 : الأنبياء .
4) الميزان في تفسير القرآن» ج 12 ، ص 275 إلى . 278
5) نهج البلاغة» ج 1 ، ص 265 ، الخطبة 45 ، تعليق الشيخ محمّد عبده ، طبعة مصر .
6) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 107 ، الطبعة الحديثة ، طهران .
7) الآية 6 ، من السورة 27 : النمل .
8) الآية 102 ، منالسورة 16 : النحل .
9) بُصرى قريبة من دمشق ، وصنعاء مدينة عامرة باليمن مليئة بالمياه والأشجار . وقصد النبيّ هنا سعة الحوض ، إذ يشغل مساحة الجزيرة العربيّةكلّها ، لأنّ صنعاء في جنوبها ، وبصرى في شمالها .
10) جاء في كتب اللغة جميعها أنّ جمع قدح أقداح ، كما ورد في «المصباح المنير» ، و«لسان العرب» ، و«مجمع البحرين» مثل سَبَب أسباب .
11) و3. «تفسير القميّ» ص 4 و5 ؛ و«بحار الأنوار» ج 92 ، ص 102 و103 ، عن كتاب «الغيبة» للنعمانيّ ، ص . 17

(12

13) بحار الأنوار» ج 92 ، ص . 106

14) يقول : «أيّها الأخ ! إنّ المقدّم كالأب ، والمؤخّر كالأُمّ ، ومنهما يكون الولد» .

15) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 13 ، الطبعة الحديثة ، طهران ؛ «عيون الأخبار» ج 2 ، ص . 31 ومن الجدير ذكره أنّ خَلَفَ يَخْلُفُ خِلَافةً من باب (نصر ينصر) بمعنى : صار خليفة . أي : كان خليفته . صار خليفته في أهله . وخَلّفَ تَخْلِيفاً من باب التفعيل بمعنى جعل أحداً خليفة . وأمّا صيغة تَخْلُفُونّي فقد كانت في الأصل تَخْلُفُونَنِي ثمّ أُدغمت نون الإعراب بنون الوقاية فصارت تَخْلُفُونّي . أي : على أيّ نحو تحفظونني وتحفظون حقيقتي وآثاري . وأخيراً جميع شؤوني وخصوصيّاتي . في ذينك الاثنين ، وتؤدّون حقّ خلافتي فيهما ؟! قال في «صحاح اللغة» جمع الخليفة : الخلائف جاؤوا به على الأصل مثل كريمة وكرائم ، وقالوا أيضاً : خُلَفاء من أجل أنّه لا يقع إلّا على مذكّر ، وفيه الهاء ، جمعوه على إسقاط الهاء فصار مثل ظريف وظرفاء ، لأنّ فعيلة بالهاء لا تجمع على فعلاء . ويقال : خَلَفَ فلانٌ فلاناً إذا كان خليفته . [و] يقال : خَلَفَهُ في قومه خلافةً . ومنه قوله تعالى : وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَرُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمى . وخَلَفْتُهُ أيضاً إذا جئتُ بعده ، وورد في «لسان العرب» (ج 9 ، ص 83 ، العمود الأيسر) : وَخَلَفَ فلانٌ فلاناً إذا كان خليفته . ثمّ ذكر ما أوردناه عن «صحاح اللغة» آنفاً . وقال في ص 82 ، العمود الأيسر : وَخَلَفَهُ يَخْلُفُهُ : صَارَ خَلْفَهُ . وَاخْتَلَفُهُ : أَخَذَهُ مِنْ خَلَفِهِ . اخْتَلَفَهُ وَخَلّفَهُ وَأَخْلَفَهُ : جَعَلَهُ خَلْفَهُ . وقال ابن الأثير في «النهاية» ج 2 ، ص 69 بعد شرحٍ لمعنى خلف : وفي حديث أبي بكر ، جاءه أعرابيّ فقال له : أنتَ خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟! قال : لا ! قال : فما أنتَ ؟ ! قال : أَنَا الخَالِفةُ بَعْدَهُ . ثمّ قال ابن الأثير : الخليفة مَن يقوم مقام الذاهب ويسدّ مسدّه . والهاء فيه للمبالغة . وجمعه الخلفاء على معنى التذكير لا على اللفظ مثل ظريف وظرفاء . ويجمع اللفظ خلائف كظريفة وظرائف . ثمّ قال : فأمّا الخَالِفَةُ فَهُوَ الذي لا غِنَاء عنده ولا خير فيه ؛ وكذلك الخالف . وقيل : هو الكثير الخلاف .

16) ثمّ قال صاحب «النهاية» هنا : وهو (أبو بكر) بيّن الخلافة بالفتح . وإنّما قال ذلك تواضعاً وهضماً من نفسه حين قال له : أنتَ خليفةُ رسول الله .

وذكر صاحب «لسان العرب» هذا الكلام مع ذيله في ج 9 ، ص 89 ، العمود الأيمن والأيسر من كتابه نقلاً عن ابن الأثير . وقال مؤلّف «مجمع البحرين» بعد نقل هذه الواقعة عن ابن الأثير : وهو لعمري عذرٌ فاضحٌ غير واضحٌ . وعلى قولنا : عذر أسوأ من ذنب . فأبو بكر نفسه يقرّ بتخلّفه لكنّ المتملّقين أوحوا إلى فكره الفاسد الزورَ والكذب .

وقال في «شرح القاموس» . بالفارسيّة . وخَلَف فُلَانٌ خَلَافَةٌ بفتح الأوّل وخُلُوف كسرور ، أي : أَفِنَ الأحمق ؛ فذلك الشخص خالف ككامل ، وخالفة ككاملة . قال المترجم : وقد مضى قبل ذلك أيضاً قوله : وبالضمّ العَيْبُ والحُمق كالخِلافة . وقال بعد فاصلة قليلة : والخَالِفَة الأحمقُ كالخالفِ ، فهو مكرّر . وخَلَفَ عن خُلق أبيه . وخَلَفَ فلاناً صار خليفته . انتهى كلام «شرح القاموس» .

وقال في «لسان العرب» (ص 91 ، العمود الأيسر) : وفي الحديث أنّ اليهود قالت : لقد علمنا أنّ محمّداً لم يترك أهله خُلوفاً . أي : لم يتركهنّ سُدىً لا راعيَ لهنّ ولا حامي .

أجل ، أوصى رسول الله الناس بطاعة أهل بيته ، وأوصى أهل بيته بالتصدّي لولاية الناس وإمامتهم . وترسيخ القرآن والإسلام الحقيقيّ في أوساطهم . فأهل البيت خلفاء رسول الله في الولاية والإمامة ، والناس

خلفاؤه في رعاية أهل البيت والمحافظة عليهم كرعاية رسول الله نفسه والمحافظة عليه . وهذا هو المعنى المقصود من قوله : فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! أمّا أهل البيت فقد جدّوا واجتهدوا في رعاية خلافة النبيّ حتّى جادوا بأرواحهم وبذلوا مهجهم في هذا السبيل . وأمّا الناس فقد ضيّعوا خلافته حتّى قتّلوا أهل بيته . قال في «لسان العرب» (ص 89 ، العمود الأيمن) : يقال في الفعل منه : خَلَفَهُ فِي قومه وفي أهلِهِ يَخْلُفُهُ خَلَفاً وخِلَافَةً . وخَلَفَنِي فَكَانَ نِعْمَ الخَلَفُ أَوْ بِئسَ الخَلَفُ . ومنه خَلَفَ الله عليك بخير خَلَفاً وخِلَافَةً . والفاعل منه خَلِيفٌ وخَلِيفَةٌ والجمع خُلَفَاء وخَلاَئِف . فالخَلَفُ في قولهم : نِعْمَ الخَلَف وبِئسَ الخَلَف ، وخَلَفُ صِدْقٍ وخَلَفُ سُوءٍ ، وخَلَفٌ صالِحٌ وخَلَفٌ طالِحٌ ، هو في الأصل مصدر سُمّي به مَن يكون خليفةً ، والجمع أخلاف كما تقول : بَدَلٌ وأبْدَالٌ لأنّه بمعناه . ويتحصّل من هذا أنّ أهل بيت النبوّة كانوا نِعم الخَلَف لرسول الله ؛ وأنّ الناس كانوا بئس الخَلَف له في أهل بيته .

17) غاية المرام» ص 230 ، الحديث التاسع والأربعون عن الخاصّة .

18) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 27 ؛ «تفسير العيّاشيّ» ج 1 ، ص . 6

19) بحار الأنوار» ج 92 ، ص . 47

20) التّيه : النّبل والكِبر . وجاء في بعض نسخ «البحار» الإلبة . وتعني : القوم تجمعهم عداوةُ واحد .

21) بحار الأنوار» ج 92 ، ص . 52

22) الآية 187 ، من السورة 3 : آل عمران.

23) تُنْظَرُ الآيتان 17 و18 ، من السورة 75 : القيامة . «بحار الأنوار» ج 92 ، ص 53 ، عن مناقب ابن شهرآشوب ، ص . 41

وقال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَيّهَا الناس ! أنا فَرَطكم وأنتم واردون عَلَيّ الحوضَ ، ألا إنّي سائلكم عن الثقلين ، فانظروا كيف تَخْلُفونّي فيهما ؟! فإنّ اللطيفَ الخبيرَ نبّأني أنّهما لن يفترقا حتّى يلقياني ، وسألتُ ربّيذلك فأعطانيه . ألا وإنّي قد تركتهما فيكم : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تسبقوني فتمرقوا ، ولا تقصروا عنهم فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم . («غاية المرام» ص 229 ، ص 230 ، الحديث 46) . وذكر الشيخ المفيد «في الإرشاد» أيضاً حديث غدير خمّ الذي جاء فيه الأمر بالتمسّك بالثقلين مفصّلاً . («غاية المرام» ص 230 ، الحديث 47 عن الخاصّة . وقال أيضاً : رواه الطبرسيّ في «إعلام الورى») .

24) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 80 ؛ و«الأمالي» للطوسيّ ، ج 2 ، ص 92 ؛ وذكره أيضاً السيّد حامد حسين الهنديّ في «عبقات الأنوار» كتاب الثقلين ، ج 2 ، ص 625 ، نقلاً عن «جواهر العقدين» للسمهوديّ بتخريج ابن عقدة عن جعفر بن محمّد الرزّاز ، عن أُمّ سلمة . ورواه صاحب «ينابيع المودّة» في ص 40 من كتابه بتخريج ابن عقدة ،عن طريق عروة بن خارجة ، عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

25) الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتميّ ، الفصل الثالث ، الباب التاسع بعد أربعين حديثاً ذكرها في هذا الفصل ، ص . 75

26) المراجعات» ص 15 و16 ، الطبعة الأُولى .

27) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 80 ؛ و«الأمالي» للطوسيّ ، ج 2 ، ص 120 ؛ و«غاية المرام» ص 230 ، الحديث عن الخاصّة ، عن كتاب «الأربعين» .

28) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 80 ؛ و«تفسير القمّيّ» ص . 5

29) بحار الأنوار» ج 92 ، ص 96 ؛ و«تفسير العيّاشيّ» ج 1 ، ص . 16

30) قال في الهامش : كذا في الأصل . وفي «تفسير العيّاشيّ» ذيل هذا الحديث : كذا في نسخَتَي الأصل و«البحار» . وفي نسخة «البرهان» ج 1 ، ص 17 : «محمّد بن محمّد بن الحسن بن عليّ» والظاهر «محمّد بن الحسن بن عليّ» وهو الحجّة المنتظر المهديّ صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين .

31) بحار الأنوار» ج 92 ، ص . 96 و«تفسير العيّاشيّ» ج 1 ، ص . 16

32) قال الشيخ محمّد عبده في الهامش : الثقل الأصغر ولداه . وقيل : عترته قدوة للناس . وفي الحديث عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله قال : تركتُ فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي . أي : النفيسينِ .

33) من الخطبة 85 ، طبعة مصر ، بتعليق الشيخ محمّد عبده ، ج 1 ، ص 154 و . 155

34) ذكر الشيخ محمّد عبده في شرحه أنّ الإمام سمّى اتّباعه لمنهاج الحقّ لقطاً ، لأنّ الحقّ واحد والباطل ألوان مختلفة ، فهو يلتقط الحقّ من بين ضروب الباطل .

35) من الخطبة 95 ، طبعة مصر ، بتعليق الشيخ عبده ، ج 1 ، ص . 189

36) من الخطبة 92 ، طبعة مصر ، بتعليقة عبده ، ج 1 ، ص . 185

37) من الخطبة 4 ، طبعة مصر ، بتعليقة محمّد عبده ، ج 1 ، ص . 38

38) من الخطبة 102 ، طبعة مصر ، بتعليقة محمّد عبده ، ص . 201

39) من الخطبة 107 ، طبعة مصر ، بتعليقة عبده ، ج 1 ، ص . 215

40) الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتميّ ، ص 142 في آخر باب خصوصيات أهل البيت . ونقل علماء العامّة هذه العبارات عن ابن عبّاس في كتبهم .

41) من الخطبة 142 ، طبعة مصر ، بتعليقة الشيخ محمّد عبده ، ج 1 ، ص . 262

42) من الخطبة 158 ، طبعة مصر ، بتعليق الشيخ محمّد عبده ، ج 1 ، ص . 368

43) النجيب هو الرجل المحمود في النظر أو في القول أو في العمل . ويعني أيضاً : الفاضل النفيس في نوعه . وجمعه : النجباء .

44) الفَرَط : العَلَم يُهتدى به . وجمعه : أفراط . ومن معانيه : المتقدّم قومه إلى الماء ليعثر عليه . ومن معانيه : ما لم يُدرِك من الوُلد ، الذي يسبق أباه وأُمّه إلى الثواب والجنّة ... .

45) الصواعق المحرقة» ص . 142

46) الآية 103 ، من السورة 3 : آل عمران .

47) الآية 119 ، من السورة 9 : التوبة .

48) الآية 105 ، من السورة 3 : آل عمران .

49) قال ابن حجر في ص 90 من صواعقه : روى الثعلبيّ في تفسيره عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال : نَحن حبل الله الذي قال الله : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا» . وإذا تلا جدّه زين العابدين هذه الآية يقول : ... إلى آخره .

وقال القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 273 و274 : وقد أخرج الحافظ عبد العزيز بن الأخضر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة . وهو آخر الصحابة موتاً بالاتّفاق . قال : كان عليّ بن الحسين بن عليّ عليه السلام إذا تلا هذه الآية : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا اتّقُوا اللَهَ وَكُونُوا مَعَ الصّدِقِينَ . يقول : اللَهُمّ ارْفَعْنِي فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ النّدْبَةِ ، وَأَعِنّي بِعَزْمِ الإِرَادَةِ حَتّى تَتَجَرّدَ خَوَاطِرُ الدّنْيَا عَنْ قَلْبِي . وذكر ما يشتمل على المحن وما انتحلته طوائف من

هذه الأُمّة بعد مفارقتها لأئمّة الدين والشجرة النبويّة . إلى أن قال : وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا ... إلى آخر ما ذكره القندوزيّ في المتن نقلاً عن تفسير الثعلبيّ . وفي آخره قول الإمام : هم العروة الوثقى ومعدن التّقى وخير حبال العالمين ووثيقها .

50) الصواعق المحرقة» ص . 137

51) كنز العمّال» للملّا علي المتّقي ، ج 1 ، ص 44 الحديث 874 ، وج 1 ، ص 154 ، طبعة حيدر آباد سنة 1364 هـ . ق .

وروى في كتاب «الجمع بين الصحاح الستّة» ج 3 من أربعة أجزاء ، عن صحيح أبي داود وهو سننه ، وعن صحيح الترمذيّ بإسنادهما عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : إِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي ، أَحَدُهُمَا أعظم من الآخَر ، وهُوَ كِتاب الله ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض فانظروا كيف تخلفونّي فيهما ؟! رواه الترمذيّ في صحيحه ج 13 ، ص 200 ؛ والسيّد ابن طاووس فيطرائفه ص 115 ؛ وفي كتاب «العمدة» ص 36 ؛ وفي «بحار الأنوار» ج 23 ، ص 108 ، الطبعة الحديثة .

52) كنز العمّال» ج 1 ، ص 44 ، باب الاعتصام بالكتاب والسنّة ، الحديثان 871 و872 ، و ج 1 ، ص 153 من طبعة حيدر آباد .

وروى ابن المغازليّ بطرق متعدّدة مع أسانيدها منها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي أُوشك أن أُدعى فأُجيب ، وإنّي قد تركتُ فيكم الثّقَلَين : كتاب الله ، حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، فانظروا ماذا تخلفونّي فيهما ؟! وذكره السيّد ابن طاووس في «الطرائف» ص 115 و. 116 وجاء في مناقب ابن شهر آشوب ، ص 235 ؛ وفي «بحار الأنوار» ج 23 ، ص 108 ، الطبعة الحديثة .

53) مسند أحمد بن حنبل» ج 5 ، ص 182 و189 ؛ والطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، و«كنز العمّال» ج 1 ، ص 44 ، الحديث 873 ، ومن طبعة حيدر آباد : ج 1 ، ص . 154

54) المستدرك على الصحيحين» ج 3 ، ص . 148

55) كنز العمّال» ج 1 ، ص 165 ، الحديث 944 ، طبعة حيدر آباد .

56) مسند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص 17 و26 ؛ و«كنز العمّال» ج 1 ، ص 47 ، الحديث 945 ، ومن طبعة حيدر آباد : ج 1 ، ص 165 و . 166

57) المستدرك على الصحيحين» ج 3 ، ص 169 و. 533 وأخرجه في الحديث الأوّل مرفوعاً وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . وقال في الحديث الثاني أيضاً : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه .

58) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى ، عن «معجم الطبراني» ، و«إحياء الميت» للسيوطيّ ، و«أربعين الأربعين» للنبهانيّ . ثمّ قال : وأنت تعلم أنّ خطبته صلّى الله عليه وآله يومئذٍلم تكن مقصورةً على هذه الكلمة ، فإنّه لا يقال عمّن اقتصر عليها إنّه خطبنا ، لكنّ السياسة كم اعتقلت ألسُن المحدّثين وحبست أقلام الكاتبين ، ومع ذلك فإنّ هذه القطرة من ذلك البحر ، والشذرة من ذلك البذر كافية وافية والحمد لله .

59) ذكر ابن حجر في الباب الخامس من صواعقه شبهات الشيعة الخمس عشرة وأجاب عنها بزعمه .

60) الصواعق المحرقة» ص . 89 ذكر ذلك في آخر الصفحة عند تفسير الآية الرابعة من الآية الواردة في الفصل الأوّل من الباب الحادي عشر في شأن أهل البيت وفضائلهم ، وهي قوله : وَقِفُوهُمْ إِنّهُمْ مّسْئُولُونَ .

61) الآية 42 ، من السورة 41 : فصّلت .

62) أقصر من باب الأفعال ، إذا تعدّى بعن أفاد معنى الكَفّ عن الشيء وتركه مع القدرة عليه . أقصر عن الأمر : أمسك عنه مع القدرة عليه .

63) الصواعق المحرقة» ص 135 في باب وصيّة النبيّ بهم ؛ و«المراجعات» ص 15 إلى 17 ، الطبعة الأُولى . ثمّ قال في الهامش رادّاً على ابن حجر : ثمّ سله لماذا قدّم الأشعريّ عليهم في أُصول الدين ، والفقهاءالأربعة في الفروع ؟ وكيف قدّم في الحديث عليهم عمران ابن حطّان وأمثاله من الخوارج ، وقدّم في التفسير عليهم مقاتل بن سليمان المرجئ المجسّم ، وقدّم في علم الأخلاق والسلوك وأدواء النفس وعلاجها معروفاً وأضرابه ؟! وكيف أخّر في الخلافة العامّة والنيابة عن النبيّ أخاه ووليّه الذي لا يؤدّي عنه سواه ؟ ثمّ قدّم فيها أبناء الوزغ على أبناء رسول الله صلّى الله عليه وآله ؟ ومن أعرض عن العترة الطاهرة في كلّ ما ذكرناه من المراتب العليّة والوظائف الدينيّة واقتفى فيها مخالفيهم ، فما عسى أن يصنع بصحاح الثقلين وأمثالها ؟ وكيف يتسنّى له القول بأنّه متمسّك بالعترة وراكب سفينتها وداخل باب حطّتها ؟

64) جامع أحاديث الشيعة» ج 1 ، ص 29 إلى 52 ، المقدّمة ، طبعة رحليّة .

65) تمّت الطبعة الأُولى لهذا الكتاب في جزأين سنة 1314 هـ . ق بالهند . أمّا طبعته الثانية فقد كانت في إصفهان سنة 1379 و1380 هـ . ق من قِبَلِ «مؤسّسة نشر نفايس مخطوطات اصفهان» (مؤسّسة نشر نفائس المخطوطات في إصفهان) .

66) خدّعه بالسيف : ضربه ضرباً لاينفذ ولا يُحيك . أي : أنّ حملات صاحب «التحفة الاثنا عشريّة» ليست إلّا حملات عقيمة لا طائل تحتها كالذي يضرب شخصاً بسيفه فلا ينفذ ولا يؤثّر فيه . والملحوظ أنّالسيّد حامد حسين يستعمل كلمة «تخديعات» كثيراً . منها قوله في ص 7 من الجزء الأوّل ، حديث الثقلين : إنّ أوّل تخديع صدر من المخاطَب هنا هو ... إلى آخره .

67) برواية السيوطيّ في كتاب «إحياء الميّت بفضائل أهل البيت» المطبوع في حاشية «الاتحاف بحبّ الأشراف» للشبراويّ ، ص 247 ، الحديث رقم 23 ، وبتخريج الهيتميّ في «مجمع الزوائد» ج 9 ، ص . 163 وجاءت كلمة (يعني) فقط بعد لفظ (الثقلين) .

68) الشيخ عبيد الله الحنفيّ في كتاب «أرجح المطالب» ص 337 بتخريج البزّاز والدولابيّ . وورد في «عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 581 ، برواية الجعابيّ أيضاً ، و«ينابيع المودّة» ص 39 ، عن الجعابيّ .

69) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 581 ، جزء الثّقلين ، طبعة إصفهان ، بتخريج البزّاز .

70) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 581 ، عن شمس الدين محمّد بن عبد الرحمن السخاويّ القاهريّ الشافعيّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف» بتخريج إسحاق بن راهويه شيخ البخاريّ في مسنده وبرواية الدولابيّ فيكتاب «الذرّيّةالطاهرة» .

71) ينابيع المودّة» للشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ ، ص 39 ، طبعة إسلامبول الأُولى ، سنة 1301 هـ . ق ، عن «مسند إسحاق بن راهويه» . وقال : هذا سند جيّد ، وكذلك ذكره الدولابيّ في «الذّرّيّة الطاهرة» .

72) أرجح المطالب» ص 337 عن «مسند إسحاق بن راهويه» ؛ و«كنز العمّال» ج 1 ، ص 96 ، وقال : ذكره ابن جرير في «تهذيب الآثار» وصحّحه .

73) فرائد السمطين» للحمّوئيّ ، ج 2 ، ص 147 ، باب 33 من السمط الثاني ، بتخريج الشيخ الصدوق ابن بابويه ؛ وذكره الصدوق في «إكمال الدين» ج 1 ، ص 138 من الطبعة الأُولى ، أواسط الباب 22 ؛

وأورده السيّد هاشم البحرانيّ بنفس اللفظ والسند في «غاية المرام» ص 215 ، الحديث 29 عن طريق العامّة ، عن «فرائد السمطين» للحمّوئيّ .

74) ينابيع المودّة» ص 34 ، عن «مناقب ابن شهرآشوب» ، عن «كتاب سُليم بن قيس» في يوم عرفة على الناقة القصوى وفي مسجد الخيف ، ويوم الغدير ، ويوم الوفاة عن أمير المؤمنين ، عن النبيّ .

75) ينابيع المودّة» ص 35 ، عن «مناقب ابن شهرآشوب» ، عن أبي ذرّ أنّه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقّاص : هل تعلمون أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال كذا ؟! قالوا : نعم .

76) ينابيع المودّة» ص 39 ، برواية البزّاز .

77) ينابيع المودّة» ص 39 ، عن ابن عقدة ، عن طريق سعد بن طريف ، عن الأصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وعن أبي رافع غلام رسول الله صلّى الله عليه وآله .

78) ينابيع المودّة» ص 38 ، عن أبي نُعَيم في «حلية الأولياء» .

ذكر محمّد بن يعقوب بسنده المتّصل عن سليم ، عن أمير المؤمنين عليه السلام حديثاً مفصّلاً في كلامه : أدنى ما يكون به العبد مؤمناً ، وفي آخره قال عليهالسلام : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر خطبة خطبها : إنّي قَد تركتُ فيكم أمرين لن تضلّوا بعدي إن تمسّكتم بهما : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي فإنّ اللّطيف الخبير قد عهد إلَيّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحَوض . وجمع بين مُسبّحتيه . ولا أقول : كهاتين . وجمع بين المسبّحة والوُسطى . فتسبق إحداهما الأُخرى ، فتمسّكوا بهما لا تزلّوا ولا تضلّوا ، ولا تقدّموهم فتضلّوا . («غاية المرام» ص 230 ، الحديث 50 ، عن الخاصّة» ، وذكر في ص 232 و233 ، عن الخاصّة ، عن الصدوق بسنده المتّصل ، عن أمير المؤمنين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي مَقبوض وأُوشك أن أُدعى فأُجيب ، وإنّي قد تركتُ فيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أحدهما أفضل من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوضَ (الحديث 64) .

79) ينابيع المودّة» ص 38 ، عن أبي نُعَيم في «حلية الأولياء» .

80) مناقب الخوارزميّ» ص 218 و219 ، الطبعة الحجريّة ، ذكره في سياق مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام أصحاب الشورى الذين قالوا كلّهم بعد إتمام المناشدة : اللهمّ نعم ! وهذه المناشدة مهمّة جدّاً وتتضمّن مقالات مولى الموحّدين ودرجاته . واقتصرنا منها هنا على حديث الثقلين مكتفين به .

81) فرائد السمطين» للحمّوئيّ ، ج 1 ، ص 317 و318 ، باب 58 ، وهذا الحديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه القويّ المستدلّ في عهد عثمان في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله . وهو مفصّل جدّاً ويضمّ مطالب عالية . ويستغرق سبع صفحات ، من ص 312 إلى 318 ؛ ورواه البحرانيّ في «غاية المرام» ص 37 إلى 39 ، الباب 34 ، عن طريق العامّة ، عن «فرائد السمطين» عن سليم بن قيس الهلاليّ .

82) حلية الأولياء» ج 9 ، ص 64 ، رواه بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطب بالجحفة وقال : ... .

83) ذكر صاحب كتاب «أرجح المطالب» في ص 339 منه عن أبي الطفيل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قام خطيباً فقال : من سمع يوم الغدير وحفظ فليقم . فقام سبعة عشر فشهدوا ، فقال الإمام في ختام ذلك : صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين .

وروى في «غاية المرام» ص 222 الحديث 11 ، عن الخاصّة ، عن ابن بابويه بسنده المتّصل ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض كهاتين ، وضمّ بين سبّابتيه ، فقام إليه جابر بن عبد الله ، فقال : يا رسول الله ! مَن عترتك ؟ قال : عليّ والحسن والحسين والأئمّة من ولد الحسين إلى يوم القيامة .

84) قال : في «ينابيع المودّة» ص 40أخرجه ابن عقدة من طريق عروة بن خارجة عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها .

85) وقال فيه أيضاً : أخرج البزّاز في مسنده عن أُمّ هاني بنت أبي طالب قالت : رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّته حتّى نزل بغدير خمّ ، ثمّ قام خطيباً بالهاجرة ، فقال ... .

86) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 582 ، قال : روى السخاويّ حديث أُمّ هاني بتخريج ابن عقدة عن حديث عمر بن سعيد بن (عن ظ) عمر بن جعدة بن هبيرة عن أبيه ، عن أُمّ هاني .

87) ذكره صاحب «العبقات» في عبقاته ، ج 2 ، ص 644 و645 ، عن «جواهر العقدين» للسمهوديّ ، بتخريج ابن عقدة عن حديث عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدّه أنّه سمع أُمّ هاني تقول كذا .

88) أورده في «ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج ابن عقدة ، عن طريق عمرو بن سعيد ابن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أُمّ سلمة ؛ ونقله صاحب «العبقات» في عبقاته ، ج 2 ، ص 582 ، عن كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» للسخاويّ ، بتخريج ابن عقدة من حديث هارون بن خارجة ، عن فاطمة ابنة عليّ عليه السلام عن أُمّ سلمة ؛ وذكره صاحب «أرجح المطالب» أيضاً في ص 338 من كتابه المذكور ؛ وورد في «عبقات الأنوار» أيضاً ج 2 ، ص 645 ، عن «جواهر العقدين» للسمهوديّ باختلاف يسير في اللفظ .

89) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 645 عن «جواهر العقدين» للسمهوديّ ، بتخريج جعفر بن محمّد الرزّاز ، عن أُمّ سلمة ، و : ج 1 ، ص 295 ، بتخريج الدارقطنيّ ؛ و«غاية المرام» ص 231 ، الحديث 54 ، عن الخاصّة .

وروى في «غاية المرام» عن كتاب الأربعين ، حديث في الأربعين بسنده المتّصل عن أبي ثابت غلام أبي ذرّ ، عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : عليّ مع القرآن والقرآن معه لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض .

90) ينابيع المودّة» ص 39 ، وقال : أخرجه الترمذيّ في جامعه بسنده عن أبي ذرّ أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة فقال : إنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول ... وذكره صاحب «العبقات» في ج 1 ، ص 269 ، عن السخاويّ ، عن الترمذيّ ، بتخريج ابن عقدة .

91) رواه صاحب «أرجح المطالب» في ص 335 إلى 341 ، بهذا اللفظ نفسه عن جابر بعد أن أورده عن جماعة من الصحابة ، ثمّ قال بعد ذلك : روي في هذا الباب عن أبي ذرّ ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وحذيفة .

92) روى في «ينابيع المودّة» ص 28 ، عن سُليم بن قيس الهلاليّ قال : بينا أنا وحبيش بن المعتمر بمكّة إذ قام أبو ذرّ وأخذ بحلقة باب الكعبة فقال ... وورد في «غاية المرام» ص 227 ، الحديث 36 ، عن الخاصّة

برواية سُليم .

93) ينابيع المودّة» ص 30 ، عن الترمذيّ في باب مناقب أهل البيت ، عن جابر في يوم عرفة . وقال : وفي الباب عن أبي ذرّ .

94) زين الفتى في تفسير سورة هل أتى» للعاصميّ ، بسنده عن أبي إسحاق ، عن حَنَش أنّه قال : رأيتُ أبا ذرّ وقد تعلّق بباب الكعبة وهو يقول : من عرفني فقد عرفني . ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ . قال حنش : قال بعض أصحابي : سمعناه يقول ... ورواه صاحب «العبقات» في عبقاته ، ج 1 ، ص 398 ، بهذا اللفظ عن العاصميّ .

95) روى في «العبقات» ج 2 ، ص 581 ، عن السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» أنّه ذكره عن الترمذيّ في جامعه ، بتخريج ابن عقدة من حديث سعد بن طريف عن الأصبغ ، عن أبي ذرّ أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة وقال : ... .

وروى في «غاية المرام» ص 233 ، الحديث 70 ، عن الخاصّة ، عن ابن بابويه بسنده عن عيسى بن المعتمر أنّه قال : رأيتُ أبا ذرّ الغفاريّ وقد أخذ بحلقة الكعبة وهو يقول : ألا من عرفني فقد عرفني . ومن لم يعرفني فأنا جندب بن السكين سمعت رسول الله يقول : إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض وإنّ مَثَلَهُمَا كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرق .

96) روى صاحب «ينابيع المودّة» ص 35 ، بإسناده عن عطاء بن السائب ، عن أبي يحيى ، عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطب وقال ... وذكره البحرانيّ في «غاية المرام» ص 219 ، الحديث 8 ، عن الخاصّة مفصّلاً .

97) أرجح المطالب» ص 336 ، من حديث جابر أنّه قال : رأيت رسول الله في حجّة الوداع يوم عرفة وهو على ناقته العضباء يخطب ، ويقول ... وذكره في «ينابيع المودّة» ص 30 ، عن الترمذيّ في باب مناقب أهل البيت عن جابر أيضاً ، وأورده صاحب «الينابيع» أيضاً في ص 41 من ينابيعه عن الترمذيّ ، عن جابر بسند آخر .

98) ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج السيّد أبي الحسين يحيى بن الحسن في كتابه «أخبار المدينة» عن محمّد بن عبد الرحمن ، عن خلّاد ، عن جابر بن عبد الله قال : أخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله بيد عليّ والفضل بن عبّاس في مرض وفاته فيعتمد عليهما حتّى جلس على المنبر فقال ... .

99) ينابيع المودّة» ص 41 ، بتخريج ابن عقدة ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ أنّه قال : كنّا مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع . فلمّا رجع إلى الجحفة نزل ثمّ خطب الناس ، فقال : ... .

100) قال صاحب «عبقات الأنوار» في ج 1 ، ص 267 منه : أخرج ابن عقدة في كتاب «الولاية» عن طريق يونس بن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ ، عن جابر رضي الله عنه أنّه قال : كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حجة الوداع . فلمّا رجع الجُحفة أمر بدوحات فقُممن ثمّ قال : ... رواه العلّامة شمس الدين السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» عن ابن عقدة . أجل ، ذكر صاحب «العبقات» هذه المطالب كلّها في ترجمة ابن عقدة . ومن الخليق بالذكر أنّ مؤلّف «العبقات» أورد هذه المطالب نفسها وهذا الحديث عينه في ج 2 ، ص 578 عند ترجمة السخاويّ الذي روى عن ابن عقدة وقال : ذكر السخاويّ هذه المطالب في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف» الذي اقتنيت أنا القاصر الكاسف البال نسخة قديمة منه بحمد الله المنعم المفضال بحسن سعي أحد المتمسّكين بأذيال

الساداتقادات الأقيال ولطف إقباله ، لا زال ناهلاً من مناهل العلم والكمال بحرمتهم الباهرة الجلال عليهم آلاف السلام من الملك المتعال .

الباهرة الجلال عليهم آلاف السلام من الملك المتعال .

101) ورد هذا الحديث في «كنز العمّال» ج 1 ، ص 154 ، طبعة حيدر آباد ، سنة 1364 ، عن زيد بن ثابت برواية أحمد بن حنبل في مسنده ، والطبرانيّ في معجمه الكبير ، تحت الرقم . 873

102) كنز العمّال» ج 1 ، ص 152 و154 ، رقم . 872

103) جامع الأُصول» لابن الأثير الجَزَريّ . أخرج مبارك بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم حديث جابر باللفظ المذكور عن رسول الله في حجّة الوداع يوم عرفة وهو على ناقة قُصوَى . وقال في آخره : أخرجه الترمذيّ ح . غ . ز . ت .

104) مصابيح السنّة» للبغويّ ، ج 2 ، ص 206 ، عن جابر ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو على الناقة القصوى يوم عرفة .

105) قال صاحب «عبقات الأنوار» في ج 2 ، ص 577 و578 عند ترجمة السخاويّ : قال السخاويّ في كتاب «استجلاب ...» : روى الترمذيّ حديث جابر في جامعه بهذا اللفظ عن طريق زيد بن الحسن الأنماطيّ ، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، قال : رأيت رسول الله يوم عرفة وهو على ناقة قصوى يقول ... .

106) نظم دُررِ السّمطين» للزرنديّ الشافعيّ ، ص 232 ، طبعة النجف ، رواه عن جابر باللفظ المذكور نفسه : يوم عرفة على ناقة قصوى .

107) كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض بن موسى اليحصبيّ . ذكر صاحب «عبقات الأنوار» لفظه هذا عند ترجمته في ج 1 ، ص . 378

108) كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 عن ابن أبي شيبة ، والخطيب في «المتّفق والمفترق» عن جابر .

وروى في كتاب «غاية المرام» ص 224 ، الحديث التاسع عشر عن الخاصّة ، عن سعد بن عبد الله الأشعريّ القمّيّ في كتاب «بصائر الدرجات» بسنده المتّصل عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن جابر بن عبد الله أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَا أَيّهُا النّاس ! إنّي تَاركٌ فيكم الثقلين : الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ولن تبدّلوا ، فإنّي سألت الله اللطيف الخبير لا يفترقان حتّى يردا علَيّ الحوض فأُعطيتُ ذلك . فقيل : فما الثقل الأكبر ؟ وما الثقل الأصغر ؟ فقال : الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ ، سببٌ طرفه بِيَدِ الله عَزّ وَجَلّ ، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي .

109) مصدرنا : «ينابيع المودّة» طبعة إسلامبول (مطبعة أختر) سنة 1301 هـ . وجاء فيه : «بها» . أمّا في «غاية المرام» فقد ورد فيه : «بهما» . وذلك حديث آخر بسند آخر ، عن الخاصّة ، مع أنّ ذِكر الكلام الآتي يؤيّد وجود ضمير المؤنّث المفرد في الجملة : ومن تمسّك بعترتي من بعدي ، كان من الفائزين . ومن تخلّف عنهم كان من الهالكين .

110) أخرجه في «ينابيع المودّة» ص 35 ، عن مناقب أحمد بن حنبل ، عن أحمد بن عبد الله بن سلام عن حذيفة بن اليمان أنّه قال : ... .

وروى صاحب «غاية المرام» هذه الخطبة مفصّلاً عن حذيفة وفيها أسماء الأئمّة عليهم السلام كلّهم . المصدر المذكور ، ص 218 ، الحديث الثاني ، عن الخاصّة .

111) نقل صاحب «فرائد السمطين» ج 2 ، ص 274 و275 ، الباب 55 ، حديث حذيفة ابن أُسيد الغفاريّ بسنده عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بالنصّ الآتي : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع خطب فقال : أيّها الناس ! إنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لن يُعَمّرَ نَبِيّ إلّا مثل نصف عمر الذي يليه

من قبل ، وإنّي أظنّ أنْ يُوشِك أن أُدعى فأُجيب وإنّي فرطكم على الحوض وإنّي سائلكم حين تَرِدون علَيّ عن الثقلين . فانظروا كيف تَخْلُفُونّي فيهما ؟! الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرف (منه) بِيَدِ الله وطرف بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلّوا ولا تبدّلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فإنّي قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض .

112) روى صاحب «كنز العمّال» في كتابه المذكور ، ج 1 ، ص 168 و169 ، طبعة حيدر آباد ، سنة 1364 ، عن «نوادر الأُصول» للحكيم الترمذيّ ، وعن «المعجم الكبير» للطبرانيّ بسنديهما عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أُسيد أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله . .. وأخرجه صاحب «ينابيع المودّة» في ينابيعه ص 37 عن الطبرانيّ في معجمه الكبير ، وعن الضياء في «المختارة» ؛ وذكر العلّامة البحرانيّ مختصره في «غاية المرام» ص 216 ، الحديث 33 ، عن العامّة برواية الحمّوئيّ .

ومن الجدير ذكره أنّ راوي هذا الحديث عن حذيفة بن أُسيد هو أبو الطفيل : عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو الليثيّ المكّيّ الذي وردت ترجمته في كتاب «المراجعات» ص 71 كالآتي : وُلِد عام أُحُد ، وأدرك من حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله ثمان سنين . عدّه ابن قتيبة في كتاب «المعارف» في أوّل الغالية من الرافضة ، وذكر أنّه كان صاحب راية المختار ، وآخر الصحابة موتاً . وذكره ابن عبد البرّ في الكنى من «الاستيعاب» فقال : نزل الكوفة ، وصحب عليّاً في مشاهده كلّها . فلمّا قُتل عليّ ، انصرف إلى مكّة ، إلى أن قال : وكان فاضلاً عاقلاً ، حاضر الجواب فصيحاً ، وكان متشيّعاً في عليّ ، وقال : قدم أبو الطفيل يوماً على معاوية فقال : كيف وَجْدُكَ على خليلك أبي الحسن ؟ قال : كوجد أُمّ موسى على موسى ، وأشكو إلى الله التقصير ؛ وقال له معاوية : كنت فيمن حصر عثمان ؟ قال : لا ، ولكنّي كنتُ فيمن حضره . قال : فما منعك من نصره ؟ قال : وأنت فما منعك من نصره ؟! إذ تربّصتَ به ريب المنون ، وكنت في أهل الشام وكلّهم تابع لك فيما تريد . فقال له معاوية : أو ما ترى طلبي لدمه نصرة له ؟! قال : إنّك لَكَما قال أخو جعف :

لأُلفينّك بعد الموت تَنْدُبني
وفي حياتي ما زَوّدْتَني زادا

113) روى ابن عساكر حديثه عن معروف بن خرّبوذ المالكيّ ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أُسيد كما في «عبقات الأنوار» ج 8 ، ص 272 ، طبعة الهند .

114) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 578 و588 ، طبعة إصفهان ، 1364 ، عن السخاويّ ، روى هذا الحديث عن الطبرانيّ في معجمه الكبير ، عن طريق سلمة بن كهيل ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أُسيد الغفاريّ ، وعن زيد بن أرقم ، وقال في آخره : ومن هذا الوجه روى الضياء في «المختارة» وأبو نعيم في «الحلية» وغيرهما من حديث زيد بن الحسن الأنماطيّ عن معروف بن خرّبوذ ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة .

115) عبقات الأنوار» ص 640 و641 ، عن السمهوديّ ، عن حذيفة أو عن زيد بن أرقم ، وقال السمهوديّ في آخره : رواه الطبرانيّ في معجمه الكبير ، والضياء في «المختارة» عن طريق سلمة بن كهيل ، عن أبيالطفيل . وهما من رجال الصحيح . عن حذيفة مع الشكّ في صحبته ، وأمّا أبو نعيم فقد رواه في حليته ، ورواه غيره من حديث زيد بن الحسن الأنماطيّ . الذي حسّنه الترمذيّ وضعّفه غيره . عن معروف بن خرّبوذ عن أبي الطفيل . وهما من رجال الصحيح . عن حذيفة وحده بلا شكّ في صحبته .

116) ينابيع المودّة» ص 37و 38 ؛ بتخريج الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، والضياء في «المختارة» .

117) فرائد السمطين» ج 2 ، ص 274 ، الحديث 539 ، من الباب 55 ، من السمط الثاني .

118) أورده صاحب «عبقات الأنوار» في عبقاته ج 2 ، ص 642 و643 ، عن نور الدين السمهوديّ في «جواهر العقدين» بتخريج ابن عقدة في كتاب «الموالاة» عن طريق عبد الله بن سنان ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أُسيد وزيد بن أرقم ، وكذلك عن أبي موسى المدايني في كتاب «سِيَر الصحابة» عن طريق ابن عقدة . وقال : غريبٌ جدّاً ، وذكره الحافظ أبو الفتوح العجليّ في كتابه : «الموجز في فضائل الخلفاء» .

119) ينابيع المودّة» ص 38 و39 ، بتخريجَي ابن عقدة في كتاب «الموالاة» ، الأوّل : عن عامر بن أبي ليلى بن ضمرة وحذيفة بن أُسيد ، والثاني : عن عبد الله بن سنان ، عن أبي الطفيل ، عن عامر وحذيفة بن أُسيد .

120) جزء الثقلين من «العبقات» ج 1 ، ص 269 عن السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» وتخريج ابن عقدة ، و«العبقات» ج 2 ، ص 581 و582 ، عن السخاويّ وتخريج ابن عقدة أيضاً .

121) العبقات» ج 2 ، ص 644 ، عن السمهوديّ في «جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجليّ والنسب العليّ» وتخريج ابن عقدة .

122) أرجح المطالب» ص . 337

123) ينابيع المودّة» ص 39 و . 40

124) نقل أحمد بن حنبل هذا الحديث بالألفاظ نفسها عن زيد بن ثابت بطريقين صحيحين : الأوّل في بداية ص 182 ، والثاني في آخر ص 189 من الجزء الخامس من مسنده ؛ وأخرجه الطبرانيّ في معجمه الكبير بإضافة كلمة (من بعدي) بعد كلمة (الثقلين) كما نقل الميرزا محمّد البدخشانيّ في «مفتاح النجا» و«نُزُل الأبرار» . («عبقات الأنوار» ج 1 ، ص 280) ؛ ورواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج 7 ، ص 31 ، طبعة الكمبانيّ ، عن السيوطيّ في «الدرّ المنثور» عن أحمد بن حنبل ، عن زيد بن ثابت ؛ وذكره البحرانيّ في «غاية المرام» ص 212 ، الحديث الثالث ، عن العامّة .

125) نقله صاحب «كنز العمّال» في كنزه المطبوع بحيدر آباد ، سنة 1364 ، ج 1 ، ص 154 ، رقم 873 ، عن «مسند أحمد بن حنبل» والطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن زيد بن ثابت ، كما نقله مؤلّف «العبقات» في عبقاته ، ج 1 ، ص 280 و281 عن السيوطيّ في «الجامع الصغير» ، و«إحياء الميّت» ص 270 ، رقم 56 ، وعن ابن باكثير في «وسيلة المآل» عن «مسند أحمد» ، وعن الطبرانيّ في معجمه الكبير ، وعن البدخشانيّ في «مفتاح النجا» عن الطبرانيّ ؛ وذكره بدون لفظ حبل ممدود عن ابن باكثير ، عن الطبرانيّ ، وأورده بإضافة ما بين السماء إلى الأرض بعد لفظ ما بين السماء والأرض عن الطبرانيّ ، كما نقل السمهوديّ في «جواهر العقدين» ، وعن أحمد بن حنبل ؛ وجاء أيضاً في «ينابيع المودّة» ص 183 ، عن أحمد والطبرانيّ في «المعجم الكبير» .

وروى السيّد ابن طاووس في «الطرائف» ص 114 ، عن أحمد بن حنبل في مسنده ، عن زيد بن ثابت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِك فيكم الثّقلين خليفتين : كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحَوْضَ .

126) نقله صاحب «كنز العمّال» في كنزه ، ج 1 ، ص 166 ، رقم 947 ، عن الطبرانيّ في معجمه الكبير ، عن زيد بن ثابت .

127) كنز العمّال» ج 1 ، ص 166 ، رقم 946 ، عن عبد بن حميد وابن الأنباريّ ، عن زيد بن ثابت . وأورده صاحب «ينابيع المودّة» ، في ص 38 من ينابيعه بعد الحديث المنقول في التسلسل 43 بتخريج ابن

عقدة ؛ وذكره بسند جيّد عن أحمد بن حنبل خالياً من كلمة (بعدي) ، وقال في آخره : وأخرج الطبرانيّ في «المعجم الكبير» برجال ثقات ، ولفظه : إنّي تارك فيكم خليفتين : كتاب الله ، وأهل بيتي . وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، فانظروا كيف تَخلُفُونّي فِيهما ؟!

128) فرائد السمطين» ج 2 ، ص 144 ، الباب 33 ، الحديث 437 ؛ و«غاية المرام» ص 215 ، الحديث 26 ، عن العامّة ، برواية الحمّوئيّ ، وبلفظ يفترقا ، وذكره في ص 222 ، الحديث 10 ، عن الخاصّة ، برواية الصدوق عن يزيد بن ثابت .

129) فرائد السمطين» ج 2 ، الباب 33 ، ص 144 ، و145 ، الحديث رقم 438 ؛ و«غاية المرام» ص 215 ، الحديث 27 ، عن العامّة .

130) فرائد السمطين» ج 2 ، ص 146 ، الحديث 440 ؛ و«غاية المرام» ص 215 ، الحديث 28 ، عن العامّة .

131) مسند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص 14 ؛ والطبرانيّ في «المعجم الصغير» .

132) عبقات الأنوار» ج 1 ، ص 275 و276 ، طبعة إصفهان .

133) عبقات الأنوار» ج 1 ، ص 310 و311 ، وقال : روي هذا الحديث عن أبي نُعيم على ما نُقِل .

134) هذا الحديث الذي رواه البحرانيّ في «غاية المرام» ص 215 و216 ، الحديث 32 عن العامّة ، عن «فرائد السّمطين» جاء بلفظ (لن يفترقا) .

135) فرائد السّمطين» ج 2 ، الباب 54 ، ص 272 ، رقم الحديث . 538

136) مناقب ابن المغازليّ» ص 235 و236 ، الحديث . 283 وجاءت كلمة ماذا مكان كلمة ما .

137) مسند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص 17 ، ولم يرد فيه لفظ ممدود من السماء إلى الأرض .

138) طبقات ابن سعد» في طبعة مصر : ج 2 ، ص 194 ، وفي طبعة ليدن : ج 2 ، ص 2 ، ق . 2

139) غاية المرام» ص 213 ، الحديث 15 ، عن العامّة ؛ و«عبقات الأنوار» ج 1 ، ص 358 ، عن «الرسالة القواميّة» المعروفة ب «فضائل الصحابة» .

140) العبقات» ج 2 ، ص 638 ، عن السمهوديّ ، وقال السمهوديّ في آخره : ذكره الطبرانيّ في «المعجم الأوسط» وأبو يعلى بسند جيّد ؛ وأورده الحافظ أبو محمّد عبد العزيز ابن الأخضر في «معالم العترة النبويّة» .

141) العبقات» ج 2 ، ص 575 ، و576 ، عن السخاويّ ، وقال السخاويّ في آخره : حديث أبي سعيد عند أحمد في مسنده من حديث الأعمش ، وكذا من حديث أبي إسرائيل الملّائيّ إسماعيل بن خليفة ، وعبد الملك بن أبي سليمان ؛ ورواه الطبرانيّ في «الأوسط» من حديث كثير النوّاء ، أربعتهم عن عطيّة ؛ ورواه أبو يعلى وآخرون أيضاً . وتعجّبت من إيراد ابن الجوزيّ له في «العلل المتناهية» بل أعجب من ذلك قوله : إنّه حديث لا يصحّ .

142) إحياء الميّت بفضائل أهل البيت» في حاشية «الإتحاف بحبّ الأشراف» ص . 269

143) العبقات» ج 1 ، ص 310 ، بدون عبارة حبل ممدود ، عن أبي نعيم ، على ما نُقل عنه ، وبإضافة جملة فاتّقوا الله بعد كلمة الحوض .

144) أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في تاريخه ، على ما نقل صاحب «عبقات الأنوار» ج 1 ، ص .

145) ينابيع المودّة» ص 36 ، وقال : وأخرجه أيضاً الطبرانيّ في «الأوسط» ، وأبو يعلى وغيرهما ، وسنده لا بأس به .

146) كنز العمّال» ج 1 ، ص 165 و166 ، الحديث 945 طبعة حيدر آباد ؛ و«ذخائر العُقبى» ص 16 ، باب فضل أهل البيت ، عن أحمد بن حنبل ؛ وذكره نفسه أيضاً صاحب «عبقات الأنوار» ج 1 ، ص 472 ، نقلاً عن محبّ الدين الطبريّ صاحب «ذخائر العُقبى» .

147) العبقات» ج 1 ص 276 ، وذكره أيضاً في ج 1 ، ص 298 ، عن الذهبيّ .

148) غاية المرام» ص 213 ، الحديث 15 ، عن العامّة .

149) إحياء الميّت ...» في حاشية «الإتحاف ...» ص 241 ، الحديث الثامن .

150) كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 ، الحديث 953 ، طبعة حيدر آباد ؛ و«غاية المرام» ص 232 ، الحديث 61 ، عن الخاصّة .

151) العبقات» ج 1 ، ص 277 ، وقال مير حامد حسين هنا : وورد أيضاً في «الدرّ المنثور» أنّ الطبرانيّأخرج هذا الحديث الشريف برواية أبي سعيد .

152) كنز العمّال» ج 1 ، ص 166 و167 ، الحديث 950 ، طبعة حيدر آباد ؛ وجاء أيضاً في «بحار الأنوار» ج 7 ، ص 31 ، طبعة الكمبانيّ ، عن سعيد ، وأحمد ، والطبرانيّ .

153) تفسير «الدرّ المنثور» ج 2 ، ص . 6

155.154) «العبقات» ج 1 ، ص . 277

156) العبقات» ج 2 ، ص 515 و516 ، وقال : تفرّد الترمذيّ في رواية هذا الحديث .

157) العبقات» ج 1 ، ص 201 و202 ، وقال الترمذيّ في آخره : هذا حَسَنٌ غريبٌ .

158) كنز العمّال» ج 1 ، ص 165 ، الحديث 944 طبعة حيدر آباد ؛ وأخرجه السيوطيّ في «إحياء الميّت ...» في هامش «الإتحاف بحبّ الأشراف» ص 269 ، رقم 55 ، عن الباورديّ بدون كلمة (بعده) .

159) العبقات» ج 1 ، ص . 224

160) مسند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص . 26

161) مسند أحمد بن حنبل» ج 3 ، ص . 59 وذكر العلّامة الزرنديّ في كتاب «نظم درر السمطين» ص 232 ، هذا المتن بدون لفظ الثقلين ، وورد فيه لفظ والأرض مكان إلى الأرض . وأورده السيّد ابن طاووس في «الطرائف» ص 114 ، بتغيير مكان كلمة الثقلين .

162) العبقات» ج 1 ، ص 307 و308 في ترجمة الثعلبيّ . وقال صاحب «العبقات» أيضاً : وقال الثعلبيّ في كتاب «الكشف والبيان» عند تفسير الآية : سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيّهَا الثّقَلَانِ : قال بعض أهل المعاني : كلّ شيء نفيس خطير يتنافس في أخذه الناس يسمّى ثَقَلاً . ومنه سمّي بيضُ النعام المصون : ثقلاً ، لأنّ الصيّاد والطالب له يفرح إذا وجده . قال الشاعر :

فتذاكرا ثَقلاً رشيداً بعدما

ألقت ذكاء يمينها في كافرِ

وقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي . فجعل الكتاب والعترة ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما .

163) ينابيع المودّة» ص . 32

وقال العلّامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكريّ في كتاب «عليّ والوصيّة» ص 57 ، الحديث 24 : عثرنا على جزء من تفسير الثعلبيّ في خزانة كتب الإمام الثامن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام . وفيه روى عند تفسير الآية : وَاعتَصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا بسنده عن أبي سعيد أنّه قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : أيّها الناس ! إنّي تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض . أو قال : ما بين السماء والأرض . وعترتي أهل بيتي : ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض .

164) ينابيع المودّة» ص . 30

165) ينابيع المودّة» ص . 31

166) ينابيع المودّة» ص . 32

167) ينابيع المودّة» ص . 32 وذكر صاحب «العبقات» حديث الثقلين في ج ، ص 518 و519 ، برواية صاحب كتاب «مودّة القربى» عن أبي سعيد الخدريّ كالآتي : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَارك فيكم الثقلين : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وأهل بيتي . (ويُروى وعترتي) . لم (لن ظ) يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض .

168) العبقات» ج 2 ، ص 579 ، في سياق بيان حديث خزيمة ؛ و«ينابيع المودّة» ص 245 ، عن كتاب «مودّة القربى» للمير السيّد عليّ بن شهاب الهمدانيّ ، بلفظ من السماء ، مرفوعاً عن أبي سعيد الخدريّ .

169) مودّة القربى» ج 1 ، ص . 276

170) العبقات» ج 1 ، ص 276 ؛ وذكره الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ج 2 ، ص 272 ، الباب 54 ؛ و«غاية المرام» ص 212 ، الحديث . 8

وذكر القندوزيّ سبعين منقبة لأمير المؤمنين عليه السلام في «ينابيع المودّة» ومنها منقبة ذكرها في ص 241 ، الحديث 68 عن أبي سعيد الخُدريّ ، ولفظه أنّه قال : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقال : يَا أَيّها الناس ! إنّي تركتُ فيكم الثقلين خليفتي إنْ أخذتم بهما لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي وهم أهل بيتي لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض . ثمّ قال القندوزيّ : أورده الثعلبيّ ، وذكره الإمام أحمد بن حنبل في مسنده . أقول : وذكره العلّامة الميرزا نجم الدين الشريف العسكريّ في كتاب «عليّ والوصيّة» ص 54 ، ويُلحظ حذف في نقل لفظه ، وذكرت كلمة عترتي بينما جاء فيه عترتي أهل بيتي .

171) قال القندوزيّ بحقّه في «ينابيع المودّة» ص 36 : «جواهر العقدين» للشريف السمهوديّ المصريّ ، العلّامة في بلاد مصر والحجاز ، مصنّف «تاريخ المدينة المنوّرة النبويّة» على صاحبها آلاف آلاف التحيّة والتصلية .

172) العبقات» ج 2 ، ص 637 و638 ؛ و«صحيح مسلم» ج 4 ، ص 1873 ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، الحديث 36 ، طبعة محمّد فؤاد ؛ وأيضاً في «العبقات» ج 1 ، ص 342 ، عن الأزديّ الحميديّ ، صاحب كتاب «الجمع بين الصحيحين» ، وفيه أيضاً : ج 1 ، ص 374 و375 ، عن رزين العبدريّ صاحب كتاب «الجمع بين الصحاح الستّة» ؛ ورواه أيضاً في : ج 1 ، ص 425 ، عن ابن الأثير الجزريّ صاحب كتاب «جامع الأُصول» ؛ وذكره القندوزيّ أيضاً في

«ينابيع المودّة» ص 29 ، عن مسلم . وأورده محبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العقبى» ص 16 ؛ وذكره ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص 89 ؛ وأورده السيّد ابن طاووس في طرائفه ، ص 115 ؛ والبحرانيّ في «غاية المرام» ص 212 ، الحديث الرابع عن العامّة ؛ وذكره الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ج 2 ، ص . 268

173) صحيح مسلم» ص 1874 ؛ وأخرجه القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 183 ، عن أحمد ، وعبد حميد ، ومسلم بالمتن الأخير عينه ، وقوله صلّى الله عليه وآله : أُذكّركم الله في أهل بيتي مرّة واحدة .

174) صحيح مسلم» ج 4 ، ص 1874 ، الحديث . 37 ونقله في «ينابيع المودّة» ص 29 ، عن مسلم بإضافة قوله : وعترتي أهل بيتي ؛ وذكر البحرانيّ المتن نفسه في «غاية المرام» ص 212 ، الحديث السادس عن العامّة .

175) صحيح مسلم» ج 4 ، ص 1874 ، الحديث . 37 ونقله في «ينابيع المودّة» ص 29 ، عن مسلم بإضافة قوله : وعترتي أهل بيتي ؛ وذكر البحرانيّ المتن نفسه في «غاية المرام» ص 212 ، الحديث السادس عن العامّة .

176) مناقب ابن المغازليّ» ص 234 ، الحديث 281 ؛ وأورد القندوزيّ هذا اللفظ في «ينابيع المودّة» ص 37 عن «صحيح مسلم» بدون لفظ عترتي وذلك في طريق الحديث الثالث الذي نقله صاحب كتاب «معالم العترة النبويّة» ؛ وجاء أيضاً في «غاية المرام» ص 232 ، الحديث 59 ، عن الخاصّة ، برواية ابن بابويه ؛ ونقله الحمّوئيّ في «فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 142 و143 ، الباب 33 ، بدون لفظ أهل بيتي وفيه لن يتفرّقا مكان لن يفترقا .

177) المستدرك على الصحيحين» ج 3 ، ص . 148 وقال الحاكم : هذا الحديث صحيح السند على شرط الشيخين ، ولم يُخرجاه .

178) جامع صحيح الترمذيّ» 13/200 ، طبعة الصاويّ .

179) المستدرك» ج 3 ، ص 109 ، بلفظ : إنّي قد تركت ، وإضافة جملة أحدهما أكبر من الآخر ، وقال : هذا الحديث صحيح أيضاً على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .

180) نسخة جامعة طهران ، رقم . 137

181) مناقب ابن المغازليّ» ص 236 ، الحديث . 284

182) سنن الدارميّ» ج 2 ، ص . 431

183) مسند أحمد» ج 4 ، ص . 367

184) مسند أحمد» ج 4 ، ص . 371

185) البيهقيّ في «السنن» ج 10 ، ص 113 ، و: ج 2 ، ص 148 ؛ وفي كتاب «الاعتقاد» ص . 164

186) كنز العمّال» ج 1 ، ص 166 ، رقم 948 ، طبعة حيدر آباد .

187) إلى هنا ذكره القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 37 ، بلفظ الطريق الثاني ، عن «صحيح مسلم» نقلاً عن كتاب «معالم العترة النبويّة» .

188) كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 ، الحديث رقم . 951

189) كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 ، الحديث 954 ؛ و«العبقات» ج 1 ، ص 278 و279 ؛ عن الطبرانيّ .

190) أبو الطفيل نفسه من أصحاب رسول الله ، لكنّه لم يروِ هذا الحديث بلا واسطة . فلعلّه لم يشهد يوم الغدير . ذكر آية الله السيّد حسن الصدر ترجمته في كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» ص 186 ، ضمن شعراء الشيعة ، وقال : ومنهم : أبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابيّ ، ذكره في «نسمة السحر في ذكر مَن تشيّع وشعر» ، قال : فاضل اجتمعت له الصحبة وحبّ أهل البيت ؛ وقال أبو الفرج الإصفهانيّ : كان من خيار أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وروى الحديث وعمّر بعده طويلاً ، وصحب عليّاً عليه السلام ، وكان من وجوه الشيعة ، وله منه محلّ خاصّ . وكان فارساً كريماً شجاعاً شاعراً ، وعاش بعد عليّ عليه السلام ، فخرج مع المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام ، فكان معه حتّى قتل المختار ، وعمّر بعد ذلك . قال قطرب بن خليفة : سمعت أبا الطفيل يقول : لم يبق من الشيعة غيري ، ثمّ تمثّل :

وخلّفت سهماً في الكنانة واحداً

سيرمى به أو يكسر السهمَ كاسِرُه

إلى أن قال صاحب «نسمة السحر» : كانت وفاته سنة مائة ، وهو آخر الصحابة مَوتاً . انتهى .

وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» عند ذكره لأبي الطفيل : وشهد مع عليّ عليه السلام المشاهد كلّها ، وكان مع المختار صاحب رايته ، وكان يؤمن بالرجعة ، وذكر البيتين السابقين وبيتين آخرين .

191) ذكره في «بحار الأنوار» إلى هنا عن السيوطيّ ، عن الطبرانيّ في : ج 7 ، ص 31 ، طبعة الكمبانيّ .

192) كنز العمّال» ج 1 ، ص 168 ، الحديث . 958

193) المستدرك» ج 3 ، ص . 109 وقال الحاكم في آخره : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين (البخاريّ ومسلم) ، ولم يُخرجاه .

194) المستدرك» ج 3 ، ص 110 وقال : حديث بُريدة الأسلميّ صحيح على شرط الشيخين .

195) ذكر القندوزيّ هذا الحديث إلى هنا في «ينابيع المودّة» ، بلفظ الطريق الأوّل عن «صحيح مسلم» نقلاً عن كتاب أبي محمّد عبد العزيز الأخضر في «معالم العترة النبويّة» .

196) مناقب الخوارزميّ» في الطبعة الحجريّة : ص 13 ، وفي الطبعة الحديثة بالنجف : ص 93 ؛ و«العبقات» ج 1 ، ص 399 ، في ترجمة الخوارزميّ ؛ و«ينابيع المودّة» ص 32 ، عن الخوارزميّ ؛ و«غاية المرام» ص 232 ، رقم 60 ، عن الخاصّة ؛ وذكره أبو الفداء بن كثير الدمشقيّ في كتاب «البداية والنهاية» ج 5 ، ص 209 ، بدون لفظ أحدهما أكبر من الآخر ؛ وأورده النسائيّ في «خصائص» مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 21 ، بكلمة تارك مكان تركتُ .

197) العبقات» ج 1 ، ص 310 و311 ؛ و«ذخائر العقبى» ص 16 بلفظ أعظم من الآخر ، عن الترمذيّ ؛ و«الصواعق المحرقة» ص . 89

198) العبقات» ج 1 ، ص . 311

199) العبقات» ج 1 ، ص 311 ؛ و«غاية المرام» ص 215 ، الحديث 30 ، عن العامّة ، برواية الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» .

200) في آخر هذا الكتاب .

201) نظم درر السمطين» ص 231 ، طبعة النجف .

202) سنن البيهقيّ» ج 10 ، ص 113 و114 ، وقال في آخره : أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث أبي حيّان التيميّ .

203) الصواعق المحرقة» ص . 136

204) نظم درر السمطين» ص 233 و234 ؛ وورد في لفظ الكتاب : ناصرهما إليّ وخاذلهما إليّ ، فصحّحناهما بلفظ ناصرهما لي . وخاذلهما لي ؛ ونقل القندوزيّ هذا الحديث في «ينابيع المودّة» ص 37 ، عن الزرنديّ في «نظم دُرَر السمطين» بدون لفظ أو كما قال رسول الله ، وورد في أربعة مواضع لي مكان إليّ ، ثمّ قال : وفي الباب زيادة على عشرين من الصحابة ؛ وأخرجه ابن عقدة في كتاب «الموالاة» ؛ وأورده السيّد ابن طاووس في طرائفه ص 117 ، الحديث 179 ، عن ابن المغازليّ باختلاف يسير ، وأضاف في آخره هذا اللفظ : ألا وإنّه لن تهلك أُمّة قبلكم حتّى تدين بأهوائها ، وتظاهر على نبيّها ، وتقتل من يأمر بالقسط فيها . وحكاه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج 23 ، ص 109 و110 ، الطبعة الحديثة ، عن «الطرائف» .

205) العبقات» ج 2 ، ص 744 ، في ترجمة الميرزا محمّد البدخشيّ .

206) فرائد السمطين» ج 2ص 250 ، الباب 48 ، الحديث . 5020

207) غاية المرام» ص 214 ، الحديث 21 ، عن العامّة ؛ وروى السيّد هاشم البحرانيّ هنا حديثاً آخراً عن ابن المغازليّ تحت الرقم 22 ، عن العامّة ، فقد ذكر بإسناده إلى عليّ بن أبي ربيعة أنّه قال : لقيتُ زيد بن أرقم ، وهو يريد أن يدخل على المختار ، فقلت : بلغني عنك . قال : وما هو ؟ قلتُ : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إنّي قد تركتُ فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ؟! قال : اللهمّ نعم ! وروى الحديث الأوّل في «غاية المرام» ص 211 ، عن العامّة ، عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن عليّ بن ربيعة قال : لقيتُ زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده ، فقلتُ له : سمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إنّي تارك فيكم الثقلين ؟! قال : نعم ؛ وذكره في «ينابيع المودّة» ص 32 ، عن «زيادات مسنده» لعبد الله بن أحمد بن حنبل ؛ وأورده السيّد ابن طاووس في «الطرائف» ص 114 ، عن أحمد بن حنبل في مسنده ، عن إسرائيل بن عثمان بن المغيرة بن ربيعة ؛ ونقله في ص 16 من طرائفه عن عليّ بن ربيعة . وجاء أيضاً في «بحار الأنوار» ج 23 ، ص 109 ، الطبعة الحديثة .

208) العبقات» ج 1 ، ص 279 ، في سياق ترجمة الطبرانيّ ؛ وفي «العبقات» ج 1 ، ص 402 أيضاً ، رواه ابن عساكر الدمشقيّ عن حذيفة بن أُسيد . وقال ابن عساكر في آخره : روي هذا الحديث الشريف عن زيد بن أرقم .

قال ابن الصبّاغ المالكيّ في «الفصول المهمّة» في الطبعة الحجريّة : ص 24 ، وفي الطبعة الحديثة : ص 22 : روى الترمذيّ عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : من كنتُ مولاه فعليّ مولاه . ذكر الترمذيّ هذا اللفظ ولم يضف عليه شيئاً ، وأمّا الزّهريّ فقد ذكر اليوم والزمان والمكان ؛ وذكر الحديث كما يأتي : لمّا حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حجّة الوداع وعاد قاصداً إلى المدينة قام بغدير خُمّ وهو ماء بين مكّة والمدينة وذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة الحرام وقت الهاجرة فقال : يا أيّها النّاس إنّي مسؤول وأنتم مسؤولون ، هل بلّغت ؟ قالوا : نشهد أنّك قد بلّغتَ ونصحتَ . قال : وأنا أشهد أنّي قد بلّغت ونصحت ، ثمّ قال : أيّها الناس أليس تشهدون أن لا إله إلّا الله وأنّي رسول الله ؟ قالوا : نشهد أن لا إله إلّا الله وأنّك رسول الله . قال : وأنا أشهد مثل ما شهدتم . ثمّ قال : أيّها الناس قد خلّفتُ فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي :

كتاب الله وأهل بيتي ، ألا وإنّ اللطيف أخبرني أنّهما لم يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ، حوضي ما بين بُصرى وصنعاءعدد آنيته عدد النجوم ، إنّ الله مسائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي . ثمّ قال : أيّها الناس ! من أولى الناس بالمؤمنين ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنّ أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي (قال ذلك ثلاث مرّات) ثمّ قال في الرابعة وأخذ بِيَدِ عليّ : اللهمّ مَن كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه (يقولها ثلاث مرّات) ألا فليبلّغ الشاهد الغائب . روى عليّ بن عيسى الإرْبليّ متن هذا الحديث عن الزّهريّ في «كشف الغمّة» ص . 16

209) العبقات» ج 1 ، ص 279 و280 ، في ترجمة الطبرانيّ .

210) العبقات» ج 1 ، ص 280 ؛ ورواه السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» ص 213 ، الحديث 16 ، عن صاحب «العمدة» وهو ابن البطريق نفسه بدون لفظ من بعدي وقال : ذكره صاحب «العمدة» من طريق المخالفين بالأسناد عن زيد بن أرقم ، وهذا يدلّ على أنّ ابن البطريق كان شيعيّاً .

211) العبقات» ج 1 ، ص 340 و. 341 وذكر في ترجمة ابن المغازليّ قائلاً : وقال ابن المغازليّ أيضاً في كتاب «المناقب» على ما نقل عنه العلّامة ابن البطريق طاب ثراه في كتابه الموسوم ب «العمدة» : أخبرنا ... إلى آخر الخطبة الطويلة جدّاً والشاملة على ملاحظات دقيقة . ويستفاد تشيّع الرجل وجلالة إيمانه من تعبير صاحب «العبقات» بقوله : طاب ثراه .

وهذا حديث ابن المغازليّ الذي ذكره في «المناقب» ص 16 إلى 18 ، الرقم 23 ، بسنده المتّصل عن وليد بن صالح ، عن امرأة زيد بن أرقم . وفيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال بعد العبارات المذكورة : مَن استقبل قبلتي وأجاب دعوتي ! فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم فإنّي سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني ، ناصرهما لي ناصر ، وخاذلهما لي خاذل ، ووليّهما لي وليّ وعدوّهما لي عدوّ . ألا وإنّها لم تهلك أُمّة قبلكم حتّى تتديّن بأهوائها وتظاهر على نبوّتها ، وتقتل من قام بالقسط ، ثمّ أخذ بِيَدِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فرفعها ثمّ قال: مَن كنتُ مولاه فهذا مولاه . ومن كنتُ وليّه فهذا وليّه . اللهمّ وال من والاه ، وعاد من عاداه . كرّر رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الجملة ثلاث مرّات . هذا كان آخر الخطبة وجاء في النسخة المطبوعة من «المناقب» ، و«ينابيع المودّة» ص 22 ، عن ابن المغازليّ ، عن امرأة زيد بن أرقم . ونقل ابن المغازليّ الحديث عن امرأة زيد بن أرقم وقال في الهامش : في «البحار» نقلاً عن «عمدة ابن البطريق» ص 51 ، ابن امرأة زيد بن أرقم . وهكذا أخرجه في «الغدير» 7/37 عن «العمدة» . انتهى . وأمّا في النسخة المطبوعة من «العبقات» في إصفهان ، التي نقلنا عنها ، عن ابن امرأة زيد بن أرقم ، فإنّ العلّامة مير حامد حسين صحّح ذلك بذكر زيد بن أرقم كما يبدو .

212) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير» ج 1 ، ص 64 ، الطبعة الرابعة .

214.213) «الصواعق المحرقة» ص 149 ، طبعة مكتبة القاهرة ، دار الطباعة المحمّديّة .

215) الصواعق المحرقة» ص . 136

216) إحياء الميّت بفضائل أهل البيت» في حاشية «الإتحاف بحبّ الأشراف» ص 261 و262 ، الحديث 43 ؛ وذكره أيضاً في «عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 625 ، عند ترجمة السيوطيّ .

217) العبقات» ج 2 ، ص . 627

218) ينابيع المودّة» ص . 31

219) كتاب «مودّة القربى» المودّة الثانية الواردة ضمن كتاب «ينابيع المودّة» ص . 246

220) العبقات» ج 1 ، ص 310 ، ضمن ترجمة الحافظ أبي نُعيم الإصفهانيّ .

221) العبقات» ج 1 ، ص 312 ، في ترجمة أبي نعيم الإصفهانيّ .

222) ينابيع المودّة» ص . 29

223) ينابيع المودّة» ص . 30

224) ينابيع المودّة» ص . 31

225) ينابيع المودّة» ص . 38

226) العبقات» ج 2 ، ص . 579

227) أرجح المطالب» ص . 339

228) الآية 28 ، من السورة 13 : الرعد .

229) العبقات» ج 1 ، ص 311 ، في ترجمة أبي نُعيم .

230) العبقات» ج 2 ، ص 644 ، في ترجمة السمهوديّ .

231) العبقات» ج 2 ، ص 715 ، في ترجمة محمود الشيخانيّ القادريّ .

232) العبقات» ج 2 ، ص . 710

233) أرجح المطالب» ص . 337

234) إحياء الميّت» ص 247 ، الحديث 22 بتخريج البزّاز .

235) العبقات» ج 2 ، ص 582 ، في ترجمة السخاويّ ، ذكره بلفظ : إنّي قانتٌ فيكم اثنين .

236) ينابيع المودّة» ص 39 ، بتخريج ابن عقدة عن طريق محمّد بن عبد الله بن أبي رافع ، عن أبيه وأبي هريرة .

237) روى في «غاية المرام» ص 232 ، الحديث 62 ، عن الخاصّة برواية ابن بابويه بسنده المتّصل عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي خَلّفْتُ فِيكُمُ شَيْئَينِ ، لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي أَبَداً مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا وَعَمِلْتُمْ بِمَا فِيهِمَا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

238) العبقات» ج 2 ، ص 580 ، في ترجمة السخاويّ .

239) العبقات» ج 2 ، ص . 642

240) العقبات» ج 2 ، ص . 643

241) ينابيع المودّة» ص 38 و . 39

242) العبقات» ج 2 ، ص 579 و580 ، في ترجمة السخاويّ .

243) العبقات» ج 2 ، ص 642 ، في ترجمة السمهوديّ ، وذكره بلفظ : وعن حمزة (ضميرة ظ) .

244) ينابيع المودّة» ص . 38

245) العبقات» ج 2 ، ص 581 و582 ، في ترجمة السخاويّ ؛ و«ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج ابن عقدة والحافظ أبي الفتوح العجليّ ، والديلميّ ، وابن أبي شيبة ، وأبي يعلى .

246) من الجدير ذكره أنّ عبد بن حميد ليس صحابيّاً ، بل هو أحد مصادر تخريج هذا الحديث الذي رواه عنه أحمد بن حنبل . قال الزركليّ في «الأعلام» ج 4 ، ص 41 : عبد بن حميد بن نصر الكِسيّ أبو محمّد . من حفّاظ الحديث ، مات سنة . 249 قيل : اسمه عبد الحميد ، وخُفّف . نسبته إلى كِس مدينة قرب سمرقند . من كتبه : «المسند الكبير» و«تفسير للقرآن الكريم» وقال في ج 1 ، ص 192 : كانت وفاة أحمد بن حنبل

سنة 241 . انتهى . فيستبين أنّ عبد بن حميد كان معاصراً لأحمد بن حنبل . ولا إشكال في رواية أحمد عنه ، مع أنّه توفّي قبله بثمان سنين .

247) ينابيع المودّة» ، ص . 38

248) ينابيع المودّة» ، ص . 38

249) أرجح المطالب» ص . 336

250) العبقات» ص 579 ، في ترجمة السخاويّ .

251) إحياء الميّت» ص . 269

252) الدرّ المنثور» ج 2 ، ص . 60

253) ينابيع المودّة» ص . 38

254) كنز العمّال» ج 1 ، ص 166 ، الحديث 948 ، طبعة حيدر آباد .

255) العبقات» ، ج 2 ، ص . 744

256) مسند أحمد» ج 5 ، ص . 181

257) جواهر العقدين» ؛ «العبقات» ، ج 2 ، ص . 642

258) الكشف والبيان» ؛ «العبقات» ج 1 ، ص . 308

259) ينابيع المودّة» ص . 183

260) ينابيع المودّة» ص . 20

261) ذكر صاحب «العبقات» أسماء عشرين صحابيّاً وصحابيّة في : ج 2 ، ص 575 إلى 579 ، عن السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشرف، ونقل أحاديثهم في ص . 136

262) الصواعق المحرقة» ص 89 ؛ وكذلك ذكر صاحب «ينابيع المودّة» أكثر من عشرين منهم في ص 37 من كتابه . وقال في «العبقات» ج 2 ، ص 530 : قال عبد الرؤوف المناويّ في «فيض القدير» : ووهم من زعم وضعه كابن الجوزيّ ، وفي الباب ما يزيد على عشرين من الصحابة . وقال القندوزيّ في ص 40 من «ينابيع المودّة» : قال في «الصواعق المحرقة» : روى هذا الحديث ثلاثون صحابيّاً . وأنّ كثيراً من طرقه صحيح وحسن . وقال ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص 136 ، في ثلثي الصفحة الماضية : له طرق كثيرة . وروي عن بضع وعشرين صحابياً .

263) جامع أحاديث الشيعة» ص 29 ، السطر . 12

264) الميزان في تفسير القرآن» ج 3 ، ص . 418

265) ينابيع المودّة» ص . 38

266) ينابيع المودّة» ص . 35

267) ينابيع المودّة» ص 36 ؛ ونقل صاحب «العبقات» ج 2 ، ص 638 إلى 645 ، أنّ السمهوديّ الشافعيّ روى حديث الثقلين عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفاطمة الزهراء عليها السلام ، وأُمّ هاني أُخت أمير المؤمنين ، وفاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام ، وأُمّ سلمة ، وزيد بن أرقم ، وأبي سعيد الخُدريّ ، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ ، وحذيفة بن أُسيد الغفاريّ ، وزيد بن ثابت ، وضميرة الأسلميّ ، وعامر بن ليلى بن ضمرة ، وأبي ذرّ الغفاريّ ، وأبي رافع غلام النبيّ ، وأبي هريرة .

268) أحد رواة هذا الحديث عمر بن الخطّاب كما ورد ذلك في «غاية المرام» ص 218 ، الحديث الثالث عن الخاصّة ، عن ابن بابويه بسنده المتّصل عن عمر بن الخطّاب . وقال عمر في آخر الحديث : قلتُ يا رسول الله ! مَن عترتُك ؟ قال : أهل بيتي من ولد عليّ وفاطمة وتسعة من صلب الحسين أئمّة أبرار . هم عترتي من لحمي ودمي . (فمجموع الرواة إذن يبلغ سبعة وثلاثين راوياً) .

269) غاية المرام» ص 211 إلى . 235

270) محمّد وعليّ وحديث الثقلين وحديث السفينة» ص . 77

271) عن «فرائد السمطين» ج 2 ، ص 144 ، رقم 46 ، الباب 33 ، الحديث 437 ؛ و«مسند أحمد» ج 5 ، ص 181 ؛ والطبرانيّ في «المعجم الكبير» ؛ كما في «العبقات» ج 1 ، ص 280 و281 ؛ ولكن ذكره بلفظ : إنّي تَارِك فِيكُم خلِيفتين .

272) رقم 58 من «العبقات» ، عن الثعلبيّ في «الكشف والبيان» .

273) رقم 90 ، كما جاء بهذا اللفظ في رواية «ينابيع المودّة» عن أبي هريرة ، ص 39 ، عن كتاب الموالاة» لابن عقدة ؛ وورد في آخر اللفظ : ولن يتفرّقا حتّى يردا عَلَيّ الحَوْضَ .

274) رقم 32 ، بتخريج ابن عقدة عن جابر ، بناءً على نقل «ينابيع المودّة» ص . 41

275) رقم 17 ، بناءً على رواية «ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج ابن عقدة ، عن فاطمة الزهراء عليها السلام .

276) رقم 2 ، عن كتاب «أرجح المطالب» ص 337 ، بتخريج البزّاز والدولابيّ ؛ و«ينابيع المودّة» ص 39 ، عن الجُعابيّ ؛ و«العبقات» ج 2 ، ص 581 ، عن الجعابيّ .

277) رقم 34 ، عن كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض اليحصبيّ ، بناءً على نقل «العبقات» ج 1 ، ص . 378

278) رقم 69 ، عن «كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 ، الحديث 954 ؛ و«العبقات» ج 1 ، ص 278 ، عن الطبرانيّ .

279) رقم 40 ، بلفظ تركت فيكم الثقلين ، عن «أرجح المطالب» ، ص . 337

280) رقم 14 ، عن «فرائد السمطين» للحمّوئيّ ، ج 1 ، ص 317 و318 ، الباب . 58

281) رقم 30 ، «أرجح المطالب» ص . 336

282) رقم 24 ، عن «ينابيع المودّة» ص 30 ، عن «جامع الترمذيّ» عن أبي ذرّ ، وأيضاً في «العبقات» ج 1 ، ص 269 ، عن السخاويّ ، عن الترمذيّ ، بتخريج ابن عقدة .

283) رقم 26 ، عن «ينابيع المودّة» ص 30 ، عن الترمذيّ في باب مناقب أهل البيت ، عن جابر .

284) رقم 35 ، عن «كنز العمّال» ج 1 ، ص 167 ، عن ابن أبي شيبة ؛ والخطيب في «المتّفق والمفترق» عن جابر .

285) ذكره في «نظم درر السمطين» ص 231 ، عن عبد الله بن بدر عن أبيه ، وبلفظ : من أحبّ أن يسأله في أجله . والحديث الذي أوردناه في المتن نقلناه عن «ينابيع المودّة» ، ص . 41

286) ينابيع المودّة» ص 41 ، عن كتاب «جواهر العِقدين» .

287) مناقب الخوارزميّ» ص 24 ، طبعة النجف ؛ والملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» ج 6 ، ص 156 ، الطبعة القديمة ، وقال هناك : أخرجه الديلميّ عن أنس .

288) ميزان الاعتدال» ج 1 ، ص 255 ، طبعة دار السعادة ؛ وكذلك ذكره في «كنز العمّال» ج 6 ، ص 157 ، الطبعة القديمة ، بتخريج الديلميّ في «فردوس الأخبار» .

289) نزهة المجالس» للصفوريّ ، ج 1 ، ص 205 ، طبعة القاهرة .

290) الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ؛ كما نقل صاحب «كنز العمّال» ج 6 ، ص . 157

291) مناقب الخوارزميّ» ص 34 ، طبعة النجف ؛ وكذلك ذكره الطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، والحاكم في «المستدرك» ، وأبو نُعيم في «فضائل الصحابة» ؛ كما نقل ذلك المتّقي في «كنز العمّال» ج 6 ، ص . 155

292) المراجعات» ص 286 ، الطبعة الأُولى ، وهذه الأبيات للنعمان بن عجلان ، أحد شعراء الأنصار وكبارهم ، وهي من قصيدة خاطب فيها ابن العاص .

293) المراجعات» ص 286 ، وهذان البيتان للفضل بن عبّاس ، مع أبيات أُخرى .

294) المراجعات» ص 282 ، وهذا البيت لابن عبد المطّلب المغيرة بن الحارث ، ضمن أبيات أُخرى يُحرّض فيها أهل العراق على القتال ضدّ معاوية يوم صفّين .

295) المراجعات» ص . 282

295) المراجعات» ص . 282

الدرس الحادي والتسعون بعد المائة إلى الخامس والتسعين بعد المائة: حديث الثقلين ، موارد الصدور ، ومواضع الاحتجاج ، وبحثٌ كلاميّ

بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ عَلَى مُحَمّدٍ وآلِهِ الطّاهِرِينَ

ولَعْنَةُ اللهِ عَلَى أعْدَائِهِمْ أجْمَعِينَ مِنَ الآنَ إلَى قِيامِ يَوْمِ الدّينِ ولَا حَولَ ولَا قُوّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيمِ

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَ نًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مّنَ النّارِ فَأَنقَذَكُم مّنْهَا كَذَ لِكَ يُبَيّنُ اللهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلّكُمْ تَهْتَدُونَ ! (1)

والآية السابقة لها هي :

يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا اتّقُوا اللهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنّ إِلّا وَأَنتُم مّسْلِمُونَ . (2)

والآيتان التاليتان لها هما :

وَلْتَكُن مّنكُمْ أُمّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيّنَتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . (3)

وتستمرّ الآيات حتّى تصل إلى قوله تعالى :

كُنتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَبِ لَكَانَ خَيْرًا لّهُم مّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَسِقُونَ . (4)

قال أُستاذنا الأعظم سماحة العلّامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله تربته الزكيّة في تفسير الآية : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا : ذكر سبحانه فيما مرّ من قوله : وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ ءَايَتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَى صِرَ طٍ مّسْتَقِيمٍ (5) إنّ التمسّك بآيات الله وبرسوله (الكتاب والسنّة) اعتصام بالله مأمون معه المتمسّك المعتصم ، مضمون له الهدى . والتمسّك بذيل الرسول تمسّك بذيل الكتاب فإنّ الكتاب هو الذي يأمر بذلك في مثل قوله:

وَمَآ ءَاتيكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا . (6)

وقد بدّل في هذه الآية وَاعْتَصِمُوا ... الاعتصام المندوب إليه في تلك الآية وَمَنْ يَعْتَصِمْ ... بالاعتصام بحبل الله . فأنتج ذلك أنّ حبل الله هو الكتاب المنزل من عند الله ، وهو الذي يصل ما بين العبد والربّ ، ويربط السماء بالأرض . وإن شئت قلتَ : إنّ حبل الله هو القرآن والنبيّ صلّى الله عليه وآله ، فقد عرفت أنّ مآل الجميع واحد .

والقرآن [الكريم] وإن لم يدع إلّا إلى حقّ التقوى والإسلام الثابت ، لكنّ غرض هذه الآية غير غرض الآية السابقة الآمرة بحقّ التقوى والموت على الإسلام يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا اتّقُوا اللهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنّ إِلّا وَأَنتُم مّسْلِمُونَ ، فإنّ الآية السابقة تتعرّض لحكم الفرد ، وهذه الآية تتعرّض لحكم الجماعة المجتمعة ؛ والدليل عليه قوله : جَمِيعًا ، وقوله : لَا تَفَرّقُوا ، فالآيات تأمر المجتمع الإسلاميّ بالاعتصام بالكتاب والسنّة كما تأمر الفرد بذلك . (7)

ويواصل العلّامة هذا الموضوع إلى أن يصل إلى الآية الكريمة : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَتُ ، فيقول : وقد نسب تعالى هذا الاختلاف في موارد من كلامه إلى البغي ، قال تعالى : وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، (8) مع أنّ ظهور الاختلاف في العقائد والآراء ضروريّ بين الأفراد لاختلاف الأفهام . لكن كما أنّ ظهور هذا الاختلاف ضروريّ كذلك دفع الاجتماع لذلك ، وردّه المختلفين إلى ساحة الاتّحاد أيضاً ضروريّ . فرفع الاختلاف ممكن مقدور بالواسطة ، وإعراض الأُمّة عن ذلك بغي منهم ، وإلقاء لأنفسهم في تهلكة الاختلاف .

وقد أكّد القرآن الدعوة إلى الاتّحاد ، وبالغ في النهي عن الاختلاف ، وليس ذلك إلّا لما كان يتفرّس من أمر هذه الأُمّة أنّهم سيختلفون كالذين من قبلهم ، بل يزيدون عليهم في ذلك . وقد تقدّم مراراً أنّ من دأب القرآن أنّه إذا بالغ في التحذير عن شيء والنهي عن اقترافه ، كان ذلك آية وقوعه وارتكابه .

وهذا أمر أخبر به النبيّ صلّى الله عليه وآله أيضاً كما أخبر به القرآن ، وأنّ الاختلاف سيدبّ في أُمّته ، ثمّ يظهر في صورة الفرق المتنوّعة ، وأنّ أُمّته ستختلف كما اختلفت اليهود والنصارى من قبل . وستجيء الرواية في البحث الروائيّ .

وقد صدق جريان الحوادث هذه الملحمة القرآنيّة . فلم تلبث الأُمّة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله دون أن تفرّقوا شذر مدر ، واختلفوا في مذاهب شتّى بعضهم يكفّر بعضاً من لدن عصر الصحابة إلى يومنا هذا . وكلّما رام أحد أن يوفّق بين مختلفين منها ، أولد ذلك مذهباً ثالثاً .

والذي يهدينا إليه البحث بالتحليل والتجزية أنّ أصل هذا الاختلاف ينتهي إلى المنافقين الذين يغلظ القرآن التقوّل فيهم وعليهم ، ويستعظم مكرهم وكيدهم . فإنّك لو تدبّرت ما يذكره الله تعالى في حقّهم في سور البقرة . والتوبة ، والأحزاب ، والمنافقون ، وغيرها لرأيت عجباً . وكان هذا حالهم في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ولمّا ينقطع الوحي . ثمّ لمّا توفّاه الله ، غاب ذكرهم وسكنت أجراسهم دفعة .

كَأَن لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الحَجُونِ إِلَى الصّفَا
أَنِيسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكّةَ سَامِرُ

ولم يلبث الناس دون أن وجدوا أنفسهم وقد تفرّقوا أيادي سبأ . وباعدت بينهم شتّى المذاهب ، واستعبدتهم حكومات التحكّم والاستبداد ، وأبدلوا سعادة الحياة بشقاء الضلال والغي ، والله المستعان . والمرجوّ من فضل الله أن يوفّقنا لاستيفاء هذا البحث في سورة براءة إن شاء الله . (9)

وقال سماحة العلّامة آية الله الطباطبائيّ في البحث الروائيّ : وفي «الدرّ المنثور» في قوله تعالى : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا . الآية : أخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير عن أبي سعيد الخُدريّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَمْدُودُ مِنَ السّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ .

وفيه أخرج ابن أبي شيبة عن أبي شريح الخزاعيّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ هذا القرآن سبب طرفه بِيَدِ الله ، وطرفه بأيديكم ؛ فتمسّكوا به فإنّكم لن تزالوا ولَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً .

وفي «معاني الأخبار» عن السجّاد عليه السلام في حديث : وَحَبْلُ اللهِ هُوَ القُرْآنُ . وفي هذا المعنى روايات أُخرى من طرق الفريقين .

وفي «تفسير العيّاشيّ» عن الباقر عليه السلام : آلُ مُحَمّدٍ هُمْ حَبْلُ اللهِ الّذِي أَمَرَ بِالإِعْتِصَامِ بِهِ فَقَالَ : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا» .

قال العلّامة : وفي هذا المعنى روايات أُخر . وقد تقدّم في البيان ما يتأيّد به معناها . ويؤيّدها أيضاً ما يأتي من الروايات .

وفي «الدرّ المنثور» أخرج الطبرانيّ عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي لَكُمْ فَرَطٌ وَإِنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِي الثّقَلَيْنِ ؟!

قيلَ : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ عَزّ وَجَلّ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ لَنْ تَزَالُوا وَلَنْ تَضِلّوا ؛ وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَسَأَلْتُ لَهُمَا ذَاكَ رَبّي ، فَلَا تَقَدّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمَا فَإِنّهُمَا أَعْلَمُ مِنْكُمْ .

قال العلّامة : وحديث الثقلين من المتواترات التي أجمع على روايتها الفريقان (الشيعة والعامّة) ؛ وقد تقدّم في أوّل السورة أنّ بعض علماء الحديث أنهى رواته من الصحابة إلى خمسة وثلاثين راوياً من الرجال والنساء ؛ وقد رواه عنهم جمّ غفير من الرواة وأهل الحديث .

وفي تفسير «الدرّ المنثور» أيضاً أخرج ابن ماجة ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن أنس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنّ أُمّتِي سَتَفْتَرِقُ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلّهُمْ فِي النّارِ إِلّا وَاحِدَةً .

قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا هَذِهِ الوَاحِدَةُ ؟!

قَالَ : الجَمَاعَةُ . ثُمّ قَالَ : «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا» . (10)

(11)

قال العلّامة : والرواية أيضاً من المشهورات . وقد روتها الشيعة بنحو آخر كما في «الخصال» ، و«المعاني» ، و«الاحتجاج» ، و«الأمالي» ، و«كتاب سُليم بن قيس» ، و«تفسير العيّاشي» . (12) واللفظ لما في «الخصال» بإسناده إلى سليمان بن مهران ، عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : إنّ أُمّة موسى افترقت بعده على إحدى وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية وسبعون في النار . وافترقت أُمّة عيسى بعده على اثنتين وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، وإحدى وسبعون في النار . وإنّ أُمّتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة منها ناجية ، واثنتان وسبعون في النار .

وهي الموافقة لما يأتي من الروايات .

وفي «الدرّ المنثور» أخرج أبو داود ، والترمذيّ ، وابن ماجة ، والحاكم ، وصحّحه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وتفرّقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ؛ وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة .

قال العلّامة : وهذا المعنى مرويّ بطرق أُخرى عن معاوية وغيره .

وفي تفسير «الدرّ المنثور» أخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يأتي على أُمّتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النّعْلِ بِالنّعْلِ حتّى لو كان فيهم من نكح أُمّهُ علانية كان في أُمّتي مثله . إنّ بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملّة ، وتفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين ملّة ، كلّها في النار إلّا ملّة واحدة ، فقيل له : ما الواحدة ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي .

قال العلّامة : وعن «جامع الأصول» لابن الأثير عن الترمذيّ ، عن عمرو بن العاص ، عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله مثله .

وفي «كمال الدين» بإسناده عن غياث بن إبراهيم ، عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : كُلّ مَا كَانَ فِي الأُمَمِ السّالِفَةِ فَإنّهُ يَكُونُ فِي هَذِهِ الأُمّةِ مِثْلُهُ حَذْوَ النّعْلِ بِالنّعْلِ ، (13) وَالقُذّةِ بِالقُذّةِ . (14)

وفي «تفسير القمّيّ» عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله أنّه قال : لَتَرْكَبُنّ سُنّةَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ النّعْلِ بِالنّعْلِ وَالقُذّةِ بِالقُذّةِ ، لَا تُخْطِؤُونَ طَرِيقَهُمْ وَلَا يُخْطَى ، شِبْرٌ بِشِبْرٍ وَذِرَاعٌ بِذِرَاعٍ ، وَبَاعٌ بِبَاعٍ (15) حَتّى أَن لَوْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ !

قَالُوا : اليَهُودَ وَالنّصَارَى تَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ ؟! قَالَ : فَمَنْ أَعْنِي ؟ لَتَنْقُضُنّ عُرَى الإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً ، فَيَكُونُ أَوّلُ مَا تَنْقُضُونَ مِنْ دِينِكُمُ الأَمَانَةَ ، وَآخِرُهُ الصّلَاةَ.

وعن «جامع الأُصول» فيما استخرجه من الصحاح ، وعن «صحيح الترمذيّ» ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال : وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ . وزاد رزين (16) : حَذْوَ النّعْلِ بِالنّعْلِ وَالقُذّةِ بِالقُذّةِ ، حَتّى إن كَانَ فِيهِمْ مَنْ أَتَى أُمّهُ يَكُونُ فِيكُمْ فَلَا أَدْرِي أَتَعْبُدُونَ العِجْلَ أَمْ لَا ؟! (17)

قال العلّامة : وهذه الرواية أيضاً من المشهورات ، رواها أهل السنّة في صحاحهم وغيرها ؛ وروتها الشيعة في جوامعهم .

وفي الصحيحين («صحيح البخاريّ» و«صحيح مسلم») عن أنس أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : لَيَرِدَنّ عَلَيّ الحَوْضَ رِجَالٌ مِمّنْ صَاحَبَنِي حَتّى إذَا رُفِعُوا ، اخْتُلِجُوا (18) دُونِي ، فَلَأَقُولُنّ : أَيْ رَبّ أَصْحَابِي ! فَلَيُقَالَنّ : إنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ !

وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : يَرِدُ عَلَيّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي . أَوْ قَالَ : مِنْ أُمّتِي . فَيُحَلّؤُونَ (19) عَنِ الحَوْضِ . فَأَقُولُ : يَا رَبّ أَصْحَابِي . فَيَقُولُ : لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، ارْتَدّوا عَلَى أَعْقَابِهِمُ القَهْقَرَى فَيُحَلّؤُونَ . (20)

(21)

قال العلّامة : وهذا الحديث أيضاً من المشهورات ، رواه الفريقان في صحاحهم وجوامعهم عن عدّة من الصحابة كابن مسعود ، وأَنَس ، وسهل بن ساعد ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخُدريّ ، وعائشة ، وأُمّ سلمة ، وأسماء ابنة أبي بكر ، وغيرهم ، وعن بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام . (22)

(23)

(24)

(25)

(26)

(27)

والروايات على كثرتها وتفنّنها تصدّق ما استفدناه من ظاهر الآيات الكريمة ، وتوالي الحوادث والفتن بعد وفاة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله يصدّق الروايات .

وفي تفسير «الدرّ المنثور» أخرج الحاكم وصحّحه عن ابن عمر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : مَنْ خَرَجَ مِنَ الجَمَاعَةِ قَيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ حَتّى يُرَاجِعَهُ ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إمَامُ

جَمَاعَةٍ فَإنّ مَوْتَتَهُ مِيتَةً جَاهِلِيّةً .

قال العلّامة : والرواية أيضاً من المشهورات مضموناً ، وقد روى الفريقان عنه صلّى الله عليه وآله أنّه قال : مَن مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّةً .

وعن «جامع الأُصول» عن الترمذيّ و«سنن أبي داود» عن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الحَقّ .

وفي تفسير «مجمع البيان» في قوله تعالى : أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : هُمْ أَهْلُ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ وَالآرَاءِ البَاطِلَةِ مِنْ هَذِهِ الأُمّةِ . (28)

وفيه ، وفي «تفسير العيّاشيّ» في قوله تعالى : كُنتُمْ خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ ، عن أبي عمرو الزبيريّ ، عن الصادق عليه السلام قال : يَعْني الأُمّة الّتي وَجَبَتْ لَهَا دَعْوَةُ إبْراهيمَ ، وَهُمْ الأُمّةُ الّتي بَعَثَ اللهُ فِيهَا وَمِنْهَا وَإِلَيْهَا ، وَهُمُ الأُمّةُ الوُسْطَى ، وَهُمْ خَيْرُ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ .

قال العلّامة : وقد مرّ الكلام في توضيح معنى الرواية في تفسير قوله تعالى : وَمِنْ ذُرّيّتِنَا أُمّةً مُسْلِمَةً لَكَ . (29)

وفي تفسير «الدرّ المنثور» أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر كُنتُم خَيْرَ أُمّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ قال : أَهْلُ بَيْتِ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . (30)

نقلناه هذا البحث من تفسير سماحة الأُستاذ روحي له الفداء ليتّضح قول الآيات والروايات المسلّمة الصحيحة المتقنة في الثقلين ، وفي مخالفي الإمامة . وأنّ الذين تحمّسوا للإسلام بعد الرسول الأكرم لم يكن عملهم إلّا من وحي هوى النفس الأمّارة واتّباعها ، وحبّ الرئاسة ، وشهوة التسلّط والتحكّم في إطار الخلافة .

لقد كان سماحة العلّامة في هذه البحوث وبياناته لروايات العامّة الصحيحة قد عرض كتاب درس ، وتفسير ، وبيان ، وتأريخ بنحو مجمل . ونحن أيضاً أوردناه فيما مرّ حرفيّاً لأهمّيّته .

أوّلاً : بيّن أنّ الاعتصام بالله يتجسّد في ظلّ التمسّك بكتاب الله وسنّة رسول الله . ولا طائل في الاعتصام بالله دون التمسّك بهذين الظهورين من الله . وآيات الله في كتابه الحكيم تُحيل المسلمين إلى السنّة النبويّة . والسّنّة توطّد قواعد الكتاب وأُسسه . فالتمسّك بالكتاب ، وترك السّنّة ، والاكتفاء ، بقولهم : حَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ أباطيل وأراجيف لم تسمع تحت هذه السماء الزرقاء إلّا من الشيطان وأعوانه .

إنّ هذين الظهورين حبلان متّصلان بالله وبخلقه . ولا مفهوم ولا مفاد لمسند المؤمن المسلم في طريق معرفة الله والإسلام الحقيقيّ والاعتصام بالذات الأحديّة ما لم يكن الكتاب والإمام موجودين .

ثانياً : المراد في قوله تعالى : واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا : الإمام ، إذ ينبغي أن يلتفّ حوله المسلمون جميعهم . وهو الذي يقيم الكتاب والسنّة . وهو الذي يحفظ جماعة الإسلام وفقاً لميزان الكتاب والتوحيد ودرايته ومعرفته وولايته . وهو سرّ رسول الله ، والارتباط به ارتباط بالإسلام وروح النبوّة . وهذا هو المراد من لفظ «جميعاً» في الآية ، ولفظ «الجماعة» في الرواية ، لا المراد ذلك الإنسان الذي يتربّع على أريكة الخلافة غاصباً منطلقاً من الهوى والهوس ، ويجمع حوله الأُمّة بجهل . ثمّ يضع لها اسم الجماعة مجازاً وانتحالاً وزيفاً ، ويعدّ الأصحاب الحقيقيّين لهذه الجماعة في زمرة المتمرّدين والمنعزلين عن الجماعة لقلّة عددهم ، وعدم انضوائهم تحت لواء فئته ، ويهاجمهم ويُظهرهم مخالفين للجماعة بهذه الحربة المجازية التي اختطفها سارقاً .

إرجعوا البصر في هذه الجمل القصيرة لينكشف لكم كتاب من الأسرار والرموز والغوامض .

ثالثاً : أنّ الدعاء الذي دعا به إبراهيم عليه السلام واستجيب له حين طلب من الله أن يجعل من ذرّيّته أُمّة مسلمة ، لا يقصد منه ظاهر الإسلام ، فيشمل من كان مسلماً لفظاً ، وإن كان في باطنه ملوّثاً ومغشوشاً ومصاباً بالأدواء النفسيّة والغرور وحبّ الجاه والآمال الطويلة العريضة . فهؤلاء الموصوفون بالنفاق لا يمكن أن يكونوا هم المقصودين في دعائه . فالمراد من الأُمّة المسلمة أهل البيت والأئمّة الطاهرون سلام الله عليهم أجمعين .

رابعاً : حقيقة الإسلام في الولاية . ومن لم يعرف الإمام فليس بمسلم ، ويدلّ الحديث القائل : مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَعْرِفْ إمَامَ زَمَانِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيّةً جَيّداً على أنّ أهل الجاهليّة الذين لم ينالوا حظّاً من الإسلام ، إنّما كانوا كذلك لجهلهم بروح النبوّة والولاية . وهذا المعنى عينه كامن في المسلم الذي لا يعرف الإمام .

خامساً : ويدلّ أيضاً على أنّ الإمام موجود في كلّ زمان ، وأنّ طائفة من الأُمّة على الحقّ ، وإن كانوا أقلّيّة ، وأنّ الأرض لا تخلو من حجّة . ويُثبت هذا الموضوع وجود إمام العصر والزمان عليه السلام في عصر الغيبة .

سادساً : أنّ الذين خالفوا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في السّنّة لم يقرّوا بوصاية أمير المؤمنين عليه السلام ، فلا يُضفي عليهم عنوان الصحابيّ قيمة . وأنّهم لا يردون حوض الكوثر ، ولا يشربون من مائه ، وليس لهم نصيب في أقداحه التي عددها كعدد النجوم ، وذلك لمخالفتهم حديث الثقلين الذي يمثّل ركن الإسلام ، وإحداثهم ما أحدثوا بعد وفاة رسول الله . ومصيرهم أنّهم يُخْتَطَفُون ويُساقون إلى جهنّم ، ويمنَعُون من الحوض ويُطرَدُون من أطرافه . إنّ الجنّة والكوثر لأصحاب الولاية ، أي : أُولئكَ الذين أقرّوا بالإمام والولاية وانشدّوا إلى الثقلين مع إيمانهم بالإسلام والكتاب .

وهذه موضوعات تستفاد من أحاديث الفريقين . وهي موجودة في صحاح العامّة المشهورة . والآن علينا أن نرى ما هي الموارد التي صدر فيها هذا الحديث عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ؟ إذ إنّ الذي يستشفّ من مضامِينه أنّ الرسول العظيم نطق به في مواطن متنوّعة ، كما لاحظنا في الجزء العاشر من كتابنا هذا «معرفة الإمام» أنّه صلّى الله عليه وآله نطق بحديث المنزلة : أَنْتَ مِنّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إلّا أَنّهُ لَا نَبِيّ بَعْدِي في أربعة عشر مقاماً وموقفاً لم تترابط .

وقد استقصيتُ بشأن حديث الثقلين ما يربو على عشرة موارد هي كالآتي :

المورد الأوّل : المطلقات التي تبيّن هذا الحديث بنحو مطلق بلا تحديدٍ لمقامه وموطنه : وهذه المطلقات كثيرة . ولعلّها تزيد على جميع الأحاديث التي دلّت على محلّ ومقام خاصّ له .

على أنّه ربّما تكون موارد هذه المطلقات الأحاديث التي كانت مقيّدة بمحلّ وموطن خاص ، وقد بادر راوي الحديث إلى ذكر أساس الحديث الذي أمر بالتمسّك بالثقلين فحسب ، وتغاضى عن ذكر مقامه وموقفه ، وفي ضوء المنهج الأُصولي ينبغي حمل المطلق على المقيّد ، كما يمكن أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أمر بالتمسّك بالثقلين في أوقات غير خاصّة وحالات غير محدّدة ، في الحضر والسفر ، والخفاء والعلن ، وعند بعض الصحابة دون بعض ، فتكون . حينئذٍ . أحاديث مستقلّة . وفي ضوء ما يقوله الأُصوليّون : لا يلزم حمل المطلق على المقيّد ، في مثل هذه المقامات . فَنَدَع المطلق والمقيّد كُلّاً في موضعه . (31)

ونذكر فيما يأتي عدداً من موارد هذه المطلقات :

روى أبو سعيد الخُدريّ مرفوعاً :

إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى اَلأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (32)

وذكر ابن المغازليّ هذا اللفظ نفسه عن زيد بن أرقم بدون قوله : حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . (33)

وأورده الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» بهذا اللفظ عن زيد أرقم ، في ثلاثة مواضع عن أبي سعيد الخُدريّ ، وفي موضع عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وفي آخر عن زيد بن ثابت بهذا اللفظ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، أَلَا وَهُمَا الخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (34)

ونقله المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن «كمال الدين» ، و«عيون أخبار الرضا» عن الإمام الرضا عليه السلام . وعن «أمالي الشيخ الطوسيّ» عن أبي سعيد ، وعن «معاني الأخبار» روايتان ، وعن السيوطيّ ، والطبرانيّ ، وسعيد ، وأحمد . (35)

ورواه الملّا عليّ المتّقي الهنديّ في «كنز العمّال» ، بتخريج وتصحيح ابن جرير في «تهذيب الآثار» . (36)

وذكره السيّد محمّد الترمذيّ الحنفيّ في كتاب «الكوكب الدّرّيّ» عن «صحيح الترمذيّ» عن زيد بن أرقم بهذا اللفظ . (37)

وأورده القاضي عياض بن موسى اليحصبيّ فيكتاب «الشّفَا بتعريف حقوق المصطفى» باللفظ اللآتي : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (38)

وعن زيد بن ثابت روايات بهذا اللفظ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي أَلَا وَهُمَا الخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

وبهذا اللفظ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ؛ وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

وبهذا اللفظ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

وورد باختلاف في اللفظ في اثني عشر كتاباً معتمداً ومهمّاً من كتب العامّة ، وهي «فرائد السمطين» للحمّوئيّ ، و«مسند أحمد بن حنبل» ، و«المعجم الكبير» للطبرانيّ ، و«كنز العمّال» للملّا عليّ المتّقي ، و«ينابيع المودّة» للقندوزيّ ، و«الدّر المنثور» ، و«الجامع الصغير» ، و«إحياء الميّت» للسيوطيّ ، و«جواهر العِقدين» للسمهوديّ ، و«استجلاب ارتقاء الغُرف» ، و«مفتاح النّجا» للبَدَخشانيّ ، و«وسيلة المآل» لأحمد بن المفَضّل . وكلّها من المطلقات .

ومن المطلقات رواية زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعَلَيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَفْضَلَ لَكُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ ، لأَنّهُ مُتَرْجِمٌ لَكُمْ عَنْ كِتَابِ اللهِ . (39)

ومن المطلقات رواية ابن أبي الحديد ، قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

خَلّفْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . حَبْلَانِ مَمْدُودانِ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثمّ قال ابن أبي الحديد :

فعبّر عن أمير المؤمنين عليه السلام من أهل البيت بلفظ السبب لما كان النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : «حبلان» . والسبب في اللغة الحبل وغيره .

وعنى بقوله : أُمروا بمودّته قوله تعالى : قُل لّا أَسْلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدّةَ فِى الْقُرْبَى . (40)

* * *

المورد الثاني : كلام الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله لوَفْدِ ثقيف (رجال كبار من قبيلة ثقيف دخلوا على النبيّ قادمين من الطائف) :

روى القندوزيّ الحنفيّ ، (41) وشمس الدين السخاويّ الشافعيّ (42) بسندهما المتّصل عن عبد الرحمن بن عوف قال : لمّا فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله مكّة ، انصرف إلى الطائف فحاصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ، (43) ثُمّ قَامَ خَطِيباً فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمّ قَالَ : أُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْراً ! وَإِنّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ ، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُقِيمُنّ الصّلَاةَ وَلَتُؤْتُنّ الزّكَاةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا كَنَفْسِي يَضْرِبُ أَعْنَاقَكُمْ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلَيّ فَقَالَ : هُوَ هَذَا !

وذكرها ابن حجر الهيتميّ أيضاً بتخريج ابن أبي شيبة ، عن عبد الرحمن بن عوف . (44)

من الجدير ذكره أنّ هذه الخطبة لم تكن في الطائف نفسه ، بل كانت بعد الرجوع منه ، وعبارة ثُمّ قَامَ خَطِيباً تعني أنّ هذه الخطبة كانت بعد حصار الطائف ، وإن كانت بعد الرجوع . ونصّ على ذلك المرحوم آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ حيث قال : وَتَارَةً بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الطّائِفِ . (45)

والآن ينبغي أن نلاحظ هل جاءه وفد ثقيف في مكّة حين قدمها لأداء العمرة بعد رجوعه من الطائف إلى الجِعرانة ، ومنها إلى مكّة ، أم كان بعد أداء العمرة والرجوع إلى المدينة ؟

ونقل الواقديّ في «المغازي» قصّة ورود وفد ثقيف المدينة برئاسة عَبْد يالَيْل وكانوا ستّة إلى ثلاثة عشر ، وكان نزولهم في دار المغيرة بن شعبة . وذكر مفصّلاً إقامتهم ، وكيفيّة زيارة رسول الله ، وقدومهم إلى المسجد ، ومدّة مكوثهم وإقامتهم ، وما تبودل من كلام بينهم . (46)

وذهب المؤرّخ الشهير الميرزا محمّد تقي خان سبهر لسان الملك إلى أنّهم حضروا في مكّة بعد رجوعهم من الطائف . وقال : في الخبر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حاصر الطائف فَسَأَلَهُ القَوْمُ أَنْ يَبْرَحَ عَنْهُمْ لِيَقْدِمَ عَلَيْهِمْ وَفْدُهُمْ فَيَشْتَرِطُ لَهُ فَيَشْتَرِطُونَ لِأَنْفُسِهِمْ . فَسَارَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّى نَزَلَ مَكّةَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْهُمْ بِإِسْلَامِ قَوْمِهِمْ ، وَلَمْ يَنْجَعِ القَوْمُ لَهُ بِالصّلَاةِ وَلَا الزّكَاةِ . فَقَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنّهُ لَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَا رُكُوعَ فِيهِ وَلَا سُجُودَ . أَمَا وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُقِيمُنّ الصّلَاةَ وَلَيُؤْتُنّ الزّكَاةَ ، أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا هُوَ مِنّي كَنَفْسِي فَلَيَضْرِبَنّ أَعْنَاقَ مُقَاتِلِيهِمْ وَلَيَسْبِيَنّ ذَرَارِيهِمْ . هُوَ هَذَا . وَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ فَأَشَالَهَا .

ولمّا علم مبعوثوهم ذلك وأخبروا قومهم ، فزعوا فزعاً شديداً ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة . وحينما عرف النبيّ هذا منهم ، قال : مَا اسْتَعْصَى عَلَيّ أَهْلُ مَمْلَكَةٍ وَلَا أُمّةٍ إِلّا رَمَيْتُهُمْ بِسَهْمِ اللهِ عَزّ وَجَلّ . فقال نفر من الصحابة : من هو سهم الله ؟

قَالَ : عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ! مَا بَعَثْتُهُ فِي سَرِيّةٍ إِلّا رَأَيْتُ جَبْرَئِيلَ عَنْ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيلَ عَنْ يَسَارِهِ ، وَمَلَكاً أَمَامَهُ وَسَحَابَةً تُظِلّهُ حَتّى يُعْطِيَ اللهُ عَزّ وَجَلّ حَبِيبَهُ النّصْرَ وَالظّفَرَ . (47)

ومن هذا المنطلق قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن معه يوم الشورى : نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ هَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ : لَأَبْعَثَنّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً امْتَحَنَ اللهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ غَيْرِي ؟! قَالُوا : اللهُمّ لَا . (48)

وذكر الشيخ الطبرسيّ في «الاحتجاج» رواية مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى بهذا اللفظ نفسه . [49] أمّا في كتاب «الخصال» للشيخ الصدوق فقد روى فيه بإسناده عن عامر بن واثلة أنّه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى :

نَشَدْتُكُمْ بِاللهِ هلْ فِيكُمْ أَحَدٌ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «لَتَنْتَهِيَنّ بَنُو وَلِيعَةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي وَمَعْصِيَتُهُ كَمَعْصِيَتِي يَغْشَاهُمْ بِالسّيْفِ» غَيْرِي ؟! قَالُوا : اللَهُمّ لَا ! [50]

روى الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنده المتّصل عن أبي ذرّ الغفاريّ أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لوفد أهل الطائف عندما دخلوا عليه : يَا أَهْلَ الطّائِفِ ! لَتُقِيمُنّ الصّلَاةَ وَلَتُؤْتُنّ الزّكَاةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ عَلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِي يُحِبّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ يَقْصَعُكُمْ بِالسّيْفِ !

فَتَطَاوَلَ لَهَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَأَشَالَهَا ، ثُمّ قَالَ : هُوَ هَذَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : مَا رَأَيْنَا كَاليَوْمِ فِي الفَضْلِ قَطّ . [51]

قال المجلسيّ رضي الله عنه في بيانه في توضيح معنى القَصْع : شِدّةُ المَضْغِ ؛ وَقَصَعَ الغُلَامَ . كَمَنَعَ . ضَرَبَ بِبَسْطِ كَفّهِ عَلَى رَأْسِهِ . [52] كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام يحطّمكم ويطحنكم أو يقذفكم بسيفه البتّار ويمطر رؤوسكم بحرابه وأسنّته .

وروى المجلسيّ عن السيّد ابن طاووس في «الطرائف» عن أحمد بن حنبل ، عن عبد الله بن خطيب [53] أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لوفد ثقيف عندما دخلوا عليه :

لَتُسْلِمُنّ أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً مِنّي . أَوْ قَالَ : مِثْلَ نَفْسِي . فَلَيَضْرِبَنّ أَعْنَاقَكُمْ وَلَيَسْبِيَنّ ذَرَارِيَكُمْ وَلَيَأْخُذَنّ أَمْوَالَكُمْ !

قَالَ عُمَرُ : فَوَاللهِ مَا اشْتَهَيْتُ الإِمَارَةَ إِلّا يَوْمَئِذٍ ، فَجَعَلْتُ أَنْصِبُ صَدْرِي لَهُ رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ هَذَا لِي . فَالْتَفَتَ إِلَى عَلِيّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ثُمّ قَالَ : هُوَ هَذَا ! هُوَ هَذَا ! مَرّتَيْنِ . [54]

ورواه السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» عن أحمد بن حنبل ، [55] وعن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد . [56]

قال ابن أبي الحديد في شرحه : رواه أحمد بن حنبل في «المسند» ، ورواه في كتابه الآخر «فضائل عليّ عليه السلام» أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال :

لَتَنْتَهُنّ يَا بَنِي وَلِيعَةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِي ، يُمْضِي فِيكُمْ أَمْرِي ، يَقْتُلُ المُقَاتِلَةَ وَيَسْبِي الذّرّيّةَ !

قَالَ أَبُو ذَرّ : فَمَا رَاعَنِي إِلّا بَرْدُ كَفّ عُمَرَ فِي حَجْرِي مِنْ خَلْفِي يَقُولُ : مَنْ تَرَاهُ ؟! فَقُلْتُ : إِنّهُ لَايَعْنِيكَ ! وَإِنّمَا يَعْنِي خَاصِفَ النّعْلِ بِالبَيْتِ وَإِنّهُ قَالَ : هُوَ هَذَا . [57]

وقال ابن أبي الحديد : روي في الخبر المشهور عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال لبني وليعة : لَتَنْتَهُنّ يَا بَنِي وَلِيعَةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً عَدِيلَ نَفْسِي ، يَقْتُلُ مُقَاتِلَتَكُمْ [58] وَيَسْبِي ذَرَارِيَكُمْ .

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ : فَمَا تَمَنّيْتُ الإِمَارَةَ إِلّا يَوْمَئِذٍ وَجَعَلْتُ أَنْصِبُ لَهُ صَدْرِي رَجَاءَ أَنْ يَقُولَ : هُوَ هَذَا . فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ . [59]

وروى مضمونه موفّق بن أحمد الخوارزميّ صدر الأئمّة عند العامّة ، عن فخر خوارزم أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشريّ بسنده المتّصل عن عبد الله بن حنطب ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . [60]

وروى ابن شهرآشوب عن عبد الله بن شَدّاد أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال للوفد الذي دخل عليه : لَتُقِيمُنّ الصّلَاةَ وَتُؤْتُنّ الزّكَاةَ أَوْ لَأَبْعَثَنّ عَلَيْكُمْ رَجُلاً كَنَفْسِي . وبهذا اللفظ أبان رسول الله صلّى الله عليه وآله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، وأنّه وليّ الأُمّة من بعده . (61)

من الجدير ذكره أنّنا جعلنا كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطابه لوفد ثقيف القادمين من الطائف في عداد أدلّة التمسّك بالثقلين بسبب الروايتين الأُولَيين اللتين نقلناهما عن القندوزيّ والسخاويّ ، إذ قال صلّى الله عليه وآله فيهما : أُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْراً وَإنّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ .

* * *

وخطب الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في عرفات ومنى يوم حجّة الوداع ، وأوصى بالتمسّك بالثقلين .

المورد الثالث : من موارد توصيته صلّى الله عليه وآله بالتمسّك بالثقلين كان في عرفات يوم عرفة من السنة العاشرة للهجرة عندما نُصبت خيمته في نَمِرَة ، (62) فأمر بناقته القصواء (63) عند زوال الشمس فركبها حتّى بلغ وسط وادي عرفات وخطب في الناس :

وهذه الخطبة مفصّلة نوعاً ما ، وهي تحتوي على تعاليم ومطالب جديدة ذكرها أعلام وأعيان علماء الخاصّة والعامّة في كتبهم . ونحن أوردناها في دورتنا هذه : «معرفة الإمام» . (64)

قال أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العبّاسيّ المعروف باليعقوبيّ : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَا أَيّهَا النّاسُ ! لَعَلّكُمْ لَا تَلْقَوْنَنِي عَلَى مِثْلِ هَذِهِ ، وَعَلَيْكُمْ هَذَا .

وواصل خطبته حتّى بلغ قوله : لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً مُضِلّينَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، إنّي قَدْ خَلّفْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! أَلَا هَلْ بَلّغْتُ ؟! قَالُوا : نَعَمْ ! قَالَ : اللَهُمّ اشْهَدْ ، ثُمّ قَالَ : إنّكُمْ مَسؤُولُونَ فَلْيُبَلّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ . (65)

وروى القندوزيّ عن الترمذيّ في باب مناقب أهل البيت بسنده المتّصل عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ [أنّه] قال : رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! قال القندوزيّ : قال الترمذيّ : وفي الباب عن أبي ذرّ ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وحُذيفة بن أُسَيْد . (66)

وروى القندوزيّ وصيّة رسول الله بالتمسّك بالثقلين في مرض موته وهو على المنبر ، بتخريج السيّد أبي الحسين يحيى بن حسن في كتابه «أخبار المدينة» عن محمّد بن عبد الرحمن بن خلّاد ، عن جابر بن عبد الله ، ثمّ قال : وعن جابر بن عبد الله قال : رأيت رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب فسمعته يقول : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أخرجه الترمذيّ وقال : حسن غريب . (67)

وأخرج الشيخ عبيد الله الحنفيّ متن هذا الحديث عينه عن الترمذيّ في جامعه ، عن جابر . (68) وأخرجه مبارك بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الجزريّ ، بتخريج الترمذيّ عن جابر ، في كتاب «جامع الأُصول» . (69) وأخرجه البغويّ أيضاً في «مصابيح السّنّة» عن جابر في يوم عرفة . (70)

وقال السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» : وأمّا حديث جابر فقد رواه الترمذيّ في جامعه عن طريق زيد بن حسن الأنماطيّ ، عن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : رأيتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم عرفة وهو على ناقة قصواء يخطب في الناس فسمعته يقول

: يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وقال الترمذيّ : هَذَا حَسَنٌ غَرِيبٌ . (71)

وذكر الزرنديّ الحنفيّ في كتاب «نظم درر السّمطين» متن هذا الحديث عينه عن جابر في حجّ رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم عرفة . (72) وأشار آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ إلى هذه الخطبة . (73)

وروى بعض مؤرّخي العامّة هذه الخطبة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم عرفة ، بَيدَ أنّهم حذفوا منها قوله : وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، واكتفوا منها بقوله : وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلّوا بَعْدِي إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ : كِتَابَ اللهِ . (74) وأورد بعضهم كابن هشام في سيرته لفظ : وَسُنّةَ نَبِيّهِ مكان لفظ : وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وقالوا : كِتَابَ اللهِ وَسُنّةَ نَبِيّهِ . (75) ومن الجلاء بمكان أنّ يد التحريف امتدّت إلى هذه الروايات نكايةً . وذلك لما يأتي :

أوّلاً : ورد في الروايات جميعها قوله : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وهذه الطائفة من الروايات بلغت من الكثرة ما يفوق حدّ الإحصاء . ويتّضح من الموازنة بين الروايات كلّها أنّ لفظ : كِتَابَ اللهِ وَسُنّتِي لفظ مستنكر كما يبدو للعيان . حتّى أنّنا نجد جلال الدين السيوطيّ قد أخرج الحديث في جامعه الصغير عن أحمد بن حنبل ، وعن الطبرانيّ في معجمه الكبير ، عن زيد بن ثابت باللفظ الآتي : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابَ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، (76) ولم يذكر لفظاً آخراً غيره .

ثانياً : لم يرد في الصحاح الستّة للعامّة لفظ : كِتَابَ اللهِ وَسُنّتِي . وانفرد مالك بن أنس بذكره في «الموطّأ» مرسلاً بلا سند متّصل . وأخذ عنه ذلك الطبريّ ، وابن هشام ، فنقلاه في كتابَيهما مرسلاً بغير سند أيضاً .

ثالثاً : أنّ لفظ سُنّتي ليس غلطاً أيضاً وإن لم يصدر عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في هذا المقام . ومعناه الصحيح العمل بالكلام النبويّ الذي جعل العترة الطاهرة عليهم السلام رصيد الكتاب ، وأرشد الأُمّة إلى أنّ طريق الوصول إلى الكتاب يقتصر على تلك الذوات المقدّسة العالمة العارفة بكتاب الله ، والمصونة من الخطأ والكذب في آنٍ واحد . وليس معناه أنّ الإنسان يأخذ السنّة النبويّة من حكّام الجور وأعوانهم الذين امتلأت الكتب والطوامير بذكر مخالفتهم لرسول الله وتمرّدهم على أوامره . وسوّدوا وجه التأريخ بكثرة الإشكالات الفظيعة التي سُجّلت عليهم في مجال العلم بكتاب الله ، وصدق الكلام .

* * *

المورد الرابع : خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في التمسّك بالثقلين في مسجد الخيف يوم عيد الأضحى :

من الجدير ذكره أنّ أعلام وأساطين علماء الشيعة رضوان الله عليهم أوردوا ثلاث خطب مختلفة المضمون عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في التمسّك بالثقلين ، وذلك في حجّة الوداع بأرض مِنى .

الأُولى : عن الشيخ الأجلّ الأعظم ابن أبي زينب محمّد بن إبراهيم النعمانيّ ، أحد أعلام القرن الرابع ، ذكرها في كتابه النفيس «الغيبة» . قال : أخبرنا محمّد بن هَمّام بن سُهيل قال : حدّثنا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الحسينيّ قال : حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحميريّ قال : حدّثنا محمّد بن [ي] زيد بن عبد الرحمن التيميّ ، عن الحسن بن الحسين الأنصاريّ ، عن محمّد بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه أنّه قال : قال [الإمام] عليّ بن الحسين عليهما السلام :

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم جالساً ومعه أصحابه في المسجد ، فقال :

يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا البَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنّةِ يَسْأَلُ عَمّا يَعْنِيهِ .

فطلع رجل طوال يُشبّه برجال مُضَر ، فتقدّم ، فسلّم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وجلس ، فقال : يا رسول الله إنّي سمعت الله عزّ وجلّ يقول فيما أنزل : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا . (77) فما هذا الحبل الذي أمرنا الله بالاعتصام به وألّا نتفرّق عنه ؟!

فأطرق رسول الله صلّى الله عليه وآله مليّاً ، ثمّ رفع رأسه ، وأشار بِيَدِهِ إلى عَليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال : هَذَا حَبْلُ اللهِ الّذِي مَنْ تَمَسّكَ بِهِ عُصِمَ بِهِ فِي دُنْيَاهُ وَلَمْ يَضِلّ بِهِ فِي آخِرَتِهِ .

فوثب الرجل إلى عليّ عليه السلام فاحتضنه من وراء ظهره وهو يقول : اعْتَصَمْتُ بِحَبْلِ اللهِ وَحَبْلِ رَسُولِهِ . ثمّ قام فولّى وخرج . فقام رجل من الناس فقال : يا رسول الله ! ألحقه فأسأله أن يستغفر لي ؟! فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذاً تَجِدُهُ مُوَفّقاً . (78) فلحقه الرجل ، فسأله أن يستغفر الله له ، فقال له : أفهمتَ ما قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله وما قلتُ له ؟ قال : نعم . قال : فإن كنتَ متمسّكاً بذلك الحبل يغفر الله لك ، وإلّا فلا يغفر الله لك !

ولو لم يدلّنا رسول الله صلّى الله عليه وآله على حبل الله الذي أمرنا الله عزّ وجلّ في كتابه بالاعتصام به ، وألّا نتفرّق عنه ، لاتّسع للأعداء المعاندين التأوّل فيه والعدول بتأويله وصرفه إلى غير مَن عنى الله به ، ودلّ عليه رسوله عليه السلام عناداً وحسداً ، لكنّه قال صلّى الله عليه وآله في خطبته المشهورة التي خطبها في مسجد الخيف في حجّة الوداع :

إنّي فَرَطُكُمْ وَإِنّكُمْ وَارِدُونَ عَلَيّ الحَوْضَ ، حَوْضاً عَرْضُهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى إلى صَنْعَاءَ ، فِيهِ قِدْحَانٌ عَدَدَ نُجُومِ السّمَاءِ . أَلَا وَإِنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ القُرْآنُ ، وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . هُمَا حَبْلُ اللهِ مَمْدُودٌ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللهَ عَزّ وَجَلّ ، مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا ، سَبَبٌ مِنْهُ بِيَدِ اللهِ ، وَسَبَبٌ [مِنْهُ] بِأَيْدِيكُمْ . (79)

إنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ قَدْ نَبّأَنِي أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ كَإِصْبَعَيّ هَاتَيْنِ . وَجَمَعَ بَيْنَ سَبّابَتَيْهِ . وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ . وَجَمَعَ بَيْنَ سَبّابَتِهِ وَالوُسْطَى . فَتَفْضُلَ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ .

يقول النعمانيّ بعد بيان هذا الحديث : أرويه بثلاثة أسناد أُخرى : الأوّل : عن عبد الواحد بن عبد الله متّصلاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام . الثاني : عن عبد الواحد بن عبد الله متّصلاً إلى الصادق عليه السلام . الثالث : عن عبد الواحد بن عبد الله متّصلاً إلى الباقر عليه السلام . (80)

الثانية : عن الشيخ الأكبر الأعظم سعد بن عبد الله القمّيّ في كتاب «بصائر الدرجات» قال : حدثنا القاسم بن محمّد الإصفهانيّ عن سليمان بن داود المنقريّ المعروف بالشاذ كونيّ عن يحيى بن آدم ، عن شريك بن عبد الله ، عن جابر بن يزيد الجُعفيّ ، عن أبي جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام ، قال : دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس بمِنى ، فقال : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ حُرُمَاتٍ ثَلَاثٍ : كِتَابَ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَعِتْرَتِي وَالكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ .

ثُمّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السّلَامُ : أَمّا كِتَابُ اللهِ فَحَرّفُوا ، وَأَمّا الكَعْبَةَ فَهَدَمُوا ، وَأَمّا العِتْرَةَ فَقَتَلُوا ، وَكُلّ وَدَايِعَ نَبَذُوا مِنْهَا فَقَدْ نَبَذُوا . (81)

وروى الشيخ الأقدم أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فَرّوخ الصّفّار في «بصائر الدرجات» متن هذه الرواية نفسها عن عليّ بن محمّد ، عن القاسم ابن محمّد ، عن سليمان بن داود ، عن يحيى بن أديم ، عن شريك ، عن جابر ، عن الإمام الباقر عليه السلام . (82)

الثالثة : عن الشيخ الجليل أبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ في كتاب «الاحتجاج» قال : حدّثنا محمّد بن موسى الهمدانيّ ، قال : حدّثنا محمّد بن خالد الطّيَالِسيّ ، قال : حدّثنا سيف بن عميرة وصالح ابن عَقَبَة جميعاً عن قيس بن سمعان ، عن علقمة بن محمّد الحضرَميّ ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام ، وذكر خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله بمسجد الخيف قال : مَعَاشِرَ النّاسِ ! إنّ عَلِيّاً وَالطّيّبينَ مِنْ وُلْدِي هُمُ الثّقَلُ الأَصْغَرُ ، وَالقُرْآنَ هُوَ الثّقَلُ الأَكْبَرُ ، فَكُلّ وَاحِدٍ مُنْبِىءٌ عَنْ صَاحِبِهِ وَمُوَافِقٌ لَهُ ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، أُمَنَاءُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَحُكّامُهُ فِي أَرْضِهِ .

أَلَا وَقَدْ أَدّيْتُ ، أَلَا وَقَدْ بَلّغْتُ ، أَلَا وَقَدْ أَسْمَعْتُ ، أَلَا وَقَدْ أَوْضَحْتُ ، أَلَا وَإنّ اللهَ عَزّ وَجَلّ قَالَ : وَإنّمَا قُلْتُ عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، أَلَا إنّهُ لَيْسَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ غَيْرَ أَخِي هَذَا ، وَلَا تَحِلّ إمْرَةُ المُؤْمِنِينَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ . (83)

من الجدير ذكره أنّ العلماء أوردوا ثلاث خطب للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بمِنى : خطب الأُولى في مسجد الخيف يوم عيد الأضحى ، وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة .

وخطب الثانية يوم القَرّ ، وهو اليوم الحادي عشر . (84) وخطب الثالثة في يوم النّفْر الأوّل ، وهو اليوم الثاني عشر ، خطبها في العَقَبة وهي آخر نقطة بمِنى . ولمّا كانت هذه المطالب التي ذكرناها في خطبة رسول الله بمِنى متباينةَ تماماً في اللفظ والمضمون ، لذا يتسنّى لنا أن نعدّها ثلاث خطب متنوّعة ، ونطابقها مع ما أورده العلماء . ويمكن أن نقول إنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم خطب الأُولى يوم العيد ، والثانية يوم القرّ ، والثالثة يوم النفر ، وتحوم كلّها حول الوصيّة بالتمسّك بالثقلين وتأكيد ذلك .

وعليه ، فإنّ الموردين الخامس والسادس من موارد خطبة الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في التمسّك بالثقلين لا مِراء فيهما ولا غبار عليهما ، وما علينا إلّا أن ندخل في المورد السابع المتضمّن خطبته صلّى الله عليه وآله في وادي غدير خمّ بالجحفة .

وقبل أن نعرض هذه الخطبة ، نرى من الضروريّ أن نذكر أنّ مؤرّخي العامّة لم يألوا جهداً في اختصار خطبه صلّى الله عليه وآله بمِنى ، وفي حذف ألفاظها الدالّة على التمسّك بالثقلين . فنلحظ . مثلاً . أنّ أبا الفداء الدمشقيّ يورد في تاريخه خطبته صلّى الله عليه وآله يوم الحادي عشر من ذي الحجّة ، فيصل إلى قوله : أَلَا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ! أَلَا وَإنّ الشّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلّونَ وَلَكِنّهُ فِي التّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ . أَلَا هَلْ بَلّغْتُ ؟! أَلَا هَلْ بَلّغْتُ ؟! ثُمّ قَالَ : لِيُبَلّغِ الشّاهِدُ الغَائِبَ فَإنّهُ رُبّ مُبَلّغٍ أَسْعَدَ مِنْ سَامِعٍ (85) .

ويواصل بيان خطبته حتّى يبلغ قوله : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ فَاعْمَلُوا بِهِ . (86)

ومن الواضح أنّنا إذا قايسنا بين جميع الروايات الواردة في هذا المقام وبين الخطب التي ألقاها صلّى الله عليه وآله ، يتبيّن لنا أنّ لفظ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي كان موجوداً في هذه الخطبة ، وأنّهم أسقطوه عناداً وبغياً وحسداً .

* * *

المورد السابع : خطبة رسول الله صلّى الله عليه وآله في التمسّك بالثقلين في غدير خُمّ :

لقد ذكرنا بتوفيق الله المنّان عزّ اسمه في الجزء السادس من كتابنا هذا «معرفة الإمام» مفصّلاً سفر الرسول الأكرم إلى حجّة الوداع ، الذي كان توطئة لإرساء دعائم ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وخلافته . واستوعب البحث عن الحديث نفسه ، وعن خطبة الغدير ثلاثة أجزاء هي السابع ، والثامن ، والتاسع . ونكتفي فيما يأتي

بذكر حديث الثقلين الوارد في الخطبة المشار إليها موجزين غاية الإيجاز ، نقلاً عن بعض المصادر التأريخيّة المهمّة . (87)

ذكر أحمد بن أبي يعقوب الكاتب العبّاسيّ في تاريخه أنّه لمّا انصرف رسول الله من مكّة إلى المدينة ، صار إلى موضعٍ بالقرب من الجحفة يقال له : غدير خمّ لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة ، فقام خطيباً وأخذ بِيَدِ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال :

أَلَسْتُ أَوْلَى بِالمُؤْمِنينَ مِن أَنفُسِهِمْ ؟!

قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ !

قَالَ : فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ ، اللَهُمّ وَالِ مَن وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ .

ثُمّ قَالَ : أَيُهّا النّاسُ ! إنّي فَرَطُكُمْ وَأَنْتُمْ وَارِدِيّ عَلَى الحَوْضِ ، وَإنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَرِدُونَ عَلَيّ عَنِ الثّقَلَيْنِ ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟!

قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ وَلَا تَضِلّوا وَلَا تُبَدّلُوا ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (88)

وروى ابن المغازليّ خطبة الغدير المفصّلة بسنده المتّصل عن الوليد ابن صالح ، عن امرأة زيد بن أرقم ، (89) إلى أن بلغ كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي يقول فيه : أَلَا وَإنّي فَرَطُكُمْ وَإنّكُمْ تَبَعِي ، تُوشِكُونَ أَنْ تَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ ، فَأَسْأَلُكُمْ حِينَ تَلْقَوْنَنِي عَنْ ثَقَلِي كَيْفَ خَلَفْتُمُونّي فِيهِمَا ؟!

قَالَ : فَأُعِيلَ (90) عَلَيْنَا مَا نَدْرِي مَا الثّقَلَانِ حَتّى قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَقَالَ : بَأَبي أَنْتَ وَأُمّي أَنْتَ يَا نَبِيّ اللهِ ، مَا الثّقَلَانِ ؟!

قَالَ : الأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللهِ تَعَالَى : سَبَبٌ طَرَفٌ (91) بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَتَمَسّكُوا بِهِ وَلَا تَضِلّوا . وَالأَصْغَرُ مِنْهُمَا عِتْرَتِي ، مَنِ اسْتَقْبَلَ قِبْلَتِي وَأَجَابَ دَعْوَتِي ! فَلَا تَقْتُلُوهُمْ وَلَا تَقْهَرُوهُمْ وَلَا تُقْصِرُوا عَنْهُمْ ! فَإنّي قَدْ سَأَلْتُ لَهُمُ اللّطِيفَ الخَبِيرَ فَأَعْطَانِي ، نَاصِرُهُمَا لِي نَاصِرٌ ، وَخَاذِلُهُمَا لِي خَاذِلٌ ، وَوَلِيّهُمَا لِي وَلِيّ ، وَعَدُوّهُمَا لِي عَدُوّ . الخطبة . (92)

وروى ابن عساكر في«تاريخ دمشق» بسنده المتّصل عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أنّه قال : سمعتُ زيد بن أرقم يقول : نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله بين مكّة والمدينة عند سمرات خمس دوحات عظام ، فكنس الناس ما تحت السمرات . ثمّ راح رسول الله فصلّى ثمّ قام خطيباً فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول . ثمّ قال :

يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ . لَنْ تَضِلّوا إذَا اتّبَعْتُمُوهُمَا [ظ] . كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي عِتْرَتِي .

ثُمّ قَالَ : أَتَعْلَمُونَ أَنّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟! [قاله] ثَلَاثَ مَرّاتٍ . فَقَالَ النّاسُ ! نَعَمْ ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَإنّ عَلِيّاً مَوْلَاهُ . (93)

وذكر البلاذريّ في «أنساب الأشراف» في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ، بسنده المتّصل عن زيد بن أرقم قال : كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجّة الوداع . ولمّا نزلنا غدير خُم ، أمر بتنظيف ما تحت السمرات . ثمّ قام فقال :

كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ [و] إنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى كُلّ مُؤْمِنٍ ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمْ ما إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ! فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ وَلِيّهُ فَهَذَا وَلِيّهُ . اللَهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ! (94)

قال أبو الطفيل راوي الحديث : قلتُ لزيد بن أرقم : أنتَ سمعتَه من رسول الله ؟! فقال : ما كان في الدوحات أحد إلّا قد رآه بعينه وسمعه بأُذنه .

ورواه النسائيّ في خصائصه عن زيد بن أرقم . (95)

وأورد الملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» عن ابن جرير الطبريّ في «مسند زيد بن أرقم» عن أبي الطفيل قال : لمّا رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من حجّة الوداع فنزل غدير خُمّ ، أمر بدوحات فقممن ، ثمّ قام فقال :

كَأَنّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ إنّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الآخَرِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاءِ إلَى الأَرْضِ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ، فَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

ثُمّ قَالَ : إنّ اللهَ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ . ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ وَلِيّهُ فَعَلِيّ وَلِيّهُ . اللَهُمّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ !

فَقُلْتُ لِزَيْدٍ : أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؟! فَقَالَ : مَا كَانَ فِي الدّوحَاتِ أَحَدٌ إلّا قَدْ رَآهُ بِعَيْنِهِ وَسَمِعَهُ بِأُذُنِهِ (ابن جرير) . (96)

وروى أبو نُعَيْم الإصفهانيّ بسنده المتّصل عن عبد الله بن جعفر . فيما قُرئ عليه وأُذن لأبي نعيم في روايته . قال : أخبرنا أحمد بن يونس الطبّيّ ، قال : أخبرنا عمّار بن نصر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن اليَسَع المكّيّ ، قال : أخبرنا جعفر بن محمّد عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ أنّه قال : خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله بالجُحفة (97) ... فقال :

أَيّهَا النّاسُ ! أَلَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ! قَالَ : فَإنّي كَأَنّي لَكُمْ عَلَى الحَوْضِ فَرَطاً وَسَائِلُكُمْ عَنِ اثْنَتَيْنِ : عَنِ القُرْآنِ وَعَنْ عِتْرَتِي . الخطبة . (98)

وروى السخاويّ بتخريج ابن عُقدة عن هارون بن خارجة ، عن فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، عن أُمّ سلمة قالت : أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله بِيَدِ عليّ بغدير خُمّ فرفعها حتّى رأينا بياض إبطه ، فقال : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ (الحديث) . وقال أيضاً : يَأَيّهَا النّاسُ ! إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، وَلَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (99)

وروى القندوزيّ بتخريج البزّاز في مسنده عن أُمّ هاني أُخت أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حين رجع من حجّته ونزل غدير خُمّ ، قام خطيباً بالهاجرة فقال :

أَيّهَا النّاسُ ! إنّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا أَبَداً : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ . وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أَلَا إنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (100)

وأخرج أبو موسى المدايني في «سير الصحابة» حديث غدير خُمّ مفصّلاً عن حُذيفة بن أُسَيد ، إلى أن بلغ قوله :

أَلَا وَإِنّي سَائِلُكُمْ حِينَ تَنْزِلُونَ عَلَيّ عَنِ الثّقَلَيْنِ ! فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا حِينَ تَلْقَوْنّي ؟! قَالُوا : وَمَا الثّقَلَانِ يَا رَسُولَ اللهِ ؟!

قَالَ : الثّقَلُ الأَكْبَرُ كِتَابُ اللهِ . سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ ، فَاسْتَمْسِكُوا بِهِ ؛ وَلَا تَضِلّوا وَتُبَدّلُوا . وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . قَدْ نَبّأَنِي اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُمَا لَنْ يفْتَرِقَا حَتّى يَلْقَيَانّي وَسَأَلْتُ رَبّي لَهُمَا ذَلِكَ . (101)

وأخرجه الشيخ عبيد الله الحنفيّ الآمر تسرّيّ بهذا اللفظ عن حذيفة ابن أُسَيْد . (102)

وأورده شمس الدين السخاويّ بهذا اللفظ أيضاً عن حُذيفة بن أُسَيد ، وزيد بن أرقم ، عن الطبرانيّ في «المعجم الكبير» . وقال في آخره : ومن هذا الوجه ذكره ضياء في «المختارة» ، ورواه أبو نُعَيْم في حليته وغيره من حديث زيد بن حسن الأنماطيّ ، عن معروف بن خرّبوذ ، عن أبي الطّفَيل ، عن حذيفة . (103)

ورواه نور الدين السمهوديّ بهذا المتن عن حُذيفة بن أُسَيد ، وعامر ابن ليلى بن ضمرة بتخريج ابن عقدة في كتاب «الموالاة» عن طريق عبد الله بن سنان ، عن أبي الطفيل ، عن ذينك الرجلين . ورواه أيضاً عن طريق ابن عقدة ، أبو موسى المدايني في «سِيَر الصحابة» ، والحافظ أبو الفتوح العِجْليّ في كتابه : «الموجز من فضائل الخلفاء» . (104)

ورواه ابن عساكر الدمشقيّ بهذا المتن في سياق طرق حديث الغدير عن معروف بن خرّبوذ المكّيّ ، عن أبي الطّفيل ، عن حُذَيفة بن أُسَيد الغِفاريّ . (105)

وذكر السخاويّ حديث الثقلين في يوم غدير خمّ عن أبي سعيد الخُدريّ بلفظ آخر ، أيضاً ، وفيه أنّه كان في الصحابة السبعة عشر الذين ناشدهم أمير المؤمنين عليه السلام ليقوم من كان حاضراً منهم يوم الغدير ويشهد .

ورواه بتخريج ابن عقدة عن طريق محمّد بن كثير ، عن فِطر وأبي الجارود ، عن أبي الطفيل ، وفيما يأتي نصّ الحديث بشأن الثقلين :

ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ .

وذكره عن عليّ عليه السلام بهذا النحو : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . وعندما شهد أبو سعيد بهذه الشهادة مع السبعة عشر ، قال عليّ عليه السلام : صَدَقْتُمْ ، وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ . (106)

ورواه السخاويّ أيضاً بتخريج ابن عقدة في «الموالاة» من حديث إبراهيم محمّد الأسلميّ ، عن الحسين بن عبد الله بن ضميرة ، عن أبيه ، عن جدّه : ضميرة الأسلميّ في يوم غدير خُمّ من حجّة الوداع باللفظ الآتي : فَقَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَمّا بَعْدُ ، أَيّهَا النّاسُ ! فَإِنّي مَقْبُوضٌ أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجيبَ ، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ؟!

قَالُوا : نَشْهَدُ أَنّكَ قَدْ بَلّغْتَ وَنَصَحْتَ وَأَدّيْتَ !

قَالَ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . أَلَا وَإِنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا . (107)

وأشار العلّامة آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ إلى حديث الثقلين في يوم الغدير عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، وذلك في كتاب «المراجعات» . (108)

المورد الثامن : كلام رسول الله في التمسّك بالثقلين بعد صلاة الفجر :

روى الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنده المتّصل عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ . قال : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً صلاة الفجر ، ثمّ انفتل ، وأقبل علينا يحدّثنا . ثمّ قال : أيّها الناس ! من فقد الشمس ،

فليتمسّك بالقمر . ومن فقد القمر ، فليتمسّك بالفرقدين . قال [جابر] : فقمتُ أنا وأبو أيّوب الأنصاريّ ومعنا أنس بن مالك ، فقلنا : يا رسول الله ، مَن الشمس ؟ قال : أنا . فإذا هو صلّى الله عليه وآله قد ضرب لنا مثلاً ، فقال :

إنّ الله تعالى خلقنا فجعلنا بمنزلة نجوم السماء كلّما غاب نجم ، طلع نجم . فأنا الشمس . فإذا ذُهِبَ بي ، فتمسّكوا بالقمر ! قلنا : فمن القمر ؟!

قال : أخي ، ووصيّي ، ووزيري ، وقاضي دَيْني ، وأبو وَلَدَيّ ، وخليفتي في أهلي .

قلنا : فمن الفرقدان ؟ قال : الحسن ، والحسين . ثمّ سكت مليّاً ، فقال : هَؤُلَاء وَفَاطِمَةُ هِيَ الزّهْرَةُ عِتْرَتِي وَأَهْلُ بَيْتِي . هُم مَعَ القُرْآنِ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (109)

المورد التاسع : كلام رسول الله في التمسّك بالثقلين بعد صلاة الظهر :

روى القندوزيّ عن «مناقب» أحمد بن حَنبل ، عن أحمد بن عبد الله ابن سلام ، عن حُذَيفة بن اليمان أنّه قال : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله الظهر ، ثمّ أقبل بوجهه الكريم إلينا فقال :

مَعَاشِرَ أَصْحَابِي ! أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالعَمَلِ بِطَاعَتِهِ ، وَإِنّي أُدْعَى فَأُجِيبَ ، وَإِنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . فَتَعَلّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (110)

* * *

المورد العاشر : كلام رسول الله في التمسّك بالثقلين عند حضور الأنصار :

روى الشيخ الطبرسيّ عن أبي المفضّل محمّد بن عبد الله الشيبانيّ بإسناده الصحيح عن رجاله ، ثقة عن ثقة ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله خرج في مرضه الذي توفّي فيه إلى الصلاة متّكئاً على الفضل بن العبّاس وغلام له يقال له : ثوبان ؛ وهي الصلاة التي أراد التخلّف عنها لثقله ، ثمّ حمل على نفسه وخرج . فلمّا صلّى ، عاد إلى منزله فقال لغلامه : اجلس على الباب ولا تحجب أحداً من الأنصار ؛ وتجلّاه الغشي ، وجاءت الأنصار فأحدقوا بالباب . فقالوا : ائذن لنا على رسول الله !

فقال : هو مغشيّ عليه وعنده نساؤه ، فجعلوا يبكون . فسمع رسول الله صلّى الله عليه وآله البكاء ، فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : الأنصار .

فقال : من ها هنا من أهل بيتي ؟ قالوا : عليّ ، والعبّاس ، فدعاهما وخرج متوكّئاً عليهما ، فاستند إلى جذع من أساطين مسجده ، وكان الجذع جريد نخل ، فاجتمع الناس . وخطب وقال في كلامه :

مَعَاشِرَ النّاسِ ! إنّهُ لَمْ يَمُتْ نَبِيّ قَطّ إلّا خَلّفَ تَرَكَةً ، وَقَدْ خَلّفْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي . أَلَا فَمَنْ ضَيّعَهُمْ ضَيّعَهُ اللهُ . أَلَا وَإِنّ الأَنْصَارَ كِرْشِي وَعَيْبَتِي الّتِي آوِي إلَيْهَا ؛ وَإِنّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَالإِحْسَانِ إلَيْهِمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ . (111)

وروى الشيخ المفيد بسنده المتّصل عن عبد الله بن عبّاس أنّه قال : إنّ عليّ بن أبي طالب ، والعبّاس بن عبد المطّلب ، والفضل بن العبّاس دخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه الذي قُبض فيه ، فقالوا : يا رسول الله ! هذه الأنصار في المسجد تبكي رجالها ونساؤها عليك . فقال : وما يبكيهم ؟ قالوا : يخافون أن تموت ! فقال : أعطوني أيديكم ، فخرج في ملحفة وعصابة حتّى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

أَمّا بَعْدُ ، أَيّهَا النّاسُ ! فَمَا تُنْكِرُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيّكُمْ ؟! أَلَمْ أُنْعَ إِلَيْكُمْ وَتُنْعَ إِلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ؟ لَوْ خُلّدَ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمّ بُعِثَ إِلَيْهِ لَخُلّدْتُ فِيكُمْ .

أَلَا إِنّي لَاحِقٌ بِرَبّي وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ تَعَالَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ تَقْرَؤُونَهُ صَبَاحاً وَمَسَاءً . فَلَا تَنَافَسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا إِخْوَاناً كَمَا أَمَرَكُمْ اللهُ . وَقَدْ خَلّفْتُ فِيكُمْ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي وَأَنَا أُوصِيكُمْ بِهِمْ .

ثُمّ أُوصِيكُمْ بِهَذَا الحَيّ مِنَ الأَنْصَارِ . فَقَدْ عَرَفْتُمْ بَلَاهُمْ عِنْدَ اللهِ عَزّ وَجَلّ وَعِنْدَ رَسُولِهِ وَعِنْدَ المُؤْمِنِينَ ، أَلَمْ يُوَسّعُوا فِي الدّيَارِ ، وَيُشَاطِرُوا الثّمَارِ ، وَيُؤْثِرُوا وَبِهِمُ الخَصَاصَةُ ؟! فَمَنْ وَلِيَ مِنْكُمْ أَمْراً يَضُرّ فِيهِ أَحَداً أَوْ يَنْفَعُهُ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِ الأَنْصَارِ ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ . وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسِهِ حَتّى لَقِيَ اللهَ عَزّ وَجَلّ . (112)

وروى الشيخ المفيد أيضاً بسنده المتّصل عن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنس : يَا أَنَسُ ! ادْعُ لِي سَيّدَ العَرَبِ ! فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَلَسْتَ سَيّدَ العَرَبِ ؟! قَالَ : أَنَا سَيّدُ وُلْدِ آدَمَ وَعَلِيّ سَيّدُ العَرَبِ ! (113)

فَدَعَا عَلِيّاً ، فَلَمّا جَاءَ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ قَالَ : يَا أَنَسُ ! ادْعُ لِيَ الأَنْصَارَ . فَجَاؤُوا ، فَقَالَ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ! هَذَا عَلِيّ سَيّدُ العَرَبِ فَأَحِبّوهُ لِحُبّي وَأَكْرِمُوهُ لِكَرَامَتِي ، فَإِنّ جَبْرَئِيلَ عَلَيْهِ السّلَامُ أَخْبَرَنِي عَنِ اللهِ عَزّ وَجَلّ مَا أَقُولُ لَكُمْ . (114)

وروى الملّا عليّ المتّقي هذا اللفظ نفسه عن «مسند السيّد الحسن عليه السلام» بتخريج أبي نُعَيم في «حلية الأولياء» ، إلّا قوله : فلمّا جاء عليّ ، قال : يَا مَعْشَرَ الأَنصَارِ ! أَلَا أَدُلّكُمْ عَلَى مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ أَبَداً ؟! هَذَا عَلِيّ فَأَحِبّوهُ بِحُبّي ، وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي ، فَإِنّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي بِالّذِي قُلْتُ لَكُمْ عَنِ اللهِ عَزّ وَجَلّ . (115)

وذكره الشيخ عبد الرحمن الصفوريّ الشافعيّ باللفظ الآتي : أَلَا أَدُلّكُمْ عَلَى مَنْ إِذَا تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا بَعْدَهُ ؟! قَالُوا : بَلَى يَا نَبِيّ اللهِ ! قَالَ : هَذَا عَلِيّ فَأَحِبّوهُ بِحُبّي وَأَكْرِمُوهُ بِكَرَامَتِي . (116)

* * *

* * *

المورد الحادي عشر : كلام رسول الله على المنبر في آخر خطبة له :

روى القندوزيّ عن «مناقب أحمد بن حنبل» عن كتاب «سُلَيْم بن قَيْس» أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال : إنّ الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم عرفة على ناقته القصوى وفي مسجد الخيف ويوم الغدير ويوم قبض في خطبته على المنبر :

أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، لَنْ تَضِلّوا مَا تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا : الأَكْبَرُ مِنْهُمَا كِتَابُ اللهِ ، وَالأَصْغَرُ عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ عَهِدَ إِلَيّ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ كَهَاتَيْنِ . أَشَارَ بِالسّبّابَتَيْنِ . وَلَا أَنّ أَحَدَهُمَا أَقْدَمُ مِنَ الاخَرِ ! فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، وَلَا تُقَدّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهُمْ ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . (117)

وذكرها البحرانيّ في «غاية المرام» عن سُليم ، عن أمير المؤمنين عليه السلام بلفظ يماثل اللفظ المتقدّم . (118)

وروى الشيخ المفيد في أماليه بسنده المعروف والمتّصل عن معروف بن خَرّبوذ أنّه قال : سمعت أبا عبيد الله (119) مولى العبّاس يحدّث أبا جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام ، قال : سمعت أبا سعيد الخدريّ يقول : إنّ آخر خطبة خطبنا بها رسول الله صلّى الله عليه وآله لخطبة خطبنا في مرضه الذي توفّي فيه ، خرج متوكّئاً على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وميمونة مولاته ، فجلس على المنبر ، ثمّ قال :

يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ ، وَسَكَتَ . فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذَانِ الثّقَلَانِ ؟! فَغَضِبَ حَتّى احْمَرّ وَجْهُهُ ثُمّ سَكَنَ وَقَالَ : مَا ذَكَرْتُهُمَا إلّا وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ بِهِمَا وَلَكِنْ رَبَوْتُ فَلَمْ أَسْتَطِعْ ، سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ ، تَعْلَمُونَ فِيهِ كَذَا وَكَذَا ، أَلَا وَهُوَ القُرْآنُ ؛ وَالثّقَلُ الأَصْغَرُ أَهْلُ بَيْتِي .

ثُمّ قَالَ : وَأَيْمُ اللهِ إنّي لَأَقُولُ لَكُمْ هَذَا وَرِجَالٌ فِي أَصْلَابِ أَهْلِ الشّرْكِ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ كَثِيرٍ مِنْكُمْ ! ثُمّ قَالَ : وَاللهِ لَا يُحِبّهُمْ عَبْدٌ إلّا أَعْطَاهُ اللهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ حَتّى يَرِدَ عَلَيّ الحَوْضَ ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ عَبْدٌ إلّا احْتَجَبَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ .

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيهِ السّلَامُ : إنّ أَبَا عُبَيْدِ اللهِ يَأْتِينَا بِمَا يَعْرِفُ . (120) (وجاء في النسخة البدل : يأتينا بما نعرف) .

وروى البحرانيّ في «غاية المرام» هذا الحديث عينه سنداً ومتناً عن الشيخ المفيد . (121)

وروى سُليم بن قيس الهلاليّ في كتابه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر خطبة خطبها في الناس يوم قُبِض :

إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ ، لَنْ تَضِلّوا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، فَإِنّ اللّطِيفَ الخَبِيرَ عَهِدَ إِلَيّ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ المُسَبّحَتَيْنِ . وَلَا أَقُولُ كَهَاتَيْنِ إحْدَاهُمَا أَطْوَلُ مِنَ الأُخْرَى . وَأَشَارَ بِالمُسَبّحَةِ وَالوُسْطَى . فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَا تَضِلّوا ، وَلَا تُقَدّمُوهُمْ وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهُمْ فَتَمْرُقُوا ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإِنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . ويشبه معنى هذا اللفظ معنى تلك الروايات المارّ ذكرها .

ويقول سُليم هنا : قلت لأمير المؤمنين عليه السلام : أخبرني عن العترة الذين هم أهل البيت !

قَالَ : الّذِي نَصَبَهُ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِغَدِيرِ خُمّ ، فَأَخْبَرَهُمْ أَنّهُ أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمّ أَمَرَهُمْ أَنْ يُعْلِمَ الشّاهِدُ الغَائِبَ مِنْهُمْ . فَقُلْتُ : أَنْتَ هُوَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ !

قَالَ : أَنَا أَوّلُهُمْ وَأَفْضَلُهُمْ ، ثُمّ ابْنِيَ الحَسَنُ مِنْ بَعْدِي أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمّ ابْنِيَ الحُسَيْنُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، ثُمّ أَوْصِيَاءُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّى يَرِدُوا عَلَيْهِ حَوْضَهُ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ . (122)

ورواها العلّامة البحرانيّ في «غاية المرام» عن سُلَيم سنداً ومتناً . (123)

وأشار العلّامة آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ إلى هذه الخطبة على منبر مسجد المدينة . (124)

وأورد سيّد الفقهاء العظام عليّ بن طاووس تغمّده الله في رضوانه في طرائفه مرفوعاً إلى عيسى أنّه قال : سألتُ أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام . قال : قلتُ : ما تقول ؟ فإنّ الناس قد أكثروا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر أبا بكر أن يصلّي بالناس ثمّ عمر . فأطرق عنّي مليّاً ، ثمّ قال : ليس كما ذكروا ولكنّك يا عيسى كثير البحث في الأُمور ، وليس ترضى عنها إلّا بكشفها ! فقلتُ : بأبي أنتَ وأُمّي إنّما أسألك منها عمّا أنتفع به في ديني مخافة أن أضلّ وأنا لا أدري ، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي . فقال : إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا ثقل في مرضه دعا عليّاً فوضع رأسه في حجره وأُغمي عليه ، وحضرت الصلاة فأُذِن بها . فخرجت عائشة ، فقالت : يا عمر اخرج فصلّ بالناس !

فقال لها عمر : أبوكِ أولى بها . فقالت : صدقتَ ولكنّه رجل لين وأكره أن يواثبه القوم فصلّ أنت . فقال لها عمر : بلى يصلّي هو وأنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرّك متحرّك . قالت عائشة : ومع أنّ محمّداً مغميّ عليه لا أراه يفيق منها والرجل مشغول به لا يقدر يفارقه . تريد عليّاً . فبادر الصلاة قبل أن يفيق . فإنّه إن أفاق خفتُ أن يأمر عليّاً بالصلاة . وقد سمعت مناجاته منذ الليلة في آخر كلامه يقول : الصلاة الصلاة .

قال الإمام الكاظم عليه السلام : ثمّ خرج أبو بكر ليصلّي بالناس ، فأنكر القوم ذلك ، ثمّ ظنّوا أنّه بأمر رسول الله . فلم يكبّر حتّى أفاق صلّى الله عليه وآله . قال : ادعوا لي العبّاس . فحملاه هو وعليّ فأخرجاه حتّى صلّى بالناس وإنّه لقاعد . ثمّ حمل فوضع على منبره . فلم يجلس بعد ذلك على المنبر . واجتمع إليه جميع أهل المدينة من المهاجرين والأنصار حتّى برزت العواتق من خدورهنّ . فبين باك وصائح وفادح ومسترجع (قائل : إنّا لله وإنّا إليه راجعون) . والنبيّ يخطب ساعةً ، ويسكت ساعةً . وكان ممّا ذكر في خطبته أن قال :

يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَمَنْ حَضَرَنِي فِي يَوْمِي هَذَا وَسَاعَتِهِ هَذِهِ ! فَلْيُبَلّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ ! أَلَا قَدْ خَلّفْتُ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ ، فِيهِ النّورُ وَالهُدَى وَالبَيَانُ ، مَا فَرّطَ اللهُ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ، حُجّةَ اللهِ لِي عَلَيْكُمْ ، وَخَلّفْتُ فِيكُمُ العَلَمَ الأَكْبَرَ ، عَلَمَ الدّينِ وَنُورَ الهُدَى وَصِيّي عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . أَلَا هُوَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا وَلَا تَفَرّقُوا عَنْهُ ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَ لّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً .

يَا أَيّهَا النّاسُ ! هَذَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَنْزُ اللهِ اليَوْمَ وَمَا بَعْدَ اليَوْمِ . مَنْ أَحَبّهُ وَتَوَلّاهُ اليَوْمَ وَمَا بَعْدَ اليَوْمِ فَقَدْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ وَأَدّى مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ عَادَاهُ اليَوْمَ وَمَا بَعْدَ اليَوْمِ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى وَأَصَمّ ، لَا حُجّةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ .

أَيّهَا النّاسُ ! لَا تَأْتُوا غَداً بِالدّنْيَا تَزّفُونَهَا زَفّاً ، وَيَأْتِي أَهْلُ بَيْتِي مَقْهُورِينَ مَظْلُومِينَ تَسِيلُ دِمَاؤُهُمْ أَمَامَكُمْ وَسُعَاةِ الضّلَالَةِ وَالشّورَى لِلْجَهَالَةِ . أَلَا وَإِنّ هَذَا الأَمْرَ لَهُ أَصْحَابٌ وَآيَاتٌ ، وَسَمّاهُمُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَعَرّفْتُكُمْ وَأَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ !

لَا تَرْجِعُنّ بَعْدِي كُفّاراً مُرْتَدّينَ مُتَوَالِيْنَ الكِتَابَ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ ، وَتَدْعُونَ السّنّةَ بِالهَوَى ، لِأَنّ كُلّ سَنَةٍ وَحَدَثٍ وَكَلَامٍ خَالَفَ القُرْآنَ رَدّ وَبَاطِلٌ .

القُرآنُ إمَامُ هُدَىً ، لَهُ قَائِدٌ يَهْدِي إلَيْهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وَلِيّ الأَمْرِ بَعْدَ وَلِيّهِ ، وَوَارِثُ عِلْمِي وَحُكْمِي وَسِرّي وَعَلَانِيَتِي وَمَا وَرّثَهُ النّبِيّونَ مِنْ قَبْلِي ، وَأَنَا وَارِثٌ وَمُورِثٌ ؛ وَلَا تَكْذِبْكُمْ أَنْفُسُكُمْ ! (أي : لا تكذبوا على أنفسكم) .

أَيّهَا النّاسُ ! اللهَ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ! فَإنّهُمْ أَرْكَانُ الدّينِ ، وَمَصَابِيحُ الظّلَمِ ، وَمَعْدِنُ العِلْمِ . عَلِيّ أَخِي ، وَوَارِثِي ، وَوَزِيرِي ، وَأَمِينِي ، وَالقَائِمُ بَعْدِي ، وَالوَافِي بِعَهْدِي عَلَى سُنّتِي ، وَيَقْتُلُ عَلَى سُنّتِي ، وَأَوّلُ النّاسِ إيمَاناً ، وَآخِرُهُمْ عَهْداً بِي عِندَ المَوْتِ ، وَأَوْسَطُهُمْ لِي لِقَاءً يَوْمَ القِيَامَةِ ؛ وَلْيُبَلّغْ شَاهِدُكُمْ غَائِبَكُمْ ! أَلَا وَمَنْ أَمّ قَوْماً عُمْياً وَفِي الأُمّةِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ .

أَيّهَا النّاسُ ! مَنْ كَانَتْ لَهُ قِبَلِي تَبِعَاتٌ ، فَهَا أَنَا ذَا ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ عِنْدِي عِدَاةٌ فَلْيَأْتِ فِيهَا عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإنّهُ ضَامِنٌ لِذَلِكَ كُلّهِ حَتّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عَلَيّ تَبِعَةٌ . (125)

* * *

المورد الثاني عشر : كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجرته حول التمسّك بالثقلين في مرضه الذي قُبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه :

روى الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنده المتّصل عن محمّد بن عيسى القيسيّ أنّه قال : سمعت أبا ثابت مولى أبي ذرّ الغفاريّ يقول : سمعتُ أُمّ سلمة تقول : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه الذي قُبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه :

أَيّهَا النّاسُ ! أُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقَ بِي ، وَقَدْ قَدّمْتُ إلَيْكُمُ القَوْلَ مَعْذِرَةً إلَيْكُمْ . أَلَا إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ رَبّي عَزّ وَجَلّ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ فَرَفَعَهَا فَقَالَ : هَذَا عَلِيّ مَعَ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيّ ، خَلِيفَتَانِ تَصِيرَانِ لَا يَخْتَلِفَانِ لَا يَفْتَرِقَانِ حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ فَأَسْأَلُهُمَا مَاذَا خُلّفْتُ فِيهِمَا . (126)

وأخرج الشيخ عبيد الله الآمر تسرّيّ الحنفيّ هذا الحديث نفسه بسنده عن أُمّ سلمة بدون لفظ : تَصِيرَانِ لَا يَخْتَلِفَانِ . وذكر كلمة لَا يَتَفَرّقَان مكان لَا يَفْتَرِقَانِ ، واكتفى في ماذا ب ما . (127) وقال في آخره : أخرجه ابن عقدة والدارقطنيّ (128) في سننه . (129)

وذكر العلّامة نور الدين السمهوديّ متن هذا الحديث عينه في كتاب «جواهر العقدين» بلفظ الشيخ عبيد الله في «أرجح المطالب» بتخريج جعفر ابن محمّد الرزّاز . (130)

وروى هذا الحديث المبارك أيضاً على لسان الصّدّيقة الكبرى السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، كما ذكر القندوزيّ ذلك بتخريج ابن عقدة ، عن طريق عروة بن خارجة ، عنها سلام الله عليها ، قالت : سمعتُ أبي صلّى الله عليه وآله في مرضه الذي قُبض فيه يقول : . .. ثمّ ساق الحديث ، وفي آخره قوله : فَأَسْأَلُكُمْ مَا تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! (131)

وأشار العلّامة آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ رضوان الله عليه إلى هذا الموضع من كلام رسول الله الدائر حول حديث الثقلين . (132)

موارد الاستشهاد بحديث الثقلين

يحسن بنا بعد حديثنا عن الموارد التي نطق فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله بحديث الثقلين أن نتكلّم عن المواضع والموارد التي تمّ فيها الاستناد إلى الحديث والاستشهاد والاحتجاج به :

المورد الأوّل : احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في المسجد النبويّ أيّام حكومة عثمان

ذكر إبراهيم بن محمّد بن مؤيّد الحمّوئيّ في كتابه الثمين والنفيس «فرائد السمطين» مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه المفصّل والطويل جدّاً في المسجد النبويّ نقلاً عن «كتاب سُليم بن قَيس الهلاليّ» . والحقّ أنّه احتجاج وثائقيّ قويّ يشتمل على بدائع النكات وعجائب المقامات ، وعلوّ الدرجات والاختصاصات التي كان عليها أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين . وهو وسام شرف للشيعة الذين لهم مثل هذا الإمام ، ووصمة خذلان ونكسة للعامّة ، إذ كيف باعوا دينهم وشرفهم بثمن بخس مع وجود مصدر الفيض ، ومنهل العلاء والمقام المتمثّل بأمير المؤمنين عليه السلام ؟ وكيف حرموا أنفسهم من نمير العلم وكمالاته ودرجاته ، ومن بلوغ عزّ الكمال باتّباعهم أهل الوضاعة والخسّة ؟

احتجّ سيّدنا مولى الموالي أمير المؤمنين عليه السلام في كلامه الآتي أمام الناس المجتمعين في المسجد النبويّ ، وذكر فيه المهاجرين والأنصار . وواصل حديثه حتّى بلغ قوله :

أُنْشِدُكُمُ اللهَ ! أَتَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَامَ خَطِيباً لَمْ يَخْطُبْ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ : يَا أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، فَإنّ اللّطِيفَ [الخَبِيرَ] أَخْبَرَنِي وَعَهِدَ إلَيّ أَنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ .

فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الخَطّابِ شِبْهَ المُغْضِبِ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَكُلّ أَهْلِ بَيْتِكَ ؟! قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَوصِيَائِي مِنْهُمْ ، أَوّلُهُمْ أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، هُوَ أَوّلُهُمْ ، ثُمّ ابْنِيَ الحَسَنُ ، ثُمّ ابْنِيَ الحُسَيْنُ ، ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ . [هُمْ] شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَخُزّانُ عِلْمِهِ وَمَعَادِنُ حِكْمَتِهِ ، مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللهَ ؟! فَقَالُوا كُلّهُمْ : نَشْهَدُ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ ذَلِكَ . (133)

وأورد السيّد البحرانيّ هذه الفقرة في «غاية المرام» عن «كتاب سُليم ابن قَيس» . (134)

* * *

المورد الثاني : احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الثقلين في رحبة الكُوفة

ذكر الشيخ عُبَيد الله الآمرتسرّيّ الهنديّ بسنده عن أبي الطفيل أنّ عليّاً عليه السلام قام وحمد الله وأثنى عليه وقال : أُنشدُ الله مَن شهد يوم غدير خُمّ إلّا قام ، ولا يقوم رجل يقول : نُبّئتُ أو بلغني ، إلّا رجل سمعتْ أُذُناه ووعاه قلبه . فقام سبعة عشر رجلاً وشهدوا على مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه المفصّل بواقعة غدير خُمّ . وبيّنوا كلمات رسول الله صلّى الله عليه وآله التي قالها كلّها يومئذٍ ، ومنها قوله :

ثُمّ قَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّهُمَا لَنْ يَتَفَرّقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، نَبّأَنِي بِذَلِكَ اللّطِيفُ الخَبِيرُ .

ثُمّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ فَقَالَ : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيّ مَوْلَاهُ . فَقَالَ عَلِيّ : صَدَقْتُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ ! (135)

أخرجه أبو نُعَيم الإصفهانيّ في «حلية الأولياء» ، وأخرجه غيره أيضاً بناءً على ما نقله القندوزيّ ، عن أبي الطفيل ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . (136)

ورواه شمس الدين السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» بتخريج ابن عقدة عن طريق محمّد بن كثير ، عن فطر وأبي الجارود ، وهما عن أبي الطفيل ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . ومن هؤلاء السبعة عشر الذين شهدوا غدير خُمّ : خُزيمة بن ثابت ، وسهل بن سعد [الساعدي] ، وعَديّ بن حاتم ، وعَقَبَة بن عامر ، وأبو أيّوب الأنصاريّ ، وأبو سعيد الخُدريّ ، وأبو شُرَيح الخُزَاعيّ ، وأبو قُدامة الأنصاريّ ، وأبو ليلى ، وأبو الهيثم بن التّيّهان ، ورجال من قريش . (137)

قال نور الدين السمهوديّ في كتاب «جواهر العقدين» بعد ذكر ما يدعم هذا الحديث الشريف : وفي الباب عن زيادة على عشرين من الصحابة رضوان الله عليهم . وواصل كلامه حتّى قال : وروي عن أبي الطفيل . وعرض الحديث هنا تماماً ذاكراً قيام السبعة عشر وشهادتهم على هذا الموضوع . كما أورد في ذيله تصديق أمير المؤمنين عليه السلام . ونقل فيه كلّ ما جاء في الأحاديث السابقة حذو النعل بالنعل . (138)

* * *

المورد الثالث : احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى التي عيّنها عمر

روى أحمد بن حنبل في كتاب «المناقب» بناءً على ما نقله القندوزيّ عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّه قال : قال عليّ عليه السلام لطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعيد (139) بن أبي وقّاص :

هَلْ تَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ، وَإنّكُمْ لَنْ تَضِلّوا إنِ اتّبَعْتُمْ وَاسْتَمْسَكْتُمْ بِهِمَا؟! قَالُوا : نَعَمْ . (140)

وذكر الشيخ الطوسيّ هذه المناشدة نفسها في أماليه بناءً على ما نقله السيّد هاشم البحرانيّ بسنده المتّصل عن سالم بن أبي الجعد ، مرفوعاً عن أبي ذرّ الغفاريّ . (141)

روى الحافظ أبو المؤيّد موفّق بن أحمد الحنفيّ أخطب خوارزم (142) بسلسلة سنده المتّصل عن أبي الطّفيل عامر بن واثلة أنّه قال : كنتُ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيالدار يوم الشورى وسمعته يقول : لَأَحْتَجّنّ عَلَيْكُمْ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ عَرَبِيّكُمْ وَلَا عَجَمِيّكُمْ تَغْيِيرَ ذَلِكَ . (143)

ثمّ شرع في الاحتجاج والمناشدة بنحو مفصّل ، وذكر جميع مناقبه وفضائله ، وأولويّته في كافّة الأُمور ، حتّى بلغ قوله :

فَأُنْشِدُكُمْ بِاللهِ أَتَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، لَنْ تَضِلّوا مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ؟! قَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ !

وواصل الإمام احتجاجه . إلى أن قال أبو الطفيل :

كنتُ على الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم فسمعتُ عليّاً عليه السلام يقول :

بَايَعَ النّاسُ أَبَا بَكْرٍ وَأَنَا وَاللهِ أَوْلَى بِالأَمْرِ وَأَحَقّ بِهِ مِنْهُ فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النّاسُ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ بِالسّيْفِ . ثُمّ بَايَعَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ وَأَنَا وَاللهِ أَحَقّ بِالأَمْرِ مِنْهُ فَسَمِعْتُ وَأَطَعْتُ مَخَافَةَ أَنْ يَرْجِعَ النّاسُ كُفّاراً . ثُمّ أَنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُبَايِعُوا لِعُثْمَانَ إذاً لَا أَسْمَعُ وَلَا أُطِيعُ .

إنّ عُمَرَ جَعَلَنِي فَي خَمْسِ نَفَرٍ أَنَا سَادِسُهُمْ ، لِأَيْمُ اللهِ لَا يُعْرَفُ لِي فَضْلٌ فِي الصّلَاحِ وَلَا يَعْرِفُونَهُ لِي كَمَا نَحْنُ فِيهِ شَرْعٌ سِوَاءٌ . وَأَيْمُ اللهِ لَوْ أَشَاءُ أَتَكَلّمُ بِمَا لَا يَسْتَطِيعُ عَرَبُهُمْ وَلَا عَجَمُهُمْ وَلَا المُعَاهِدُ مِنْهُمْ وَلَا المُشْرِكُ أَنْ يَرُدّ خَصْلَةً مِنْهَا .

وواصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هنا أيضاً كلامه واحتجاجه القويّ ، والقوم كلّهم صدّقوه . (144)

وهذا الحديث في غاية الروعة ، بَيدَ أنّا اكتفينا منه بالفقرات المذكورة خشية الإطالة .

* * *

المورد الرابع : الاحتجاج مع طلحة

ومن احتجاجات الإمام عليه السلام احتجاجه مع طلحة كما ورد في «غاية المرام» ص 226 ، الحديث 29 ، عن الخاصّة ، عن سُليم بن قيس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، ضمن حديث طويل خاطب به طلحة ، وقال فيه : قال لي رسول الله صلّى الله عليه وآله : «أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ النّبُوّةِ» فَلَوْ كَانَ غَيْرُ النّبُوّةِ لَاسْتَثْنَاهَا رَسُولُ اللهِ . وَقَوْلُهُ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلّوا مَا تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، لَا تَقَدّمُوهُمْ ، وَلَا تَخَلّفُوا عَنْهُمْ ، وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . وجاءت هذه الفقرات من خطابه عليه السلام لطلحة في «كتاب سُلَيم» ص . 118

* * *

المورد الخامس : احتجاج أمير المُؤمنين عليه السلام في صفّين بحضور أبي هريرة وأبي الدرداء

وتوضيح ذلك : جاء في «كتاب سُلَيم بن قيس» أنّ معاوية حمّل أبا هريرة وأبا الدرداء رسالة إلى الإمام عليه السلام قبل واقعة صفّين . ولمّا بلّغاه ، تحدّث عليه السلام عن فضائله أمام عسكره من المهاجرين والأنصار . ونقل منها حديث الغدير عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فبلغ قوله : عَلِيّ أَخِي وَوَصِيّي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي . وَأَحَدَ عَشَرَ إماماً مِنْ وُلْدِهِ : الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ ، القُرآنُ مَعَهُمْ وَهُمْ مَعَ القُرآنِ ، لَا يُفارِقُونَهُ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ ، إلى آخره .

وقال صلّى الله عليه وآله أيضاً في ذيل ما يلي هذا الحديث : وَأَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِالوِلَايَةِ ، وَإنّي أُشْهِدُكُمْ أَيّهَا النّاسُ أَنّهَا خَاصّةٌ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِي وَوُلْدِ أَخِي وَوَصِيّي ، عَلِيّ أَوّلُهُمْ ثُمّ الحَسَنُ ثُمّ الحُسَيْنُ ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ ، لَا يُفَارِقُونَ الكِتَابَ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ .

وحدّث أيضاً في هذه الخطبة والاحتجاج عن رسول الله فقال : أُنْشِدُكُم اللهَ أَتَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَامَ خَطِيباً وَلَمْ يَخْطُبْ بَعْدَهَا وَقَالَ : إنّي تَرَكْتُ فِيكُمْ أَيّهَا النّاسُ أَمْرَيْنِ ، لَنْ تَضِلّوا مَا تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، فَإنّهُ قَدْ عَهِدَ إلَيّ اللّطِيفُ الخَبِيرُ أَنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ ؟! فَقَالُوا : اللّهُمّ نَعَمْ ، قَدْ شَهِدْنَا ذَلِكَ كُلّهُ ، فَقَالَ : حَسبِيَ اللهُ . (145)

* * *

المورد السادس : احتجاج الإمام المجتبى عليه السلام بعد بيعته بالخلافة

روى الشيخ المفيد في أماليه بسنده المتّصل عن هِشام بن حسّان أنّه قال : سمعتُ أبا محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام يخطب الناس بعد البيعة له بالأمر ، فقال : نَحْنُ حِزْبُ اللهِ الغَالِبُونَ ، وَعِتْرَةُ رَسُولِهِ الأَقْرَبُونَ ، وأَهْلُ بَيْتِهِ الطّيّبُونَ الطّاهِرُونَ ، وَأَحَدُ الثّقَلَيْنِ اللّذَيْنِ خَلّفَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أُمّتِهِ ، وَالتّالِي كِتَابَ اللهِ فِيهِ تَفْصِيلُ كُلّ شَيءٍ ، لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، فَالمُعَوّلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ ، لَا نَتَظَنّى تَأْوِيلَهُ بَلْ نَتَيَقّنُ حَقَائِقَهُ ، فَأَطِيعُونَا فَإنّ طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ ، إذْ كَانَتْ بِطَاعَةِ اللهِ عَزّ وَجَلّ مَقْرُونَةً .

قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلّ : «يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنكُمْ ، فإن تَنَزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللهِ وَالرّسُولِ» ، (146) «وَلَوْ رَدّوهُ إِلَى الرّسُولِ وَإِلَى أُولِى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ» . (147)

وَأُحَذِّرُكُمُ الإِصْغَاءَ لِهُتَافِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ ، فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ فَتَكُونُوا كَأَولِيَائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ : «لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ا لْفِئَتَانِ نَكصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ» . (148)

فَتُلْقَوْنَ إِلَى الرِّمَاحِ وَزَراً ، وَإِلَى السّيُوفِ جَزَراً ، وَلِلعُمُدِ حَطَماً ، وَلِلسِّهَامِ غَرَضاً ثُمّ «لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَنِهَا خَيْرًا» . (149)

أورده الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنده المتّصل عن هشام بن حسّان ، عن الإمام المجتبى عليه السلام ، ورواه السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» عن الشيخ المفيد في أماليه ، وعن الشيخ الطوسيّ في أماليه . (150)

ونقل القندوزيّ بسنده عن هشام بن حسّان أنّ أحمد بن حنبل ذكر هذا الاحتجاج في مناقبه عن الإمام المجتبى عليه السلام إلى قوله : وَاحْذَرُوا الإِصْغَاءَ لِهُتَافِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوّ مُبِينٌ . (151)

* * *

المورد السابع : احتجاج الإمام الحسن المجتب عليه السلام على منبر الكوفة أمام الناس بعد صلحه مع معاوية

قال سبط بن الجوزيّ شمس الدين أبو المظفّر في كتاب «تذكرة الخواصّ» : ثمّ سار معاوية فدخل الكوفة ، فأشار عليه عمرو بن العاص أن يأمر [الإمام] الحسن عليه السلام [فيصعد المنبر و] يخطب ليظهر عَيّه . فقال له : قم فاخطب ! فقام [الإمام] وخطب فقال : أيّهَا النّاسُ ! إنّ اللهَ هَدَاكُمْ بِأَوّلِنَا ، وَحَقَنَ دِمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ نَبِيّكُمْ أَذْهَبَ اللهُ عَنّا الرّجْسَ وَطَهّرَنَا تَطْهِيراً ، وَإِنّ لِهَذَا الأَمْرِ مُدّةً ، وَالدّنْيَا دُولٌ ، وَقَدْ قَالَ اللهُ لِنَبِيّهِ : «وَإِنْ أَدْرِى لَعَلّهُ فِتْنَةٌ لّكُمْ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ» (152) فَضَجّ النّاسُ بِالبُكَاءِ .

فالتفت معاوية إلى عمرو بن العاص وقال له : هذا رأيك . والتفت إلى [الإمام] الحسن وقال له : حَسْبُكَ يَا أَبَا مُحَمّدٍ .

وفي رواية أنّه قال : نَحْنُ حِزْبُ اللهِ المُفْلِحُونَ ، وَعِتْرَةُ رَسُولِهِ المُطَهّرُونَ ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطّيّبُونَ الطّاهِرُونَ وَأَحَدُ الثّقَلَيْنِ اللّذَيْنِ خَلّفَهُمَا رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيكُمْ ، فَطَاعَتُنَا مَقْرُونَةٌ بِطَاعَةِ اللهِ ، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللهِ وَالرّسُولِ . وَإِنّ مُعَاوِيَةَ دَعَانَا إِلَى أَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ عِزّ وَلَا نَصَفَةٌ ، فَإِنْ وَافَقْتُمْ رَدَدْنَا عَلَيْهِ وَخَاصَمْنَاهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِظُبَى السّيُوفِ ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ قَبِلْنَاهُ . فَنَادَاهُ النّاسُ مِنْ كُلّ جَانِبٍ : البَقِيّةَ البَقِيّةَ . (153)

* * *

المورد الثامن : احتجاج سيّد الشهداء عليه السلام بحديث الثقلين في مِنَى

ذكر سُليم بن قيس الهلاليّ في كتابه أنّ سيّد الشهداء عليه السلام حجّ قبل موت معاوية بسنة . (154) وتوضيح ذلك أنّه لمّا استشهد الإمام الحسن عليه السلام سنة 49 هـ بسمّ دسّه معاوية على يد جُعْدَة بنت الأشعث بن قيس زوجة الإمام ، (155) لم تزل الفتنة والبلاء يعظمان ويشتدّان ، فلم يبق وليّ الله إلّا خائفاً على دمه ، وإلّا طريداً ، وإلّا شريداً . ولم يبق عدوّ لله إلّا مظهراً حجّته ، غير مستتر ببدعته وضلالته . فلمّا كان قبل موت معاوية بسنة ، حجّ الحسين بن عليّ عليه السلام ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله بن جعفر معه .

فجمع الحسين عليه السلام بني هاشم ، رجالهم ، ونساءهم ، ومواليهم ، ومن الأنصار ممّن يعرفه الحسين عليه السلام ، وأهل بيته . ثمّ أرسل رسلاً لا تدعو أحداً ممّن حجّ العام من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله المعروفين بالصلاح والنسك إلّا اجمعهم لي فاجتمع إليه بمِنى أكثر من سبعمائة رجل وهم في سرادقه ،

عامّتهم من التابعين ، ونحو من مائتي رجل من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله . فقام فيهم خطيباً ، وبيّن سوابقه وسوابق أبيه وجرائم الطاغية معاوية مناشداً محتجّاً إلى أن بلغ قوله :

أَتَعْلَمُونَ أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ فِي آخِرِ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا : إنّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَأَهْلَ بَيْتِي ، فَتَمَسّكُوا بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ؟! قَالُوا : اللَهُمّ نَعَمْ !

وواصل الإمام هذه المناشدة ، وكلّهم يقولون : اللهُمّ نعم ، قد سمعنا ، وتفرّقوا على ذلك . (156)

* * *

المورد التاسع : شهادة ابن عبّاس على التمسّك بحديث الثّقلين

روى موفّق بن أحمد الخوارزميّ أخطب خوارزم بسنده عن مجاهد أنّه قال : قيل لابن عبّاس :

ما تقول في عليّ بن أبي طالب ؟!

فقال : ذَكَرْتَ وَاللهِ أَحَدَ الثّقَلَيْنِ ، سَبَقَ بِالشّهَادَتَيْنِ ، وَصَلّى القِبلَتَيْنِ ، وَهُوَ أَبُو السّبْطَيْنِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ ، وَرُدّتْ عَلَيْهِ الشّمْسُ مَرّتَيْنِ بَعْدَمَا غَابَتْ عَنِ القِبْلَتَيْنِ ، وَجَرّدَ السّيْفَ تَارَتَيْنِ ، وَهُوَ صَاحِبُ الكَرّتَيْنِ ، فَمَثَلُهُ فِي الأُمّةِ مَثَلُ ذِي القَرْنَيْنِ ، ذَاكَ مَوْلَايَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ . (157)

* * *

المورد العاشر : شهادة عمرو بن العاص على التمسّك بحديث الثقلين

ذكر موفّق بن أحمد الخوارزميّ الذي يسمّيه المخالفون : صدر الأئمّة حديث مكاتبة معاوية عمرو بن العاص في استدعاء عمرو بن العاص إلى المعونة على أمير المؤمنين عليه السلام ، وأورد جواب عمرو بن العاص الذي شرح فيه مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله وسوابقه ، وممّا جاء فيه ، قوله : وَأَكّدَ القَوْلَ عَلَيْكَ وَعَلَيّ وَعَلَى جَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، وَقَالَ : إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي . (158)

* * *

المورد الحادي عشر : شهادة الحسن البصريّ على لزوم التمسّك بحديث الثقلين

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» : روى الناقديّ ، قال : سُئِلَ الحَسَنُ البَصْرِيّ عَنْ عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ وَكَانَ يَظُنّ بِهِ الانْحِرَافَ عَنْهُ وَلَمْ يَكُنْ كَمَا ظُنّ فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِيمَنْ جَمَعَ الخِصَالَ الأَرْبَعَ : ايتِمَانُهُ عَلَى بَرَاءَةٍ ، وَمَا قَالَ لَهُ مِنْ غَزَاةِ تَبُوكَ ، فَلَو كَانَ غَيْرُ النّبُوّةِ لَاسْتَثْنَاهُ ، وَقَوْلُ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الثّقَلَانِ : كِتَابُ اللهِ وَعِتْرَتِي ؛ وَإِنّهُ لَمْ يُؤَمّرْ عَلَيْهِ أَمِيرٌ قَطّ وَقَدْ أُمّرَتِ الأُمَرَاءُ عَلَى غَيْرِهِ . (159)

أجل ، كان كلامنا في هذا البحث حتّى الآن يحوم حول جمع الموارد العديدة في صدور هذا الحديث المبارك ، والمواضع الكثيرة للاحتجاج والاستشهاد به . وما علينا في كلامنا الآتي إلّا البحث موجزاً في سنده ودلالته ومفاده ، وبعبارة أُخرى ، لابدّ لنا من حديثٍ حوله من منطلق البحث الكلامي .

البحث في سند حديث الثقلين ودلالته

استبان لنا من كيفيّة صدور الحديث ، وروايته على لسان جمع غفير من الصحابة والتابعين ، وتخريجه من قبل مائة وسبعة وثمانين عالماً من علماء العامّة ، وضبطه في صحاحهم وسننهم وسِيَرهم وتواريخهم وتفاسيرهم ، ونصّهم على توثيق وتصحيح كثير من طرقه أنّه من الأحاديث المستفيضة المتواترة الصحيحة السّنَد ، بل من

الأحاديث التي فاقت التواتر ، إذ ليس هناك أدنى شبهة وشكّ وتأمّل في صدوره عن خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله .

وورد هذا الحديث في «صحيح مسلم»، و«خصائص النسائيّ»، و«مسند أحمد بن حَنْبَل» ، و«صحيح الترمذيّ» . وانفرد البخاريّ في عدم ذكره في صحيحه ، (160) وذكره ابن الجوزيّ في كتابه «العلل المتناهية» . (161) أمّا كلام البخاريّ وبطلانه ، فقد ذكر العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ في كتابه النفيس الثمين «عبقات الأنوار» مائة وستّين وجهاً (162) فضح بها البخاريّ وأخزاه وحيّره حتّى أنّه لم يدع له حيلةً يلوذ بها .

يقول : فمن الجدير ذكره أنّ البخاريّ قال في تاريخه الصغير الذي أحتفظ منه بنسخة ولله الحمد : «قال أحمد في حديث عبد الملك عن عطيّة ، عن أبي سعيد ، قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ . أحاديث الكوفّيين هذه مناكير» .

لمّا كان هذا الكلام الغريب الذي صدر عن البخاريّ الجليل مدعاةً لإخجال أنصار هذا الإمام الكبير ، لأنّ الحقيقة واضحة كالشمس في رائعة النهار لمن له أدنى تتبّع في مصنّفات المحقّقين وهي أنّ الإمام أحمد روى حديث الثقلين بطرق عديدة ، وأسانيد سديدة ، وروايات متكثّرة ، وسياقات متوافرة . وضاعف تأييده وتشييده وتوكيده وتوطيده ؛ فكيف يقدح في هذا الحديث الشريف العياذ بالله مثل هذا الجهبذ الجليل والناقد العديم المثيل الذي ينظر إليه أهل السّنّة أنّه جُهَينة الأخبار وعيبة الأسرار وحافظ الأحاديث والآثار ونافي الكذب عن النبيّ المختار عليه وآله الأطهار آلاف السلام من الملك الغفّار ؟ فيقحم نفسه في زمرة الناصبين الجاحدين الهالكين ويدخل في مصافّ المنكرين المعاندين الضالّين !

وكيف لم يسمع هذا الكلام السديد ، في حين أنت علمتَ سابقاً بحمد الله تعالى أنّ الإمام أحمد ذكر طرقه العديدة خاصّة في مسنده الكريم الذي لا تكفي الطوامير الطويلة لتبيين جلالة رتبته وعظمة منزلته حسب ما أفاده الأعلام . ونقله عن زيد بن أرقم بطريقين ، وأخرجه عن زيد بن ثابت بسندين ، ورواه من حديث أبي سعيد الخُدريّ بأربعة وجوه .

فافتراء القدح في هذا الحديث الشريف وتجريحه على مثل هذا الثبت المؤيّد والمؤسّس المشيّد عجيب صدوره من أصحاب البخاريّ مع يقظتهم وفطنتهم وحزمهم ووعيهم ، بل جدّ عجيب . وأنّه ليبعث على الامتعاض بالنسبة إلى أتباعه وأشياعه الذين شمّروا عن ساعد الجدّ في إصلاح فاسده وترويج كاسده ، ورتق فتقه ، ورفو خرقه . (163)

وأمّا القول في بطلان كلام ابن الجوزيّ فقد ورد مفصّلاً ، وأورد شهادات علماء العامّة دليلاً على بطلان كلامه ، منها كلام السمهوديّ الذي قال : «ومن العجيب ذكر ابن الجوزيّ له في «العلل المتناهية» ، فإيّاك أن تغترّ به ، وكأنّه لم يستحضره حينئذٍ إلّا عن هذه الطرق الواهية . (164) وهو لم يبيّن بقيّة طرق الحديث ، إذ روي في «صحيح مسلم» وغيره عن زيد بن أرقم أنّه ... وأخرجه الحاكم في مستدركه من ثلاثة طرق ، وقال كلّ منهم : هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» . (165)

ومنه أنّه قال : ومن الصنائع الشنيعة والبدائع الفظيعة والغرائب البادية العوار والعجائب الواضحة الشّنار أنّ ابن الجوزيّ تعامى تعامياً صريحاً عن جميع الطرق والأسانيد الكثيرة المنيرة لهذا الحديث الشريف مع طول باعه وسعة اطّلاعه ، وغزارة علومه الدينيّة ، ومهارته في الفنون اليقينيّة ، وتقدّمه في علم الحديث والأثر ، وتفوّقه على الناقدين من أهل النظر ، إلى غير ذلك من المفاخر الباهرة والمآثر الزاهرة التي ثبّتها له أهل السنّة بمبالغة وإغراق ، وروى هذا الخبر المنيف بسند طريف ، وأدرجه في كتاب «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» من

وحي نصبه وعدوانه وغاية بغضه وشنآنه لأهل بيت سيّد الإنس والجانّ عليه وعليهم آلاف السلام من الملك المنّان علماً أنّ موضوع كتابه المذكور بيان الأحاديث الواهية المتزلزلة الكثيرة الزلل ، الجمّة العلل .

وأعلن عن مشاقّته ومخالفته بزعمه عدم صحّة الحديث ، وقدحه في رجال سنده ، بل رفع راية المنابذة والمعاندة للإسلام وأهله كما قال ذلك في كتابه ... . (166)

ومن الأشخاص الذين ضعّفهم ابن الجوزيّ : عطيّة العَوْفيّ الكوفيّ الذي روى الحديث عن أبي سعيد . وذنبه هو تشيّعه وولاؤه لأهل البيت ! يضاف إلى ذلك أنّ كثيراً من أعلام العامّة وثّقوه . (167)

يقول العلّامة مير حامد حسين : ورد هذا الحديث الشريف في «مسند إسحاق بن راهَويه» ، و«مسند أحمد» ، و«مسند عبد حميد» ، و«مسند الدارميّ» ، و«صحيح مسلم» ، و«صحيح الترمذيّ» ، و«فضائل القرآن» لابن أبي الدّنيا ، و«نوادر الأُصول» للحكيم الترمذيّ ، و«كتاب السّنّة» لابن أبي عاصم ، و«مسند البزّاز» ، وكتاب «الخصائص» للنسائيّ ، و«مسند أبي يَعلَى» ، و«الذّرّيّة الطاهرة» للدولابيّ ، و«صحيح ابن خُزَيمة» ، و«صحيح أبي عوانة» ، وكتاب «المصاحف» لابن الأنباريّ ، و«أمالي المَحاملي» ، وكتاب «الولاية» لابن عقدة ، وكتاب «الطالبيّين» للجُعابيّ ، والمعاجم الثلاثة للطبرانيّ ، (168) و«المستدرك» للحاكم ، و«شرف النبوّة» للخركوشيّ ، و«منقبة المطهّرين» ، و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم الإصفهانيّ ، وكتاب «طُرُق حديث الثقلين» لابن طاهر ، وغيرها من الكتب الأُخرى . ألم يكن في هذه الكتب غير الطريق الذي ذكره ابن الجوزيّ ؟!

نعم كان ، إلّا أنّه شاء أن يخدع ناظر كتابه بأنّ روايته منحصرة بهذا الطريق ، وبما أنّ رجاله ضعفاء بزعمه فالحديث إذاً لا يصحّ . هكذا شاء وَلَكِنّ اللهَ كَشَفَ سِرّهُ وَهَتَكَ سِتْرَهُ بِأَيْدِي أَهْلِ نِحْلَتِهِ وَإِنْ كَانُوا أَصْحَابَ الإِخمَالِ وَكَفَى اللهُ المؤمِنِينَ القِتَالَ . (169)

وأنا أُشبّه أُسلوب ابن الجوزيّ في بحثه حول مسألة الثقلين بالمثال الآتي : نفترض أنّ حريقاً شبّ في حيّ من أحياء المدينة ، وتصاعد دخانه حتّى يراه الإنسان من بعيد ، وتحرّكت سيّارات الإطفاء بصفّاراتها وفرقها نحو مكان الحريق ، وأعلن المذياع عنه ، وكتبت الصحف عن كيفيّة حدوثه ، وسبب نشوبه ، وطريقة إطفائه ، وتحدّث عنه ثقات يسكنون قريباً منه لا يُحْصَون ، فشرحوا مواصفاته كلّها من بدايته إلى نهايته ، وذكروا الخسائر الناجمة عنه ، بَيدَ أنّ أحد الناس يقول : لمّا كان أحد المخبرين فلاناً المجنون ، أو فلاناً السفيه ، أو فلاناً غير الموثّق ، فإنّ هذا الحريق لم يحدث قطّ ، وخبره مفترى من أساسه . وهكذا يحاول إنكاره بكلّ صلافة ووقاحة . فهل هذا الأُسلوب صحيح ؟! وهل هذا الإنكار عقلائيّ ؟!

أو نفترض أنّ القمر انشقّ في السماء فأصبح نصفين ، وأخبر عنه القرآن الكريم ، وتحدّث عنه أهالي المدينة في الأزقّة والشوارع والأحياء ، وتعجّب من وقوعه المسافرون الذين دخلوا المدينة وكانوا قد رأوه ليلاً ، فهل يتسنّى لأحد أن ينكره ولا يقرّ به لأنّ أحد المخبرين . مثلاً . يهوديّ ، وقوله ليس حجّة ؟! وهل يسعه أن يزعم أنّه ليس من القضايا المسلّمة الواقعة في التأريخ ؟

من الطبيعي أنّه لا يمكنه أن يزعم ذلك ، ولا يقرّ بالحادثة ، لأنّ قول اليهوديّ لا دور له هنا ، ونحن لا نذكره استناداً واستشهاداً فريداً على الحادثة المعهودة . ذلك أنّ القرائن كثيرة والأدلّة المتيقّنة الاعتبار جمّة إلى درجة أنّنا لا نرتاب في حُجّيّة الحادثة سواء أخبر عنها اليهوديّ أم لم يخبر . وبلغت خيانة ابن الجوزيّ عند أولي العلم والدراية حدّاً أنّه أثار الجميع فذمّوه وعابوه ، وكأنّ لسان حالهم يقول له : هَبْ أنّ عطيّة ضعيف

ومرفوض ، وأنّ أحاديث الكوفيّين مناكير ، فما عساك أن تفعل بالأحاديث الصحيحة السند المأثورة عن غير طريق عطيّة والكوفيّين ؟ وما تقول في الأحاديث التي صرّحوا بصحّتها على شرط الشيخين ؟! (170)

لقد أحسن العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ أعلى الله مقامه في ردّه كلام ابن الجوزيّ والبخاريّ ، إذ وفّى الموضوع حقّه . وقال فيما يخصّ البخاريّ : وجملة القول أنّ إعراض البخاريّ عن إخراج حديث الثقلين عامّة ، وبالسياق الذي نقله مُسلم خاصّة خيانة عظمى وخُبث كبير . اللهمّ إلّا إذا سوّغنا ذلك الإعراض بأنّ السياق المذكور لم يسلم من تحريف زيد بن أرقم . وكلامه المشتمل على بيان ابتلائه بكِبَر السنّ وقِدَم العهد ، والنسيان في أوّل الحديث دليل على ذلك ، لهذا تركه البخاريّ رعاية لمزيد الاحتياط وتَحَرّجاً مِنْ أَنْ يَرْوِي حَدِيثاً مُحَرّفاً ! بَيدَ أنّا لا نتوقّع من أهل السنّة المتعلّقين بأمثال زيد بن أرقم من الصحابة الكرام ، يبادرون إلى هذا التسويغ مقابلةً لأهل الحقّ ، إلّا إذا لم نجد لهذا التسويغ . مع تسليمنا به . وجهاً للإعراض عن الألفاظ والطرق التي أوردها الحاكم النيسابوريّ في كتاب «المستدرك» ، واستبانت صحّتها على شرط البخاريّ ومسلم غير كتمان الحقّ وغمط الصدق .

ومن هذا وأمثاله يمكن أن نعرف أنّ مسلماً المسكين ينطق أحياناً بطرفٍ من الحقّ ، ولا يعرض عن مثل هذه الأحاديث إعراضاً تامّاً كالبخاريّ . ولهذا السبب لا يبلغ كتابه كتابَ البخاريّ رُتبةً عند المتعصّبين من أهل السنّة ، (171) كما أنّ عناده دون عناد ابن الجوزيّ . (172)

وبعد أن بان لنا ثبوت هذا الحديث المبارك كالشمس في رائعة النهار ، ندخل الآن في متنه :

إنّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِي رَسُولُ رَبّي فَأُجِيبَ (أو ألفاظ تماثلها) : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ . حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السّمَاء إلى اَلأرض . وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . (أو بألفاظ تماثلها) .

ويستفاد من قوله : إنّي تارك فيكم أو إنّي مخلّف فيكم ، أو إنّي لاحقٌ بربّي ، وأُجيب رسول ربّي . وقد خلّفت فيكم ، أنّ القرآن والعترة بمنزلة نفسه المقدّسة من حيث الأهمّيّة . وعلى الأُمّة أن تنظر إليهما نظرة تكريم وتعظيم وتفخيم لا من منظار التشريف فحسب ، بل من منظار إشرافهما عليها أيضاً . كما أنّ عليها أن تعتبرهما ولِيّين واليَين مسيطرَين مهيمنَين عليها بمنزلة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، إذ كان وليّاً والياً مسيطراً مهيمناً . ويستفاد من قوله : فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا الذي مرّ في كثير من المصادر أنّ القرآن والعترة خليفتا رسول الله . ولسان حاله يقول : يا أُمّتي ! ها أنا راحل عنكم ، فانظروا كيف ترعون وجودي المستمرّ المتمثّل بالقرآن والعترة ، وكيف تحفظونني ، وتحفظون حقيقتي وأمري ونهيي وحقوقي وجميع شؤوني وآثاري في ذينك الشيئين ؟!

ومن هنا قال بصوت عالٍ : اللهَ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ! أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، مكرّراً ذلك ثلاث مرّات .

المعنى اللغويّ للثقلين

الثّقَلين . بفتح الثاء والقاف . : مثنّى ثَقَل . وهو الشيء النفيس الخطير المحفوظ المصون . كما جاء في «لسان العرب» ، و«تاج العروس» ، و«القاموس» ، وغيرها من كتب اللغة .

قال في «تاج العروس» مادّة ثقل : الثّقَلُ مُحَرّكَةً : مَتَاعُ المُسَافِرِ وَحَشَمُهُ ، (173) وَالجَمْعُ أَثْقَالٌ ، وَكُلّ شَيْءٍ خَطِيرٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ لَهُ قَدْرٌ وَوَزْنٌ ثَقَلٌ عِنْدَ العَرَبِ .

ثمّ قال الزبيديّ مؤلّف الكتاب : قيل لبيض النعام : ثَقَل ، لأنّ آخذه يفرح به وهو قوت . وكذلك في الحديث : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي جعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لهما . وقال ثعلب : سمّاهما ثَقَلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل . (174)

وجاء في «النهاية» لابن الأثير : وفي الحديث : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي . سَمّاهُمَا ثَقَلَيْنِ لَأنّ الأَخْذَ بِهِمَا ثَقِيلٌ . وَيُقَالُ لِكُلّ خَطِيرٍ [نَفيسٍ] ثَقَلٌ . فَسَمّاهُمَا ثَقَلَيْنِ إعْظَاماً لِقَدْرِهِمَا وَتَفْخِيماً لِشَأْنِهِمَا . (175)

وقال في «صحاح اللّغة» : وَالثِّقَلُ بِالتّحْرِيكِ : مَتَاعَ المُسَافِرِ وَحَشَمُهُ . (176) وقال في «المصباح المنير» : والثِّقَلُ : المَتَاعُ ، وَالجَمْعُ أَثْقَالٌ مِثْلُ سَبَبٍ وَأَسْبَابٍ . قَالَ الفَارَابِيّ : الثِّقَلُ : مَتَاعُ المُسَافِرِ وَحَشَمُهُ . (177)

وقال في «أقرب الموارد» : وَالثِّقَلُ وِزَانَ سَبَبٍ مَتَاعُ المُسَافِرِ وَحَشَمُهُ . يُقَالُ : لِلْمُسَافِرِ ثَقَلٌ كَثِيرٌ . وَكُلّ شَيءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ ، وَمِنْهُ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : القُرْآنَ وَعِتْرَتِي . جَ أَثْقَالٌ . وَأَصْلُ الثِّقَلِ مَا يَكُونُ مَعَ الإِنْسَانِ مِمّا يُثقِلُهُ . (178)

وقال في «الصواعق المحرقة» : (تنبيهٌ) : سمّى رسول الله صلّى الله عليه [وآله] القرآن وعترته ، وهي الأهل والنسل والرهط الأدنون : ثَقَلَين ، لأنّ الثّقل كلّ نفيس خطير مصون . وهذان كذلك ، إذ كلّ منهما معدن للعلوم اللدنيّة والأسرار والحكم العليّة ، والأحكام الشرعيّة ، ولذا حثّ صلّى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسّك بهم والتعلّم منهم وقال : الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي جَعَلَ فِينَا الحِكْمَةَ أَهْلَ البَيْتِ .

وقيل : سمّيا : ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما . ثمّ الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنّما العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله ، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض .

ويؤيّده الخبر السابق : وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . وتميّزوا بذلك عن بقيّة العلماء ، لأنّ الله أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . وشرّفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة . (179)

وقال فيه أيضاً بعد بيان عدد من الأحاديث النبويّة الداعية إلى التمسّك بالثقلين : كتاب الله والعترة : وفي رواية : آخِرُ مَا تَكَلّمَ بِهِ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أُخْلُفُونِي فِي أَهْلِي .

وسمّاهما (الكتاب وأهل البيت) ثقلين إعظاماً لقدرهما ، إذ يقال لكلّ خطير شريف ثقلاً ، أو لأنّ العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جدّاً . ومنه قول تعالى : إنّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا . (180)

أي : له وزن وقدر ، لأنّه لا يؤدّي إلّا بتكليف ما يثقل .

وسمّى الإنس والجنّ ثقلين (181) لاختصاصهما بكونهما يقطنان الأرض ، وبكونهما فضلاً بالتمييز على سائر الحيوان . وفي هذه الأحاديث سيّما قوله صلّى الله عليه وآله : انظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونّي فِيهِمَا ؟! وَأُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْراً ! وَأُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ! الحثّ الأكيد على مودّتهم ومزيد الإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة . وكيف وهم أشرف بيت وُجِد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً . (182)

قال ابن أبي الحديد : وإنّما سمّى النبيّ صلّى الله عليه وآله الكتاب والعترة الثقلين ، لأنّ الثقل في اللغة متاع المسافر وحشمه . فكان صلّى الله عليه وآله لمّا شارف الانتقال إلى جوار ربّه جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل . وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحَشَمه ، لأنّهما أخصّ الأشياء به . (183)

روى السيّد هاشم البحرانيّ حديث الثقلين عن محمّد بن عبّاس بسنده المتّصل عن هجام ابن عطيّه ، عن أبي سعيد الخدريّ ، وجاء فيه أنّ أبا سعيد قال في آخره : وَإنّمَا سَمّاهُمَا الثَّقَلَيْنِ لِعِظَمِ خَطَرِهِمَا وَجَلَالَةِ قَدْرِهِمَا . (184)

المعنى اللغويّ لأهل البيت والعترة

لمّا عرفنا معنى الثقلين ، علينا أن نعرف الآن معنى أهل البيت والعترة . ويتحقّق هذا البحث في مرحلتين : الأُولى : المعنى اللغوي لهما واستعمالهما في لسان العرب على سبيل الحقيقة أو المجاز . الثانية : المراد والمقصود منهما في الحديث الشريف خاصّة .

أمّا الأُولى ، فنقول : جاء في «تاج العروس» : الآل أهل الرجل وعياله ، وأيضاً أتباعه وأولياؤه . ومنه الحديث : سَلْمَانُ مِنّا آلَ البَيْتِ . قال الله عزّ وجلّ : كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ . (185) وقال ابن عرفة : يعني مَن آل إليه بدين أو مذهب أو نسب . ومنه قوله تعالى : أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدّ الْعَذَابِ . (186) وقول النبيّ صلّى الله عليه وآله : لَا تَحِلّ الصّدَقَةُ لِمُحَمّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمّدٍ .

قال الشافعيّ : دلّ هذا على أنّ النبيّ وآله هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، وعوّضوا منها الخمس . وهم صليبة بني هاشم وبني عبد المطّلب . وسئل النبيّ صلّى الله عليه وآله : مَن آلُكَ ؟! فقال : آلُ عَلِيّ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ عَبّاسٍ . وكان الإمام الحسن عليه السلام إذا صلّى على النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ، قال : اللَهُمّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ عَلَى آلِ أَحْمَدَ . يريد نفسه . ألا ترى أنّ المفروض من الصلاة ما كان عليه خاصّة لقوله تعالى : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا صَلّوا عَلَيْهِ وَسَلّمُوا تَسْلِيمًا . (187) وما كان الحسن عليه السلام ليُخِلّ بالفرض . (188)

وذكر صاحب «تاج العروس» أيضاً : أهل الرجل عشيرته وذوو قرباه ، ومنه قوله تعالى : فَابْعَثُوا حَكَمًا مّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مّنْ أَهْلِهَآ . (189) إن خفتم شقاقاً بين الرجل والمرأة ، فابعثوا ... إن يريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما ... . والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده . ومن المجاز : الأهل للرجل زوجته ، ويدخل فيه الأولاد . وبه فُسّر قوله تعالى : وَسَارَ بِأَهْلِهِ . (190) وقيل : أهل النبيّ الرجال الذين هم آله ، ويدخل فيه الأحفاد والذرّيّات ، ومنه قوله تعالى : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصّلَوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . (191) وقوله تعالى : إنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ، (192) وقوله تعالى : رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنّهُ حَمِيدٌ مّجِيدٌ . (193)

وأورد في «تاج العروس» أيضاً : العِترة نسل الرجل وأقرباؤه من ولد وغيره . وقيل : عترة الرجل رهطه وعشيرته الأدنون ، أي : الأقربون ممّن مضى وغبر . ومنه قول أبي بكر : نَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الّتِي خَرَجَ مِنْهَا ، وَبَيْضَتُهُ الّتِي تَفَقّأَتْ عَنْهُ ، وَإِنّمَا جِيبَتِ (194) العَرَبُ عَنّا كَمَا جِيبَتِ الرّحَى عَنْ قُطْبِهَا .

قال ابن الأثير : لأنّهم من قريش . والعامّة تظنّ أنّها ولد الرجل خاصّة ، وأنّ عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله ولد فاطمة عليها السلام . هذا قول ابن سِيدَة .

وقال أبو عُبيدة وغيره : عترة الرجل وأُسرته وفصيلته رهطه الأدنون .

وقال ابن الأثير : عترة الرجل أخصّ أقاربه .

وقال ابن الأعرابيّ : عترة الرجل ولده وذرّيّته وعقبه من صلبه . قال : فعترة النبيّ صلّى الله عليه وآله ولد فاطمة البتول عليها السلام .

وروي عن أبي سعيد قال : العترة ساق الشجرة . قال : وعترة النبيّ صلّى الله عليه وآله عبد المطّلب وولده .

وقيل : عترته أهل بيته الأقربون وهم أولاده ، وعليّ وأولاده .

وقيل : عترته الأقربون والأبعدون منهم .

وقيل : عترة الرجل أقرباؤه من ولد عمّه دنيا . ومنه حديث أبي بكر قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله حين شاور أصحابه في أُسارى بدر : عِتْرَتُكَ وَقَوْمُكَ . أراد بعترته العبّاس ومن كان فيهم من بني هاشم ، وبقومه قريشاً .

والمشهور المعروف أنّ عترته أهل بيته . وهم الذين حُرِمت عليهم الزكاة والصدقة المفروضة . وهم ذوو القربى الذين لهم الخمس المذكور في سورة الأنفال . (195)

وذكر ابن منظور الأندلسيّ في «لسان العرب» مثلَ الذي نقلناه عن الزبيديّ شرحاً وتفصيلاً . (196)

وهكذا حذا حذوهما سائر اللغويّين كالجوهريّ ، (197) والشرتونيّ ، (198) وابن الأثير (199) وغيرهم ، (200) فأوردوا ما تقدّم بإيجاز .

وليعلم أنّ ما حكاه أهل اللغة في كتبهم موارد استعمال الألفاظ سواء كانت حقيقيّة أم مجازيّة . ولا يتسنّى الحصول على المعاني الحقيقيّة من خلالها . وأنّ معنى العترة كما عُرف مِن فهم العامّة ، ونقله اللغويّون في هذه الكتب أهل البيت والأولاد والذرّيّة ، لا الأقارب مطلقاً ، وإن كانوا من أباعدهم . وكلام أبي بكر : نَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ على سبيل المجاز لا الحقيقة . ولمّا كان معلوماً هنا أنّ أبا بكر يتّصل بالنبيّ صلّى الله عليه وآله عن طريق قرابة بعيدة جدّاً جدّاً ، وهي قريش ، فإنّ هذه قرينة على الاستعمال المجازيّ ، وإلّا فلا يمكن حمل العترة على هؤلاء الرهط البعيدين أبداً عند فقدان القرينة .

قال ابن أبي الحديد في شرح كلام أمير المؤمنين عليه السلام : فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ؟! وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ ؟! وعترة رسول الله صلّى الله عليه وآله أهله ونسله . وليس بصحيح قول من قال : إنّه رهطه وإن بعدوا .

وإنّما قال أبو بكر يوم السقيفة أو بعده : نَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْضَتُهُ الّتِي فُقِأَتْ عَنْهُ . على طريق المجاز ، لأنّهم بالنسبة عترة له لا في الحقيقة . ألا ترى أنّ العدنانيّ يفاخر القحطانيّ فيقول له : أَنَا ابْنُ عَمّ رَسُولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله . ليس أنّه يعني أنّه ابن عمّه على الحقيقة ، لكنّه بالإضافة إلى القحطانيّ إلى ابن عمّه . وإنّما استعمل ذلك ونطق به مجازاً .

وإن قدّر مقدّر له على طريق حذف المضافات ، أي : ابن ابن عمّ أب أب إلى عدد كثير في البنين والآباء ، فلذلك أراد أبو بكر أنّهم عترة أجداده على طريق حذف المضاف .

وقد بيّن رسول الله صلّى الله عليه وآله مَن عترته لمّا قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، فقال : عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي .

وبيّن في مقام آخر مَن أهل بيته حين طرح عليهم كساءً وقال حين نزل : «إِنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ» : (201) اللَهُمّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبِ الرّجْسَ عَنْهُم .

فإن قلتَ : فمن هي العترة التي عناها أمير المؤمنين عليه السلام بهذا الكلام : وَفِيكُم عِتْرَةُ نَبِيّكُمْ .

قلتُ : نفسه وولداه . والأصل في الحقيقة نفسه ، لأنّ ولديه تابعان له . ونسبتهما إليه مع وجوده نسبة الكواكب المضيئة مع طلوع الشمس المشرقة . وقد نبّه النبيّ صلّى الله عليه وآله على ذلك بقوله : وَأَبُوكُمَا خَيْرٌ مِنْكُمَا . (202)

المقصود من أهل البيت والعترة

أمّا في المرحلة الثانية فعلينا أن نعرف ما هو مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله من أهل البيت والعترة في حديث الثقلين . إنّه صلّى الله عليه وآله أراد من قوله : عِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي : أمير المؤمنين ، وفاطمة الزهراء ، والحسنين عليهم السلام ، والتسعة من ولد الحسين عليه السلام واحداً بعد آخر ، وخاتمهم بقيّة الله أرواحنا فداه .

ودليلنا الأوّل على ذلك حديث الكساء ، إذ جمع النبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً ، وفاطمة والحسنين عليهم السلام تحت الكساء وقال : اللَهُمّ هَؤلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي ! ومجموعهم مع نفسه الشريفة خمسة . وهم أهل البيت . ويدخل معهم ولد الحسين عليه السلام حتّى إمام العصر والزمان بدلائل قطعيّة وقرائن شهوديّة . (203) وقد تحدّثنا عن هذه الحقيقة بصورة وافية في سياق البحث في آية التطهير . (204)

أمّا الدليل الثاني فالأحاديث التي رواها الشيعة والعامّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وفسّر فيها هذه الفقرة ذاكراً عليّ بن أبي طالب ، والصدّيقة الكبرى ، والحسنين ، ثمّ الأئمّة التسعة بأسمائهم وعلاماتهم أو بنحو مجمل حتّى المهديّ قائم آل محمّد عليهم السلام .

هذه الأحاديث التي وصلت عن طريق الفريقين بسند صحيح الصدور مقطوع فيه كثيرة ورائعة جدّاً . ونشير فيما يأتي إلى بعضها الوارد عن طريق العامّة . وهي تُقسم إلى ثلاثة أقسام : الأوّل : الأحاديث التي جاء فيها ذكر اثني عشر خليفة ، أو عدد نقباء بني إسرائيل . الثاني : الأحاديث التي عدّت الأئمّة عليهم السلام حتّى الإمام الثاني عشر . الثالث : الأحاديث التي ذكرت أسماءهم أو ألقابهم وخصائص كلّ واحد منهم .

أمّا من القسم الأوّل : فحديث البخاريّ إذ روى بسنده المتّصل عن جابر بن سمرة قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : يَكُونُ اثْنَا عَشَرَ أَمِيراً . فَقَالَ كَلِمَةً لَمْ أَسْمَعَهَا ، فَقَالَ أَبِي : إنّهُ قَالَ : كُلّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ (205) .

وروى مسلم القُشَيْريّ بسنده المتّصل عن الحَصِين ، عن جابر بن سمرة قال : كنت مع أبي عند النبيّ صلّى الله عليه وآله فسمعته يقول : إنّ هَذَا الأَمْرَ لَا يَنْقَضِي حَتّى يَمْضِي فِيهِمُ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفةً . قَالَ : ثُمّ تَكَلّمَ بِكَلَامٍ خَفِيَ عَلَيّ . فَقُلْتُ لِأَبِي : مَا قَالَ ؟! قَالَ : كُلّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ . (206)

وذكره الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ، (207) كما أورده بثلاثة أسناد أُخرى عن مسلم بلفظ يماثل هذا اللفظ . وكلّها عن مسلم القُشَيريّ . (208)

وأورده الحاكم في مستدركه بسندين : أحدهما عن عون بن جُحَيفة ، عن أبيه . والآخر عن الشّعبيّ ، عن جابر بلفظ يشبه هذا المضمون . (209)

ونقله القندوزيّ عن كتاب «جمع الفوائد» عن جابر بن سمرة مرفوعاً وقال : رواه الشيخان (البُخاريّ ومسلم) ، والترمذيّ ، وأبو داود بلفظه . (210)

أمّا القسم الثاني من الأحاديث التي تبيّن عددهم بلفظ أَوّلُهُمْ عَلَيّ ثُمّ الحَسَنُ ثُمّ الحُسَيْنُ ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ باختلاف المضامين والعبارات فهي كثيرة :

روى الشيخ الصدوق في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» عن الصادق جعفر بن محمّد ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ قال : سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي مُخَلّفٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ؛ مَنِ العِتْرَةُ ؟

قال : أَنَا وَالحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَالأئمّةُ التّسْعَةُ ؛ تاسِعُهُمْ مَهْدِيّهُمْ وَقَائِمُهُمْ ، لَا يُفَارِقُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يُفَارِقُهُمْ حَتّى يَرِدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ حَوْضَهُ . (211)

وروى الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» بسنده المتّصل عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ ، عن أبي الطفيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال النبيّ صلّى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام : اكتب ما أُملي عليك ! قال : يا نبِيّ الله ! وتخاف عَلَيّ النسيان ؟ فقال : لستُ أخاف عليك النسيان ، وقد دعوت الله عزّ وجلّ أن يحفظك ولا يُنسيك ! ولكن اكتب لشركائك ! قال : ومَن شركائي يا نبيّ الله ؟!

قال : الأئمّة من ولدك بهم يسقي أُمّتي الغيث ، وبهم يستجاب دعاؤهم ، وبهم يصرف الله عنهم البلاء ، وبهم تنزل الرحمة من السماء ، وَهَذَا أَوّلُهُمْ . وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الحَسَنِ ثُمّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السّلَامُ . ثُمّ قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الأئِمّةُ مِنْ وُلْدِهِ . (212)

وذكره الشيخ الصدوق في أماليه . (213)

وروى الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» بسنده المتّصل ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه ، عن ... عن مجاهد ، عن ابن عبّاس قال : قدم يهوديّ على رسول الله صلّى الله عليه وآله يقال له : نعثل . فقال له : يا محمّد ! إنّي أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أجبتني عنها ، أسلمتُ على يدك .

وسأله اليهوديّ عن ربّه ، وصفاته ، وعن وصيّه ، فأجابه النبيّ صلّى الله عليه وآله مفصّلاً ، وممّا قاله في وصيّه : نَعَمْ إنّ وَصِيّي وَالخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ . وَبَعْدَهُ سِبْطَايَ : الحَسَنُ ثُمّ الحُسَيْنُ . يَتْلُوهُ تِسْعَةٌ مِنْ صُلْبِ الحُسَيْنِ أَئمّةٌ أَبْرَارٌ .

وقال نعثل اليهوديّ : يَا مُحَمّدُ ! فسمّهم لي ! فقال رسول الله : نَعَمْ ، إذَا مَضَى الحُسَيْنُ فَابْنُهُ عَلِيّ ، فَإذَا مَضَى عَلِيّ فَابْنُهُ مُحَمّدٌ ، فَإذَا مَضَى مُحَمّدٌ فَابْنُهُ جَعْفَرٌ ، فَإذَا مَضَى جَعْفَرٌ فَابْنُهُ مُوسَى ، فَإذَا مَضَى مُوسَى فَابْنُهُ عَلِيّ ، فَإذَا مَضَى عَلِيّ فَابْنُهُ مُحَمّدٌ ، ثُمّ ابْنُهُ الحَسَنُ ، ثُمّ الحُجّةُ بْنُ الحَسَنِ . فَهَذِهِ اثْنَا عَشَرَ أئمّةً (214) عَدَدَ نُقَبَاءِ بَنِي إسرائيلَ .

ثمّ سأله عن مكانهم في الجنّة ، فأجابه النبيّ . وسأله عن غيبة الإمام القائم عليه السلام الطويلة ، فأجابه أيضاً وبيّن بعض التفاصيل في ظهوره . فأسلم اليهوديّ وأنشد أبياتاً رائعة جذّابة . (215)

ذكر هذا الحديث كلّه عليّ بن محمّد الخزّاز في كتاب نصوصه المسمّى : «كفاية الأثر» . (216)

وأورده البحرانيّ مفصّلاً في «غاية المرام» . (217) وهو في «كفاية الأثر» . (218) ورواه القندوزيّ مفصّلاً عن «فرائد السّمطين» . (219)

وروى الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام واحتجاجه المفصّل في المسجد النبويّ أيّام حكومة عثمان ، وذلك بسند عبد الحميد بن فخّار بن مَعْد بن فخّار الموسويّ متّصلاً حتّى يصل إلى سُلَيم بن قيس الهلاليّ عن أمير المؤمنين عليه السلام . ويعرض هذا الحديث مناقب الإمام وفضائله مفصّلاً . ولأهمّيّة النظر فيه ، ها نحن نذكر فيما يأتي عدداً من فقراته التي تنصّ على الأئمّة الأثني عشر :

الأُولى : تخصّ آية التطهير حين سألْت أُمّ سلمة رسول الله قائلة : وأَنا يا رسول الله ؟! فَقَالَ : «أَنْتِ إلَى خَيْرٍ ، إنّمَا نَزلْت فِيّ [وَفِي ابْنَتي] وَفِي أَخِي عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَفِي ابْنَيّ ، وَفِي تِسْعَةٍ مِنْ وُلْدِ ابْنِيَ الحُسَيْنِ خَاصّةً لَيْسَ مَعَنَا فِيهَا لِأَحَدٍ شِرْكٌ (ظ) . (220)

الثانية : وَفِى هَذَا لِيَكُونَ الرّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النّاسِ . (221) فقام سلمان فقال : يَا رَسُولَ اللهِ ! من هؤلاء الذين أنت عليهم شهيد وهم شهداء على الناس ؟! الذين اجتباهم الله ، وما جعل عليهم في الدين من حرج ملّة أبيكم إبراهيم .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : عنى بذلك ثلاثة عشر إنساناً . فقال سلمان : أخبرنا يا رسول الله ! فقال : أَنَا وَأَخِي عَلِيّ وَأَحَدَ عَشَرَ مِنْ وُلْدِي . (222)

الثالثة : حديث الثقلين الذي بيّنه رسول الله في آخر خطبة له . وقام عمر شبه المغضب فقال : يا رسول الله ! أكلّ أهل بيتك ؟! فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَوْصِيَائِي مِنْهُمْ ، أَوّلُهُمْ أَخِي وَوَزِيري وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ، هُوَ أَوّلُهُمْ ، ثُمّ ابْنِيَ الحَسَنُ ، ثُمّ ابْنِيَ الحُسَيْنُ ، ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ ، [هُمْ] شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ ، وَحُجّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَخُزّانُ عِلْمِهِ ، وَمَعادِنُ حِكْمَتِهِ . مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللهَ .

وكان الحاضرون في المسجد من المهاجرين والأنصار يؤيّدون ما طُرح عليهم بعد كلّ فقرة من الفقرات الثلاث بقولهم : قد شهدنا ذلك كلّه وإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال هذا . (223)

وذكر سُلَيْم هذه الرواية بطولها وتفصيلها في كتابه . (224)

وروى القندوزيّ عن المير السيّد عليّ الهمدانيّ في كتاب «مودّة القربى» عن عباية بن ربعي ، عن جابر أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَنَا سَيّدُ النَبِيّينَ وَعَلِيّ سَيّدُ الوَصِيّينَ ، وَإنّ أَوْصِيَائِي بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ : أَوّلُهُمْ عَلِيّ وَآخِرُهُمُ القَائِمُ المَهْدِيّ . (225)

وروى أيضاً عن الهمدانيّ ، عن سُليم بن قيس الهلاليّ ، عن سلمان الفارسيّ أنّه قال : دخلتُ على النبيّ صلّى الله عليه وآله ، فإذا الحسين على فخذيه ، وهو يقبّل خدّيه ويلثم فاه ويقول : أَنْتَ سَيّدٌ ، ابْنُ سَيّدٍ ، أَخُو سَيّدٍ ، وَأَنْتَ إمَامٌ ، ابْنُ إمَامٍ ، أَخُو إمَامٍ ، وَأَنْتَ حُجّةٌ ، ابْنُ حُجّةٍ ، أَخُو حُجّةٍ ، أَبُو حُجَجٍ تِسْعَةٍ ، تَاسِعُهُمْ قَائِمُهُمْ المَهْدِيّ . (226)

وأخرجه الحمّوئيّ في «فرائد السّمطين» ، وموفّق بن أحمد الخوارزميّ في «المناقب» أيضاً . (227)

وروى القندوزيّ أيضاً عن كتاب «مودّة القربى» عن ابن عبّاس قال : سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : أَنَا وَعَلِيّ والحَسَنُ وَالحُسَيْنُ وَتِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ مُطَهّرُونَ مَعْصُومُونَ . (228)

وأخرجه الحمّوئيّ في «فرائد السّمطين» أيضاً .

وروى القندوزيّ عن كتاب «مودّة القربى» عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النّجَاةِ ، وَيَسْتَمْسِكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى ، وَيَعْتَصِمْ بِحَبْلِ اللهِ المَتِينِ فَلْيُوَالِ عَلِيّاً وَلْيُعَادِ عَدُوّهُ ، وَلْيَأْتَمّ بِالأَئِمّةِ الهُدَاةِ مِنْ وُلْدِهِ ، فَإنّهُمْ خُلَفَائِي وَأَوْصِيَائِي وَحُجَجُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ بَعْدِي وَسَاداتُ أُمّتي وَقُوّادُ الأَتْقِيَاءِ إلَى الجَنّةِ ، حِزْبُهُمْ حِزْبِي وَحِزْبِي حِزْبُ اللهِ ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِمْ حِزْبُ الشّيْطَانِ . (229)

وروى عن الكتاب المذكور ، عن ابن عبّاس أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ اللهَ فَتَحَ هَذَا الدّينَ بِعَلِيّ ، وَإذَا قُتِلَ فَسَدَ الدّينُ وَلَا يُصْلِحُهُ إلّا المَهْدِيّ . (230)

وروى سُلَيم بن قَيْس في كتابه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه خطب في عسكره من المهاجرين والأنصار بحضور أبي الدرداء ، وأبي هريرة اللذين كان معاوية قد أشخصهما قبل واقعة صفّين مبعوثَين إليه . وذكر الإمام فيها فضائله . ومنها : أنّه نقل حديث الغدير عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، حتّى بلغ قوله صلّى الله عليه وآله : عَلِيّ أَخِي وَوَزِيري وَوَصِيّي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي وَأَحَدَ عَشَرَ

إمَاماً مِنْ وُلْدِهِ : الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ . القُرآنُ مَعَهُمْ وَهُمْ مَعَ القُرآنِ ، لَا يُفَارِقُونَهُ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ . (231)

وواصل الإمام خطبته ، ونقل في ذيلها عن الرسول قوله : وَأَمَرَنِي فِي كِتَابِهِ بِالوَلَايَةِ ، وَإِنّي أُشْهِدُكُمْ أَيّهَا النّاسُ إنّهَا خَاصّةٌ لِعَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالأَوْصِيَاءِ مِنْ وُلْدِي وَوُلْدِ أَخِي وَوَصِيّي ، عَلِيّ أَوّلُهُمْ ، ثُمّ الحَسَنُ ، ثُمّ الحُسَيْنُ ، ثُمّ تِسْعَةٌ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ ، لاَ يُفَارِقُونَ الكِتَابَ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ . (232)

ويواصل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام موضوعه إلى احتجاجه بآخر خطبة للنبيّ صلّى الله عليه وآله ، ولم يخطب بعدها . ودعا فيها إلى الثقلين : الكتاب والعترة ، أي : أهل البيت ، وقام بعدها عمر شبه المغضب فقال : يا رسول الله ! أكلّ أهل بيتك ؟! قال : لَا ، وَلَكِن أَوْصِيَائِي مِنْهُمْ : أَخِي وَوَزِيرِي وَوَارِثِي وَخَلِيفَتِي فِي أُمّتِي وَوَلِيّ كُلّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي ؛ هَذَا أَوّلُهُمْ وَخَيْرُهُمْ ، ثُمّ وَصِيّي ابْنِي هَذَا . وَأَشَارَ إلَى الحَسَنِ . ثُمّ وَصِيّهُ هَذَا . وَأَشَارَ إلَى الحُسَيْنِ . ثُمّ وَصِيّ ابْنِي سَمِيّ أَخِي ، ثُمّ وَصِيّهُ سَمِيّي ، ثُمّ سَبْعةٌ مِنْ وُلْدِهِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ حَتّى يَرِدُوا عَلَيّ الحَوْضَ . شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَحُجّتُهُ عَلَى خَلْقِهِ ، مَنْ أَطَاعَهُمْ أَطَاعَ اللهَ ، وَمَنْ عَصَاهُمْ عَصَى اللهَ . الخطبة . (233)

وأمّا القسم الثالث فيشتمل على الأحاديث التي تذكر أسماء الأئمّة عليهم السلام كلّهم أو ألقابهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وهي مرويّة عن العامّة والخاصّة .

أو ألقابهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وهي مرويّة عن العامّة والخاصّة .

روى الحمّوئيّ في «فرائد السّمطين» أربعة أحاديث متّصلة الإسناد عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ الذي كان قد رأى لوح فاطمة عليها السلام . وهو اللوح الأخضر . وكُتب عليه أسماء الأئمّة عليهم السلام ومواصفاتهم بالتفصيل . (234) ووردت هذه الأحاديث بسند الشيعة إجمالاً في كتاب «عيون أخبار الرضا عليه السلام» ، وكتاب «إكمال الدين وإتمام النّعمة» للشيخ الأعظم أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه . وفي «الأمالي» لشيخ الطائفة محمّد بن الحسن الطوسيّ رضوان الله عليهما ، ونحن نذكر فيما يأتي واحداً منها :

روي في «فرائد السّمطين» و«عيون أخبار الرضا» بسند متّصل عن أبي نَضْر قال : لمّا احْتُضِر أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام عند الوفاة ، دعا بابنه الصادق عليه السلام ليعهد إليه عهداً . فقال له أخوه زَيْدُ بنُ عليّ : لَوِ امْتَثَلْتَ فِي تِمْثَالِ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السّلَامُ لَرَجَوْتُ أَنْ لَا تَكُونَ أَتَيْتَ مُنْكَراً !

فقال [الإمام الباقر عليه السلام] له : يَا أَبَا الحُسَيْنِ ! إنّ الأَمَانَاتِ لَيْسَ بِالمِثَالِ ، وَلَا العُهُودُ بِالسّوْمِ ، وَإنّمَا هِيَ أُمُورٌ سَابِقَةٌ عَنْ حُجَجِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

ثمّ دعا بجابر بن عبد الله (235) فقال له : يا جابر ! حدّثنا بما عاينتَ من الصحيفة ! فقال له جابر : نعم ، يا أبا جعفر ! دخلتُ على مولاتي فاطمة ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله لأُهنّئها بمولد الحسين عليه السلام ، فإذا بيدها صحيفة من درّة بيضاء فقلتُ : يا سيّدة النسوان ! ما هذه الصحيفة التي أراها معك ؟!

قالت : فيها أسماء الأئمّة من وُلدي . فقلتُ لها : ناوليني لأنظر فيها .

قالت : يا جابر ! لولا النهي لكنتُ أفعل ، قد نُهِيَ أن يمسّها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ أو أهل بيت نبيّ . ولكن مأذون لك أن تنظر إلى بطنها من ظاهرها !

قال جابر : فقرأت فإذا :

أبو القاسم محمّد بن عبد الله المصطفى ، وأُمّه آمنة.

أبو الحسن عليّ بن أبي طالب المرتضى ، وأمّه فاطمة ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف .

أبو محمّد الحسن بن عليّ ، وأبو عبد الله الحُسين بن عليّ التقيّ ، وأُمّهما فاطمة ابنة محمّد .

أبو محمّد عليّ بن الحسين العَدل ، وأُمّه شاهبانويه ابنة يزدجرد بن شاهنشاه .

أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر ، وأُمّه أُمّ عبد الله ابنة الحسن بن عليّ بن أبي طالب .

أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق ، وأُمّه أُمّ فروة ابنة القاسم بن محمّد بن أبي بكر .

أبو إبراهيم موسى بن جعفر الثقة ، أُمّه جارية اسمها [أُمّ] حميدة .

أبو الحسن عليّ بن موسى الرضا ، أُمّه جارية اسمها نجمة .

أبو جعفر محمّد بن عليّ الزكيّ ، أُمّه جارية اسمها خَيْزُران .

أبو الحسن عليّ بن محمّد الأمين ، أُمّه جارية اسمها سوسن .

أبو محمّد الحسن بن عليّ الرفيق ، أُمّه جارية اسمها سَمانة .

أبو القاسم محمّد بن الحسن الحجّة القائم ، أُمّه جارية اسمها نرجس ، صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه : جاء هذا الحديث هكذا بتسمية القائم عليه السلام . والذي أذهب إليه ما رُويَ من النهي عن تسميته . (236)

كان هذا حصيلة كلامنا في تحقيق المعنى اللغويّ لأهل البيت والعترة ، والمقصود منها في حديث الثقلين الذي جرى على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله . وحينئذٍ فالموضوع واضح مع العلم واليقين بخصوص المراد والمقصود . ومع أنّ البحث في المعاني اللغويّة لا يخلو من نفع ، بَيدَ أنّه لا يحمل كبيرَ فائدة . ولا يظلّ معنى العترة وأهل البيت على سعته وعنوانه العامّ والكلّيّ، بل ينحصر في هؤلاء الأشخاص المعيّنين .

ويستبين ممّا قلنا أنّ تفسير زيد بن أرقم لمعنى أهل البيت كان مبتدعاً ولا دليل عليه من اللغة والسنّة ، فقد فسّر أهل البيت بأهله وعصبته (أهل النبيّ وعصبته) الذين حُرموا الصدقة بعده . وهم آل عليّ ، وآل العبّاس ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، كما روى الحمّوئيّ بسنده المتّصل عن يزيد بن حيّان أنّه قال : دخلنا على زيد بن أرقم فقال لنا : خطبنا رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللهِ عَزّ وَجَلّ ، مَن تَبِعَهُ كَانَ عَلَى الهُدَى ، وَمَن تَرَكَهُ كَانَ عَلَى الضّلَالَةِ ، ثُمّ أَهْلُ بَيْتِي ، أُذَكّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ؛ (قَالَهَا ثَلَاثَ مَرّاتٍ) .

قُلْنَا : [يَا زَيْدُ] مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟! نِسَاؤُهُ ؟ قَالَ : لَا ، أَهْلُ بَيْتِهِ أَهْلُهُ وَعُصْبَتُهُ الّذِينَ حُرِمُوا الصّدَقَةَ بَعْدَهُ : آلُ عَلِيّ وَآلُ العَبّاسِ وَآلُ جَعْفَرٍ وَآلُ عَقِيلٍ . (237)

وسجّل العلّامة محمّد بن يوسف الكنجيّ الشافعيّ ثلاثة إشكالات على تفسير زيد بن أرقم لأهل البيت . وتوضيح ذلك : أنّه روى في كتابه «كفاية الطالب» خطبة الغدير بسند متّصل ومتن مفصّل عن زيد بن أرقم ، وقال : أخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه كما أخرجناه ، ورواه أبو داود ، وابن ماجة القزوينيّ في كتابيهما . ثمّ قال : إنّ تفسير زيد بن أرقم (أهل البيت) غير مَرْضِيّ . لأنّه قال : أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصّدَقَةَ بَعْدَهُ . [أي] : بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله . وحرمان الصدقة يعمّ زمان حياة الرسول صلّى الله عليه وآله وبعده ، ولأنّ الذين حُرموا الصدقة لا ينحصرون في المذكورين ، فإنّ بني المطّلب (238) يشاركونهم في الحرمان ، ولأنّ آل الرجل غيره على الصحيح ، فعلى قول زيد يخرج أمير المؤمنين عليه السلام عن أن يكون من أهل البيت .

بل الصحيح أنّ أهل البيت عليّ ، وفاطمة ، والحسنان عليهم السلام كما رواه مسلم بإسناده عن عائشة : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خرج ذات غداة وَعَلَيْهِ مِرطٌ مُرَحّلٌ (239) مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ . فجاء الحسن بن عليّ عليه السلام فأدخله ، ثمّ جاء الحسين عليه السلام فأدخله ، ثمّ جاءت فاطمة عليها السلام فأدخلها ، ثمّ جاء عليّ عليه السلام فأدخله . ثمّ قال : إِنّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهّرَكُمْ تَطْهِيرًا . (240)

وهذا دليل على أنّ أهل البيت هم الذين ناداهم الله بقوله : أهل البيت ، وأدخلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله في المِرط .

وأيضاً روى مسلم بإسناده أنّه لمّا نزلت آية المباهلة ، دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً ، وحسناً وحسيناً وقال : اللَهُمّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي . (241)

إنّ ما يستفاد من حديث الثقلين هو إمامة الأئمّة وإمارتهم وحكومتهم وولايتهم وطهارتهم وعلمهم وفهمهم وأعلميّتهم ، ورُشد أتباعهم وهدايتهم ، وكفر المتخلّفين عنهم وغوايتهم وضلالتهم ، وبقاء هذا الأمر ودوامه حتّى قيام الساعة ، وغير ذلك . وإذا أنعمنا النظر في هذا الحديث بطرقه المختلفة ومضامينه المتفاوتة ، فسنحصل على نكات كثيرة ، نكتفي بالإشارة إلى اثنتين منها فيما يأتي :

ألأُولى : أنّ حجّيّة أهل البيت والعترة كحجّيّة الكتاب في جميع المعارف الأصيلة والثقافة الإسلاميّة القويمة . أي : أنّهم بمنزلة القرآن الكريم في الأصالة والواقعيّة والإتقان والصيانة من الخطأ والخلط في كافّة المعارف والعقائد والأحكام والقصص والحكايات والقوانين بأقسامها والأخلاق والفلسفة والعرفان والعلوم الطبيعيّة والتجريبيّة

. فكما أنّ القرآن سند ينبغي أن تعود إليه هذه الثقافة الواسعة بأسرها ، فكذلك أهل البيت والأئمّة الاثنا عشر يتمتّعون بالأصالة والواقعيّة جنباً إلى جنب مع القرآن في هذه المراحل والمنازل كلّها . ويجب أن تعود إليهم جميع المعارف والثقافات بامتدادها واتّساعها . وإلّا فستكون غالطةً ، متضعضعة ، فاسدة ، يباباً .

إنّنا متى ناقشنا مسلماً سنّيّاً ، واحتججنا بالقرآن ، وأتينا بدليل قرآنيّ ، فإنّ قولنا سيكون القول الفصل ، لأنّه لا شيء يعلو ويتفوّق على القرآن من حيث الإتقان والإحكام والصيانة والعصمة . كما لا يحقّ لأحدٍ أن يقدح فيه فيواصل نقاشه وهو لا يُقرّ به .

ولقد جعل حديثُ الثقلين العترةَ مرافقةً للقرآن ، وموازيةً ومساوية له . ومَن اعتقد بالنبيّ صلّى الله عليه وآله ، فعليه أن يكيّف كلامه ، ونهجه ، وعمله ، وأخلاقه ، وعقيدته وسائر جهات إدراكه مع الأئمّة حسب هذا الحديث ، ذلك أنّه جعلهم كالقرآن من حيث الحجّيّة والأصالة . (242)

بناءً على هذا عندما نناقش مسلماً سنّيّاً ، وأدلينا بحجّتنا المتمثّلة بكلام أمير المؤمنين ، أو الحسن ، أو الحسين ، أو أيّ إمام آخر حتّى بقيّة الله الأعظم صلوات الله عليهم أجمعين وكان ذلك الكلام قد ثبت صدوره عن ذواتهم المقدّسة ، فعلينا أن نقطع النقاش ولا نواصله . ذلك أنّنا قد بلغنا الحجّة . وهي لنا مصباح هدىً تنجلي به الظلمات والضلالات برمّتها ، وينكشف به الطريق ، وتسكن به ضروب التضعضع والاضطراب ، وننجو به من التيه والظلام والحيرة فنصل إلى مرفأ الأمن والأمان ، ومنهل العلم والمعرفة والعقل والدراية . وهذا هو مفاد الحديث في استخلافهم مقرونين بالقرآن الكريم : كتاب الوحي السماويّ ، ولا يقتصر مفاده على نصب الخليفة والإمام أميراً وحاكماً ورئيساً على الناس قاطبةً .

إنّ فرق العامّة كلّها سواء في أُصولها كالأشاعرة والمعتزلة ، أم في فروعها كالحنابلة ، والحنفيّة ، والمالكيّة ، والشافعيّة أو الفرق الأُخرى التي اندثرت أو هي موجودة نوعاً ما وتتبع الأشعريّ في العقائد والأُصول ، ويسودها الخلل والإشكال في الفروع ، لأنّها بلا حُجّة .

ولا نريد أن نقول هنا : إنّ رؤساءهم خونة أهل دنيا ، أو فسّاق عصاة ، أو جهّال ، بل نريد أن نقول : لو فرضنا أنّهم على درجة عالية من الورع والتقوى ، والعلم والمعرفة ، والزهد والإعراض عن زبرج الدنيا ، بَيدَ أنّ التمسّك بهم وبعقائدهم وآرائهم لا يقوم على دليل وحجّة . فلا كتاب الله جعل كلامهم حجّة ، ولا سنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله .

أمّا حديث الثقلين المؤيّد لكتاب الله ، فقد جعل كلام الأئمّة الاثني عشر حجّة ، وما اتّباع الشيعة لهم في العقائد والمعارف وأُصول الدين والفقه والقوانين والأحكام إلّا عملاً بحديث الثقلين الذي صَدَف عنه العامّة .

نحن نقول : إنّنا لا نستطيع أن نتّبع غير الأئمّة الاثني عشر كما لا نستطيع أن نتّبع موسى ، وعيسى مع أنّهما من رسل الله ، ولا نعمل بتعاليم كتابيهما : التوراة والإنجيل على فرض صحّتهما ، إذ إنّهما ليسا حجّة علينا لنسخ نبوّتهما وكتابيهما ، ولابدّ لنا من اتّباع محمّد بن عبد الله صلّى الله عليه وآله و كتابه : القرآن الكريم لوجود الحجّة عندنا . وهكذا الأمر بالنسبة إلى الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام ، إذ لا يحقّ لنا أن نتّبع غيرهم . ولا يجوز لنا أن نأخذ المعارف والفقه والتفسير والأخلاق وسائر أُمور المعارف والثقافة من غيرهم ، لأنّ الحجّة على كلامهم قائمة ، ولا حجّة لنا على اتّباع قول غيرهم .

لو سأل الله تعالى أهل السّنّة في عرصات القيامة . وهو سائلهم حتماً . : لماذا اتّبعتم مثلاً أبا الحسن الأشعريّ في أُصول دينكم ، والشافعيّ في فروعه ؟ مَن قال لكم ذلك ؟ ومَن أمركم ؟ فبماذا سيجيبون ؟

ولو قالوا : هؤلاء عندنا أفضل الناس على وجه الأرض . وقال الله : الصالحون كُثْرٌ ، وهما وأمثالهما ليسوا أفضل من موسى وعيسى عليهما السلام ، فما هو دليلكم القاطع للعذر ، وما هي حجّتكم في تقليدهم واتّباعهم ؟ وسوف لا يملكون جواباً .

أمّا في ضوء مفاد حديث الثقلين ، فإنّ العاملين به يقولون : نبيّك جعل الإمام الصادق عليه السلام حجّة علينا ، وكذلك جعل الإمام الرضا عليه السلام ، والإمام المهديّ عليه السلام . ونحن عملنا بحديث نبيّك الذي جعلتَ كلامه حجّة علينا في كتابك ، وهو الذي جعل الأئمّة حجّة علينا ، وكذلك جعل كلامهم ، وعملهم ، وسيرتهم في جميع الشؤون العلميّة والمعارف والفقه والتفسير والأخلاق .

الثانية : عصمة أهل البيت والعترة . أي : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله شهد بعصمتهم في حديث الثقلين كما شهد بعصمة القرآن . ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه : فَأَنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَ القُرْآنِ . (243)

قال ابن أبي الحديد في شرحه : تَحْتَهُ سِرّ عَظِيمٌ . وَذَلِكَ أَنّهُ أَمَرَ المُكَلّفِينَ بِأَنْ يُجْرُوا العِتْرَةَ فِي إجلالِهَا وَإعْظَامِهَا وَالانقِيَادِ لَهَا وَالطّاعَةِ لِأَوَامِرِهَا مَجْرَى القُرْآنِ .

ثمّ قال : فإن قلتَ : هذا القول منه عليه السلام مُشْعِرٌ بأنّ العترة معصومة ، فما قول أصحابكم في ذلك ؟!

قلتُ : نصّ أبو محمّد بن مُتّوَيْه رحمه الله في كتاب «الكفاية» على أنّ عليّاً عليه السلام معصوم ، وإن لم يكن واجب العصمة ، ولا العصمة شرط في الإمامة ، ولكن أدلّة النصوص دلّت على عصمته والقطع على باطنه ويقينه . وإنّ ذلك أمر اختصّ هو عليه السلام به دون غيره من الصحابة .

والفرق ظاهر بين قولنا : زَيْدٌ مَعْصُومٌ ، وبين قولنا : زَيْدٌ وَاجِبُ العِصْمَةِ . لأنّه إمام ، ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً .

فالاعتبار الأوّل مذهبنا ، (244) والاعتبار الثاني مذهب الإماميّة . (245)

ولكن من المؤسف أنّ الثقلين لم يُرْعَيا حقّ رعايتهما بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله . فالكتاب قد حُرّفَ ، وعُطّلَ ، وضُيّع من حيث المعنى والمفاد ، والعترة قد لقيت من النكبات والويلات والكوارث كالقهر ، والأسر ، والقتل ، والنهب ، والسجن ، والنفي ، والصلب ما يعجز عنه البيان . وأنّ هذه المظلوميّة والغربة مشهودتان في أرجاء العالم حتّى ظهور الحجّة الحقّ صلوات الله عليه . ونأمل أن تُداوَى الآلام ، وتُشفى الأمراض ، وتكتحل العيون الرمداء ، وتطيب النفوس المصابة بالازدواجيّة والنفاق بظهوره عليه السلام . آمين ربّ العالمين .

قال الشيخ الطوسيّ في «الأمالي» : أخبرنا الشيخ المفيد ، قال : حدّثنا جعفر بن محمّد بن قولويه ، قال : حدّثني أبي ، قال : حدّثني سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمّد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب الزرّاد ، عن أبي محمّد الأنصاريّ ، عن معاوية بن وهب قال : كنتُ جالساً عند جعفر بن محمّد عليهما السلام إذ جاء شيخ قد انحنى من الكبر ، فقال : السّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . فقال أبو عبد الله عليه السلام : وَعَلَيْكَ السّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . يا شيخ ادنُ منّي ! فدنا منه وقبّل يده وبكى . فقال أبو عبد الله : وما يبكيك يا شيخ ؟!

قال له : يا ابن رسول الله ، إنّي مقيم على رجاء منكم منذ مائة سنة . أقول : هذه السنة ، وهذا الشهر ، وهذا اليوم ، ولا أرى فيكم ، فتلومني أن أبكي .

[قال معاوية بن وهب] فبكى أبو عبد الله . ثمّ قال : يا شيخ ! إن أُخّرتْ منيّتك ، كنتَ معنا . وإن عُجّلَتْ ، كنتَ يوم القيامة مع ثقل رسول الله صلّى الله عليه وآله :

قال الشيخ : ما أُبالي ما فاتني بعد هذا يابن رسول الله ! فقال له أبو عبد الله عليه السلام : يا شيخ إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، مَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللهِ المُنْزَلَ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي . وَأَنْتَ مَعَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ .

ثمّ قال : يا شيخ ما أحسبك من أهل الكوفة ! قال : لا . قال : مِنْ أَين ؟ قال : من سوادها ، جُعلتُ فداك . قال : أَيْنَ أَنْتَ عَنْ قَبْرِ جَدّيَ المَظْلُومِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السّلَامُ ؟! قال : إنّي لقريب منه . قال : كيف إتيانك له ؟ قال : إنّي لآتيه ، وأُكثر .

قال : يا شيخ ذَاكَ دَمٌ يَطْلُبُ اللهُ تَعَالَى بِهِ مَا أُصِيبَ وُلْدُ فَاطِمَةَ ، وَلَا يُصَابُونَ بِمِثْلِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السّلَامُ ، وَلَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ السّلَامُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ نَصَحُوا اللهَ وَصَبَرُوا فِي جَنْبِ اللهِ ، فَجَزَاهُمْ أَحْسَنَ جَزَاءِ الصّابِرِينَ .

إنّهُ إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعَهُ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السّلَامُ وَيَدُهُ عَلَى رَأْسِهِ تَقْطُرُ دَماً ، فَيَقُولُ : يَا رَبّ ! سَلْ أُمّتِي فِيمَ قَتَلُوا ابْنِي ؟!

وَقَالَ عَلَيْهِ السّلَامُ : كُلّ الجَزَعِ وَالبُكَاءِ مَكْرُوهٌ سِوَى الجَزَعِ وَالبُكَاءِ عَلَى الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السّلَامُ . (246)

روى محمّد بن يعقوب الكلينيّ في «الكافي» بسنده المتّصل عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَنَا وَافِدٌ عَلَى العَزِيزِ الجَبّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ ، وَكِتَابُهُ وَأَهْلُ بَيْتِي ، ثُمّ أُمّتِي ، ثُمّ أَسْأَلُهُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِكِتَابِ اللهِ ، وَبِأَهْلِ بَيْتِي ؟! (247)

وروى مضمون هذا الحديث محمّد بن الحسن الصفّار في «بصائر الدرجات» (248) وسعد بن عبد الله القمّيّ في «بصائر الدرجات» (249) كلّ منهما بسنده المتّصل .

نُقل عن فضيلة ثقة المحدّثين الشيخ فاضل التبريزيّ المحترم أطال الله بقاءه . وهو الآن بحمد الله تعالى حيّ يُرزق ، ويقيم في مدينة مشهد المقدّسة . وكنتُ قد استمتعتُ بمنبره الحسن وكلامه الرفيع . أنّه قال : كنت قد تشرّفت بزيارة مكّة والمدينة في شهر جمادى الآخرة سنة 1395 أو 1396 هـ لأداء مناسك العمرة . وذهبتُ يوماً لزيارة قبر الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله فدخلتُ الحرم النبويّ الشريف فرأيتُ عمّال البناء وهم يريدون دخول الضريح المقدّس لترميم أساسه فنقلت عدداً من الطابوقات وتبعتهم ، فدخلتُ معهم . ووقعت عيني على صورة القبور ، وشاهدتها بإمعان ، ورأيتُ خلفها قبراً شيّد في جانب محراب المصلّين وقد كُتب عليه ما نصّه : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فَاطِمَةُ مُهْجَةُ قَلْبِي ، وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي ، وَبَعْلُهَا نُورُ بَصَرِي ، والأئمّةُ مِنْ وُلْدِهَا أُمَنَاءُ رَبّي ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الخَلْقِ . مَنْ تَمَسّكَ بِهِمْ نَجَا . وَمَنْ تَخَلّفَ عَنْهُمْ هَوَى .

قال العلّامة الحلّيّ في كتاب «نهج الحقّ وكشف الصدق» : روى الزمخشريّ الذي كان من أشدّ الناس عناداً لأهل البيت ، (250) وهو الثقة المأمون عند الجمهور ، قال بإسناده أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : فَاطِمَةُ مُهْجَةُ قَلْبِي ، وَابْنَاهَا ثَمَرَةُ فُؤَادِي ، وَبَعْلُهَا نُورُ بَصَرِي ، والأئمّةُ مِنْ وُلْدِهَا أُمَنَاءُ رَبّي ، وَحَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ ، مَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ نَجَا ، وَمَنْ تَخَلّفَ عَنْهُمْ هَوَى . (251)

روى هذا الحديث العظيم المعنى المبارك المراد السيّد ابن طاووس ، (252) والمجلسيّ ، (253) والشيخ سليمان القندوزيّ ، (254) والخوارزميّ ، (255) والحمّوئيّ ، (256) ومحمّد بن أبي الفوارس ، (257) والزمخشريّ

، [258] والشيخ جمال الدين الحنفيّ الموصليّ . [259]

نقرأ في هذا الحديث كما في بعض الأحاديث السابقة أنّه صلّى الله عليه وآله عبّر عن الأئمّة عليهم السلام بالحبل الممدود . لكن واعجبا إذ لم يمرّ على وفاته صلّى الله عليه وآله بضعة أيّام وإذا حبل القوم قد أُلقي في عنق حبل الله ، واقتيد أسد الله الغالب من أجل بيعة الماكرين المحتالين في المسجد ، وتصرّمت السنون ، وإذا ولده الحسين . وهو عترته وعترة رسول الله وحبل الله الرابط بينه وبين خلقه . يُذْبَح بين النهرين ظمآناً . ومزّقوا حبل الله ، وقطعوا الرابط بين الله وخلقه . وأنشد هو نفسه عليه السلام يرتجز قائلاً .

مَن لَهُ جَدّ كَجَدّي فِي الوَرَى ؟
أَوْ كَشَيْخي ؟ فَأَنَا ابْنُ القَمَرينْ
فَاطِمُ الزّهْرَاءُ أُمّي ، وَأَبِي
قَاصِمُ الكُفْرِ بِبَدرٍ وَحُنَيْن
فِي سَبِيلِ اللهِ ، مَاذَا صَنَعَت
أُمّةُ السّوءِ مَعاً بِالعِتْرَتَيْن
عِتْرَةِ البَرّ النّبِيّ المُصْطَفى
وَعَلِيّ الوَرْدِ بَيْنَ الجَحْفَلَيْن ؟

لله الحمد وله الشكر إذ فرغتُ من تأليف هذا الجزء وهو الجزء الثالث عشر من كتاب «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة في ظلّ العنايات الخاصّة والتوجّهات التامّة لسيّدنا إمام العصر والزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء ، وذلك ضحى يوم السبت ، الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ألف وأربعمائة وعشر هجريّة في مدينة مشهد المقدّسة على مُشَرّفِها وعلى آبائه وأبنائه الأئمّة الكرام أفضل الصلاة والسلام ، قبل الظهر بساعتين ، بمحمّد وآله الطاهرين صلّ على محمّد وآله الطيّبين ، والعن اللهمّ أعداءهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

تعليقات:

1) الآية 103 ، من السورة 3 : آل عمران .
2) الآية 102 ، من السورة 3 : آل عمران .
3) الآيتان 104 و105 ، من السورة 3 : آل عمران .
4) الآية 110 ، من السورة 3 : آل عمران .
5) الآية 101 ، من السورة 3 : آل عمران .
6) الآية 7 ، من السورة 59 : الحشر .
7) الميزان في تفسير القرآن» ج 3 ، ص 406 و . 407
8) الآية 213 ، من السورة 2 : البقرة .
9) . «الميزان في تفسير القرآن» ج 3 ، ص 412 و . 413

روى المحدّث العظيم السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» ص 212 ، الحديث السابع عن العامّة ، عن أبي إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ في الجزء الثاني من تفسيره عند تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرّقُوا ، بسنده المتّصل عن عطيّة العَوْفيّ ، عن أبي سعيد الخُدريّ أنّه قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : أيّها الناس إنّي تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما

لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء في الأرض . أو قال : إلى الأرض . وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنّهُما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحَوض .

وقال الإمام الفخر الرازيّ في تفسير «مفاتيح الغيب» ج 3 ، ص 24 ، طبعة دار الطباعة العامرة ، مصر ، في سياق تفسير الآية : وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ ... : روي عن أبي سعيد ، عن النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللهِ تَعَالَى حبل ممدودٌ من السّماء إلى الأرضِ ، وَعِترَتي أهل بيتي .

10) ذكر العلّامة البحرانيّ في «غاية المرام» ص 577 و578 ، الباب 69 و70 ، ثلاثة أحاديث عن العامّة وحديثاً عن الخاصّة في هذا الموضوع . أمّا الأوّل عن العامّة فقد رواه موفّق بن أحمد الخوارزميّ بسنده المتّصل عن زاذان ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : تفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة ، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنّة . وهم الذين قال الله عزّ وجلّ في حقّهم : «وممّن خلقنا أُمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون» . وهم أنا وشيعتي .

11) وأمّا الثاني عنهم فقد رواه موفّق بن أحمد الخوارزميّ أيضاً بسنده المتّصل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال لي رسول الله : يا عليّ ! مَثَلك في أُمّتي مثل عيسى ابن مريم افترق قومه ثلاث فرق : فرقة مؤمنون وهم الحواريّون ؛ وفرقة عادوه وهم اليهود ؛ وفرقة غلوا فيه فخرجوا عن الإيمان . وإنّ امّتي ستفترق فيك ثلاث فرق : شيعتك وهم المؤمنون ؛ وفرقة هم أعداؤك وهم الناكثون ؛ وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون وهم الضالّون . وأنت يا عليّ وشيعتك في الجنّة وعدوّك والغالي فيك في النار .

وأمّا الثالث عن ابن مردويه وهو من ثقات العامّة إلى أبان بن تغلب عن مسلم قال : سمعت أبا ذرّ وسلمان والمقداد يقولون : كنّا قعوداً عند النبيّ صلّى الله عليه وآله إذ أقبل ثلاثة من المهاجرين ، فقال : تفترق أُمّتي بعدي ثلاث فرق : أهل حقّ لا يشوبونه بباطل ، مثلهم كالذهب كلّما فَتَنَتْهُ النار زاد جودةً وإمامهم هذا ، وأشار إلى أحد الثلاثة وهو الذي أمر الله في كتابه إماماً ورحمة . وفرقة أهل باطل لا يشوبونه بحقّ مثلهم كمثل الحديد كلّما فَتَنَتْهُ النار زاد خبثاً وإمامهم هذا . فسألتهم عن أهل الحقّ وإمامهم فقالوا : عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وأمسكوا عن الآخرين فجهدتُ في الآخرين أن يسمّوهما فلم يفعلوا . هذه رواية أهل المذهب .

وأمّا حديث الخاصّة : فقد ذكر الشيخ الطوسيّ في أماليه بسنديه المتّصلَين عن المجاشعيّ ، عن محمّد بن جعفر بن محمّد عليه السلام ، عن الصادق عليه السلام ، وعن المجاشعيّ ، عن الإمام عليّ بن موسى الرضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال المجاشعيّ : سمعتُ عليّاً (الرضا) عليه السلام يقول لرأس اليهود : على كم افترقتم ؟ فقال : على كذا وكذا فرقة ! فقال الإمام : كذبتَ . ثمّ أقبل على الناس وقال : وَالله لو ثنيت لي الوسادةُ لقضيتُ بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم . افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة : سبعون منها في النار وواحدة ناجية في الجنّة ، وهي التي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسى . وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، إحدى وسبعين فرقة في النار وواحدة في الجنّة ، وهي التي اتّبعت شمعون وصيّ عيسى عليه السلام . وتفترق هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة ، وهي التي اتّبعت وصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وضرب عليه السلام بيده على صدره (أي : أنا وصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله) ثمّ قال : ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين (السبعين . ظ) فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي واحدة منها في الجنّة وهم النمط الأوسط واثنتا عشرة في النار .

12) روى الشيخ المفيد في أماليه ، طبعة جماعة المدرّسين ، ص 212 و213 ، بسنده المتّصل عن أبي هارون العبديّ ، عن أبي عقيل قال : كنّا عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ قال : لتَفرقنّ هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة . والذي نفسي بيده كلّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي .

13) النعل أو النعال ما وقيت بها القدم من الأرض . وهي ما كانت لها قاعدة وليس لها غطاء كالحذاء . ويعود قوله : حذو النعل بالنعل إلى تقاربها وتماثلهما ، لأنّك إذا تصوّرت زوجاً من النعال عرفت أنّ إحداهما لا تشبهها إلّا أُختها .

14) القُذّة عود السهم الذي كان يصنع سابقاً من الخشب أو القصب . وكانوا يضعون في أعلاه نصلاً ، وفي أسفله ريشاً كي يقطع مسافة طويلة لخفّته . ويصيب نصله المصنوع من الحديد والفولاذ الهدف المرسوم فيُحدث جرحاً . ووجود الريش فيه من أجل أن يسير السهم قُدماً ولا ينحرف عن اتّجاهه . وكان صانعو السهام يقطعون عيدان السهم أوّلاً ، ثمّ يجمعونها معاً ، ويقطعون أعلاها وأسفلها بالتساوي كي تكون أحجامها متساوية . وحينئذٍ إذا تصوّرنا عود أحد السهام فلا يمكن أن يشبهه تماماً إلّا عود السهم الآخر ، إذ صُنعا معاً وقطعا معاً ، فلهذا يقال : حَذْوَ النعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة للشيئين المتماثلين من جميع الجهات .

15) الشّبْرُ ما بين طرف الإبهام وطرف الخنصر ممتدّين ، والذراع من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى ، وطوله قرابة نصف متر . والباع قدر مدّ اليدين إذا تفتحان تماماً ، احداهما نحو اليمين ، والأُخرى نحو اليسار .

16) رزين بن معاوية العبدريّ صاحب كتاب «الجمع بين الصحاح الستّة» .

17) جاء في «النهاية» لابن الأثير ، ج 2 ، ص 33 ، في مادّة [خشرم] : في الخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : لتركبنّ سنن من كان قبلكم ذراعاً بذراع ، حتّى لو سلكوا خَشْرَمَ دَبْرٍ لسلكتموه . الخشرم مأوى النحل والزنابير . وقد يطلق عليهما أنفسهما . والدّبْر : النحل .

18) وجاء في «النهاية» ج 2 ، ص 59 ، مادّة [خلج] : ورد في الحديث : «لَيَرِدَنّ عَلَيّ الحَوْضَ أَقْوَامٌ ثُمّ لَيُخْتَلَجنّ دُونِي» أي : يجتذبون ويُقتَطَعونَ .

19) جاء في «النهاية» لابن الأثير ، ج 1 ، ص 421 ، مادّة [حلأ] ، جاء في حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله : يَرِدُ عَلَيّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ فَيُحَلّأَونَ عَنِ الحَوْضِ ، أي : يُصَدّون ويُمْنَعون من وروده .

20) اعترف كثير من الصحابة بما ارتكبوه من جنايات وما قاموا به من أعمال بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله . قال البخاريّ في صحيحه : ج 2 ، ص 295 ، طبعة دار الإحياء ، في باب مناقب عمر بن الخطّاب : لمّا طُعن عمر جعل يَأْلَمُ . فقال له ابن عبّاس وكأنّه يجزّعه : يا أمير المؤمنين ! ولئن كان ذاك لقد صحبتَ رسول الله فأحسنتَ صحبته ثمّ فارقته وهو عنك راضٍ . ثمّ صحبتَ أبا بكر فأحسنت صحبته ثمّ فارقته وهو عنك راضٍ . ثمّ صحبتَ صَحَبَتَهُم فَأحسنتَ صُحْبَتَهُم ولئن فارقتهم لتفارقنّهم وهم عنك راضون . قال عمر : أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله صلّى الله عليه وآله ورضاه ، فإنّما ذاك مَنّ مِن الله تعالى مَنّ به عَلَيّ . وأمّا ما ذكرتَ من صحبة أبي بكر ورضاه ، فإنّما ذاك مَنّ مِن الله جلّ ذكره مَنّ به عَلَيّ . وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ! وَالله لو أنّ طِلَاع الأرض ذهباً لافتديتُ به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه .

يقصد عمر من أصحاب ابن عبّاس أمير المؤمنين عليه السلام . وكان طالما يواجه ابن عبّاس بهذا التعبير .

ذكر أبو نُعيم في «حلية الأولياء» ج 1 ، ص 52 ، وابن تيميّة في «منهاج السّنّة» ج 3 ، ص 131 ، أنّ عمر كان يقول : لَيْتَني كنتُ كَبْشَ أهلي ، يُسَمّنُونِي ما بدا لهم حتّى إذا كنتُ أسْمَنَ ما أكونُ زارهم بعضُ ما يُحبّون فجعلوا بعضي شوَاءً ، ويعطونّي قَديداً ثمّ أكلوني وأخرجوني عَذَرَةً ولم أَكُنْ بَشَراً .

وكذلك روى ابن تيميّة في «منهاج السنّة» ج 3 ، ص 120 ، ومحبّ الدين الطبريّ في «الرياض النضرة» ج 1 ، ص 134 ، بشأن أبي بكر أنّه لمّا وقع نظره على طائر على شجرة قال : طُوبَى لك يا طائر ، تأكل الثمر ، وتقعُ على الشّجر ، وما من حساب ولا عقاب عليك ، لوددتُ أنّي شجرة على جانب الطريق مرّ عَلَيّ جَمَلٌ فَأكلني وأخرجني في بَعْره ولم أكُنْ مِنَ البَشَرِ .

21) وروى ابن تيميّة ومحبّ الدين الطبريّ أيضاً في كتابيهما المذكورين ، وفي هذين الموضعين بشأن أبي بكر أنّه قال في وقت آخر : ليتَ أُمّي لم تَلِدني ، ليتني كنتُ تِبْنَةً في لِبْنَةٍ .

وروى البخاريّ في صحيحه : ج 1 ، ص 54 ، عن أَنَس قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله للأنصار : إنّكم سَتَرَوْنَ بعدي أَثَرَةً شديدةً ، فاصبروا حتّى تلقوا الله ورسوله على الحوض . قال أَنَس : فلم نصبر .

وفيه : ج 2 ، ص 135 ، عن العلاء بن المُسَيّب ، عن أبيه قال : رأيتُ البراء بن عازب فقلتُ له : طوبى لك صَحِبْتَ النبيّ صلّى الله عليه وآله وبايعتَه تحت الشجرة . فقال : يا بن أخي ! إنك لا تدري ما أحدثناه بَعْده ! وحينئذٍ نرى أنّ هذا الصحابيّ الجليل الذي كان من السابقين الأوّلين الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة ، ورضي الله عنهم ، واطّلع على قلوبهم ، وأثابهم فتحاً قريباً يشهد على نفسه وعلى أصحابه : أنّهم أبدعوا في الدين بعد النبيّ ، واجترحوا الأعمال المخالفة للسّنّة . وهذه الشهادة مصداق الخبر النبويإذ أنبأ صلّى الله عليه وآله أصحابه بأنّهم سيُحدثون بعده ويأتون بأعمال مبتدعة ، ويقترفون ما لا يُحْمَد ولا يُرغَبُ فيه ، ويرتدّون إلى الجاهليّة القهقرى . وفي هذه الحالة هل يتسنّى لِذي لُبّ أن يخال الصحابة كلّهم عدولاً أتقياء ، كما يذهب أهل السنّة إلى ذلك ؟! إنّه كلام يخالف العقل ويوصد الطريق أمام المتتبّع الذي يروم بلوغ الحقيقة والواقع .

روى الشيخ المفيد في أماليه . طبعة جماعة المدرّسين بقم ، ص 50 ، 51 . بسنده المتّصل عن عثمان بن عفان أنّه قال : أنا آخر الناس عهداً بعمر بن الخطّاب ، دخلتُ عليه ورأسه في حجر ابنه عبد الله وهو مَلُول (في بعض النسخ : وهو يُوَلْوِل) . فقال له : ضَع خدّي بالأرض ، فأبى عبد الله . فقال له : ضع خدّي بالأرض ، لا أُمّ لك . فوضع خدّه على الأرض . فجعل يقول : وَيْلَ أُمّي ، وَيْلَ أُمّي إن لم تغفر لي ، فلم يزل يقولها حتّى خرجت نفسه .

22) ذكر السيّد ابن طاووس في كتاب «الطرائف» ص 376 و377 ، طبعة خيّام بقم ، أنّ عبد المحمود1 قال : وما رأيتُ من تكذيب هؤلاء الأربعة المذاهب لأنفسهم ودينهم ولكثير من صحابة نبيّهم جملة وتفصيلاً ، وشهادتهم أنّ نبيّهم ذمّهم وشهد عليهم بالضلال ما رواه الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» أيضاً في «مسند سهل بن سعد» في الحديث الثامن والعشرين من المتّفق عليه ، قال : سمعتُ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقول : أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأ أَبَداً ، وَلَيَرِدَنّ عَلَيّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونّي ثُمّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ .

يقول أبو حازم [راوي هذا الحديث عن سهل بن سعد الساعديّ] : فسمع النعمان بن أبي عيّاش وأنا أحدّثهم هذا الحديث ، فقال : هكذا سمعتَ سهلاً يقول ؟! قال ، فقلتُ : نَعَم . قال : وأنا أشهد على أبي سعيد الخدريّ لَسمعته يزيد فيقول : إنّهُمْ أُمّتي ! فَيُقَالَ : إنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟! فَأَقُولُ : سُحْقاً سُحْقاً لِمَنْ بَدّلَ بَعْدِي وَغَيّرَ . 2

ومن ذلك ما رواه الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» في الحديث الستّين من المتّفق عليه من «مسند ابن عبّاس»3 قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَلَا إنّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشّمَالِ (كناية عن الشقاء وجهنّم) ، فَأَقُولُ : يَا رَبّ أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : إنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟! فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصّالِحُ ،4 : «وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مّادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّا تَوَفّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ الرّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذّبْهُمْ فَإِنّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ» .5 قَالَ : فَيُقَالُ لِي : إنّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُم . 6

ومن ذلك ما رواه الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» في الحديث الحادي والثلاثين بعد المائة من المتّفق عليه من «مسند أنس» قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : لَيَرِدَنّ عَلَيّ الحَوْضُ رِجَالٌ مِمّنْ صَاحَبَنِي ، حَتّى إذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إلَيّ اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولَنّ : أَي رَبّ أَصْحَابِي ! أَصْحَابِي ! فَلَيُقَالَنّ لِي : إنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟ 7

23) ومن ذلك ما رواه الحميديّ في «الجمع بين الصحيحين» في الحديث السابع والستّين بعد المائتين من المتّفق عليه من «مسند أبي هريرة» عن عطاء بن يسار ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : بَيْنَمَا أَنَا قَائِمٌ فَإِذَا زُمْرَةٌ ، حَتّى إذَا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ : هَلُمّ ، فَقُلْتُ : إلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إلَى النّارِ وَاللهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إنّهُمُ ارْتَدّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى . ثُمّ إذا زُمْرَةٌ حَتّى إذا عَرَفْتَهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ : هَلُمّ ، فَقُلْتُ : إلَى أَيْنَ ؟! فَقَالَ : إلى النّارِ وَاللهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ قَالَ : إنّهُمُ ارْتَدّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى ، فَلَا أَرَاهُ يُخَلّصُ مِنْهُمْ إلّا مِثْلَ هَمَلِ النّعَمِ . 8

وروى مثل ذلك من عدّة طرق من «مسند عائشة» . وروى نحو ذلك من عدّة طرق من «مسند أسماء بنت أبي بكر» . وروى نحو ذلك من عدّة طرق من «مسند أُمّ سلمة» . وروى نحو ذلك من «مسند سعيد بن المسيّب» . وجميع هذه الروايات في «الجمع بين الصحيحين» للحميديّ .

ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل في «مسند عبد الله بن مسعود» قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، وَلَيُرْفَعَنّ إلَيّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتّى إذَا أَهْوَيْتُ إلَيْهِمْ لِأُنَاوِلَهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي . فَأَقُولُ : أَيْ رَبّ أَصْحَابِي ! فَيُقَالُ : إنّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ؟! 9

وروى نحوه الحميديّ في «مسند حُذيفة بن اليمان» في الحديث السابع من المتّفق عليه .10 ، 11

قال الملّا عليّ المتّقي في «كنز العمّال» ج 11 ، ص 176 و177 ، طبعة بيروت ، في الأحاديث من 31112 إلى 31115 بالترتيب : قال رسول الله : أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ أَقُولُ : اتّقُوا النّاراتّقُوا الحُدُودَ ! فَإذَا مُتّ تَركتكم ، وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ ، فمن ورد فقد أَفْلَحَ ! فيؤتى بِأَقوامٍ فَيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشمال فأقول : يا ربّ أُمّتي ، فيقول : إنّهُمْ لم يزالوا بعدك يرتدّوا على أعقابهم . (أحمد بن حنبل في «المسند» ، والطبرانيّ في «المعجم الكبير» ، وأبو نصر السجزيّ في «الإبانة» عن ابن عبّاس) .

أنا آخذ بحُجَزكم عن النار . أقول : إيّاكم وجهنّم ! إيّاكم والحدودَ ؛ فإذا مُتّ فأنا فرطكم ، وموعدكم الحوض . فمن ورد فقد أفلح . ويأتي قوم فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا ربّ ! أُمّتي . فيقال : إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك مرتدّين على أعقابهم (الطبرانيّ في «المعجم الكبير» عن ابن عبّاس) .

24) أنا فرطكم على الحوض أنتظر من يرد عَلَيّ منكم ، فلا أُلفينّ ما نوزعتُ في أحدكم فأقول : إنّه من أُمّتي فيقال : لا تدري ما أحدث بعدك . (طس ، ق . عن أبي الدرداء) .

ألا ما بال أقوام يزعمون أنّ رحمي لا تنفع ، والذي نفسي بيده إنّ رحمي لموصولة في الدنيا والآخرة . ألا وإنّي فَرَطكم . أيّها الناس . على الحوض ، ألا وسيجيء أقوام يوم القيامة فيقول القائل منهم : يا رسول الله ! أنا فلان بن فلان ، فأقول : أمّا النَسب فقد عرفتُ ولكنّكم ارتَددْتم بعدي ورجعتم القهقرى (ط ، حم وعبد بن حميد ، ع ، ل ، ش . عن أبي سعيد) .

قال السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في «الفصول المهمّة» ص 191 ، الطبعة الثانية ، بعد نقل عدد من الأخبار في هذا المعنى : أخرج البخاريّ في باب الحوض عن أسماء ابنة أبي بكر قالت : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي عَلَى الحَوْضِ حَتّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيّ مِنْكُمْ ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ : يَا رَبّ مِنّي وَمِنْ أُمّتي ! فَيُقَالُ : هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ ؟! وَاللهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِم . قَالَ البُخَارِيّ : فَكَانَ ابْنُ أَبِي مَلِيكَةَ يَقُولُ : اللَهُمّ إنّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا وَنُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا . انتهى .

قال آية الله العامليّ رحمه الله هنا بعد نقل خبرين آخرين : ومن وقف على ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده ، يعلم أنّ فيهم قوماً دحرجوا الدبّاب12 ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ناقته وَهَمّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ .13 ومن تلا سورة التوبة ، يعلم بأنّهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلّبوا الأُمور لرسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون .14 وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مّنكُمْ وَلَكِنّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجًَا أَوْ مَغَرَ تٍ أَوْ مُدّخَلًا لّوَلّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ15 * وَمِنْهُمُ الّذِينَ يُؤْذُونَ النّبِىّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لّلّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنّ لَهُ نَارَ جَهَنّمَ خَلِدًا فِيهَا ذَ لِكَ الْخِزْىُ الْعَظِيمُ16 * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنّ إِنّمَا كُنّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ17 * وَمِنْهُم مّنْ عَهَدَ اللهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصّدّقَنّ وَلَنَكُونَنّ مِنَ الصّلِحِينَ * فَلَمّآ ءَاتَىٰهُم مّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلّوا وَهُم مّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ18 * الّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطّوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصّدَقَتِ وَالّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ ذَ لِكَ بِأَ نّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَسِقِينَ19 * وَلَا تُصَلّ عَلَى أَحَدٍ مّنْهُم مّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ * وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَ لُهُمْ وَأَوْلَدُهُمْ إِنّمَا يرِيدُ اللهُ أَن يُعَذّبَهُم بِهَا فِى الدّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَفِرُونَ * وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا بِاللهِ وَجَهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُولُوا الطّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مّعَ الْقَعِدِينَ * رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ20 * سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَبهُمْ جَهَنّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَسِقِينَ21 * إلى آخر السورة الدالّة على فشوّ النفاق فيهم .

25) فما أدري كيف صار كلّ من كانت له صحبة ثقة عدلاً بمجرّد أن مات رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ؟! وَمَا مُحَمّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرّسُلُ أَفَإِين مّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللهُ الشّكِرِينَ . 22

الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا ، ولم يحدثوا بعد الرسول صلّى الله عليه وآله حدثاً ، ولم يغيّروا ولم يبدّلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَ تُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدّ اللهُ لَهُمْ

جَنّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَ لِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .23 وهم في غنىً عن مدحة المادحين ، وتقريظ الواصفين ، بما لهم من تأييد الدين ، ونشر دعوة الحقّ المبين . فمودّتهم واجبة ، والدعاء لهم فريضة . رَبّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَ نِنَا الّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلّاً لّلّذِينَ ءَامَنُوا رَبّنَآ إِنّكَ رَءُوفٌ رّحِيمٌ . 24

إلى هنا انتهى كلام العلّامة السيّد شرف الدين في ص 194 ، من «الفصول المهمّة» وهو في آخر هذا الكتاب الثمين النفيس . وقال رحمه الله في ص 222 من كتابه الآخر : «الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء» الملحق بالكتاب السابق : وإنّما دخل البلاء باعتماد الجمهور على كلّ من كان في الصدر الأوّل ، وبنائهم على عدالة كلّ فرد ممّن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه في الكتاب والسنّة من شؤون المنافقين ، وتربّصهم الدوائر بسيّد الأنبياء والمرسلين . وحسبهم من الكتاب سورتا التوبة والأحزاب ، فإنّ فيهما الذكرى لأُولي الألباب . وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ .25 واشتدّ البلاء بالمنع من الخوض في تلك الأحوال ، وسدّهم باب البحث عن حقائق أُولئك الرجال فضيّعوا على أنفسهم كثيراً من الحقائق .

1) المقصود من عبد المحمود هو نفسه . وأنّى قال في طرائفه : عبد المحمود ، فإنّما يريد نفسه .

2) «صحيح مسلم» ج 4 ، ص 1793 ؛ و«صحيح البخاريّ» : الجزء الثامن ، ص 26 ، والجزء السابع ، ص 208 ؛ وكذلك رواه آية الله السيّد شرف الدين العامليّ في «الفصول المهمّة» ص 191 ، الطبعة الثانية ، عن «صحيح البخاريّ» في باب الحوض ، عن سهل بن سعد ، ووضع في آخره علامة (ا هـ) .

3) وأخرج البخاريّ مثل هذا الحديث في المفاد ، في أوّل باب قوله تعالى : وَاتّخَذَ اللهُ إبرَاهِيمَ خَلِيلًا من كتاب بدء الخلق ، من الجزء الثاني من صحيحه ، عن ابن عبّاس ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : إنّكم تحشرون حُفاةً عراةً غُرْلًا ، ثمّ قرأ : كَمَا بَدَأْنَا أَوّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنّا كُنّا فَاعِلِينَ . وأوّل من يُكسَى يوم القيامة إبراهيم ، وَإنّ أُناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : أصحابي أصحابي ، فيقال : إنّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح : وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مّا دُمْتُ فِيهِمْ . إلى قوله . الْحَكِيمُ . («الفصول المهمّة» ص 192 ، الطبعة الثانية) .

4) أي : عيسى ابن مريم عليه السلام .

5) الآيتان 117 و118 ، من السورة 5 : المائدة ، ضمن الآيات الأخيرة في سورة المائدة . وهذا الجواب هو جواب عيسى ابن مريم لله يوم القيامة ، إذ يؤاخذه الله على اتّخاذ أُمّتِه إيّاه وأُمّهُ مريم إلهين من دون الله . فيجيبه بهذا الجواب . والحقّ أنّه جواب رصين قويم . وكلّما كان يتلو علينا سماحة أُستاذنا الفقيد العلّامة الفذّ الفريد آية الله العظمى السيّد محمّد حسين الطباطبائيّ التبريزيّ أفاض الله علينا من بركات رمسه هذه الآيات ، كان يغرق في عالم من الوجد والسرور ، ويتغيّر حاله حتّى يُرى ذلك على قسمات وجهه . وكان يقول : في هذه الآيات القرآنيّة من قوله : وَإِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتّخِذُونِى وَأُمّىَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ إلى آخر السورة ، نكات بديعة في أدب العبوديّة . وقد بلغ القرآن الكريم بالموضوع ذروته حقّاً .

6) «صحيح مسلم» ج 4 ، ص 2195 ، كتاب الجنّة .

7) «صحيح مسلم» ج 4 ، ص 1800 ؛ و«صحيح البخاريّ» ج 7 ، ص . 207

8) «صحيح البخاريّ» ، ج 7 ، ص . 208

9) «مسند أحمد بن حنبل» ج 1 ، ص 253 و . 258

10) يُنظَر : «صحيح مسلم» ج 4 ، ص . 1796

11) كما قلنا في صدر التعليقة ، فإنّ هذه الأحاديث كلّها نقلناها عن كتاب «الطرائف» للسيّد ابن طاووس رحمة الله عليه ، طبعة مطبعة الخيّام ، قم ، ص 376 إلى . 378

12) الدبّاب المدرّعة سابقاً وكانت تصنع على شكل حجيرة من الجلد الصلب القويّ . كان يدخل فيها الأشخاص كي لا تصلهم السهام والحِراب والأحجار . فإذا أرادوا فتح قلعة أو حصن ، كانوا يجعلون الدبّاب إلى جانب القلعة أو الحصن متّصلاً بجدارهما فيثقبون الجدار ويدخلون القلعة أو الحصن دون أن يراهم أحد ويباغتونهم بالهجوم .

13) الآية 74 ، من السورة 9 : التوبة .

14) اقتباس من الآية 48 ، من السورة 9 : التوبة .

15) الآيتان 56 و57 ، من السورة 9 : التوبة .

16) الآيات 61 إلى 63 ، من السورة 9 : التوبة .

17) الآية 65 ، من السورة 9 : التوبة .

18) الآيات 75 إلى 77 ، من السورة 9 : التوبة .

19) الآيتان 79 و80 ، من السورة 9 : التوبة .

20) الآيات 84 إلى 87 ، من السورة 9 : التوبة .

21) الآيتان 95 و96 ، من السورة 9 :التوبة .

22) الآية 144 ، من السورة 3 : آل عمران .

23) الآيتان 88 و89 ، من السورة 9 : التوبة .

24) الآية 10 ، من السورة 59 : الحشر .

25) الآية 101 ، من السورة 9 : التوبة .

28) روى في «غاية المرام» ص 227 ، الحديث 38 عن الخاصّة ، عن «تفسير عليّ بن إبراهيم» بسنده المتّصل عن أبي ذرّ الغفاريّ قال : لمّا نزلت الآية : يوم تَبْيَضّ وجوه وتَسْوَدّ وجوه . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ترد عَلَيّ أُمّتي يوم القيامة على خمس رايات : فراية مع عجل هذه الأُمّة ... ، وراية مع فرعون هذه الأُمّة ، وراية مع سامريّ هذه الأُمّة ، وراية مع ذي الثديّة رأس الخوارج ، وكلّهم يذهبون إلى جهنّم ظامئين حرّى الأكباد . وراية مع إمام المتّقين أمير المؤمنين . هذه الرواية رائعة ومفصّلة وقد ذكرناها هنا على نحو الاختصار . وجاء في «كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ الكوفيّ» ص 92 و93 ، الطبعة الثالثة ، النجف ، أنّ عليّاً عليه السلام قال : إنّ الناس كلّهم ارتدّوا بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله غير أربعة . إنّ الناس صاروا بعد رسول الله بمنزلة هارون ومن تبعه ، ومنزلة العجل ومن تبعه . فعليّ في شبه هارون وعتيق في شبه العجل ، وعمر في شبه السامريّ . وسمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : ليجيئنّ قوم من أصحابي من أهل العلية والمكانة منّي ليمرّوا على الصراط ، فإذا رأيتهم ورأوني وعرفتهم وعرفوني اختلجوا دوني ، فأقول : ربّ أصحابي أصحابي ! فيقال : ما تدري ما أحدثوا بعدك !! إنّهم ارتدّوا على أدبارهم حيث فارقتهم فأقول : بُعداً وسحقاً . وسمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: لتركبنّ أُمّتي سنّة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل وحذو القُذّة بالقُذّة ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، وباعاً بباع ، حتّى لو دخلوا جُحراً لَدَخَلوا فيه معهم . إنّ التوراة والقرآن كَتَبه مَلَكٌ واحد في رقّ بقلم واحد وجرت الأمثال والسنن سواء .

29) دعاء إبراهيم عليه السلام عندما كان يبني قواعد بيت الله الحرام مع ابنه إسماعيل عليه السلام : رَبّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرّيّتِنَا أُمّةٍ مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنّكَ أَنتَ التّوابُ الرّحِيمُ .

30) الميزان في تفسير القرآن» ج 3 ، ص 417 إلى . 421

31) ومن هذه المطلقات رواية ذكرها الشيخ أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ في كتاب «الاحتجاج» في رسالة الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام التي كتبها إلى أهل الأهواز . وهذه الرسالة مفصّلة ، وممّا جاء فيها : مثل الخبر المجمع عليه من رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث قال : إنّي مستخلف فيكم خليفتين : كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض .

واللفظة الأُخرى عنه في هذا المعنى بعينه قوله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَارِك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا («غاية المرام» ص 234 ، الحديث 82 ، عن الخاصّة) .

32) ينابيع المودّة» ، عن كتاب «مودّة القربى» للسيّد عليّ الهمدانيّ ، ص . 245

33) مناقب ابن المغازليّ» ص 234 ، الحديث . 281

34) فرائد السمطين» ج 2 ، ص 142 و147 ، الباب 33 ، الأحاديث 426 إلى . 441

35) بحار الأنوار» ج 7 ، ص 30 و31 ، طبعة الكمبانيّ .

36) كنز العمّال» ج 1 ، ص 96 ، طبعة قديمة بالهند .

37) الكوكب الدّرّيّ» ص 111 ، طبعة لاهور .

38) العبقات» ج 1 ، ص 378 ، ضمن ترجمة القاضي عياض .

39) غاية المرام» ص 214 ، الحديث 20 ، عن العامّة ، ولكن بطريق الخاصّة : الفقيه أحمد بن محمّد بن شاذان في «المناقب» المنقبة المائة .

ومن الروايات رواية الصدوق بسنده المتّصل عن الأعمش ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد ، وعن حبيب بن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي قد دُعيتُ وأجبتُ وَإنّي تارك فيكم الثقلين ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله عزّ وجلّ حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي فإنّهما لن يزالا أبداً حتّى يردا عَلَيّ الحوض . فانظروا كيف تخلفونّي فيهما ؟! (غاية المرام ، ص 233 ، الحديث 69 ، عن الخاصّة) .

40) غاية المرام» ص 216 ، الحديث 36 ، من طرق العامّة ، والآية هي : الآية 23 ، من السورة 42 : الشورى .

ومن المطلقات رواية نقلها الصدوق بسنده المتّصل عن الإمام الرضا عليه السلام ، إذ روى عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي ، وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . «غاية المرام» ص 234 الحديث 80 ، عن الخاصّة ، وأيضاً روى الكلينيّ بسنده المتّصل عن الباقر عليه السلام أنّه قال في خطبة الجمعة : وقد بلّغ رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي أُرسل به ، فالزموا وصيّته وما ترك فيكم من بعده من الثّقلين : كتاب الله وأهل بيته الذي لا يضلّ مَن تمسّك بهما ولا يهتدي مَن تركهما . («غاية المرام» ، ص 234 ، الحديث 81 ، عن الخاصّة) .

41) ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج ابن عقدة ، والحافظ أبي الفتوح العجليّ في كتاب «الموجز» ، والديلميّ ، وابن أبي شيبة ، وأبي يعلى عن عبد الرحمن بن عوف .

42) كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» بتخريج ابن أبي شيبة ، وأبي يعلى في مسندهما ، وكذلك البزّاز في مسنده ، كما نقل العلّامة آية الله مير حامد حسين الهنديّ في عبقاته ، ج 2 ، ص 580 و . 581

43) قال في كتاب «إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون» المعروف ب «السيرة الحلبيّة» ج 3 ، ص 133 : وكانت مدّة حصار الطائف ثمانية عشر يوماً ، أي : غير يَوْمَي الدخول والخروج .

44) الصواعق المحرقة» ص . 75

45) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى .

46) المغازي» لمحمّد بن عمر الواقديّ ، ج 3 ، ص 962 إلى . 970

47) ناسخ التواريخ» الجزء الخاصّ بالرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، طبعة إسلاميّة ، الجزء 3 من المجلّد الثاني ، ص 136 و . 137

هذه الرواية من قوله : ما استعصى عَلَيّ أهل مملكة إلى آخرها رواها الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ج 1 ، ص 222 ، بسنده المتّصل عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . أمّا لفظ : ولا أُمّةً ، ولفظ : حبيبه ، فليسا فيه . (الحديث 173 من الباب الثالث والأربعين من السّمط الأوّل) .

48) ناسخ التواريخ» ص . 134

50.49) «بحار الأنوار» ج 6 ، ص 617 ، طبعة الكمبانيّ ، أحوال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، باب غزوة حُنين والطائف وأوطاس وساير الحوادث إلى غزوة تبوك .

51) بحار الأنوار» ج 6 ، ص 616 ، طبعة الكمبانيّ ، في أحوال الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله ، وكذلك ذكره في الجزء التاسع منه ، ص 338 بنفس هذا السند والمتن عن «أمالي الشيخ الطوسيّ» في أحوال أمير المؤمنين عليه السلام ، في باب : أنّه كان صلوات الله عليه من أخصّ الناس برسول الله .

52) بحار الأنوار» ج 6 ، ص 617 ، طبعة الكمبانيّ .

53) جاء في نسخ «عبقات الأنوار» : عبد الله بن حنطب .

54) بحار الأنوار» ج 9 ، ص 338 ، طبعة الكمبانيّ .

55) غاية المرام» ص 454 ، الحديث الأوّل ، عن العامّة . وذكر كلمة : نفسي مكان : مثل نفسي . أي : أبعث إليكم نفسي وروحي التي بين جنبيّ .

56) غاية المرام» ص 455 ، الحديث العاشر ، عن العامّة . وذكر فيه : عديل نفسي بدل كنفسي . أي : هو من يعادلني .

57) غاية المرام» ص 455 ، الحديث الحادي عشر ، عن العامّة ؛ «خصائص النسائيّ» ص 19 ، طبعة القاهرة .

58) المقاتلة : الذين يأخذون في القتال ، والتاء للتأنيث على تأويل الجماعة ، والواحد المقاتل . «أقرب الموارد» .

59) غاية المرام» ص 455 ، الحديث الثاني عشر ، عن العامّة .

59) غاية المرام» ص 455 ، الحديث الثاني عشر ، عن العامّة .

60) غاية المرام» ص 454 ، الحديث الثاني ، عن العامّة . وفي نهاية الحديث قال رسول الله مرّتين : هو هذا .

61) المناقب» ج 1 ، ص 389 ، الطبعة الحجريّة ، عن «فردوس الديلميّ» .

62) نَمِرَة أرض متّصلة بعرفات فيها مسجد نمرة ، وليست من عرفات ، ولا وقوف فيها .

63) جاء في «السيرة الحلبيّة» ج 3 ، ص 298 : القصواء بفتح القاف والمدّ . وقيل : بضمّ القاف والقصر . وهو خطأ . وهذه الناقة غير العضباء والجدعاء . وفي كلام : الأصل أنّ القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة . وفيه ما لا يخفى .

64) معرفة الإمام» ج 6 ، الدرس 83 إلى 90 ، عن «تاريخ اليعقوبيّ» ج 2 ، ص 209 إلى 212 ، طبعة بيروت ، سنة 1379 هـ .

65) تاريخ اليعقوبيّ» ج 2 ، ص 111 و . 112

66) ينابيع المودّة» ص 30وقال القندوزيّ : أيضاً أخرجه محمّد بن عليّ الحكم الترمذيّ في كتابه «نوادر الأُصول» بلفظه . هكذا في «ينابيع المودّة» ويبدو أنّ الصحيح : (الحكيم) .

وذكر أبو الفداء ابن كثير الدمشقيّ كلام الترمذيّ نفسه متناً وسنداً في تفسيره في ذيل آية المودّة .

67) ينابيع المودّة» ص . 41

68) أرجح المطالب» ص 335 إلى 341 ، ضمن بيان الأحاديث في هذا الباب ، عن «جامع الترمذيّ» ج 2 ، ص . 308

69) العبقات» ج 1 ، ص 424 ، ضمن ترجمة ابن الأثير الجزريّ .

70) مصابيح السّنّة» ج 2 ، ص . 206

71) العبقات» ج 2 ، ص 577 و . 578

72) نظم درر السمطين» ص 232 ، طبعة النجف الأشرف .

73) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى .

74) البداية والنهاية» ج 5 ، ص 70 ؛ و«سيرة ابن هشام» ج 4 ، ص 1022 و1023 ؛ و«السيرة الحلبيّة» ج 3 ، ص 298 و299 ؛ و«بحار الأنوار» ج 6 ، ص 668 ، طبعة الكمبانيّ ، عن كتاب «المنتقى» ، و«روضة الصفا» ج 2 ، حجّة الوداع ؛ و«تاريخ الطبريّ» ج 3 ، ص 150 و151 ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ؛ و«الوفاء بأحوال المصطفى» ج 1 ، ص 212 ؛ و«الكامل في التاريخ» ج 2 ، ص 302 ؛ و«حياة محمّد صلّى الله عليه وآله» لمحمد حسين هيكل ، ص 461 إلى . 463

75) سيرة ابن هشام» ج 4 ، ص . 1022

76) الجامع الصغير» ص . 104

77) الآية 103 ، من السورة 3 : آل عمران .

78) جاء في الهامش : في بعض نسخ الحديث : إذاً تَجِدْهُ مُرْفِقاً .

79) جاء في الهامش : وزاد في نسخة : وفي رواية أُخرى : طرف بيد الله وطرف بأيديكم .

80) الغيبة» للنعمانيّ ، في الطبعة الحجريّة : ص 16 إلى 18 ، وفي الطبعة الحديثة ، مكتبة الصدوق : ص 41 إلى 43 ؛ ورواه البحرانيّ في «غاية المرام» ص 225 ، الحديث 22 ، عن الخاصّة ، بالسند الأوّل من الأسناد الثلاثة الأُخرى التي ذكرها النعمانيّ ، نقلاً عن النعمانيّ نفسه .

81) غاية المرام» ص 224 ، الحديث 17 ، عن الخاصّة ، عن «بصائر الدرجات» لسعد ابن عبد الله القمّيّ .

82) بصائر الدرجات» لمحمّد بن الحسن الصفّار ، ص 121 ، مع الفروق الآتية : أوّلاً : تصدّر حرف النداء «الياء» لفظ : أيّها الناس . ثانياً : جاء فيها أما إن تمسّكتم مكان ما إن تمسّكتم . ثالثاً : ورد في آخرها قوله : وكلّ ودائع الله فقد تبرّوا . قال العلّامة الشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في «الذريعة» ج 3 ، ص 125 ، رقم 416 : «بصائر الدرجات» لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن فرّوخ الصفّار المتوفّى سنة 290 هـ . وهو يروي عن الإمام العسكريّ عليه السلام . وقال في ص 124 ، رقم 415 : «بصائر الدرجات» في المناقب لشيخ الطائفة أبي القاسم سعد بن عبد الله الأشعريّ القمّيّ المتوفّى سنة 299 هـ أو 301 هـ . انتهى . في ضوء هذه الرواية التي ذكرناها عن الإمام الباقر عليه السلام ، يتبيّن لنا أنّ هذين العَلَمينِ ذكراها في كتابيهما بسند واحد . والطريف أنّ عنوان الكتابين واحد ، وهو «بصائر الدرجات» . قال العلّامة الطهرانيّ في ص 123 ، رقم 414 : «بصائر الدرجات في تنزيه النبوّات» المحتوي على معجزات النبيّ صلّى الله عليه وآله لبعض الأصحاب .

83) غاية المرام» ص 226 ، الحديث 34 ، عن الخاصّة . وروى الطبرسيّ في «الاحتجاج» ج 1 ، ص 75 و76 ، طبعة النجف الأشرف الحديثة ، متن هذا الحديث نفسه ضمن خطبة غدير خمّ المفصّلة ، عن الإمام محمّد الباقر عليه السلام ، ولكن بسند آخر : أبو جعفر مهدي بن أبي حرب الحسينيّ المرعشيّ ، عن أبي علي الحسن بن الشيخ أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ ، عن أبيه أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ ، عن جماعة ، عن أبي محمّد هارون بن موسى التلعكبريّ ، عن أبي عليّ محمّد بن همّام ، عن عليّ السوريّ ، عن أبي محمّد العلويّ من أولاد الأفطس . وكان من عباد الله الصالحين . عن محمّد بن موسى الهمدانيّ ، وسند ما يتلو ذلك هو نفس سند «غاية المرام» حتّى يصل إلى الإمام الباقر عليه السلام . وجاء فيه حكماؤُهُ في أرضه بدل وحُكّامه في أرضه .

84) يوم القَرّ ، هو اليومالحادي عشر من ذي الحجّة حيث يمكث الحجّاج بمِنى . ويوم النّفر الأوّل هو اليوم الثاني عشر ، وفيه يرحل عدد من الحجّاج عن مِنى ، ويوم النّفْر الثاني ، وهو اليوم الثالث عشر الذي ينزح فيه بقيّة الحجّاج .

85) خطب الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله في الحجّ خمس خطب ما عدا خطبة غدير خمّ التي ألقاها في الطريق بعد رجوعه من الحجّ : فقد خطب يوم السابع من ذي الحجّة بمكّة المكّرمة ، ويوم التاسع في عرفات ، ويوم العاشر في مسجد الخيف بمِنى ، ويوم الحادي عشر بمِنى أيضاً ، ويوم الثاني عشر بها أيضاً في موضع يعرف بالعقبة ، وهي آخر نقطة بمِنى باتّجاه مكّة . وقد تعرّضنا إلى شرح هذه الخطب مفصّلاً في الجزء السادس من كتابنا هذا «معرفة الإمام» .

86) البداية والنهاية» ج 5 ، ص 201 إلى . 203

87) روى القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 447 ، الباب 77 ، عن مناقب أحمد بن حنبل ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، عن أبيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام أنّه قال : أتيتُ جابربن عبد الله فقلتُ له : أخبرني عن حجّة الوداع ! فذكر حديثاً طويلاً ثمّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَاركٌ فيكُم الثقلين إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض . قال : اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد ، اللهمّ اشهد . ثلاثاً . ورواه الإمام عليّ الرضا عن آبائه عليهم السلام أيضاً .

88) تاريخ اليعقوبيّ» ج 2 ، ص 112 ، طبعة بيروت سنة 1379 هـ .

وقال أبو الفداء ابن كثير الدمشقيّ في تفسيره في ذيل آية المودّة : وقد ثبت في الصحيح أنّ رسول الله صلّى الله عليهوآله قال في خطبته بغدير خمّ : إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض . ونقل هنا رواية أحمد بن حنبل عن زيد بن أرقم مفصّلاً ، وفيها قال رسول الله : أمّا بعد ، ألا أيّها الناس ! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب ، وإنّي تارك فيكم الثقلين . أوّلهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به . فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه وقال صلّى الله عليه وآله . وأهل بيتي ، أُذكّركم الله في أهل بيتي ، أُذكّركم الله في أهل بيتي . الحديث .

89) قال في الهامش : في البحار نقلاً عن «العمدة» لابن بطريق ، ص 51 ، وذكره ابن امرأة زيد بن أرقم . وحكايته في «الغدير» ج 7 ، ص 37 نقلاً عن «العمدة» . انتهى . ونحن عندما نقلنا الحديث سابقاً عن «عبقات الأنوار» كان بلفظ زيد بن أرقم ، وبدون ضميمة معه .

90) علتُ الضالّة أُعيلُ عيلاً وَعَيلاناً فأنا عائل : إذا لم تدر أيّ وجهة تبغيها .

91) قال في الهامش : في حاشية «الأزهار» . أي : كتاب «الأزهار في مناقب إمام الأبرار» . طَرَفه . ومثله في «العمدة» و«بحار الأنوار» نقلاً منه .

92) مناقب ابن المغازليّ» ص 18 ، ضمن الحديث . 23 وذكره علي بن عيسى الإربليّ في «كشف الغُمّة» ص 16 ، بنحو أكثر تفصيلاً .

93) تاريخ دمشق» ج 2 ، ص 36 ، الحديث 534 ، من ترجمة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام . ونقل ابن حجر الهيتميّ قصّة الغدير مع حديث الثقلين مفصّلاً في «الصواعق المحرقة» ص 25 ، عن زيد بن أرقم .

94) أنساب الأشراف» ج 1 ، ص 315 ، الحديث . 46

95) الخصائص» ص 21 ، طبعة مطبعة التقدّم بالقاهرة .

96) كنز العمّال» ج 15 ، ص 91 ، طبعة حيدر آباد سنة 1387 ، فضائل عليّ عليه السلام .

97) في النسخة الأصليّة ل «حلية الأولياء» بياض .

98) حلية الأولياء» ج 9 ، ص . 64

99) العبقات» ج 2 ، ص 582 ، ضمن ترجمة السخاويّ .

100) ينابيع المودّة» ص 40 ؛ وروى البحرانيّ في «غاية المرام» ص 233 ، الحديث 67 ، عن الخاصّة ، عن ابن بابويه بسنده المتّصل عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه الباقر عليه السلام قال : أتيتُ جابر بن عبد الله الأنصاريّ فقلت له : أخبرني عن حجّة الوداع ! فذكر حديثاً طويلاً ، ثمّ قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي تَاركٌ فيكُمْ الثقلين ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا من بعدي : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي أهل بيتي . ثمّ قال ثلاثاً : اللهمّ اشْهَدْ !

101) غاية المرام» ص 214 ، الحديث 9 ، عن العامّة . وفي ص 225 منه ، (الحديث 25) رواية عن الخاصّة عن أبي نصر محمّد بن مسعود العيّاشيّ في تفسيره بإسناده عن أبي جميلة المفضّل بن صالح ، عن بعض أصحابه أنّه ذكر هذا الحديث نفسه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله .

102) أرجح المطالب» ص 338 ، وفيه لفظ تَرِدون مكان تنزلون . وليس فيه كلمة سبب .

103) العبقات» ج 2 ، ص 578 و579 ، ضمن ترجمة السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف» بلفظ تردون ولفظ سبب ، ولفظ لن ينقضيا مكان لفظ لن يفترقا .

104) العبقات» ج 2 ، ص 643 ، ضمن ترجمة السمهوديّ في كتاب «جواهر العِقدين» بمتن السخاويّ نفسه بدون أدنى اختلاف إلّا في لفظ لن ينقضيا ، إذ ورد في الحديث أن لا يتفرّقا .

105) العبقات» ج 1 ، ص 402 ، ضمن ترجمة ابن عساكر من «تاريخ دمشق» .

106) العبقات» ج 2 ، ص 579 ، ضمن ترجمة السخاويّ في كتاب «استجلاب ارتقاء الغرف بحبّ أقرباء الرسول ذوي الشّرف» .

107) العبقات» ج 2 ، ص . 580

108) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى : وقد صدع بها رسول الله صلّى الله عليه وآله في مواقف شتّى : تارة يوم غدير خُمّ . إلى آخر كلامه .

ومن الجدير بالذكر أنّنا نقلنا هذه الروايات عن مصادر العامّة غالباً وذلك إتماماً للحجّة وإلزاماً للخصم ، وإلّا فإنّ الروايات في الغدير من مصادر الخاصّة كثيرة ، سواء كانت من كتب التفسير ، أم الحديث ، أم التأريخ والسيرة ، كرواية الشيخ المفيد في «الإرشاد» ، إذ ذكرت قصّة الغدير وخطبة رسول الله وأمره بالتمسّك بالثقلين مفصّلاً . («غاية المرام» ص 230 ، الحديث السابع والأربعون ، عن الخاصّة ، وقال أيضاً : ورواه أبوعليّ الطبرسيّ في كتاب «إعلام الورى») .

109) غاية المرام» ص 231 و232 ، الحديث 55 ، عن الخاصّة .

110) ينابيع المودّة» ص . 35

111) الاحتجاج» للطبرسيّ ، ج 1 ، ص 89 و90 ، طبعة النجف ؛ و«غاية المرام» ص 226 ، الحديث 35 ، عن الخاصّة ، عن «الاحتجاج» ؛ ورواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج 7 ، ص 30 ، طبعة الكمبانيّ ، عن «أمالي الشيخ الطوسيّ» ، عن أبي عمرو ، عن ابن عقدة بسنده المتّصل إلى أبي سعيد الخُدريّ ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله باللفظ الآتي : إني تارك فيكم الثقلين إلّا أنّ أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحَوْض . وقال : ألا إنّ أهل بيتي عيني التي آوي إليها ، وإنّ الأنصار تُرسي ، فاعفوا عن مسيئهم وأعينوا محسنهم . ثمّ قال المجلسيّ في شرح هذا الحديث وبيانه : يظهر من بعض كتب المخالفين أنّ مكان (عيني) : (عيبتي) ، ومكان (تُرسي) : (كرشي) . وقال في «النهاية» : فيه الأنصار كرشي وعيبتي ، أراد أنّهم بطانته وموضع سرّه وأمانته والذين يعتمد عليهم في أُموره . واستعار الكرش والعيبة لذلك ، لأنّ المجترّ يجمع علفه في كرشه والرجل يضع ثيابه في عيبته . وقيل : أراد بالكرش : الجماعة . أي : جماعتي وصحابتي . يقال : عليه كرش من الناس . أي : جماعة [منهم] . انتهى كلام المجلسيّ . وأنا أقول : جاء في «مجمع البحرين» : والكرش الجماعة من الناس . وفي خبر النبيّ صلّى الله عليه وآله : الأنصار كرشي ، أي : أنّهم منّي في المحبّة والرأفة بمنزلة الأولاد الصغار ، لأنّ الإنسان مجبول على محبّة ولده الصغير . وكرش الرجل عياله من صِغار ولده . انتهى كلام صاحب «المجمع» .

112) الأمالي» للشيخ المفيد ، ص 45 إلى 47 ، المجلس السادس ، الحديث 6 ، طبعة جماعة المدرّسين ، الحوزة العلميّة بقم ؛ و«غاية المرام» ص 234 ، الحديث 78 ، عن الخاصّة .

رواه القندوزيّ باختصار في «ينابيع المودّة» ص 40 ، بتخريج السيّد أبي الحسين يحيى بن الحسن في كتابه المسمّى «أخبار المدينة» عن محمّد بن عبد الرحمن بن خلّاد ، عن جابر بن عبد الله .

وروى السيّد ابن طاووس رضوان الله عليه في كتاب «الطرائف» الطرفة الثالثة والثلاثين ، حديثاً مفصّلاً في خطبة النبيّ صلّى الله عليه وآله حين دعا الأنصار ، وذلك بسنده المتّصل عن الإمام الكاظم ، عن الإمام الصادق عليهما السلام ؛ وذكر السيّد هاشم البحرانيّ هذه الخطبة في «غاية المرام» ص 228 ، الحديث الأربعون ، عن الخاصّة .

113) قال في الهامش : روى الصدوق في أماليه ، المجلس العاشر ، عن عائشة في حديث أنّها قالت : فقلتُ : وما السيّد ؟ قال صلّى الله عليه وآله : مَنِ افتُرضت طاعته كما افترضت طاعتي .

114) الأمالي» للمفيد ص 44 و45 ، المجلس السادس ، الحديث الرابع ، طبعة جماعة المدرّسين .

115) كنز العمّال» ج 6 ، ص 600 ، طبعة قديمة ؛ ونقله الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ج 1 ، ص 196 و197 ، الباب 40 ، الحديث 154 ، بسنده عن الإمام الحسن عليه السلام ، وقال في آخره : قال أبو نعيم : روى أبو بشر عن سعيد بن جبير ، عن عائشة نحوه في «السؤدد» مختصراً ؛ ورواه الحاكم في «المستدرك» ج 3 ، ص 124 ، عن عمر بن حسن الراسبيّ ، عن أبي عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن عائشة وقال ما مضمونه : هذا الحديث شاهد لحديث عروة عن عائشة ، وله شاهد آخر من حديث جابر بن عبد الله الأنصاريّ ؛ وهو وارد بهذا المضمون الذي يحمل جوابه صلّى الله عليه وآله عن سؤال عائشة .

116) نزهة المجالس» ج 2 ، ص . 208

117) ينابيع المودّة» ص . 34

118) غاية المرام» ص 226 ، الحديث . 31 قال عليّ عليه السلام : إنّ الذي قال رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم غدير خُمّ وفي حجّة الوداع ويوم قبض في آخر خطبة خطبها رسول الله حين قال : تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ما تمسّكتم بهما : كتاب الله وأهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير عهد إليّ أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض . كهاتين الإصبعين . وإنّ أحدهما أقدم من الآخر فتمسّكوا بهما لن تضلّوا وتولّوا ولا تقدّموهم ولا تتخلّفوا عنهم ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم .

119) في النسخة الأصل : أبو عبد الله .

120) الأمالي» للشيخ المفيد ، ص 135 و136 ، الحديث الثالث ، طبعة جماعة المدرّسين ؛ وجاء في آخر حاشية «بحار الأنوار» في حاشية النسخة البدل : بما نعرف .

121) غاية المرام» ص 232 ، الحديث 57 ، عن الخاصّة .

122) كتاب سُليم بن قيس الكوفيّ العامريّ» الذي كان من صحابة أمير المؤمنين عليه السلام ، ص 101 و102 ، طبعة النجف .

123) غاية المرام» ص 225 ، الحديث 27 ، عن الخاصّة . وقال صاحب الكتاب السيّد هاشم البحرانيّ : نسخت هذه الرواية عن «كتاب سُليم» ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

124) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى .

125) غاية المرام» ص 228 و229 ، الحديث 41 ، عن الخاصّة ، عن ابن طاووس في «الطرائف» ، الطريفة الثالثة والثلاثون .

126) غاية المرام» ص 231 ، الحديث 54 ، عن الخاصّة ؛ وقال في «الصواعق المحرقة» ص 75 : ورد في الخبر أنّه قال كذا في مرض موته ؛ وذكره القندوزيّ في ص 285 من «ينابيع المودّة» بعد أن نقل في ص 279 إلى 285 ، أربعين حديثاً عن «الصواعق المحرقة» في منقبة أمير المؤمنين عليه السلام .

127) أرجح المطالب» ص . 340

128) الدارقطنيّ ، اسمه أبو الحسن عليّ بن عمر بن أحمد ، صاحب كتاب «السنن» ، وهو شافعيّ المذهب ، ولد سنة 306 هـ ، ومات سنة . 385

129) أرجح المطالب» ص . 340

130) العبقات» ج 2 ، ص 625 ، ضمن ترجمة السمهوديّ .

131) ينابيع المودّة» ص . 40

132) المراجعات» ص 15 ، الطبعة الأُولى .

133) فرائد السمطين» ج 1 ، ص 312 إلى 318 ، الباب 58 ، وهو السمط الأوّل ، والفقرات التي ذكرناها موجودة في ص 317 و318 ؛ و«كتاب سُليم بن قيس» ص 111 إلى 117 ، والفقرات التي أوردناها جاءت في ص 116 منه .

134) غاية المرام» ص 226الحديث 29 ، عن الخاصّة .

135) أرجح المطالب» ص . 339

136) ينابيع المودّة» ص . 38

137) العبقات» ج 2 ، ص . 579 قال ضمن ترجمة السخاويّ : وأمّا حديث خزيمة ... إلى آخر كلامه .

138) العبقات» ج 2 ، ص 641 و. 642 قال في سياق ترجمة السمهوديّ : وعن أبي الطفيل أنّ عليّاً ... إلى آخر كلامه .

139) المقصود سعد بن أبي وقّاص . وجاء في هذه النسخة : سعيد .

140) ينابيع المودّة» ص . 35

141) غاية المرام» ص 224 ، الحديث 16 ، عن الخاصّة .

142) المعروف بالخوارزميّ ، ولد سنة 484 ، وتوفّي سنة 568 هـ .

143) رواه الحمّوئيّ في «فرائد السمطين» ج 1 ، ص 319 إلى 322 ، الحديث 251 ، من الباب 58 ، من السمط الأوّل في هذه المناشدة ، عن أبي الطفيل بسنده المتّصل .

144) مناقب الخوارزميّ» في الطبعة الحجريّة : ص 216 إلى 220 ، وفي الطبعة الحديثة في النجف الأشرف : ص 221 إلى . 225

145) كتاب سُليم بن قيس» ص 179 إلى 190 ، والفقرات المذكورة واردة في ص 187 إلى 189 من الكتاب بالترتيب ؛ ورواه البحرانيّ في «غاية المرام» ص 218 ، الحديث الرابع ، عن الخاصّة ، عن محمّد بن إبراهيم النعمانيّ في كتاب «الغيبة» بسنده المتّصل عن سُليم بن قيس ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ؛ ورواه أيضاً مفصّلاً في ص 230 و231 من كتابه المذكور ، الحديث 51 ، عن النعمانيّ في «الغيبة» بسنده المتّصل عن سُليم ، وبسند آخر أيضاً عن عمر بن أبي سَلِمة ؛ وذكره أيضاً فيه ، ص 231 ، الحديث الثاني والخمسون ، عن «غيبة النعمانيّ» ، وفيه : قام من الأثني عشر أربعة : الهيثم بن التّيّهان ، وأبو أيّوب ، وعمّار ، وخزيمة ذو الشهادتين . وشهدوا كلّ على حِدة بأشياء وخصوصيّات أُخرى كانت تخصّهم أنفسهم .

146) الآية 59 ، من السورة 4 : النساء .

147) الآية 83 ، من السورة 4 : النساء .

148) الآية 48 ، من السورة 8 : الأنفال .

149) الآية 158 ، من السورة 6 : الأنعام . والمصدر هو : «أمالي المفيد» ص 348 إلى 350 ، الحديث 4 من المجلس الحادي والأربعين ، طبعة جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقم .

150) غاية المرام» ص 234 ، الحديث 77 ، عن الخاصّة ، عن المفيد ، وص 224 ، الحديث 15 ، عن الخاصّة عن الطوسيّ .

151) ينابيع المودّة» ص . 21 وجاء في هذه الرواية قوله : ونحن ثاني كتاب الله مكان قوله : والتالي لكتاب الله .

152) الآية 111 ، من السورة 21 : الأنبياء .

153) تذكرة الخواصّ» ص 113 ، الطبعة الحجريّة من القطع الرحليّ .

154) وفي بعض النسخ : بسنتين .

155) ذكر ابن الأثير الجزريّ في «الكامل في التاريخ» ج 3 ، ص 460 ، حوادث سنة 49 هـ ، أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام توفّي فيها ، سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ .

156) كتاب سُليم بن قيس» ص 206 إلى . 209 ونحن ذكرنا هذه الخطبة مع ترجمتها إلى الفارسيّة في الطبعة الثانية من كتاب «لمعات الحسين عليه السلام» ص 23 إلى 30 ، الطبعة الفارسيّة .

157) مناقب الخوارزميّ» ص 230 ، الطبعة الحجريّة ، وفي طبعة النجف الحديثة : ص 236 ؛ و«غاية المرام» ص 214 ، الحديث 24 ، عن العامّة ، عن الخوارزميّ .

158) مناقب الخوارزميّ» ص 126 ، الطبعة الحجريّة ، وفي طبعة النجف الأشرف الحديثة : ص 130 ؛ و«غاية المرام» ص 213 ، الحديث 17 ، عن العامّة ، عن الخوارزميّ .

159) غاية المرام» ص 217 ، الحديث 34 ، عن العامّة .

160) يتّضح ممّا قلناه أنّ كلام أخينا المؤمن العزيز الدكتور السيّد محمّد التيجانيّ السماويّ في ص 111 ، من كتابه الثمين : «لأكون مع الصادقين» لا يستقيم ، إذ قال : إنّ البخاريّ ، ومسلم ، والترمذيّ ، وابن ماجة لم يذكروه في كتبهم . فقد ذكره الثلاثة الواردة أسماؤهم بعد البخاريّ .

161) وطعن ابن تيميّة أيضاً بقوله صلّى الله عليه وآله : لن يفترقا . فتصدّى مير حامد حسين إلى ردّه مفصّلاً . وقال في آخره : كيف يجرؤ مسلم على القدح في أصل حديث الثقلين سنداً ، أو إنكار ثبوت قوله : لن يفترقا وما ماثله ، في حين أنّ النواصب اللئام الذين اتّفق أهل الإسلام على تكفيرهم لم يقولوا بذلك ؟ وقُصارى سعيه اللامشكور وحُمادى جهده اللامبرور . شتّان على ما أفاده مخاطبنا اللبيب في العبارة الماضية من «التحفة» . هو أنّه قدح في صحّة هذا الحديث الشريف وزعم باطلاً أنّ الدليل العقليّ لا يعضده . فأثبت بذلك جهله وسفاهته تماماً .

ومن هنا فإنّ قدوة النواصب الأغثام وأُسوة هؤلاء الطغام عمرو بن بحر البصريّ المعروف بالجاحظ ، على شدّة نصبه وعدوانه وكثرة بغيه وطغيانه الوارد مثاله في الجزء الخاصّ بحديث الغدير ، والجزء الخاصّ بحديث المنزلة ، قد أنطقه الحقّ سبحانه وتعالى إظهاراً للحقّ وإرداءً للباطل فاعترف بالصواب في «رسالة مدح أهل البيت عليهم السلام» إذ استدلّ بحديث الثقلين على كمال أفضليّة أهل البيت عليهم السلام ، وأحرز قصب

الاستباق في تسويد وجوه أهل الإنكار والشقاق بإيراده لفظاً أصرح وأوضح يشتمل على جملة عدم الافتراق أيضاً ، فقال في رسالته المذكورة : اعلم أنّ الله تعالى لو أراد أن يسوّي بين بني هاشم وبين الناس لما أبان منهم ذوي القربى ولما قال : «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين» وقال تعالى : «وَإِنّهُ لَذِكر لك ولقومك» . وإذا كان لقومه في ذلك ما ليس لغيرهم فكلّ من كان أقرب كان أرفع ؛ ولو سوّاهم بالناس لما حرّم عليهم الصدقة ؛ وما هذا التحريم إلّا لإكرامهم ، ولذلك قال للعبّاس حين طلب ولاية الصدقات : لا أُولّيك غسالات خطايا الناس وأوزارهم ، بل أُولّيك سقاية الحجّ (الحاجّ ظ) والإنفاق على زوّار الله ؛ ولهذا كان رباه أوّل ربا وضع ، ودم ابن ربيعة بن الحارث اوّل دم هدر ، لأنّها القدوة في النفس والمال ؛ ولهذا قال عليّ على منبر الجماعة : نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من الناس ، وصدق كرّم الله وجهه وكيف يقاس بقوم منهم رسول الله صلّى الله عليه (وآله) وسلّم والأطيبان : عليّ وفاطمة ، والسبطان : الحسن والحسين ، والشهيدان : أسد الله حمزة وذو الجناحين جعفر ، وسيّد الوادي عبد المطّلب ، وساقي الحجيج العبّاس ، والنجدة والخير فيهم ، والأنصار أنصارهم ، والمهاجر مَن هاجر إليهم ومعهم ؛ والصدّيق من صدّقهم ، والفاروق من فرّق بين الحقّ والباطل فيهم ، والحواريّ حواريّهم ، وذو الشّهادتين ، لأنّه شهد لهم ، ولا خير إلّا فيهم ولهم ومنهم ومعهم . وقال عليه السلام : إنّي تاركٌ فيكم الخليفتين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ؛ نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يَردا عَلَيّ الحَوضَ . («عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 942 و943) .

162) عبقات الأنوار» ج 2 ، ص 824 إلى 905 ، من حديث الثقلين ، طبعة إصفهان .

163) العبقات» ج 2 ، ص 824 و . 825

164) أورد آية الله مير حامد حسين في عبقاته ، ج 1 ، ص 220 و221 نقلاً عن العلّامة السخاويّ في «استجلاب ارتقاء الغرف» في ذكر هذا الحديث الشريف أنّه قال : وتعجّبت من إيراد ابن الجوزيّ له في «العلل المتناهية» ، بل أعجب من ذلك قوله : «إنّه حديث لا يصحّ» مع ما سيأتي من طرقه التي بعضها في «صحيح مسلم» ، لأنّ مسلماً أخرج في صحيحه حديث زيد من طريق سعيد بن مسروق ، وأبي حيّان يحيى بن سعيد بن حيّان وكلاهما . اللفظ للثاني . عن يزيد بن حيّان عمّ ثانيهما ، عن زيد بن أرقم . ويذكر هنا حديث زيد مفصّلاً . الكلام .

165) العبقات» ج 2 ، ص 638 و639 ، عن نور الدين السمهوديّ في كتاب «جواهر العقدين» .

166) العبقات» ج 2 ، ص . 836

167) إنّ الإشكال الثاني والأربعين بعد المائة الذي سجّله صاحب «العبقات» على البخاريّ في الجزء الثاني من كتابه ، ص 892 و893 هو كما يأتي : إنّ قدح ابن الجوزيّ في عطيّة الراوي لهذا الحديث الذي أورده عن أبي سعيد الخُدريّ مرفوض بتوثيق ابن سعد له ، فقد قال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» : «قال ابن سعد : خرج عطيّة مع ابن الأشعث ، فكتب الحجّاج إلى محمّد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ بن أبي طالب ! فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط واحلق لحيته . فاستدعاه ، فأبى أن يسبّ ، فأمضى حكم الحجّاج فيه ، ثمّ خرج إلى خراسان ، فلم يزل بها حتّى ولي عمر بن هبيرة العراق . فقدمها فلم يزل بها إلى أن توفّي سنة 110 هـ . وكان ثقة إن شاء الله تعالى ، وله أحاديث صالحة ومِنَ الناس مَن لا يحتجّ به» . وليُعلَم أنّ توثيق ابن سعد . مع عداوته الكثيرة وبغضه الشديد لأهل البيت عليهم السلام إلى حدّ ضعّف معه الإمام جعفر الصادق عليه وعلى آبائه وأبنائه المعصومين آلاف التحيّة ما ذرّ شارق ، ووصف روايته بالاختلاف

والاضطراب ، إلى غير ذلك من آيات إعراضه عن أهل البيت والأئمّة الطاهرين منهم . لعطيّة هذا دليل قاطع على صحّة روايته ، ومَن لم يحتجّ به فأُولئك أشدّ حروريّة واعوجاجاً من ابن سعد ، فانتبه ولا تغفل !

168) لا يخفى على أهل التحقيق والاطّلاع أنّ جميع الأحاديث التي ذكرها الطبرانيّ في معجمه الكبير أحاديث صحيحة . ذلك أنّه لم يُخرج فيه إلّا ما كان صحيح السند .

169) العبقات» ج 2 ، ص 905 و . 906

170) بلغت خيانة ابن الجوزيّ الدينيّة وجنايته الفقهيّة والعلميّة من العجب درجة أنّ حفيده أبا المظفّر يوسف بن قزغلي المعروف بسبط بن الجوزيّ قال في كتاب «تذكرة خواصّ الأُمّة» ص 182 ، الباب الثاني عشر في ذكر الأئمّة عليهم السلام ، الطبعة الحجريّة : قال أحمد في «الفضائل» : حدّثنا أسود بن عامر ، حدّثنا إسرائيل عن عثمان بن المغيرة عن عليّ بن ربيعة قال : لقيتُ زيد بن أرقم فقلت له : هل سمعتَ رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : تركت فيكم الثقلين ، واحد منهما أكبر من الآخر ؟ قال : نعم ، سمعته يقول : تركت فيكم الثقلين : كتاب الله حبل ممدود بين السماء ، وعترتي أهل بيتي . ألا إنّهما لن يفترقا حتّى يردا علَيّ الحوض . ألا فانظروا كيف تخلفونّي فيهما . قال سبط بن الجوزيّ هنا : فإن قيل : فقد قال جدّك في كتاب «العلل الواهية» : أنبأنا عبد الوهاب الأنماطيّ عن محمّد بن المظفّر ، عن محمّد العقيقيّ ، عن يوسف بن الدخيل ، عن جعفرالعقيليّ ، عن أحمد الحلوانيّ ، عن عبد الله بن داهر ، قال : حدّثنا عبد الله بن عبد القدّوس ، عن الأعمش ، عن عطيّة ، عن أبي سعيد ، عن النبيّ صلّى الله عليه وآله بمعناه . ثمّ قال جدّك : ضعيف ، وابن عبد القدّوس رافضيّ ، وابن داهر ليس بشيء . قلتُ : الحديث الذي رويناه أخرجه أحمد في «الفضائل» ، وليس في إسناده أحد ممّن ضعّفه جدّي . وقد أخرجه أبو داود في سننه ، والترمذيّ أيضاً ، وعامّة المحدّثين . وذكره ابن رزين في «الجمع بين الصحاح السّتّة» . والعجيب كيف خفي عن جدّي ما روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم ؟ ويبيّن سبط بن الجوزيّ حديث زيد بن أرقم هنا . ويقول في آخره : الثقلان : الخطران العظيمان .

171) العبقات» ج 2 ، ص . 933

172) يقول ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص 148 ، طبعة مكتبة القاهرة . دار الطباعة المحمّديّة ، وقد روى حديث الثقلين عن الترمذيّ ، وأحمد بن حنبل مستوعباً ثلثي الصفحة المتقدّمة على الصفحة المذكورة : وذكر ابن الجوزيّ لذلك في «العلل المتناهية» وهم أو غفلة عن استحضار بقيّة طرقه ، بل في «[صحيح] مسلم» عن زيد بن أرقم أنّه صلّى الله عليه [وآله] قال ذلك يوم غدير خُمّ . وهو ماء بالجحفة . ثمّ روى حديث زيد وقال : وفي رواية صحيحة : إنّي تاركٌ فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي وعترتي . وزاد الطبرانيّ : إنّي سألتُ ذلك لهما ،فلا تقدّموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم . وقال بعد ذلك : وفي رواية كتاب الله وسُنّتي . وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب ، لأنّ السنّة مبيّنة له فأغنى ذكره عن ذكرها . والحاصل أنّ الحثّ وقع على التمسّك بالكتاب وبالسنّة وبالعلماء بهما من أهل البيت . ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأُمور الثلاثة إلى قيام الساعة .

173) قال في «أقرب الموارد» ج 1 ، ص 196 ، مادّة حشم : حَشَمُ الرجل خَدَمُهُ ومن يغضب له . سُمّوا بذلك لأنّهم يغضبون له أو يغضب هو لهم من أهل وعبيد أو جيرة أو أقرباء . والجمع أحشام .

174) تاج العروس» ج 7 ، ص 245 ، مادّة ثقل .

175) النهاية» ج 1 ، ص 216 ، مادّة ثقل .

176) صحاح اللغة» ج 2 ، ص 160 ، مادّة ثقل ، طبعة بولاق سنة . 1282

177) المصباح المنير» للفيوميّ ، مادّة ثقل ، الطبعة الحجريّة .

178) أقرب الموارد» لسعيد الخوريّ الشرتونيّ اللبنانيّ ، ج 1 ، ص 91 ، مادّة ثقل .

179) الصواعق المحرقة» ص 90 ، لابن حجر الهيتميّ .

180) الآية 5 ، من السورة 73 : المزّمّل .

181) وردت كلمة (الثقلين) مرّة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في الآية 31 ، من السورة 55 : الرحمن : سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيّهَ الثّقَلَانِ . والخطاب هنا للإنس والجنّ ، لورود ذكرهما في السورة قبل ذلك : خَلَقَ الْإِنسَنَ مِن صَلْصَلٍ كَالْفَخّارِ * وَخَلَقَ الْجَآنّ مِن مّارِجٍ مّن نّارٍ . الآيتان 14 و15 ، من السورة 55 : الرحمن .

182) الصواعق المحرقة» ص . 136

183) شرح نهج البلاغة» ج 6 ، ص 380 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، في سياق شرح الخطبة 85 ، حيث يقول عليه السلام : أَلم أعمل فيكم بالثّقل الأكبر ، وأترك فيكم الثّقل الأصغر ؟ وهذا التفسير الذي أورده ابن أبي الحديد ذكره السيّد البحرانيّ أيضاً في «غاية المرام» ، ص 217 ، ضمن الحديث 39 ، عن العامّة .

184) غاية المرام» ص 226 ، الحديث 33 ، عن الخاصّة .

185) جاء في ثلاثة مواضع من القرآن : الآية 11 ، من السورة 3 : آل عمران ؛ والآية 52 ، و54 من السورة 8 : الأنفال .

186) الآية 46 ، من السورة 40 : غافر . وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ أَدْخِلُوا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدّ الْعَذَابِ .

187) الآية 56 ، من السورة 33 : الأحزاب .

188) تاج العروس» ج 7 ، ص 216 ، مادّة آل .

وقال في «مجمع البحرين» ج 5 ، ص 314 ، طبعة النجف الحديثة : أهل الرجل : آلُهُ وهم أشياعه وأتباعه وأهل ملّته ثمّ كثر استعمال الأهل والآل حتّى سمّي بهما أهل بيت الرجل ، لأنّهم أكثر من يتّبعه . وقال الفيّوميّ في «المصباح المنير» مادّة أهل : والأهل أهل البيت ، والأصل فيه القرابة . وقد أُطلق على الأتباع .

189) الآية 35 ، من السورة 4 : النساء .

190) الآية 29 ، من السورة 28 : القصص : فَلَمّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ .

191) الآية 132 ، من السورة 20 : طه .

192) الآية 33 ، من السورة 33 : الأحزاب .

193) الآية 73 ، من السورة 11 : هود . والمصدر هو : «تاج العروس» ص 217 ، مادّة أهل .

194) قال ابن الأثير في «النهاية» ج 1 ، ص 310 ، مادّة جوب : ومنه قول أبي بكر للأنصار يوم السقيفة : إنّما جيبت العربُ عنّا كما جيبت الرحى عن قطبها . أي : خُرِقَتِ العرب عنّا فكُنّا وسطاً وكانت العرب حوالَينا كالرحى وقطبها الذي تدور عليه .

195) تاج العروس» ج 3 ، ص . 380

196) لسان العرب» ج 4 ، ص 538 ، مادّة عتر .

197) صحاح اللغة» ج 1 ، ص 258 ، طبعة بولاق ، مصر سنة 1282 : عترة الرجل نسله ورهطه الأدنون .

198) أقرب الموارد في فصح العربيّة والشوارد» ج 2 ، ص 741 : العِترة بالكسر : ولد الرجل وذرّيّته وعقبه من صلبه . وقيل : رهطه وعشيرته الأدنون ممّن مضى وغبر .

199) النهاية في غريب الحديث والأثر» ج 3 ، ص 177 : عتر [هـ] فيه : «خلّفت فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي» عترة الرجل أخصّ أقاربه ، وعترة النبيّ صلّى الله عليه وآله : بنو عبد المطّلب . وقيل : أهل بيته الأقربون . وهم أولاده وعليّ وأولاده ؛ وقيل : عترته الأقربون والأبعدون منهم .

200) كالفيّوميّ الذي قال في «المصباح المنير» الطبعة الحجريّة ، مادّة عتر : العترة نسل الإنسان . قال الأزهريّ : وروى ثعلب عن ابن الأعرابيّ أنّ العترة ولد الرجل وذرّيّته وعقبه من صلبه ، ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك . إلى آخره .

201) الآية 33 ، من السورة 33 : الأحزاب .

202) شرح نهج البلاغة» ج 6 ، ص 375 و376 ، الخطبة 85 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ؛ ونقل البحرانيّ ذلك عنه ، عن العامّة مفصّلاً في «غاية المرام» ص 217 ، الحديث . 39

ومن الضروريّ التذكير بأنّ العترة لمّا كانت تعني في اللغة خاصّة الأقارب والأولاد القريبين ، فهي تشمل أصحاب الكساء فحسب ، ويدخل معهم بقيّة الأئمّة عليهم السلام بالمناط القطعيّ والقرائن الخارجيّة النقليّة ؛ روى البحرانيّ في «غاية المرام» ص 232 ، الحديث 56 عن الخاصّة ، عن الشيخ الصدوق بسنده المتّصل عن أبي بصير قال : قلتُ للصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام : مَنْ آلُ مُحَمّدٍ ؟! قال : ذُرّيّتُهُ . قلتُ : مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ ؟! قال : الأئِمّةُ الأَوْصِيَاءُ . قلتُ : مَنْ عِتْرَتُهُ ؟! قال : أَصْحَابُ العَبَاءِ . قلتُ : مَنْ أُمّتُهُ ؟ قال : المُؤْمِنُونَ الّذِينَ صَدّقوا بِما جاء به من عند الله عزّ وجلّ ، ليتمسّكوا بالثقلين اللذين أُمروا بالتمسّك بهما : كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً . وهما الخليفتان على الأُمّة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله .

203) ذكر البحرانيّفي «غاية المرام» ص 219 و220 ، الحديث 9 ، عن الخاصّة ، حديثاً في تفسير الآية : ثُمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَبَ الّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا . وفيه أنّ البحث دار حولها في مجلس المأمون ، فقال العلماء : أراد الله تعالى بذلك الأُمّة كلّها . فقال الإمام الرضا عليه السلام : أراد الله عزّ وجلّ بذلك العترة الطاهرة . وعندما سأل المأمون عن وجه ذلك أجابه الإمام أجوبة مفصّلة ، منها : أنّه تمسّك بحديث الثقلين . ثمّ أثبت أنّ معنى العترة آل محمّد .

204) دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، القسم الثاني : «معرفة الإمام» ج 3 ، الدرس 40 إلى . 45

205) صحيح البخاريج 4 ، ص 175 كتاب الأحكام ، باب قبل باب إحراج الخصوم ، طبعة مصر ، سنة 1355 .

206) صحيح مسلم» ج 3 ، ص 1452 ، الحديث 5 ، من كتاب الأمارات (33) ، رقم 1821 ، طبعة محمّد فؤاد عبد الباقي .

207) فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 148 ، الحديث . 442

208) فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 149 و150 ، الحديث 443 إلى . 450

209) المستدرك على الصحيحين» ج 3 ، ص 617 و . 618

210) ينابيع المودّة» ص 444 ، الباب السابع والسبعون ، في تحقيق حديث : بعدي اثنا عشر خليفة ، عن «مودّة القربى» للمير السيّد عليّ الهمدانيّ .

وأيضاً روى القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 445 ، عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة قال : كنتُ مع أبي عند النبيّ صلّى الله عليه وآله فسمعته يقول : بعدي اثنا عشر خليفة . ثمّ أخفى صوته فقلتُ لأبي : ما الذي أخفى صوته ؟ قال : قال : كلّهم من بني هاشم . وعن الشعبيّ عن مسروق قال : بينا نحن عند ابن مسعود نعرض مصاحفنا عليه إذ قال له فتىً : هل عهد إليكم نبيّكم كم يكون من بعده خليفة ؟! قال : إنّك لَحديث السنّ وإنّ هذا الشيء ما سألني عنه أحد قبلك . نعم عهد إلينا نبيّنا إنّه يكون بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني إسرائيل .

211) غاية المرام» ص 232 ، الحديث 58 ، عن الخاصّة .

212) فرائد السمطين» ج 2 ، ص 259 ، الحديث 527 ، عن السيّد جلال الدين عبد الحميد ، عن أبيه الإمام شمس الدين فخّار بن معد بن فخّار الموسويّ ، إلى أن يصل إلى الشيخ الصدوق : أبي جعفر محمّد بن عليّ بن بابويه ، إلى أن يصل إلى الإمام الباقر عليه السلام .

213) أمالي الصدوق» ص 241 ، المجلس 63 في يوم الجمعة 3 جمادى الأُولى ، سنة 368 ، الطبعة الحجريّة .

214) كذا ، والصواب : إماماً .

215) فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 132إلى 135 ، الباب 31 ، الحديث . 431

216) بحار الأنوار» ج 36 ، ص 283 إلى 285 ، الحديث 106 ، الطبعة الحديثة ، عن «كفاية الأثر» . وذكر أيضاً صدره الخاصّ بالتوحيد في : ج 3 ، ص 303 ، 304 ، الحديث 40 ، عن «كفاية الأثر» .

217) غاية المرام» ص 39 ، الحديث 36 ، عن العامّة ، عن الحمّوئيّ في فرائده .

218) كفاية الأثر» ص . 289 جُلّدَ مع «الخرائج والجرائح» للراونديّ في مجموعة واحدة .

219) ينابيع المودّة» ص 440 إلى 442 ، الباب 76 ، في بيان الأئمّة الأثني عشر بأسمائهم ، عن «مودّة القُربى» للمير السيّد عليّ الهمدانيّ .

220) فرائد السّمطين» ج 1 ، ص . 316

221) قسم من الآية 78 ، السورة 22 : الحجّ .

222) فرائد السّمطين» ج 1 ، ص . 317

وقال الشيخ محمّد جواد مغنية في كتاب «الشيعة والتشيّع» ص 36 و37 : الإمام من أهل البيت . يشترط في الإمام شروط : أوّلها عند السنّة أن يكون من بيوت قريش لحديث لا يزال هذا الأمر من قريش ما بقي منهم اثنان . روى هذا الحديث البخاريّ في صحيحه ، ج 9 ، كتاب الأحكام . وقال الشيعة الاثنا عشريّة : إنّ الإمامة خاصّة بعليّ وولديه الحسن والحسين ، ثمّ لأولاد الحسين فقط . واستدلّوا بما رواه مسلم في صحيحه ، ج 2 ، ص 191 ، طبعة سنة 1348 هـ ، أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ، كلّهم من قريش . ومثله في «شرح التجريد» ص 250 ، طبعة العرفان : إنّ المراد بالاثني عشر هم أئمّة الشيعة حيث ثبت بالتواتر أنّ النبيّ قال للحسين : ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمّة تسعة ، تاسعهم قائمهم . وروى محبّ الدين الطبريّ الشافعيّ في كتاب «ذخائر العقبى» ص 136 ، طبعة 1356 هـ ، أنّ النبيّ قال : لو لم يبق من الدنيا إلّا يوماً واحداً لطوّل الله ذلك اليوم ، حتّى يبعث رجلاً من ولدي ، اسمه كاسمي . فقال سلمان : من أيّ ولدك يا رسول الله ؟ قال : من ولدي هذا ، وضرب بيده على الحسين .

223) فرائد السّمطين» ج 1 ، ص 312 إلى 315 ، الباب 58 ، الحديث . 250

224) كتاب «السقيفة» المعروف ب «كتاب سُليم بن قيس الهلاليّ الكوفيّ» ص 111 إلى 125 ، الطبعة الثالثة بالنجف . وكان سُلَيم من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . توفّي سنة 90 هـ تقريباً . كان من ثقات الأصحاب ومعتَمدِيهم . وكتابه في غاية الوثوق والاعتبار . قال الصادق عليه السلام فيه : مَن لَم يكن عنده من شيعتنا ومحبّينا كتاب سُليم بن قَيس الهلاليّ ، فليس عنده من أمرنا شيء ولا يعلم من أسبابنا شيئاً ، وهو أبجد الشيعة ، وهو سِرٌ من أسرارِ آل محمّد صلّى الله عليه وآله .

226.225) «ينابيع المودّة» ص 445 ، نقلاً عن المودّة العاشرة من كتاب «مودّة القربى» .

227) روى السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» ص 218 ، الحديث الخامس ، عن الخاصّة عن محمّد بن إبراهيم النعمانيّ في كتاب «الغيبة» ، عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمدانيّ بسنده المتّصل ، عن الإمام جعفر الصادق ، عن أبيه محمّد بن عليّ ، عن أبيه عليّ بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن عليّ قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عنمعنى قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّي مُخَلّف فِيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي ، مَن العِترة ؟ قال : أنا والحسن والحسين والأئمّة التسعة من وُلد الحسين تاسعهم قائمهم ، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله حوضه .

228) ينابيع المودّة» ص 445 ، نقلاً عن المودّة العاشرة من كتاب «مودّة القربى» .

230.229) «ينابيع المودّة» ص 445 ، نقلاً عن المودّة العاشرة من كتاب «مودّة القربى» .

231) كتاب سُليم» الطبعة الثالثة ، النجف . وتستمرّ هذه الخطبة من ص 179 إلى 190 ، مع ما فيها من موضوعات ، ورسالة معاوية التي كتبها للإمام . ولكن هاتين الفقرتين في ص 187 و188 بالترتيب .

232) قال القندوزيّ في «ينابيع المودّة» ص 446 ، بعد اختتام موضوعات كتاب «مودّة القربى» : قال بعض المحقّقين إنّ الأحاديث الدالّة على كون الخلفاء بعده صلّى الله عليه وآله اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة . فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان عُلِم أنّ مراد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من حديثه هذا الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر . ولا يمكن أن يحمله على الملوك الأمويّة لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش ، إلّا عمر بن عبد العزيز . ولكونهم غير بني هاشم ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : كُلّهُم من بني هاشم في رواية عبد الملك عن جابر . وإخفاء صوته صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذا القول يرجّح هذه الرواية ، لأنّهم لا يحسنون خلافة بني هاشم . ولا يمكن أن يحمله على الملوك العبّاسيّة لزيادتهم على العدد المذكور ولقلّة رعايتهم الآية قل لّا أَسْأَلكم عليه أجرًا إلّا المودّة في القربى ، وحديث الكساء . فلابدّ من أن يحمل هذا الحديث على الأئمّة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلّهم وأورعهم وأتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله . وكانت علومهم عن جدّهم متّصلة بجدّهم صلّى الله عليه وآله ، وبالوراثة و[العلوم] اللدنّيّة . كذا عرفهم أهل العلم والتحقيق وأهل الكشف والتوفيق . ويؤيّد هذا المعنى ، أي : أنّ مراد النبيّ صلّى الله عليه وآله الأئمّة الاثنا عشر من أهل بيته . ويشهده ويرجّحه حديث الثقلين والأحاديث المتكثّرة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها . وأمّا قوله صلّى الله عليه وآله : كلّهم تجتمع عليه الأُمّة في رواية عن جابر بن سمرة ، فمراده أنّ الأُمّة تجتمع على الإقرار بإمامة كلّهم وقت ظهور قائمهم المهديّ عليه السلام .

233) كتاب سُليم» ص . 190

وليعلم أنّ هذه الرواية ليست تكراراً للرواية السابقة المنقولة عن «فرائد السّمطين» فالسابقة كانت تدور حول احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام في الشورى . وهذه كانت في حرب صفّين وورود أبي هريرة وأبي الدرداء . وجاءت في موضعين من «كتاب سُلَيم» . وقد ذكرناها في موضعين أيضاً حفظاً لأصل الموضوع .

234) فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 136 إلى 141 ، الباب 32 : في حديث اللوح الذي كتب الله فيه أو أمر بعض كرام الكاتبين بأن يكتب فيه أسماء أوصياء رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ أهداه إلى نبيّه ، فأهداه النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى أُمّ الأوصياء فاطمة صلوات الله عليها ؛ الحديث 432 إلى . 435

235) دعوة الإمام جابراً عند وفاته عليه السلام حين أوصى للإمام الصادق عليه السلام الذي كان كبيراً آنذاك تتنافى مع الرواية التي تدلّ على أنّ جابراً رضي الله عنه أدرك الباقر عليه السلام فحسب .

236) فرائد السّمطين» ص 140 و141 ، السمط 2 ، الباب 32 ، الحديث . 435 ورواه الشيخ الصدوق متناً وسنداً في «عيون أخبار الرضا» ج 1 ، ص 40 و41 ، الباب 6 ، طبعة (انتشارات جهان) . [إصدارات العالم] : النصوص على الرضا عليه السلام بالإمامة في جملة الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام .

وروى آية الله الشيخ لطف الله الصافي الكلبايكانيّ في كتاب «منتخب الأثر» ص 107 ، عن كتاب «كفاية الأثر» بسنده المتّصل عن حُذيفة بن اليمان قال : صلّى بنا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ أقبل بوجهه الكريم علينا فقال : مَعَاشِرَ أصحابي ! أُوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته ، فمن عمل بها فاز وغنم وأنجح ، ومن تركها حلّت به الندامة ، فالتمسوا بالتقوى السلامةَ من أهوال يوم القيامة . فكأنّي أُدعى وأُجيب وإنّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ، ومَن تمسّك بعترتي من بعدي ، كان من الفائزين ، ومن تَخلّف عنهم كان من الهالكين .

فقلتُ : يا رسول الله ! على من تخلّفنا ؟! قال : على من خلّف موسى بن عمران قومه . قلتُ : على وصيّه يوشع بن نون ؟! قال : فإنّ وصيّي وخليفتي من بعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام قائد البررة وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله . قلتُ : يا رسول الله ! فكم يكون الأئمّة من بعدك ؟! قال : عدد نقباء بني إسرائيل ، تسعة من صلب الحسين أعطاهم الله علمي وفهمي . خُزّان علم الله ومعادن وحيه . قلتُ : يا رسول الله فما لأولاد الحسن ؟ قال : إنّ الله تبارك وتعالى جعل الإمامة في عقب الحسين وذلك قوله عزّ وجلّ : وَجَعلها كلمةً باقية في عقبه . قلتُ : أفلا تسمّيهم لي يا رسول الله ؟ قال : نعم ! إنّه لمّا عرج بي إلى السماء ونظرتُ إلى ساق العرش فرأيتُ مكتوباً بالنور : لا إله إلّا الله ، محمّد رسول الله أيّدتُه بعليّ ونصرتُهُ بِهِ . ورأيتُ أنوار الحسن ، والحسين ، وفاطمة ، ورأيتُ في ثلاثة مواضع عليّاً ، عليّاً ، عليّاً ، ومحمّداً ، ومحمّداً ، وموسى ، وجعفر ، والحسن ؛ والحجّة يتلألأ من بينهم كأنّه كوكب درّيّ . فقلتُ : يا ربّ مَن هؤلاء الذين قرنتَ أسماءهم باسمك ؟! قال : يا محمّد ! إنّهم هم الأوصياء والأئمّة من بعدك . خلقتهم من طينتك فطوبى لمن أحبّهم ، والويل لمن أبغضهم . فبهم أُنزل الغيث ، وبهم أُثيب وأُعاقب . ثمّ رفع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده إلى السماء ودعا بدعوات فسمعته يقول : اللهمّ اجعل العلم والفقه في عقبي وعقب عقبي ، وفي ذرعي وذرع ذرعي (وفي زرعي وزرع زرعي . ظ) .

237) فرائد السّمطين» ج 2 ، ص 250 ، الباب 48 ، من السمط الثاني ، الحديث 520 ؛ وذكره مير حامد حسين الهنديّ في عبقاته ، جزء الثقلين ، طبعة إصفهان ، ج 1 ، ص 311 ؛ كما أورده السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» ص 215 ، الحديث 30 ، عن العامّة برواية الحمّوئيّ في «فرائد السّمطين» . ورواه مسلم القُشيريّ بسند آخر في صحيحه ، طبعة مصر ، سنة 1327 ، ج 2 ، ص 325 ، باتّصال السند بيزيد

بن حيّان الذي قال : كنت مع حصين بن سبرة وعمر بن مسلم عند زيد بن أرقم . ثمّ فصّل زيد قصّة الغدير ، وبيّن في آخرها تفسيره لأهل البيت في جوابه لحصين الذي سأله عنهم . وأضاف أيضاً قائلاً : كلّ هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم . وذكر أحمد بن حنبل هذه الرواية في مسنده ، ج 4 ، ص 366 ، بسنده مفصّلاً ؛ وكذلك أوردها محبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العقبى» بتخريج مسلم (ص 16) .

238) المراد بني عبد المطّلب .

239) قال في «أقرب الموارد» : المِرط بالكسر : كساء من صوف أو خزّ أو كتّان يؤتزر به . وقال أيضاً : المرحّل من الثياب ما أشبهت نقوشه رحال الإبل .

240) الآية 33 ، من السورة 33 : الأحزاب .

241) كفاية الطالب» ص 11 ، الباب الأوّل في بيان خطبته صلّى الله عليه وآله بماء يُدعى خُمّاً ، طبعة النجف الأشرف ، سنة . 1356

وقال السيّد ابن طاووس في كتاب «الطرائف في معرفة مذهب الطوائف» ص 116 ، طبعة مطبعة الخيّام بقم : قال عبد المحمود (المراد هو : نفسه ، فقد سمّى نفسه بهذا الاسم في كتابه المذكور) : كيف خفي عن الحاضرين مراد النبيّ صلّى الله عليه وآله بأهل بيته صلّى الله عليه وآله : وقد جمعهم لمّا أُنزلت آية الطهارة تحت الكساء . وهم عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين عليهم السلام وقال : اللَهُمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس . وقد وصف أهل بيته الذين قد جعلهم الله خلفاً منه بعد وفاته مع كتاب الله تعالى بأنّهم لا يفارقون كتاب الله تعالى حتّى يردوا عليه الحوض ، فينظر مَن كان من العترة معصوماً لا يفارق كتاب الله في سرّ ولا جهر ولا في غضب ولا رضى ولا غنى ولا فقر ولا خوف ولا أمن . فأُولئك الذين أشار إليهم جلّ جلاله .

قال السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في هامش ص 42 من كتاب «الفصول المهمّة» ، الطبعة الثانية بعد أن نقل حديثاً مفصّلاً عن تفسير الثعلبيّ ، وتفسير «الكشّاف» : أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال : من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً . المراد من آل محمّد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع ، باعتبار أئمّتهم الذين هم خلفاء رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأوصياؤه ، ووارثو حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ، ونصّ على أنّهما لا يفترقان ، فلا يضلّ من تمسّك بهما ، ولا يهتدي من تخلّى عن أحدهما . وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول ، لكلّ فرد فرد ، لأنّ هذه المرتبة السامية ليست إلّا لأولياء الله ، القوّامين بأمره خاصّة بحكم الصحاح المتواترة من طريق العترة الطاهرة . نعم تجب محبّة جميع أهل بيته وذرّيّته كافّة ، لتفرّعهم من شجرته الطاهرة صلّى الله عليه وآله وسلّم . وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدّهم بأبي هو وأُمّي . وكنت أوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك . والآن أُكرّر وصيّتي هذه إليهم ، ولتكن الكتابة على العمامة .

242) روى في «غاية المرام» ص 225 ، الحديث 20 ، عن الخاصّة ، عن العيّاشيّ في تفسيره بإسناده إلى مسعدة بن صدقة قال : قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : إنّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب ، عليها يستدير محكم القرآن وبها نَوّهَتِ الكتب ويستبين الإيمان ، وقد أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يُقتدى بالقرآن وآل محمّد وذلك حيث قال في آخر خطبة خطبها : إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر ، أمّا الأكبر فكتاب ربّي ، وأمّا الأصغر فعترتي أهل بيتي ، فاحفظوني فيهما ، فلن تضلّوا ما تمسّكتم بهما .

243) نهج البلاغة» ج 1 ، ص 154 ، الخطبة 85 ، طبعة مصر ، وشرح الشيخ محمّد عبده : فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ؟ بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِترَةُ نَبِيّكُمْ وَهُمْ أَزِمّةُ الحَقّ وَأَعْلَامُ الدّينِ ، وَأَلْسِنَةُ الصّدْقِ ، فَأَنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَ القُرآنِ ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الهيمِ العِطَاشِ .

244) لأنّ ابن أبي الحديد كان معتزليّاً .

245) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج 6 ، ص 376 و377 ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ؛ وذكره في «غاية المرام» ص 217 ، الحديث 39 ، عن العامّة ، نقلاً عن الشرح .

246) غاية المرام» ص 223 ، و224 ، الحديث الرابع ، عن الخاصّة .

نقل الشيخ الصدوق هذا الحديث بنحو أكثر تفصيلاً كما جاء ذلك في «غاية المرام» ص 218 و219 ، الحديث السادس عن الخاصّة . ووردت فيه أسماء الأئمّة عليهم السلام . ويضيف الإمام قائلاً : يا شيخ ! والله لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج قائمنا أهل البيت . الكلام .

247) غاية المرام» ص 229 ، الحديث 44 ، عن الخاصّة .

248) غاية المرام» ص 229 ، الحديث 45 ، عن الخاصّة ، عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَنا قادمٌ على الله ثمّ يَقْدَم عَلَيّ كتابُ الله ، ثمّ عَلَيّ أهل بيتي ، ثمّ تَقْدَم علَيّ أُمّتي ، فيقفون فيسألهم ما فعلتم في كتابي وأهل بيت نبيّكم ؟!

249) غاية المرام» ص 229 ، تتمّة الحديث 45 ، قال : وروى سعد بن عبد الله في «بصائر الدرجات» عن شعيب الحدّاد قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أَنَا أوّلُ قادم على الله تبارك وتعالى ثمّ يَقْدم علَيّ كتابُ اللهِ وأهل بيتي ثمّ تَقْدَم علَيّ أُمّتي ، فأقول لَهُمْ : بئسما فعلتم في كتاب الله عزّ وجلّ وأهل بيت نبيّكم !

250) على الرغم من أنّ الزمخشريّ كان سنّيّاً حنفيالمذهب ، بَيدَ أنّ المستفاد من تفسيره المعروف ب «الكشّاف» ، وكتابه : «ربيع الأبرار» هو أنّه كان معتدلاً في ولائه أهل البيت عليهم السلام . ولعلّ تعبير العلّامة بحقّه من شطحات القلم وشططه .

251) نهج الحقّ وكشف الصدق» ص 227 ، طبعة منشورات دار الهجرة ، قم .

252) الطرائف» ص 117 و118 ، عن الزمخشريّ بسنده المتّصل ، وجاء فيه : بهجة قلبي مكان مهجة قلبي الواردة في حديث العلّامة . وهذا هو الفارق الوحيد بينهما .

253) بحار الأنوار» ج 23 ، ص 110 ، الطبعة الحديثة ، نقلاً عن «الطرائف» ، عن الزمخشريّ .

254) ينابيع المودّة» ص 82 ، نقلاً عن الحمّوئيّ بسنده عن جميل بن صالح ، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . واللفظ هو نفس لفظ «الطرائف» : بهجة قلبي ، ولكن جاء فيه : وحبله الممدود بدل وحبل ممدود .

255) مقتل الإمام الحسين عليه السلام» ج 1 ، ص 59 ، بلفظ «ينابيع المودّة» نفسه عن الحمّوئيّ ، عن الإمام محمّد بن أحمد بن عليّ بن شاذان ، عن الحسن بن حمزة ، عن عليّ بن محمّد بن قتيبة ، عن الفضل بن شاذان ، عن محمّد بن زياد ، عن حميد بن صالح ، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام ، عن أبيه ، وهو عن أبيه ، وهو عن الإمام الحسين عليه السلام ، عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله .

258.257.256) بالتسلسل عن «فرائد السّمطين» وكتاب «الأربعين» و«المناقب» عن مخطوطات هذه الكتب الثلاثة بناءً على نقل «إحقاق الحقّ» ج 4 ، ص 288 ، و: ج 9 ، ص . 198 وجاء في أربعين ابن

أبي الفوارس : نور عيني بدل نور بصري . أمّا بقيّة الألفاظ في هذا الكتاب ، والكتابين الآخرين : «فرائد ...» و«مناقب» فهي كلفظ القندوزيّ نفسه .

259) دُرَر بحر المناقب» عن مخطوطة هذا الكتاب بناءً على نقل «إحقاق الحقّ» ج 4 ، ص 288 ، و: ج 9 ، ص . 198 أمّا بقيّة العبارات في هذا الكتاب فهي كعبارة القندوزيّ نفسه .

.